
شَرْحُ صَحِيح
القَصَصِ النَّبَوِيِّ





الطبعة الأولي
١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م



رقم الإيداع: ٩٤٣٢ / ٢٠٢٢ م
الترقيم الدولى: ٩٧٨-٩٧٧-٩٩٧-٣٧٨-٤



@DarElollaa
Dar_Elollaa@hotmail.com
الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .
01050144505 - 0225117747
المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .
01007868983 - 0502357979








شرح صحيح القصص النبوي

للعلامة

أبي إسحاق الحويني

شرحه وأخرج فوائده ودروسه

د. شريف فوزي سلطان

عفا الله عنه بمنه وكرمه

تقديم

الأستاذ/ عبد الباقي الديب



دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر






بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

إلى والدي رحمه الله

إلى والدتي حفظها الله وغفر لها

إلى شقيقة الروح أم المقدام، رفع الله درجتها في عليين

إلى صديقي الصدوق وصاحبي الأوفى

الشيخ نافع الأودن

مُقدِّمة

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله سبحانه أرسل نبيه ﷺ بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً، يهدي إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى:٥٢]

وشرع الله تعالى لرسوله ﷺ وسائل كثيرة وأساليب متنوعة، استخدمها في هداية الناس وتعليمهم، من أهم تلك الوسائل: القصة.

قال تعالى: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٦] ، فالقصة تدعو إلى التفكر، وتجلب التذكر.

وقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يوسف:١١١] ، ففي القصة أخذُ العبرة، واستفادةُ الخبرة، واستدامةُ الفكرة إلى أطول وقتٍ ممكن، وفهْمُ الدرس .

وقال تعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود:١٢٠]، فبِقصص الوحيين يقع الترابط بين الماضي والحاضر، ويُعرف الوارد والصادر، ويُتيقن من الحق، ويحصل

الاتعاظ، فيتذكر المؤمن، ويتيقظ الفؤاد، ويثبت القلب.

والقصة محبَّبة إلى النفوس، قريبة من القلوب ، ففي صحيح ابن حبان من حديث سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: "أُنزِلَ القرآنُ على رسولِ اللهِ ﷺ، فتلا عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسولَ الله، لو قَصَصتَ علينا، فأنزل الله: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ ﴾ [يوسُف: ١] إلى قولِه تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ [يوسُف: ٣] فتلاها عليهم رسولُ اللهِ ﷺ زمانًا، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، لو حَدَّثتَنا، فأنزل الله : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾ [الزمر: ٢٣] الآية، كلٌّ ذلك يُؤمَرونَ بالقُرآنِ"

والقصة أسلوبُ تربيةٍ عملية يَشد من أَزْر المتمسكين بالحق والثابتين عليه، أسوةً بمن سبقوهم على الطريق، ومِن ثَمَّ كان النبي صلى الله عليه وسلم يوجه أصحابه إلى استقراء تاريخ الثابتين على الحق إذا أراد أن يقوي عزائمهم، ويشد من أزرهم في مواجهة الصعاب، فعن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسِّد بُردة في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيُشق اثنتين، ما يصده ذلك دينه، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصبٍ، ما يصده ذلك عن دينه" والحديث في صحيح البخاري.

والقصة أداةٌ سهلة الفهم تَحظى بالقبول من العامة والخاصة على السواء، ومِن ثم فقد لازمت الإنسان منذ وجوده، ومازالت تؤدي دورها في عالمنا المعاصر بصورة كبيرة جعلتها صاحبة مكانةٍ عالية إن لم تكن المكانة الأولى في عالم الأدب اليوم، وما من شك أن إقبال الناس على القصص النبوي وتعلقهم

بأحداثها يعمق مضامينها في نفوسهم ويمكنهم من الاستيعاب الجيد والتأثر بالأحداث واستخراج العبر والعظات، فضلا عن استنباط الأحكام الشرعية والقيم النبيلة من السنة النبوية ..

والقصص النبوي حديقة غنَّاء، مليئةٌ بالثمار مختلفةُ الألوان والطعوم والفوائد، فمنه ما هو قصص للأنبياء والمرسلين، كقصة موسى عليه السلام مع ملك الموت، وكيف أن ملك الموت يعرض الموت على الأنبياء، والحديث متفق عليه، ومنه قصصٌ دالة على عجائب قدرة الله، كقصص إحياء الموتى وأهوال الموت وأحوال القبور، ومنه قصصٌ دالةٌ على فضائل الأعمال المتنوعة، ومنه قصص دالةٌ على إيمانيات القوم وحسن صلتهم بربهم، وكيف أنهم جُوزوا على ذلك أحسن الجزاء في الدنيا وفي يوم الجزاء، ومنه قصصٌ محذِّرة من نماذج سيئة غفلوا عن الحق وأعرضوا عن الملك الحق، وكيف أن سيرتهم كانت منفِّرة وعاقبتهم كانت وخيمة، كلُّ ذلك وغيره ستسعد بمعرفته وستنعم بالعمل القويم من خلاله في هذا الكتاب، شرح صحيح القصص النبوي، للعلامة أبي إسحاق الحويني، حفظه الله ومتَّع به -آمين-، وسأدَعُ الشيخَ حفظه الله يعرِّف بالكتاب، ويبين مقاصده في الصفحة القادمة.

ولا أنسى أن أُوجِّه الشكر لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب، بمراجعة، أو إبداء فكرة، أو إسهامٍ في فائدة، أو غير ذلك، شكر الله مساعيَهم، وجزاهم خيراً، وعلى رأسهم:

فضيلة الشيخ/ **محمد السيد شعبان.**

والأستاذة / **فايزة الأودن.**

والحمد لله رب العالمين

مُقَدِّمَة

فضيلة الشيخ العلامة أبي إسحاق الحويني

متَّع الله به

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أَمَّا بَعْدُ: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هديُ محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فقد كان من تجربتى في مجال الوعظ والإرشاد أنني اعتنيتُ عناية خاصة بصحيح القصص النبوىّ لِمَا رأيتُه من ميل الناس إلى سماع القصة، واغتباطهم بسرد أحداثها، مع الحفاوة البالغة بالأحكام والآداب المستنبطة منها، فكان من أمري أنني عكفت على تصنيف كتاب "إسعاف الجريح بالقصص النبوى الصحيح"، وبدأت في شرح هذه القصص شرحًا تفصيليًا مع استنباط كل شاردة وواردة فيه، ولم يتم بَعْدُ، فاقترح عليَّ بعضُ إخواننا أن ننشر القصص مجردةً من الشرح، حتى نهيئ النص الصحيح لكل الدعاة والواعظين، فيستفيدون منه في خطب الجمعات، أو في الدروس العامة، لأن كثيراً منهم لا

يميز بين الصحيح والضعيف، بل معظم القصص التي يلوكونها في محاضراتهم ضعيفةٌ، وبعضها باطلٌ يتنافى مع الشريعة لو تأمل هذا المتكلِّمُ فيها، فاستحسنت هذه الفكرة، وبادرت إلى نشر ما حققت صحته، وهناك قصص كثيرٌ يحتاج إلى تحقيقٍ وتوثيقٍ فأنا أجمع طرقه، فما ثبت منها بادرنا -إن شاء الله تعالى- إلى نشره.

وقد كتبتُ درجة الحديث عقبهُ مع تخرج مختصرٍ يلائمُ الحال، أما التخرج الدقيق مع الشرح الوافى، فهذا سيكون إن شاء الله تعالى في "الإِسعاف".

وهذه سلسلةٌ بدأتُها، بالقصص النبوى، ثُمَّ يعقبه قصصٌ عن الصحابة وأحوالهم، ومواقف مؤثرة من حياتهم، ثُمَّ نُثَلِّثُ بالتابعين، وقد توخينا في كل ذلك الصحيح دون غيره، وهذا ما لعله يميز هذه السلسلة عن غيرها التي لا يعتني أصحابها بذلك، ونأمل أن يستفيد منها المسلمون وهم في مفترق الطرق، وأعداؤهم قد أحاطوا بهم وأحكموا القبضة عليهم، فعسى الله تبارك وتعالى أن يهيئ لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل طاعته، ويذل فيه أهل معصيته، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

والحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطنـًا

وكتبه/ راجي عفو ربه الغفور

أبو إسحاق الحويني الأثري



مُقَدِّمَة

الأستاذ عبدالباقي الديب

حفظه الله

القصص تتبع الأثر لذكر الخبر، فكل من تتبع آثار الناس لذكر خبرهم وما حدث منهم كما وقع بلا زيادة أو نقص فهو يقص علينا من أخبارهم، وفي التنزيل الحكيم قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ ﴾ [القصص: ١١]. فأخته تتبعت أثره لتذكر خبره، وتنقله إلى أمها كما هو، ومن هذا ندرك الفرق بين القصة والحكاية، فالحكاية تشبه ما حدث، والقص هو عين ما حدث.

والقصص الوارد في الوحي - قرآنـًا وسنة - قصص حق، وغيره حكايات قد تطابق الواقع أو تخالفه، ومن معاني الحق ثبوت الشيء، وإحكام الفعل، وموافقة الواقع، واستهداف المصلحة، ونفي الخلل، وضبط الأمور، واستقامة الفعل، وكل ما خالف الواقع أو الحكمة فهو باطل، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وكل ما سبق من معاني الحق هو في القصص القرآني.

والقصص ثلث القرآن، هذا إذا صنفناه بحسب موضوعاته، فالموضوع الأول في القرآن حديث عن الله وخلاصته سورة الإخلاص التي انفردت باسم الله الأحد - واسم الله الأحد ينفي عن الله كل نقص - كما انفردت باسم الله الصمد - واسم الله الصمد يثبت لله كل كمال - فكأنما الاسمان مظلتان لكل أسمائه وصفاته. والموضوع الثاني في القرآن حديث عن الخلق وهو القصص،

تلك القصص التي مدحها الله حين وصفها بأنها أحسن القصص ومن حسنها أنها من الواقع وتوافق الحق وتهدف إلى المصلحة، وفي هذا حث لكل مسلم على تعرفها، والموضوع الثالث في القرآن هو الشريعة الموضحة للحلال والحرام، المنظمة لحركة الناس.

ويظل القصص النبوي كنزًا يستفتحه كل عقل بحسب قدراته ويستقبله كل قلب بحسب صفائه ويتفاعل معه كل عصر بحسب ظرفه فالمفكر يجد في القصة النبوية ضبطاً لتوجهه وتنمية لتفكره ورداً على المنحرف والواعظ يجد فيها مادة لوعظه وزينة لكلامه وتثبيتاً لأفكاره وإقناعاً لمستمعيه وعلى الجملة القصص النبوي كالبحر العطاء فيه على قدر الدلاء.

إذن، ليس مستغرباً أن يُكثر الرسول الخاتم محمد ﷺ من قص القصص على أمته إبلاغاً لوحي، وتبياناً لحق، وتثبيتاً لقلب، وتوجيهاً لعقل، وترقية لنفس، وتنمية لفكر، وتربية لأمة، فقهاً لواقع، واستشرافاً لمستقبل. وليس مستغرباً أن يقول إمام كأبي حنيفةَ - وهو الفقيه -: "الحكاياتُ عن العلماءِ ومحاسنِهم أحبُّ إليَّ من كثيرٍ من الفقه، لأنها آدابُ القوم".

ثم إن القرآن وضع منهجاً لدراسة القصة يتلخص في خطوتين ينتجان ثمرة: الخطوة الأولى التفكر في القصة وهذا من قوله تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف]، والتفكر هو إعمال العقل لإدراك المراد، وهو إعمال للعقل بعلم ومرجعية في واقع متفاعل، والخطوة الثانية العبرة، والعبرة في أبسط معانيها هي ما يعبر بك من حال إلى حال، فحالك قبل فقه القصة يختلف عن حالك قبلها، وهذا من قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف]، أما الثمرة فإيقاظ قلب المؤمن وتثبيت فؤاده، فالقلب من التقلب،

والفؤاد من قول العرب لحم فئيد، واللحم الفئيد هو اللحم المشوي الذي غيرت النار طبيعته العضلية إلى طعام مغذٍ، وهكذا القلب، إن ينضج بالحق وترققه المواعظ تتغير طبيعته المتقلبة إلى الثبات على جهة، وهذا من قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود].

وتأسيساً على ما سبق كان المؤلف فضيلة الدكتور شريف فوزي سلطان - حفظه الله وتقبل منه وجعل له نصيباً من أسمائه - موفقاً حين اختار شرح صحيح القصص النبوي موضوعاً لكتابه الذي بين أيدينا، ثم تجلى توفيق الله عليه ثانية حين سلك طريقاً في شرح القصص جمع بين التأصيل العلمي والترقيق الوعظي والمنزع التربوي فالشيخ يبين ما غمض من لغة الحديث ويقتصر في ذلك على ما يوضح الغامض دون استرسال وينبه إلى الأصول العقدية والفقهية التي احتواها الحديث ويشير إلى الأحكام الفقيه المستنبطة منه ثم إنه يسترسل في الجانب التربوي جداً بطريقة تحسب له ويعرض ذلك في فوائد يسيرة المأخذ على مبتغيها لذلك فالكتاب زاد للمسلم في نفسه ومادة للمربي فيمن يربيه وموضوعاً للواعظ في جمهوره وخطبة للخطيب في مسجده وعلى الجملة فالكتاب ثروة لحامله وعلم لقارئه وأجر لناقله ودين لمن فقهه وعمل بما فيه.

وختاماً أسأل الله متضرعاً أن يوفق المؤلف المجتهد صاحب القلم السيال وأن يرزقه الإخلاص والقبول والستر والعافية والدنيا والآخرة وألا يحرمنا أجر ما كتبناه عن هذا الكتاب القيم المبارك.

كتبه: عبدالباقي الديب.



عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ:"انْطَلَقَ ثَلاثَةُ نَفرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى آوَاهُمُ المَبِيْتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوْهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ؛ فَقَالوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيْكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ، شَيْخَانِ كَبِيْرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبَقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلَا مَالاً. فَنَأَى بِي طَلَبُ الشَّجَرِ، فَلَمْ أَرُحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوْقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، فَكَرِهتُ أَنْ أوْقِظَهُمَا، وَأَنْ أَغبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتظِرُ اسْتِيْقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوْقَهُمَا، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيْهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُوْنَ الخُرُوْجَ مِنْهُ، قَال الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، كَانَتْ أحَبَّ النَّاسِ إِليَّ، وَفِي رِوَايَةٍ: كُنْتُ أُحِبُّها كَأَشَدِّ مَا يُحبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ ـ فَأَرَدْتُها عَلَى نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِيْنَ، فَجَاءَتْنِي فَأعطَيْتُهَا عِشْرِيْنَ وَمَائَةَ دِيْنَارٍ، عَلَى أَنْ تُخْلِي بَيْنِي وَبَيْنَ نفسِهَا فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذا قَدَرْتُ عَلَيْهَا -وَفِي رِوَايَةٍ: فَلَمَّا قَعَدْتُ بَين رِجْلَيْهَا- قَالتْ: اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاس إِليَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا

نَحْنُ فِيْهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُوْنَ الخُرُوْجَ مِنْهَا، وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِيْنٍ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ! أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيْقِ!! فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ! لَا تَسْتَهْزِيءُ بِي! فَقُلْتُ: لَا أَسْتَهزِئُ بِكَ، فَأَخَذَه كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيْهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُوْنَ". هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(**انطلق ثلاثة نفر**) أي ثلاثة رجال، انطلقوا مسافرين أو ساعين على معاشهم أو غير ذلك.

(**ممن كان قبلكم**) فهذا الحدث الجليل، وهذه القصة العظيمة التي يُخبر بها الرسول ﷺ صَحّت ثبوتـاً، ووقعت فعلاً، في أمة من الأمم قبلنا.

□ فائدة (١): شرع من قبلنا:

شرع من قبلنا هو شرع لنا إذا قصّه الله تعالى أو رسوله ﷺ على طريق المدح، ولم يثبت نسخه أو مخالفة شرعنا له، وهذه القصة قصها علينا رسول الله ﷺ في مدح هؤلاء النفر الثلاثة لنقتديَ بهم في عملهم، ولما فيها من الفوائد الكثيرة والدروس والعبر والنصائح الغالية.

(**حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه**) **الغار**: المكان أو النقب في الجبل، حُكيَ أن هؤلاء الثلاثة بينما هم في سيرهم، إذ تلبّدت السماء بالغمام وتساقط المطر غزيراً مما ألجأهم إلى البحث عن مكان يأويهم، فوجدوا الغار فدخلوه،

وهنا تبتدئ المشكلة وتقع القصة.

(فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار) كونت الأمطار الغزيرة سيولاً شديدة حركت الصخور من أعالي الجبال وانحدرت صخرة عظيمة ومضت في طريقها حتى استقرت على فم الغار فسدته، وكاد هذا الغار أن يكون قبراً لهم ولكن.

(فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم)

❒ فائدة (٢): لا ملجأ من الله إلا إليه:

الإنسان في هذه الدنيا قد يتعرض للمحن، ويقع في المهالك، وتحيط به الكربات والمصائب والبلايا والشدائد، وحينئذٍ لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، لا يُنجي من المهالك غيره، ولا يجيب المضطر سواه، ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل:٦٢]

❒ فائدة (٣): التوسل المشروع:

هذا الذي قالوه وعزموا عليه وأرادوه، نوعٌ من أنواع التوسل المشروع إلى الله، وهو معنى قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المائدة: ٣٥]، قال قتادة: " أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه " (١)

---

(١) تفسير الطبري.

أنواع التوسل المشروع:

١- التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته: كما كان النبي ﷺ يقول:" **يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله...**" (١)

وهذا باب واسع في السنة.

٢- التوسل إلى الله بالحال: أي حال الداعي كقوله أنا فقير: إليك، أنا الأسير بين يديك، وما أشبه ذلك كقول موسى عليه السلام حين سقى للمرأتين ثم تولى إلى الظل: ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ۝٢٤ ﴾ [القصص: ٢٤]

٣- التوسل إلى الله بدعاء الصالحين الذين تُرجى إجابتهم كما توسل الصحابة رضي الله عنهم إلى الله بدعاء نبيهم ﷺ في مواطن كثيرة.

٤- التوسل إلى الله بالعمل الصالح كما وقع في هذه القصة.

أما التوسل بذات الأنبياء والصالحين والأولياء وجاههم وقبورهم فهذا توسل ممنوع يوقع في الشرك بالله والعياذ بالله.

(فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً) أغبق: من الغبوق، وهو الشراب بالعشي، أما الصَّبوح فهو الشراب بالصباح، والمعنى: لا أُقُدِّم عليهما أحداً لا زوجة ولا ولداً ولا خادمـًا، ولا أُوثرُ عليهما أبداً.

❐ فائدة (٤): مرتبة بر الوالدين، ومنزلته:

بر الوالدين وإكرامهما والإحسان إليهما مُقدّمٌ على الزوجة والأولاد وكل شيء.

(١) رواه الترمذي والنسائي والحاكم وغيرهم، وصححه الألباني.

(**فنأى بي طلب الشجر يومـًا**) أي أنه ظل يبحث عن طعام ومرعى لغنمه حتى بَعُد مكانُه على غير العادة فتأخر عن أبويه وأولاده ذلك اليوم.

(**فلم أَرُحْ عليهما حتى ناما**) أي لم أرجع إليهما حتى ناما.

(**فحلبت لهما غبوقهما**) أي حلب لهما شرابهما كعادته إذا رجع.

(**فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً**) فبلغ برُّه بوالديه وحرصه عليهما وحبه لها إلى هذا الحد، أن كره أن يوقظهما ليتَناولا شرابهما، وكره في نفس الوقت أن يُقَدِّم زوجة أو ولداً أو خدمـًا في الشراب عليهما، وليس هذا فحسب:

(**فلبثت، والقدح على يديَّ انتظر استيقاظهما حتى بَرَق الفجر**) أي ظلت كذلك والإناء في يدي، حتى طلع الفجر أو أصبح الصباح.

(**والصبية يتضاغون عند قدمي**) أي يتصايحون ببكاء من شدة الجوع.

(**فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت الصخرة شيئـًا لا يستطيعون الخروج منه**)

❐ فائدة (٥): برُّ الوالدين سببٌ لتفريج الكربات:

فيه أن بر الوالدين سبب لتفريج الكربات وتنزل البركات وإجابة الدعوات، فبر الوالدين كان من أهم أسباب النجاة من هذا المأزق، وإذا كان هذا الغار هو المأزق الذي كاد أن يكون قبراً لهم، فما أكثر المآزق الشبيهة بهذا الغار والتي يتعرض الإنسان لها كثيراً في حياته لولا لطف ربنا وبرنا بآبائنا.

❐ فائدة (٦): الإخلاص طريق الخلاص:

وفيه أن الإخلاص لله في العمل - أيـاً كان صلاةً أو صلة أو صِدقـاً أو براً – نجاةٌ في الدنيا والآخرة، فمن أخلص عمله لله أنجاه الله من الفتن والمحن ومن وساوس الشياطين، ومن لم يُخلص لا يُرهق نفسَه، قال عز من قائل حاكيـاً عن الشيطان الرجيم: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] وقال تعالى عن نبيه الكريم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤]

فالإخلاص وقاية لصاحبه وعصمة، فأخلص تتخلص، واصدق في عملك، الله يصدقك.

❐ فائدة (٧): تعرَّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة:

وفيه أن من عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة، وفي الحديث: " تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة "(١)

تعرف على الله حال غناك يعرفك حال فقرك، تعرف على الله حال يسرك يعرفك حال عسرك، تعرّف على الله حال صحتك يعرفك حال مرضك، تعرف على الله في شبابك يعرفك في كبرك، تعرف على الله حال فرحك يعرفك حال حزنك، تعرف على الله في حياتك يعرفك حال موتك، فهؤلاء الثلاثة كما رأيت وسترى، لما عَرَفوا الله في رخائهم عرفهم الله في شدتهم.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك، وأحمد في المسند، وصححه الألباني في الصحيحة، وصحيح الجامع.

وفي الحديث أيضـًا: " **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكُرَبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِى الرَّخَاءِ** "(١)

قال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، إن يونس عليه السلام كان ذاكراً لله فلما وقع في بطن الحوت، قال الله: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ وإن فرعون كان طاغيـًا ناسيـًا لله، فلما أدركه الغرق قال: ﴿ ءَامَنتُ ﴾ فقال الله: ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

(وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم، كانت أحب الناس إليّ، وفي رواية: وكنت أحبها كأشدّ ما يحب الرجال النساء)

❑ فائدة (٨): العشق المحرم:

هذا هو العشق المحرم الذي يقع فيه بعض الناس في كل عصر ومصر، وهذا العشق لا يكون إلا بعد عمل محرم، كنظر محرم وكلام محرم، وخلوة محرمة واختلاط محرم، ونحو ذلك، ويطلق عليه بعض الشباب الحب !!!!!

وعقوبة العشق: أن بدايته حرمان من الطاعة وحرمان من الرزق، وعذاب دنيوي له صورٌ كثيرة، ونهايته حرمان من المعشوقة أو تعذيب بها، أو انقلاب العشق إلى عداوة وكراهية.

لكن الحب الحلال – الشرعي – لا يكون إلا بعد ارتباط حلال كخِطبة أو عقد أو نكاح.

---

(١) صحيح سنن الترمذي.

الحاصل أن هذا الشاب كان يعشق هذه الفتاة – ابنة عمه –

(**فأردتها على نفسها فامتنعت مني**) أي طلب منها ما يطلب الرجل من زوجته فرفضت طلبَه.

❐ فائدة (٩): العفةُ الممزوجة بالخوف من الله علامة الإيمان:

سبب امتناع هذه الفتاة أنها فتاةٌ عفيفة، والعفة شعار المؤمنين وطريق الصالحين، قال رب العالمين:﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور: ٣٣]

وقال عز من قائل – وهو يصف عباده المؤمنين –: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ [المؤمنون: ١-٧]

وفي الصحيح قال ﷺ: " **من يضمن لي ما بين لحييه [اللسان] وما بين رجليه [الفرج] أضمن له الجنة** "(١).

والعفة لا تتحقق إلا بغض البصر عن الحرام، وترك الخلوة والاختلاط المُحرَّمين واجتناب مصافحة الأجنبية والتبرج، وكل ما أدى إلى الوقوع في الغلط.

(**حتى ألمت بها سَنةٌ من السنين**) أي وقعت في فقر شديد فاحتاجت المال.

---

(١) – رواه البخاري.

(**فجاءتني**) أي سائلة.

(**فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلِّي بيني وبين نفسها ففعلت**) أي استجابت وقبِلت.

❐ فائدة (١٠) الجوع ضرره وخيم:

الجوع الكافر هو الذي ألجأ هذه المرأة إلى ذلك، وليس ذلك مُبَّرراً، فلأن يموت العبد جوعـًا خيرٌ من أن يقع في العار والشنار وعذاب النار.

ولأن الجوع مُنغَّصٌ، كان النبي ﷺ يستعيذ بالله منه، كان يقول: " **اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقِلة والذِّلة، وأعوذ بك من أن أظلم أو أُظلم** "(١).

وكان ﷺ يقول: " **استعيذوا بالله من الفقر والعَيلة، ومن أن تَظلموا أو تظلموا** "(٢).

❐ فائدة (١١): أين الساعون على الثكالى والجوعى؟

المنفقون من أموالهم والساعون على الفقراء والأرامل والأيتام يمنعون أمثال هؤلاء من السقوط في الجريمة بسبب الفقر والحاجة، ولهذا جاء في صحيح البخاري: أن النبي ﷺ: "**أَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ وَفُكُّوا الْعَانِىَ**"، قَالَ سُفْيَانُ: وَالْعَانِى: الأَسِيرُ، وفي الصحيحين: قال ﷺ: "**السَّاعِى عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِ اللهِ - وَأَحْسِبُهُ قَالَ - وَكَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ**"

---

(١) – رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني.

(٢) – رواه الطبراني وحسنه الألباني في الصحيحة الجامع.

(حتى إذا قدرتُ عليها، وفي رواية: فلما قعدت بين رجليها) أي جلس منها مجلس الرجل من امرأته وتمكن من الوقاع بها دون معارضة.

(قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه) أي خف من الله ولا تُزِل عفافي إلا بزواج صحيح.

(فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها)

❑ فائدة (١٢) الخوف من الله سبب النجاة:

الخوف من الله، من عذابه وسخطه، من أعظم العبادات التي تدفع النقم وتجلب النعم وتقي من الفواحش وتُقرِّب من الله، هذا الخوف كان سبباً في ترك هذا الرجل هذه الفاحشة، وكان سبباً في النجاة من الغار الذي كاد يكون قبراً لهم، فمن ترك الزنا والفجور خوفاً من المولى نجّاه الله من البلوى.

❑ فائدة (١٣): من علامات القلوب الحية:

ودل الحديث على أن من علامات حياة القلوب: أنها إذا ذُكِّرت بالله تذكرت، وإذا وُعظت اتعظت، كما قال الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ ﴾ [الأعراف:٢٠١]

قال السعدي في تفسيره: "ولما كان العبد لا بد أن يغفل وينال منه الشيطان، الذي لا يزال مرابطا ينتظر غرته وغفلته، ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين، وأن المتقي إذا أحس بذنب، ومسه طائف من الشيطان، فأذنب بفعل محرم أو ترك واجب - تذكر من أي باب أُتِيَ، ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه، وتذكر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه

خاسئا حسيرا، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه.

وأما إخوان الشياطين وأولياؤهم، فإنهم إذا وقعوا في الذنوب، لا يزالون يمدونهم في الغي ذنبا بعد ذنب، ولا يقصرون عن ذلك، فالشياطين لا تقصر عنهم بالإغواء، لأنها طمعت فيهم، حين رأتهم سلسي القياد لها، وهم لا يقصرون عن فعل الشر"(١)

وفي الحديث: **"مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلا وَلَهُ ذَنْبٌ يَعْتَادُهُ: الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ لا يُفَارِقُهُ حَتَّى يُفَارِقَ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُفْتَنًا تَوَّابًا نَسِيًّا إِذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ."**(٢)

❑ فائدة (١٤) العفة عن الزنا مع القدرة عليه:

العفة عن الزنا مع القدرة عليه من أعظم الأعمال التي تُسعدُ صاحبها في الدنيا ويوم القيامة، ففي الصحيح أن النبي ﷺ قال: **" سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله.."**(٣).

❑ فائدة (١٥): لا تترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو في أحلك الظروف، فلا تدري ماذا يصنع الله بكلمتك:

الأثر الطيب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد نهت المرأة ابنَ عمها لما كاد أن يقع بها، فقالت: **اتق الله...**" كلمة صان الله بها عِرضَها وكانت سبباً

---

(١) تفسير السعدي.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) متفق عليه.

لنجاته ونجاتها.

وهي رسالة إلى الدعاة إلى الله، "اتق الله" كلمة أحيى الله بها قلب هذا الشاب، فقولوا كلمتكم، وداوموا عليها، وتوكلوا على الله.

(اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة شيئًا لا يستطيعون الخروج منه)

❐ فائدة (١٦) الإخلاص الإخلاص:

قبول العمل، وظهور أثره متوقف على كونه خالصًا لله تعالى، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لاَ شَيْءَ لَهُ**، فَأَعَادَهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لاَ شَيْءَ لَهُ**، ثُمَّ قَالَ: **إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**"(١)

(وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أُجراء وأعطيتهم أجرهم)

❐ فائدة (١٧) المبادرة بإعطاء الأجير أجرته:

إعطاء الأجراء أجرهم حسبما اتُفق عليه فضيلةٌ عظيمة، دعا النبي ﷺ إلى المبادرة بها والعجلة فيها فقال: " **أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه** "(٢).

(غير واحد ترك الذي له وذهب) ناسيًا أو غير ذلك – العلم عند الله –

---

(١) صحيح سنن النسائي.

(٢) - رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

(فثمرت له أجره حتى كثُرت منه الأموال) أي استعملت هذا الأجر وتاجرت به حتى نما، ونمت منه الأموال وصارت كثيرة.

(فجاءني بعد حين وقال: يا عبد الله أدِّ إليّ أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا)

❐ فائدة (١٨) الأمانة من الإيمان:

فضل الأمانة، وأنها علامةٌ على الإيمان حقيقةً، فإن هذا الرجل كان بإمكانه لما جاءه الأجير أن يُعطيَه أجره فقط، أو يعطيه أجره وفوقه شيء قلّ أو كثُر؛ ولكن لأمانته وصدقه وإخلاصه لأخيه أخبره بالحقيقة وأعطاه كُلَّ ما أثمره أجره، وهذه الأمانة تكاد تكون نُزِعت، لاسيما في هذا الزمان.

ولهذا جاء في حديث الأمانة أن النبي ﷺ قال: **" فيصبح الناس يتبايعون، لا يكاد أحدٌ يؤدي الأمانة، حتى يُقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً.."**[1].

❐ فائدة (١٩) حقيقة الدنيا:

وفيه أن هؤلاء القوم ما كانوا يعرفون الطمع أو الجشع، وإنما كانوا يعرفون حقيقة الدنيا، فهذا الرجل بين يديه الإبل والبقر والغنم والرقيق، كل هذه الأموال التي لم يعرف صاحبها عنها شيئًا، ومع ذلك لم يطمع منها في شيء؛ لأنه يعلم أن كل شيء زائل، ومن طمع اليوم في قليلٍ دفعه غداً كثيراً.

---

(١) - رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

فائدة (٢٠) حكم من عمل في مال الغير بغير إذنه:

وفيه أن من عمل في مال الغير بغير إذن، فإن الربح كلَّه لصاحب المال إلا إذا تراضيا، قال ابن حجر: " وفيه أن المستودع إذا اتّجر في مال الوديعة كان الربح لصاحب الوديعة، قاله أحمد "(١).

فائدة (٢١) فضل التجارة:

وفيه فضل التجارة، فهل تتخيل أن أجر الأجير يُثمَّر حتى يكون منه الإبل والبقر والغنم والمال الكثير، فهذا فضل الله الواسع بسبب التجارة.

ولكن هذا الفضل مشروط، بصدق التاجر وأمانته وإحسانه وعدم انشغاله بماله عن طاعة ربه، كما جاء في الحديث: " التاجر الأمين الصدوق المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة "(٢).

(اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون)

فائدة (٢٢) بيننا وبينهم الشدائد:

ودل هذا الحديث على أن الأعمال الصالحة لها آثارها الجميلة على أصحابها، وهذه الآثار قد تتأخر، لكن يجدها الإنسان وهو أحوج ما يكون إليها، فعند وقوعه في الشدائد فساعتها يُنجيه الله منها، أو كما قال ﷺ: " **صنائع**

---

(١) - فتح الباري.

(٢) - أخرجه ابن ماجه والدار قطني والحاكم والبيهقي في الشعب والطبراني في المعجم وغيرهم وانظر الصحيحة.

المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة "(١)

وإذا كانت هذه بعض آثارها الدنيوية، فكيف بآثارها في الآخرة؟

❐ فائدة (٢٣) قدرة الله جل جلاله:

وفيه بيان قدرة الله عز وجل حيث أزال عنهم الصخرة بإذنه، لم تأت سيارة تزيلها، أو رجال يزحزحونها، وإنما هو أمر الله وقدرته، أَمَرَ الصخرة أن تنحدر فتنطبق عليهم، ثم أمرها أن تنفرج عنهم، والله سبحانه على كل شيء قدير.

❐ فائدة (٢٤): لا تَجزِم بقبول عملك:

تأمل كلمة رددها النفرُ الثلاثة: "اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه" فإنها دالة على أنهم لم يجزموا بقبول أعمالهم وإخلاصها لربهم، وهكذا المؤمن يُكثر العمل الصالح ويخشى أن لا يُقبل منه، كما في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: **"لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ يُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ"**(٢)

❐ فائدة (٢٥): افتح باباً إلى الله:

العمل الصالح بابٌ مفتوحٌ إلى الله، عوِّد نفسك دائماً أن تجعل باباً إلى الله

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.

(٢) صحيح سنن الترمذي.

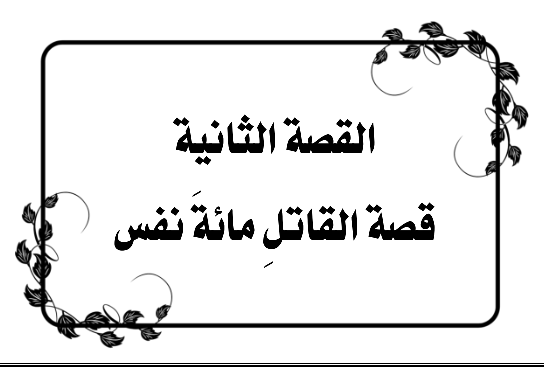
مفتوحـًا تدخل منه إليه، فانظر إلى هؤلاء الثلاثة: الأول كان باراً، والثاني كان عفيفـًا، والثالث كان أمينـًا، تنوَّعت أعمالهم، وكلُّها أوصلتهم إلى الله، لمَّا أخلصوها لله.

❐ فائدة (٢٦) ماذا لو كنت رابعهم ؟

وأخيراً:

لو كنت رابعَ هؤلاء، أو واحداً منهم، هل لديك عمل صالحٌ خالصٌ تَذكُره؟ يجب أن تجيب لنفسك على هذا السؤال، فإن كان لديك ذلك العمل فاحمد الله، وإلا فاحرص الآن على العمل الصالح الخالص الذي ينجيك عند الشدة، ويكون لك زاداً عند الله وفي المحنة.





القصة الثانية

قصة القاتلِ مائةَ نفس

عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ:

"كَانَ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مَائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَال إِنَّهُ قَتَلَ مَائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُوْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟! انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَى، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيْقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيْهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ العَذَابِ. فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ العَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَل خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُوْرَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوْهُ بَيْنَهُمْ -أَيْ حَكَمًا-، فَقَالَ: قِيْسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى، فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوا فَوَجَدُوْهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيحٌ، متفقٌ عليه.

(كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا)

❒ **فائدة (١): فإن قيل: كيف قتل هذا العدد ؟ وما هذه الجرأة على انتهاك حرمات الله؟**

الجواب: إنه فساد البيئة، إذا فسدت البيئة وقع أكثر من ذلك، إذا لم يكن هناك رادع، ولم يعظ الواعظ، استشرى الفساد وهلك العباد، ولم يشعروا بذلك إلا يوم التناد.

(فسأل عن أعلم أهل الأرض)

❒ **فائدة (٢): لماذا سأل عن أعلم أهل الأرض ؟**

الجواب: ليرجع إلى الله ويتوب إليه، فلم تحقق المعاصي سعادتَه، ولم تُشبع رغباته، ولهذا ملّها وتعبت نفسُه منها، وراح يبحث عن السعادة الحقيقية على عتبة العبودية.

❒ **فائدة (٣): الخير في الناس، لكن أين من يطرق قلوبَهم، فيُخرجُ الخير منها؟**

مهما طغى الإنسان فإن فيه خيراً؛ لكن يحتاج إلى من يطرق باب قلبه ليُخرج هذا الخير، وعلى الدعاة إلى الله جهادٌ كبير وحِملٌ ثقيل، والله سائلهم يوم القيامة عن دَورهم.

❒ **فائدة (٤): بداية الطريق:**

السؤال عن العلم وأهله، تلك البداية نحو الطريق، طريق التوبة والصلاح والفلاح، العلم بالله ورسوله من أهم الخطوات في طريق السير إلى الله، من لم يصحبها من أول قدم يضعها في الطريق إلى آخر قدم ينتهى إليها فسلوكه على غير الطريق، وهو مقطوعٌ عليه طريق الوصول مسدودٌ عنه سبل الهدى والفلاح،

ولم ينه عن العلم إلا قطاع الطريق وهو نُوَّابُ إبليس وجنودُه.

فحاجتنا إلى العلم أعظم من حاجتنا إلى الطعام والشراب، كما رُوي عن الإمام أحمد: الناس إلى العلم أحوجُ منهم إلى الطعام والشراب، لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه.

(فدُل على راهب) الراهب: هو الملازم للعبادة المتخلي عن أشغال الدنيا.

❑ **فائدة (٥): المستشار مؤتمن:**

الإدلال أمانة، فقد قال ﷺ: **" المستشار مؤتمن "**(١)، وإذا كان الإدلال الخطأ في أمور الدنيا غير مقبول، ففي أمور الدين من باب أولى، فمن دَلّ فليدل صوابـًا يقينـًا أو ليقل: لا أدري، سل غيري.

وأن اختيار المشير المتخصص ركنٌ هام في نجاح الاستشارة

(فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسـًا)

❑ **فائدة (٦): ذم الجهر بالمعصية، حتى وإن كان ذلك على سبيل الاستفتاء:**

يتحدث عن نفسه؛ ولكن عَدَل عن لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب وهذا من أدب الخطاب، أن من وصف حالةً سيئة عن نفسه أو عن غيره يأتي بلفظ الغائب، رغبة في الستر وهروبـًا من الفضيحة، فمن بُلِيَ فليستتر، فقد قال ﷺ: **" لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ**

---

(١) – رواه ابن ماجه والترمذي وغيرهما وسنده صحيح.

تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا "[1]

(فهل له من توبة ؟ قال: لا فقتله فكمل به المائة)

❐ فائدة (٧): خطر القول على الله بغير علم:

وهذا قولٌ على الله بغير علم، وهو كبيرة من الكبائر وضرره كبير وعاقبته وخيمة في الدنيا قبل الآخرة، كما في هذه القصة، عرّض نفسه للقتل، وكاد أن يَسُدَّ باب التوبة في وجه التائب.

(ثم سأل عن أعلم أهل الأرض)

❐ فائدة (٨): الإرادة واجتناب اليأس طريق الفلاح:

انظر حال هذا الرجل، وكيف أنه لم ييأس من رَوْح الله، ولم يقنط من رحمة الله، مع أنه قتل مائة نفس، وهذا إنما يدل على صدقه وقوة إرادته وعزيمته، وقد قال الله: ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ [محمد:٢١]

(فدُل على عالم)

❐ فائدة (٩): فضل الإصرار على الوصول:

فيه أن من أصر على الخير ناله، ومن أدام طرق الباب فُتح له.

(فأتاه فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ قال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ !) من يقدر على أن يحجبك عنها أو يحرمك منها ؟

❐ فائدة (١٠): باب التوبة مفتوحٌ على مصراعيه:

باب التوبة مفتوحٌ على مصراعيه، لا يُغلق حتى تطلع الشمس منه، هكذا

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه.

أخبرنا نبينا ﷺ، كما في حديث صفوان بن عسَّال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " فَمَازَالَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى ذَكَرَ بَابًا مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ مَسِيرَةُ عَرْضِهِ أَوْ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِى عَرْضِهِ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَامًا قَالَ سُفْيَانُ قِبَلَ الشَّام خَلَقَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مَفْتُوحًا يَعْنِى لِلتَّوْبَةِ لاَ يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ " فالعبد مهما كثرت ذنوبه ومعاصيه، مهما ازدادت خطاياه وجرائمه، إذا أقبل على الله قبله الله وتاب عليه، كما قال عز من قائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

فيا من أسى فيما مضى ثم اعترف كن محسنا فيما بقى تلق الشرف
واسمع كلام الله في تنزيله إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف

❐ فائدة (١١): العالِم طبيب القلوب:

وفيه أن العالم يفتح للناس باب التوبة ويرغبهم في الله فهو كالطبيب يأخذ بيد المريض نحو الشفاء ويفتح له باب الرجاء.

❐ فائدة (١٢): فضل العلم على العبادة:

وفيه فضل العلم على العبادة، وفضل العالم على العابد، فنجاة التائب كان على يد العالم، وهلاكه كان أن يكون على يد العابد، وهنا يقول ﷺ: **" فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم "**(١)، وقال: **" فضل العالم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب "**(٢).

---

(١) - رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) - رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما وصححه الألباني.

فلنحرص على العلم ومجالسه، ولنعلم أن حاجتنا إلى العلم أعظم من حاجتنا إلى طعامنا وشرابنا، فمن أخذ بالعلم أخذ بحظٍ وافر.

(انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بهم أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم)

❐ فائدة (١٣): وظيفة العالم:

فيه أن العالم، ليست وظيفته أن يُطْلِقَ الأحكام فحسب، بل يجب أن يبين للناس ما ينفعهم ويحذرهم مما يضرهم، ويدلهم على الحلول الإيجابية لمشكلاتهم، ويبين لهم صفة سيرهم.

❐ فائدة (١٤): ضرورة صحبة الأخيار:

وفيه أن العبد لابد له من رفقة طيبة وصحبة صالحة يعبد الله معهم، فذلك مما يعين المسلم على أداء دوره في هذه الحياة، ويُقوِّي عزيمته ويُعلي همته ويعينه على طاعة الله، وقد قال الله لنبيه: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨]، وقال ﷺ: **"إياكم والفرقة وعليكم بالجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة"**[١].

(ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء)

❐ فائدة (١٥): من تمام التوبة:

فيه أن من كمال التوبة وتمامها أن يفارق التائب أماكن المعصية، وأسباب

---

(١) – رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

المعصية، وأصحاب المعصية، حتى يكون في مأمن من الانزلاق مرةً أخرى، فالبيئة وأهلها تؤثر في شخصية الفرد سلباً وإيجاباً، فالذي يذهب إلى أرضٍ تُعلَنُ فيها المعاصي إنما خاطر بإيمانه وقلبه.

❐ فائدة (١٦): من تمام النصيحة:

وفي قوله: " فإنها أرض سوء " دليلٌ على أن من آداب الناصح أو الداعية أو المفتي: أن يعلل كلامه بذكر بعض الأدلة العقلية أو النقلية، فإن في ذلك إقناعاً للسائل وترغيباً له.

(**فانطلَقَ**) أي سار، عاملاً بوصية العالم.

❐ فائدة (١٧): الجدية علامة الصدق:

في هذا دليل صدقه وإرادته، فلم يقل: الأمر شاق، كيف أُغادر أهلي ووطني وملعب صباي ؟ فاختلاق الأعذار، وعدم إيجاد الحلول لها، يدل على عدم الصدق في السير، وبالتالي يحصل الانقطاع.

(**حتى إذا نص الطريق**) أي بلغ نصفه.

(**أتاه الموت**)

❐ فائدة (١٨): فجأة الموت:

هكذا الموت يفجأ صاحبه.

بينا الفتى مرحُ الخطا فرحٌ بما يسعى له إذ قيل: قد مرض الفتى

إذ قيل: بات بليلةٍ ما نامها إذ قيل: أصبح مُثخناً ما يُرتجى

إذ قيل:أصبح شاخصاً وموجهاً ومعللاً إذ قيل: أصبح قد مضى.

فيا ترى !! كيف يفجؤنا الموت ؟ هل سيفجؤنا تائبين أم ظالمين ؟

فائدة (١٩): هل موت الفجأة نذير شر؟

الجواب: الذي يجيب على هذا التساؤل هو حال العبد الذي فجأه الموت:

ـ فإذا كان من أهل الصلاح والخير، وله عند الله من الحسنات والأعمال الصالحة ما يُرجَى أن تكون نوراً بين يديه يوم القيامة، فجميع صور الموت بالنسبة له من الخير، سواء مات فجأة، أو بعد معاناة سكرات الموت، فموت الفجأة بالنسبة له رحمةٌ وتخفيفٌ وعفوٌ من رب العباد، فلا يجد من ألم الموت وشدة سكراته ومعاناة مرضه شيئًا يذكر، وإن وقع له ذلك ولم يكن موته فجأة كان تكفيراً لسيئاته، ورفعةً لدرجاته عند الله، وذلك تصديق لما أخبر النبي ﷺ أن أمر المؤمن كله له خير، وأن موت المؤمن راحة له من نصب الدنيا وعذابها، إلى نعيم الآخرة.

ـ أما إذا كان من مات فجأة من المقصرين أو الفسقة الظلمة أو الكفرة، فموت الفجأة بالنسبة له نقمة وغضب، إذ عوجل بالموت قبل التوبة، ولم يمهَل كي يستدرك ما مضى من تفريطه وتقصيره، فأُخِذَ أخذةَ انتقام وغضب كما وصف النبي ﷺ ذلك فقال: " **مَوْتُ الْفُجْأَةِ ، أَخْذَةُ أَسِفٍ**[١] "[٢]، فمَوْتُ الْفُجْأَةِ هنا أَثَرٌ مِنْ آثَارِ غَضَبِ الله ، فَلَا يَتْرُكُهُ لِيَسْتَعِدَّ لِمَعَادِهِ بِالتَّوْبَةِ وَإِعْدَادِ زَادِ الْآخِرَة ، وَلَمْ يُمْرِضْهُ لِيَكُونَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْأَسِف: الْغَضْبَان ، آسَفُونَا: أَغْضَبُونَا ، وَمَنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوجِبُ الْغَضَبَ عَلَيْهِمْ ،

---

(١) بفتح سين، أي: غضب، أو بكسرها، أي: غضبان.

(٢) صحيح أبي داود.

وَالِانْتِقَامَ مِنْهُمْ.[١]، ولهذا كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ"** [٢]

(فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه على ربه، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط)

❐ فائدة (٢٠): ملائكة الرحمة وملائكة العذاب:

فيه أن الله خصص ملائكة يتولون قبض أرواح المؤمنين يُسمَّون ملائكة الرحمة، فيرحمون العبد، وملائكة آخرين يتولون قبض أرواح الفجرة الظالمين، ويُسمَّون ملائكة العذاب، فيعذبون العبد، فالمؤمن العارف بربه يُرحم عند موته ويُبشر برضوان ربه، والفاجر الفاسق يُعذَّب عند موته ويبشر بسخط الله وغضبه.

❐ فائدة (٢١): أهمية أعمال القلوب:

وفي قول ملائكة الرحمة: ": جاء تائبًا مقبلاً بقلبه على ربه" دليلٌ على أهمية أعمال القلوب، فالطريق إلى الله يُقطع بها.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تعالى مبيِّنًا أهمية أعمال القلوب في حديثه عن النية وأهميتها: "وإنما هي الأصل المراد المقصود، وأعمال الجوارح تبعٌ ومكملة ومُتممةٌ، وإن النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد والأعضاء، الذي إذا فارق الروح فموات، وكذلك العمل إذا لم تصحبه النية فحركة عابث. فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح؛ إذ هي أصلها، وأحكام الجوارح

---

(١) عون المعبود.

(٢) رواه مسلم.

متفرعة عليها" (١)

فالعباد يتفاضلون عند الله تعالى بتفاضل ما في قلوبهم من أعمال القلوب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾، وأصل التقوى عمل القلب، كما قال ﷺ: "التقوى هاهنا" ويشير إلى صدره ثلاث مرات. (٢)

يقول ابن مسعود رضي الله عنه في وصف أصحاب رسول الله ﷺ: "أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبا..." (٣)

وقال أبو بكر المزني رحمه الله تعالى: "ما فاق أبو بكر رضي الله عنه أصحاب محمد ﷺ بصوم ولا صلاة، ولكن بشيء كان في قلبه" (٤)

وتأمل قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحداً، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض" (٥)

❒ فائدة (٢٢): فضل التوبة:

وفي قول ملائكة العذاب: "إنه لم يعمل خيراً قط" دليلٌ على فضل التوبة، وأن العبد إذا مات بعدها كان مؤهلاً لنيل رحمة الله، حتى ولو لم يعمل خيراً قط.

(فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، أي حكماً)

---

(١) بدائع الصنائع.

(٢) رواه مسلم.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية.

(٥) منهاج السنة النبوية.

❑ فائدة (٢٣): قدرة الملائكة على التشكل بالأشكال الحسنة:

فيه أن الله تعالى أعطى لملائكته القدرة على الظهور في صورة الإنسان، وكان جبريل عليه السلام ينزل أحيانًا على النبي ﷺ في صورة أحد الصحابة، وهو دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ رضي الله عنه.(١)

❑ فائدة (٢٤): فضل الإنسان:

وفيه بيان فضل الإنسان، حيث أن الله أرسل الملَك الذي يقضي بين الملائكة في صورة إنسان، وقد قال الله: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء:٧٠]

(فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة) أي قُبلت توبته.

❑ فائدة (٢٥): من صدق الله صدقه الله:

فيه أن من صدق الله صدقه الله، ومن تقرب من الله شبراً تقرب منه ذراعـًا، فهذا لـم يسجد لله سجدة، ولـم يقدِّم شيئـًا ظاهراً، غيرَ أنه صدَقَ مع الله فصدقه الله.

❑ فائدة (٢٦): الشبر قد يُغَيِّر المسار:

جاء في رواية في الصحيح: **"فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجُعل من أهلها "** تفيد أن الشبر قد يكون نقطة تحول في حياة الإنسان، فالجنة أقرب إلى

---

(١) صحيح سنن النسائي.

العبد من شراك نعله، والنار مثل ذلك، فلا يحتقر العبد معروفًا قد يكون سببًا في ثقل ميزان حسناته يوم القيامة، ولا يحتقر معصية قد تكون سببًا في ثقل ميزان سيئاته يوم القيامة.

❐ فائدة (٢٧): إذا أراد الله شيئًا هيَّأ أسبابه:

فقد جاء في رواية في الصحيح: " فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقرَّبي، وقال: قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له " تفيد أن الله تعالى إنما يريد بعباده مغفرة ورحمة وخيراً، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النساء:٢٧]

كما تفيد هذه الرواية: أن التائب حبيب الله، يُسَخِّر الأرض من أجله، حتى يقترب ويُقبل.

❐ فائدة (٢٨): لا غِنى للعبد طرفة عين عن توفيق الله:

أفاد الحديث في الجملة: أن من توفيق الله للعبد، ومن علامات رضاه عنه أن يوفقه لتوبة نصوحٍ قبل الموت، ففي الحديث أن النبي ﷺ: " **إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله، قيل: كيف يستعمله ؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه** "(١).



(١) – رواه أحمد والترمذي وغيرهما وصححه الألباني.



عَنْ صُهَيْبٍ الرُّوْمِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَال:

"كَاْنَ مَلِكٌ فِيْمَنْ كَاْنَ قَبْلَكُمْ، وَكَاْنَ لَه سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لَلْمَلِكِ: إِنَّى قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، وَكَاْنَ فِي طَرِيْقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، وَكَاْنَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَىَ السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَال: إِذَا خَشِيْتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيْتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيْمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَال: اليَوْمَ أَعلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَم الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَراً فَقَال: اللَّهُمَّ إِنْ كَاْنَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَةَ حَتَّى يَمْضِي النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَال لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ! أَنْت اليَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وِإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيْتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَاْنَ الغُلَامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيْسٌ لِلْمَلِكِ كَاْنَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيْرَةٍ، فَقَال: مَا هاهنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَال: إِنِّى لَا أَشْفِي أَحَداً، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ تَعَالَى، فَإِنْ آمَنْتَ باللهِ تَعَالَى، دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ تَعَالَى، فَشَفَاهُ اللهُ تَعَالَى، فَأَتَى المَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَاْنَ يجلِسُ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قال: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ

رَبٌّ غَيْرِي؟!. قَالَ: رَبِّي وَرَبُّك اللهُ، فَأَخذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الغُلَامِ، فَجِيءَ بِالغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: أيْ بُنَيَّ! قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأبْرَصَ وَتَفْعَلُ وُتَفعْلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أحَداً، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ تَعَالَى، فأخذَهُ فَلم يزل يعذبه حَتَّى دلَّ عَلى الرَّاهِب، فَجْيَء بِالرَّاهِبِ فَقِيْلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِيْنكَ، فَأبى، فَدَعَا بِالمِنْشَارِ، فَوُضِعَ المِنْشَارُ في مَفْرِقِ رَأسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيْسِ المَلِكَ فقيل له: ارجع عن دينك، فَأَبى فَوُضِعَ المِنْشَارُ في مَفْرِقِ رَأسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالغُلَامِ فَقِيْلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينكَ، فَأَبَى. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصحَابِهِ، فَقَال: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِيْنِهِ، وَإِلَّا فَاطْرحُوْهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَصَعَدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَقَل: اللَّهُمَّ اكْفِنِيْهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الجَبَلُ فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل بأصحابك؟! فَقَالَ: كَفَانِيْهِمُ اللهُ تَعَالَى! فَدَفَعَهُ إلى نَفرٍ من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرْقُوْرٍ وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلَّا فاقذفوه. فذهبوا به فقال: اللَّهُمَّ اكْفِنِيْهِمْ بِمَا شِئتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِيْنَةُ فَغَرَقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلى المَلِكِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فُعِلَ بِأَصْحَابِكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيْهِمُ اللهُ تَعَالَى، فَقَال للمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذعٍ، ثمَّ خُذْ سهمًا من كنانتي، ثمَّ ضع السهم في كبد القوس، ثمَّ قل: بسم اللهِ رب الغلام، ثمَّ ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثمَّ أَخذ سهمًا من كنانته، ثمَّ وضع السَّهْمَ في كَبِدِ القَوْسِ، ثمَّ قَالَ: بِسْمِ الله رَبِّ الغُلَامِ، ثمَّ رمَاهُ فوقع السهم في صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يده في صدغه فمات، فقال الناسُ: آمنا بالله رب الغلام، فَأُتِيَ المَلِكُ فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد والله نَزَلَ بك حَذَرُكَ. قد آمن الناسُ. فأمر بالأُخدود بأفواه

السكك فَخُدَّتْ وَأُضْرِمَ فِيْهَا النِّيْرَانُ، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له: اقْتِحمْ! فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَت امْرأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيْهَا، فَقَال لَهَا الْغُلَامُ: يَا أَمَّاهُ اصْبِرِى، فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ"

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ. أَخرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(عن صهيب الرومي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر)

❑ فائدة (١): كيف كان الملوك قديمـًا يُثَبِّتون ملكهم؟

وهذا شأن الملوك قديمـًا، كانوا يعتمدون على السحرة في تثبيت ملكهم، فكان السحرة يعملون على إخضاع الناس لحكامهم، بما يقومون به من خُدع وترهات !!

❑ فائدة (٢): حكم الساحر، وحدُّه:

واعلم أن العلماء قد اختلفوا في كفر الساحر، فكفّره مالك وأحمد وأبو حنيفة تكفيراً مطلقـًا، وذلك لأنه يدعى مُلك الضر والنفع والخلق، وتغيير الأمور والأحوال وتقليب القلوب على الحب والبغض، ونحو ذلك، وعقيدة المسلم: أنه لا يقدر على ذلك كله إلا الله، فالساحر قد أشرك بالله في ربوبيته، قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]

ولهذا جاء في صحيح البخاري عن بَجالةَ بنِ عبدة، قال: " كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرة، قال: فقتلنا ثلاثَ سواحر "

فحد الساحر القتل، وتخليص العباد والبلاد من شره وأذاه.

(**فلما كبر**) أي الساحر.

(قال للملِك: إني قد كبرت فابعث إليَّ غلامـًا أُعلمه السحر، فبعث إليه غلامـًا يُعلمه)

❒ **فائدة (٣): فإن قيل: ولماذا طلب غلامـًا، ولم يطلب شابـًا يافعـًا أو رجلاً كبيراً عاقلاً؟**

الجواب: لأن الغلام الصغير قابلٌ للنقش والتشكيل، وهذا يدعونا إلى ضرورة الاعتناء بأولادنا ونقشهم وتشكيلهم منذ نعومة أظفارهم على حب الله ورسوله والتخلق بالأخلاق الفاضلة، فالتعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

❒ **فائدة (٤): الحذر من بطانة السوء:**

وفي قول الساحر للملك: " إني كبرت فابعث إليّ غلامـًا أعلمه السحر " نجد نموذجـًا لبطانة السوء التي يُهمها أن تَبقى الأوضاع التي يستفيدون منها وينعَمون فيها.

(فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه فسمع كلامه فأعجبه)

❒ **فائدة (٥): فإن قيل: وماذا كان دين الراهب؟**

الجواب: جاء في رواية الترمذي: " وكان الراهب إذ ذاك على دين الحق "

❒ **فائدة (٦): فإن قيل: وكيف أحب الغلام كلام الراهب مع أنه كان يتعلم السحر ؟**

الجواب: ذاك سؤالٌ هام، إنها الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فالله تعالى قد فطر الناس جميعـًا على الإيمان والتوحيد، ففي الحديث القدسي: يقول الله

تعالى: " **وَإِنِّي خلقت عبادي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ**[١] **وَإِنَّهُ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ**[٢] **عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ فَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سلطانـًا**" [٣] فالراهب كان لا يتكلم إلا بالتوحيد، بخلاف الساحر الذي كان لا يقول إلا طلاسم وخزعبلات تأباها النفوس المؤمنة والقلوب النقية.

(فكان إذا أتى الساحر مَرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه)

❒ فائدة (٧): التربية بالابتلاء:

هذا الضرب كان يمثل بالنسبة للغلام بلاءً وامتحانـًا إذا راعينا أنه غلامٌ صغير، فالله تعالى أراد أن يربيه منذ البداية تربية حقيقية كاملة، القيام بأي عمِلٍ، مهما كان نوعه، ومهما كان صغيرًا، يحتاج إلى إعداد وتأهيل، فكيف بمن يراد له حمل أمانة الله في الأرض؟! وهكذا كان الابتلاء وسيلة من وسائل إعداد الله تعالى وتأهيله لرسله وأنبيائه والصالحين من بعدهم، ممن أوكل إليهم مهمة القيام بأمر دينه، ونشر دعوته.

وفي حديث أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ سِئل: **"أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل"** [٤]

وسأل رجل الشافعيَّ فقال: يا أبا عبد الله، أيما أفضل للرجل أن يُمَكَّن أو

---

(١) أي: مسلمين، وهذا من أبين الأدلة على أن الخلق جميعـًا مفطورون على الإسلام، كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ وقد اتفق أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ ﴾ الإسلام. انظر: تعليق الأرناءوط على صحيح ابن حبان.

(٢) أي استخَفَّتْهم، فجالوا معهم في الضلال.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

يبتلي؟ فقال الشافعي: لا يُمكَّن حتى يبتلي؛ فإن الله ابتلي نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا؛ مكنهم.(١)

(فشكا ذلك إلى الراهب)

❐ فائدة (٨): مشاكل السائرين يُعرضونها على المربين:

ولم تكن شكوى الغلام للراهب، شكوى الذي يقدم المعاذير ليتخلى ولكنها شكوى الذي يعاني من مشكلة تعوق انطلاقه واستمراره يبحث لها عن حل، فلينتبه المربون؛ لأن المشاكل تعوق السائرين كثيرة، ولابد أن يوجدوا لها حلولاً مناسِبة.

(فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر)

❐ فائدة (٩):فإن قيل: وهل يُعلِّم الراهبُ الغلامَ الكذبَ ؟

الجواب: لا؛ ولكن الراهب، نظر إلى الواقع على أنه حرب، وهو كذلك، حرب بين الإيمان والكفر، حرب بين العقيدة الصحيحة وبين والسحر والشعوذة، ومن ثم أباح للغلام أن يكذب، فقد قال ﷺ: **" لا يحل الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس "**(٢).

---

(١) الفوائد لابن القيم.

(٢) – رواه الترمذي وأصله في الصحيحن.

❐ فائدة (١٠): الحرص على العلم رغم الابتلاء:

وليتأمل طلاب العلم حرص الغلام على حضور الدرس رغم الضرب الذي يتعرض له من الساحر ومن أهله، فلماذا يُعرض الكثير عن الدروس ومجالس العلم رغم أنهم لا يُضربون، ولا يؤذَون، وإنما هو الانشغال بالدنيا، وغفل هؤلاء أن الإعراض عن العلم يستجلب إعراض الرب جل جلاله، ففي حديث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سَلَّمَا، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: **"أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ وأما الآخر فَاسْتَحْيَى اللهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ الله عنه"**[(١)]

(فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس)

❐ فائدة (١١): رسائل على الطريق مُطَمْئِنة:

دائما مع شدة الابتلاء تظهر الآيات التي تعين على الصبر وتطمئن النفوس، وتكون بمثابة الرسائل من الله.

---

(١) رواه البخاري.

❐ فائدة (١٢): طلب اطمئنان القلب مشروع:

الغلام يعلم أن الحق مع الراهب وقلبه كان معه؛ لكن أراد أن يطمئن قلبه، كما أراد ابراهيم عليه السلام أن يطمئن قلبه حين طلب رؤية ربه.

❐ فائدة (١٣): المؤمن أوَّاب:

المؤمن يلجأ إلى الله دائماً ويدعوه أن يُظهر له الحقائق ويبين له الصواب.

(**فأتى الراهب فأخبره**) أي بخبر الدابة التي قتلها الله بدعائه.

(**فقال له الراهب: أنت اليوم أفضل مني**) فقد أيدك الله بهذه الكرامة الواضحة.

❐ فائدة (١٤): التواضع سِمة المربي:

الراهب إذ ذاك يُعلِّمنا درساً عظيماً في التواضع؛ لأن الراهب أفضل من الغلام بلا شك، فهو الذي علّمه التوحيد، ولقّنه العلم، ومع ذلك يقول له: أنت اليوم أفضل مني !!

فلا جرم، فقد قال الله لنبيه ﷺ: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]

(**قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى**)

❐ فائدة (١٥): هل يَرجُم الراهب بالغيب؟

الجواب: ليس ذلك رجماً بالغيب، بل هي معرفة بسنن الله الكونية والشرعية، فكل من سلك طريق الإيمان وخصوصاً إذا كان داعياً إليه، لابد أن يبتلى، وليس الابتلاء خاصاً بأمة دون أمة، بل لكل المؤمنين في كل العصور.

قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

(فإن ابتليت فلا تدل عليّ)

❑ فائدة (١٦): لا تطلب البلاء، ولا تتمناه:

قاعدة عظيمة في ترك طلب البلاء، والبعد عنه، وسؤال الله العافية، كما قال ﷺ: **" لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية "** (١).

وفي هذ رد على كل من يحاول الحط من أهل العلم قائلاً: الشيخ فلان باع القضية !! أين هو من الوقوف في وجه الظلم !! أين هو من قول الحق !!

أيُّ حق تتحدث عنه ؟ ! الحق الذي هو أوضح من الشمس في ضحاها ؟ !

وهل إذا جهر به ستتبعه أنت ؟!

هذا الذي تحط من قدره، كان يخدم دين الله، وأنت تلعب (السيجة) في التراب مع الصبيان !!

ها هو الراهب يهرب من البلاء قائلاً: " فإن ابتليت فلا تدل عليّ "

❑ فائدة (١٧): استعمال الكتمان في أمر الدعوة إذا احتاج الأمر:

وفي هذا أيضـاً ضرورة استعمال الكتمان والسرية في بعض أمور الدعوة إذا وقع الاضطرار إلى ذلك، فقد استعمل النبي ﷺ ذلك ثلاث سنين إلى أن تمكن من الجهر بها.

---

(١) – متفق عليه.

(وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء) الأكمه: الذي وُلد أعمى، والأبرص: من البرص وهو المرض الجلدي العضال المعروف.

❐ فائدة (١٨): كرامة الأولياء والصالحين:

وهذه كرامة أو معجزة قدّرها الله تعالى على يد هذا الغلام حتى لا يكون لأحد حجة في عدم اتباعه، كما هو الشأن في جميع الأنبياء ومعجزاتهم.

قال تعالى عن عيسى: ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقال عن موسى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٣]

❐ فائدة (١٩): الفرق بين الكرامة أو المعجزة والسحر والشعوذة:

والفرق بين الكرامة أو المعجزة والسحر والشعوذة: التدين والطاعة والالتزام بالسنة، فقد رُوي عن الشافعي – رحمه الله – " إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء أو يسير على الماء فلا تصدقوه حتى تروا اتباعه للرسول ﷺ " (١).

(فسمع جليسٌ للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة، فقال:ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني)

❐ فائدة (٢٠): اللغة الخسيسة:

هؤلاء لا يعرفون إلا لغة المال؛ لكن الداعية الصادق لا يجعل للدنيا قيمةً في دعوته، بل لا يضع قدماً أو يرفعها إلا وهو يبتغي الأجر والمثوبة من الله

---

(١) – انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي.

تعالى وحده، وستَتْبعه الدنيا وهي راغمة، ففي الحديث: قال ﷺ: " **مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِى قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِىَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ** "(١)

(فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله)

❐ فائدة (٢١): الرب جل جلاله:

ذاك هو الرب جل جلاله، الذي لا يشفي غيره، ولا يرفع الضر سواه، فالشفاء من الأمراض لا يحدث بالطبيب وخبرته، ولا بالدواء وقوته، وإنما يحدث بإذن الله وإرادته.

إن الطبيب له علم يَدُلُّ به ... إذ كان في الأيام تأخير
حتى إذا انتهت رحلته ... حار الطبيب وخانته العقاقير

فالشافي جل جلاله: هو الذي يشفي بسبب، ويشفي بأضعف سبب، ويشفي بأغرب سبب، ويشفي بلا سبب، ويشفي بما لا يتخيل العبد أنه سبب.

قال ابراهيم عليه السلام وهو يعرف الناس بربه سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ ﴾ [الشعراء: ٨٠]

❐ فائدة (٢٢): الفضل كله لله:

وفيه كذلك أن المؤمن الصادق لا ينسب الكرامة إلى نفسه، ولا الفضل لها في شيء، بل إلى الله جل جلاله في كل شيء، فقد قال الله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ

(١) صحيح سنن الترمذي.

ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران:٧٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحديد: ٢٩]

(فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك)

❐ فائدة (٢٣): من أسباب الشفاء: الدعاء:

من أعظم أسباب الشفاء: الدعاء واللجأ إلى رب الأرض والسماء فإن ذلك نافعـًا بإذن الله مما نزل ومما لم ينزل، للنفس وللغير.

فقد كان ﷺ يقول: " **ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل: بسم الله ثلاثـًا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما اجد وأحاذر** "(١)

وقال ﷺ: " **من عاد مريضـًا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مِرَار: " أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض** "(٢)

(فآمن بالله فشفاه الله)

❐ فائدة (٢٤): الإيمان حقيقة كامنة في نفس كل إنسان:

تأمَّل كيف آمن جليس الملك الذي كان لا يعرف إلا لغة الدنيا والمال والهدايا، هكذا بسهولة !!

فحقيقة الإيمان كامنة في نفس كل إنسان، يبقى الأسلوب الأمثل في إيصال دعوة الحق إلى أهلها.

فالإيمان لا يحتاج إلى وقت طويل كي يستقر في القلوب ويحيي النفوس،

---

(١) – رواه مسلم.

(٢) – صحيح أبي داود.

ألم تر إلى سحرة فرعون !! كيف أنهم بين غمضة عين وانتباهتها أعلنوا إيمانهم ولم يردعهم جبروت فرعون وعذابه ؟ !

☐ فائدة (٢٥): أعمال الخير، وأثرها في الدعوة إلى الله:

وفي الحديث ردٌ على الذين يزعمون أن عمل الخير لا يُجدي كثيراً في الدعوة إلى الله، وأن الواجب على المسلمين إقامة الحكم الإسلامي، أما الانشغال بإطعام الجائع وكسوة العاري وبناء المساجد والمستشفيات فإنه مضيعة للنفوس والأوقات !!

وهذا الحديث يرُدُّ عليهم، فقد أجرى الله على يد الغلام إبراءَ الأكمه وشفاء الأبرص وغيرها من الأمراض، مما جعل الناس يتعلقون به ويقبلون دعوته.

(فأتى الملك، فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك ؟ قال: ربي، قال: ولك ربٌ غيري ؟ قال: ربي وربك الله)

☐ فائدة (٢٦): الإيمان يصنع الشجاعة:

هكذا يهاجر الإيمان بالمؤمن من العبودية لغير الله إلى العبودية لله وحده، ومن الخوف من غير الله إلى الخوف من الله وحده، ومن الرجاء في غير الله إلى الرجاء في الله وحده، ومن ظلمة الجهل إلى حياة العلم، ومن موت الكفر إلى حياة الإيمان، ومن قسوة الشك إلى راحة اليقين، فالإيمان يصنع الشجاعة والأعاجيب.

(فأخذه فلم يزل يعذبه)

☐ فائدة (٢٧): لغة القسر، والتعذيب:

هذا وأمثاله في كل عصر ومصر، لا يحسنون إلا هذه اللغة، لغة السجن والقسر والتعذيب، لا يحسنون غيرها، ولا يعرفون سواها، اقرؤوا إن شئتم قول

الله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل: ٢٣-٣٥]

(حتى دل على الغلام)

❐ فائدة (٢٨): الطاقة البشرية:

ليست خيانة ولا عمالة... ولكنها الطاقة البشرية المحدودة في الصبر والتحمل والثبات وجُزي خيراً أنه لم يرجع عن دينه.

❐ فائدة (٢٩): ولماذا ظل يعذبه ؟ هل آذاه أو أخذ ماله أو سلب جاهه ؟

الجواب: لا؛ ولكن كما قال الله: ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ [البروج: ٨-٩]

(فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تُبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل ؟)

❐ فائدة (٣٠): الدعوة إلى التنازل سِمة أهل الباطل:

الملك يريد أن يقول له: لا مانع عندي من استمرارك فيما تفعل بشرط أن تقول للناس: إن هذا السحر تعلمته في مدرسة الملك، وأن ما تدعوا إليه إنما هو

بتوجيهات الملك، وتحت إشرافه ورعايته !! وهكذا الطغاة والأشرار وأعداء النجاح لا يحبون أن يظهر أحدٌ أو يرتفع إلا إذا كان تحت رايتهم، وإلا نقموا منه وكادوا به وساموه سوء العذاب !!

فأبى الغلام إلا أن يواجه الملك بأن ما أتى به ليس سحراً، وإنما هو دين الله، دعوة التوحيد الخالص والعقيدة الصافية التي يُحتم على كل مسلم أن يدين لله بها.

(فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله)

❐ فائدة (٣١): الداعية الصادق لا يعرف التلون:

الداعية الصادق لا يُحتمل منه غير الوضوح والبيان، فعنه تؤخذ الحقيقة، ومن فمه وبكلماته يَعرف الناسُ الدِّين.

وفشلت محاولة الاحتواء وإلباس الدعوة ملابس الجاهلية.

(فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب)

❐ فائدة (٣٢): لا يكلف الله نفساً إلا وسعها:

قد يضعف رجل العقيدة عن احتمال الأذى، وقد يبوح بأسرار لا يحل له البوح بها، لولا شدة العذاب، وذاك لا يضيره شيئًا، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

(**فقيل له:**) أي للراهب.

(ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع

المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه)

❐ فائدة (٣٣): فإن قيل: وكيف تحمَّل هؤلاء؟

الجواب: وهكذا التوحيد إذا غُرس في النفوس، وهكذا الإيمان إذا غامر القلوب، فتأمل:

جليس الملك، الرجل المترَف المنَعَّم، كيف كان يعيش حياة اللهو واللعب؟! كيف صبر هذا الصبر العظيم حفاظـًا على دينه ؟ فصحح عقيدتك، وأخلص توحيدك، تَهُن الحياة في عينيك، وتَعْلُ بدِينك.

❐ فائدة (٣٤): الأخذ بالعزم يتوجب أحيانـًا:

إن لله رجلاً أقوياء بإيمانهم، فمهما عُذبوا لا يرجعون عن دينهم، ولا يُرضون الطغاة بكلمة فيها ضعف أو كفر، وفيهم قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، مع أن الله تعالى رخص للمؤمن أن ينطق بالكفر إذا أكره عليه، كما قال تعالى ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦].

❐ فائدة (٣٥): والله ليُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمر:

هذا الذي حدث مع الراهب وجليس الملك هو ما أخبر به النبي ﷺ حينما شكوا إليه الاستضعاف.

فعن خباب بن الأرت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: "شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة، قلنا: ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال: قد كان مَن

قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها ويُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُنشر اثنين فما يصدُّه ذلك عن دينه...والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون "(١).

وهكذا يتعامل الظلمة مع دعاة الحق، فلا فرصة للمناقشة ولا سبيل إلى الإقناع، إنما هو التعذيب والتقتيل، على غرار قول فرعون لموسى: ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ۝٢٩ ﴾ [الشعراء: ٢٩]

(ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبي فدفعه إلي نفرمن اصحابه، فقال: اذهبو به الي جبل كذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه ، فذهبو به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفينهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك:ما فُعل بأصحابك ؟ فقال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور [السفينة الصغيرة] فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفينهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل بأصحابك ؟ فقال: كفانيهم الله)

❐ فائدة (٣٦): الله الكافي:

الكافي هو الله وحده، والقادر على كل شيء هو الله وحده، والمُعز هو الله وحده، والمذل هو الله وحده، والمتصرف هو الله وحده، والمهيمن هو الله

---

(١) – رواه البخاري.

وحده، من تعلق به هداه، ومن توكل عليه كفاه، ومن فوّض الأمر إليه نجّاه، قال عز من قائل: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ أي كافيه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ أي مُنْفذه ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ [الطلاق:٣]

❑ **فائدة (٣٧): فإن قيل: ما الذي جعل الغلام يعود إلى الملك وقد علم أنه قاتله ؟**

الجواب: **وذاك سؤال هام**، الغلام يحمل قضية، الغلام لا يريد النجاة لنفسه، بل يريد الحياة لأمته، يريد أن تنتصر العقيدة وتعلو راية التوحيد مهما كان الثمن، عاد ليُعلم الكونَ كلَّه أنه لا ربَّ إلا الله ولا يكون إلا ما قدّر الله.

❑ **فائدة (٣٨): وثم سؤال آخر: لماذا أمهله الملِك ؟ لماذا لم يقتله من أوَّل وهلة كما فعل بصاحبَيه ـ الراهب وجليس الملك ـ ؟**

الجواب: دَهاءُ الطغاة وسياستهم، لا يريد تهييج الرأي العام عليه، بقتله إياه، وقد أظهر الله الخير على يديه.

(فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به)

❑ **فائدة (٣٩): مقاليد الأمور كلها بيد الله:**

سبحانه وتعالى وجل شأنه بيده مقاليد الأمور، بقدرته وعزته تحوّل الآمر إلى مأمور، ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ ﴾ [آل عمران:٢٦].

وفيه دليلٌ على ضعف الظالمين والجبارين، وأن الله تعالى يُظهر ضعفهم

وعجزهم متى شاء أن يُمَكِّن للصالحين في الأرض.

(قال: وما هو ؟ قال: تجمع الناس في صعيدٍ واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إن فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صُدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام)

❐ فائدة (٤٠): وظهرت الحقيقة:

استجاب الملك لأوامر الغلام استجابة الضعيف المضطر إلى أن يتخلص منه زعم !! فعلى حين غفلة منه وبفضل الله أولاً، وصلت الدعوة للناس وعلم الجميع أن لهم ربًا خالقًا وحده، رازقًا وحده، مدبراً الأمر وحده، لا يستحق العبادة سواه.

❐ فائدة (٤١): العاقبة للمتقين:

وهذه الخاتمة العظيمة، والنصر الدعوي، دليلٌ على حسن العاقبة لأهل التقوى، وأن الله تعالى يجعل ما اعتراهم من تضييق وبلاءات، سببًا في انتشار دعوتهم بين الناس.

❐ فائدة (٤٢): تقديم المصلحة العامة:

وفي تضحية الغلام بنفسه ـ مع بيان قدْره وفضله ـ دليلٌ على تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، ولا يقدر على العمل بهذه القاعدة إلا أهل الإخلاص والصدق.

(فأتي الملك، فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد نزل والله بك حذرك، قد

آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت، وأضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقمحوه فيها، أو قيل: اقتحم، ففعلوا !!)

❐ فائدة (٤٣): إنه كان ظلومًا جهولاً:

الانسان ظلوم جهول كفار – إلا من رحم الله – تظهر بين يديه الحقائق، ويتبين خطؤه وتنكشف ظلمة الطريق الذي يسير فيه، ولا زال يسير !!

(حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست [توقفت وجَبُنت] أن تقع فيها، فقال لها الغلام [صبيُّها]: يا أماه اصبري، فإنك على الحق)

❐ فائدة (٤٤): ونطق الرضيع وزهق الباطل:

فلابد للحق أن ينتصر، ولابد لصوته أن يعلو، ولابد للباطل أن ينهزم، ولابد أن يخفَت، ومصير أهل الحق جنات النعيم، ومصير أهل الباطل عذابٌ مقيم.

❐ فائدة (٤٥): ومن جملة هذه الفوائد، ومن مجموع هذه الحقائق نفهم سورة البروج: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢ ﴾ [البروج: ١ – ٢٢].



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ:

"غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامهُ عَلَيْهِمْ، فَقَال لِقَوْمِهِ: لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيْدُ أن يَبْنِي بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوْتـًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوْفَهَا، وَلَا أَحدٌ اشْتَرَى غَنَمـًا أَو خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلَادَهَا، فَغَزَا، فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ العَصْرِ، أو قَرِيبـًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَال لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأمُوْرَةٌ وَأَنَا مَأمُوْرٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ ـ يَعْنِي النَّارُ ـ لِتَأكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا، فَقَالَ: إِنَّ فِيْكُمْ غُلُوْلاً، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيْلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزَقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَال: فِيْكُمُ الغُلُوْلُ، فَلْتُبَايِعْنِي قَبِيْلَتُكَ، فَلَزَقَتْ يَدُ رَجُلٍ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيدِهِ، فَقَالَ: فِيْكُمُ الغُلُوْلُ، فَجَاءُوا بِرَأسٍ مِثْلِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعَهَا، فَجَاءْتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، فَلَمْ تحِلّ الغَنَائِمُ لِأَحَدٍ قَبْلَنَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللهُ لَنَا الغَنَائِمَ لَمَّا رأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنا، فَأَحَلَّهَا لَنا".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(غزا نبيٌ من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم)

❐ فائدة (١): من هذا النبي؟

هذا النبي هو يوشع بن نون عليه السلام، أحد أنبياء بني إسرائيل، وهو الذي

اصطحبه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ معه إلى الخضر، وقد أوحى الله إليه بعد وفاة موسى، وقد جاء في الحديث المرفوع: " لم تحبس الشمس لبشر إلا ليوشع بن نون، ليالي سار إلى البيت المقدس"(١).

❐ **فائدة (٢): مشروعية الجهاد في الأمم السابقة:**

وهذا يدل على أن الجهاد كان مشروعـاً في الأمم السابقة، كما هو مشروع في هذه الأمة، كيف لا وهو ذُروة سنام الإسلام، وإذا تخلى عنه أهل الإسلام فقد تخلوا عن عِزهم وشرفهم، كما قال ﷺ: " **إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع، وتبعتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد في سبيل الله سلَّط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم** ".(٢)

والإسلام حينما شرع الجهاد لم يشرعه تعطشـاً للدماء ودعوةً إلى العنف **!!** وإنما شرعه لمقاصد عظيمة وغايات نبيلة، ومنها: إعزاز الدين وتعبيد الناس لرب العالمين وإزالة الحواجز والقيود بين الناس وبين دعوة الله(٣).

(فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بُضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها) فنهى العاقد على زوجته، ولم يدخل بها أن يخرج معه.

(ولا أحدٌ بنى بيوتـاً ولم يرفع سقوفها) أي لا يَغْزُ معنا أحد شرع في بناء بيته ولم يكمل هذا البناء.

---

(١) – رواه أحمد وانظر الصحيحة.

(٢) – رواه أحمد وأبو داود وغيرها وصححه الألباني.

(٣) – انظر " فصول في الفكر والمنهج " للمؤلف، عسى أن يتيسر إخراجه.

(ولا أحدٌ اشترى غنمًا أو خلفات وهو ينتظر أولادها) أي لا يخرج معنا رجل اشترى غنما أو خلفات – بكسر اللام جمع خلفة وهي الناقة الحامل – وهو ينتظر أولادها.

❒ **فائدة (٣) فإن قيل: لماذا استثنى نبيٌ الله يوشع هؤلاء الثلاثة من الخروج معه إلى الجهاد ؟**

الجواب: لأن كل واحد من هؤلاء الثلاثة سيكون مشغولاً بما أهمه.

فالأول مشغول بزوجته التي لم يدخل بها.

والثاني مشغول ببيته الذي لم يتم بناؤه.

والثالث مشغول بغنمه التي ينتظر ولادتها، فكيف لهؤلاء أن يجاهدوا ؟

وذلك ليس خاصًا بالجهاد، بل ينبغي للانسان إذا أراد القيام بطاعة معينة كالصلاة أو الذكر أو قراءة القرآن أو نحو ذلك أن يُفرغ قلبه وبدنه لها، حتى يقوم بها على وجهها، فيثاب عليها ويفوز بأثرها.

وهذا هو معنى قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ ﴾ [الشرح: ٧] أي إذا فرغت من شئون الدنيا بحيث لا ينشغل قلبك بها، فتفرغ للعبادة حتى تقوم بها على وجهها.

وهذا هو معنى نهي النبي ﷺ عن الصلاة بحضرة الطعام وعند مدافعة الأخبثين، ففي صحيح مسلم قال ﷺ: **" لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان "**

وقال ﷺ: **" إذا كان أحدكم على طعام فلا يعجل حتى يقضي حاجته منه**

وإن أقيمت الصلاة"[1]

لماذا ؟ حتى تدخل الصلاة لا ملتفتـًا ولا مشغولاً.

❐ **فائدة (٤): ذكاء نبي الله يوشع بن نون:**

وهذا يدل كذلك على أن نبي الله يوشع بن نون كان قائداً ذكيـًا علم أن النصر لا يتأتى بالكثرة وإنما بالكيفية والنوعية، فرجل صادق مخلص خير من ألف تشوب قلوبهم بالشوائب.

وفعل يوشع هذا أشبه ما يكون بفعل طالوت حينما أمر جيشه من عدم الشرب من النهر إلا من اغترف غرفة بيده، فشربوا منه إلا قليلاً منهم، وبذلك صفّى طالوت جيشه من العناصر الضعيفة التي تكون سببـًا في الهزيمة.

(**فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبـًا من ذلك**) أي اقترب النبي يوشع هو وأصحابه المجاهدون من القرية التي أرادوا غزوها ساعة صلاة العصر.

(**فقال للشمس إنك مأمورة**) أمراً كونيـًا، أي بالسير.

(**وأنا مأمور**) أمراً شرعيـًا، أي بالجهاد.

(**اللهم احبسها علينا**) أي اللهم أوقفها فلا تغرب.

❐ **فائدة (٥): سبب هذا الدعاء:**

وسبب هذا الدعاء: أنه خشي إذا غابت الشمس، ودخل الليل ألا يكون هناك انتصار لأن القتال ليلاً ليس سهلاً.

---

(١) – متفق عليه.

فائدة (٦): حال المؤمن مع الدعاء:

وفيه أن العبد يلجأ إلى الله في الملمات والشدائد، ويوقن بإجابة الله له، ولا يستعظم شيئاً على الله جل جلاله.

(فحُبست حتى فتح الله عليه) وقفت الشمس حتى انتهى من مهمته وانتصر في غزوته.

فائدة (٧): معجزة عظيمة:

وتلك معجزة كريمة وآيةٌ عظيمة أيَّد الله بها هذا النبي الكريم، وهذه المعجزة دليلٌ على أن السنن الإلهية في الأنفس والمجتمعات أكثرُ مضياً من السنن الكونية، فالشمس سنة كونية، أوقفها الله، لتمضي سنته الإلهية في عباده الصالحين.

فائدة (٨): عظمة الله وقدرته:

وفيها دليلٌ على عظمة الله وقدرته، وأنه المدبر لهذا الكون، فسبحانه يفعل ما يشاء بلا مدافع ولا منازع ولا ممانع، إن شاء أن يأتي بالشمس من المغرب أتى بها، إن شاء أوقفها، لا راد لحكمه ولا مُعقب لقضائه، لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

هل تعلم أن الشمس تسجد كل يوم لربها ؟ !

قال سبحانه ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ١٨]

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس ؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا

يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ﴾ [يس: ٣٨][١].

قال الحافظ ابن حجر: " وليس في سجودها كل ليلة تحت العرش ما يُعيق عن دورانها في سيرها، وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبِّر عنه بالجري "[٢].

❑ فائدة (٩): نصر الله لأوليائه:

وفي قوله: " فحُبست حتى فتح الله عليه " دليلٌ على أن المؤمن إذا أخذ بالأسباب، وعلَّق قلبه بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى، فإن الله تعالى ناصره ومؤيده، ومظهره على عدوه، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ ﴾ [غافر: ٥٠]

(فجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها)

❑ فائدة (١٠): الغنائم في الأمم السابقة:

في الأمم السابقة كانت الغنائم حراماً على المجاهدين، فإذا انتهت المعركة جمعوا غنائمهم، وعلامة قبول جهادهم أن تنزل نارٌ من السماء فتأكلها، وإلم

---

(١) - رواه البخاري.

(٢) - فتح الباري.

تأكلها فذلك علامة على عدم القبول، ومن أسباب عدم القبول حصول سرقة من الغنائم، كما في هذه المرة.

(**فقال إن فيكم غلولاً**) الغُلول: السرقة من الغنم.

(**فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزِقت يد رجل بيده**) يعني من قبيلة معينة.

(**فقال: فيكم الغُلول**) أي السرقة في قبيلتكم.

(**فلتبايعني قبيلتك**) أي فلتأت القبيلة كلها فرداً فرداً.

(**فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال: فيكم الغلول**) أي أحضروا ما غللتم.

(**فجاءوا برأس بقرة من ذهب**) كانوا قد طمعوا فيه.

(**فوضعها فجاءت النار فأكلتها**)

❐ فائدة (١١): لا يخلو الصف من أهل الشغَب:

فهذا الجهاد كان قائده نبياً من أنبياء الله، ومع ذلك اكتُشف في الصف لصوصٌ وخونة، كما كان الأمر مع نبينا عليه الصلاة والسلام، فهؤلاء لا يُعيقون العمل كثيراً إلا أن تنقية الصف منهم أمرٌ محتَّم قدر الإمكان ومراعاة المصالح، فمجتمع الأنبياء ليس مجتمعاً ملائكياً، فكيف بمجتمع غيرهم، فتنبَّه.

❐ فائدة (١٢): الأنبياء لا يعلمون الغيب:

فيه أن الأنبياء لا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه، فلو كان هذا النبي يعلم الغيب لما احتاج أن يبايع القبائل ليصل إلى صاحب الجناية، وكما قال الله ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧].

فائدة (١٣): قدرة الله:

وفي ذلك أيضاً دليل على قدرة الله سبحانه، إذ هذه النار كانت تنزل للقضاء على الغنائم لم تكن لها أسباب أرضية، وإنما تنزل من السماء بأمر الله.

(فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى من ضعفنا وعجزنا)

فائدة (١٤): من خصائص هذه الأمة:

من خصائص هذه الأمة أن الله تعالى أحل الغنائم، كما قال ﷺ **"أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من قبلي "** وذكر منها **" وأحلت لي الغنائم "**[١].

وقال ﷺ: **" لَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ سُودِ الرُّءُوسِ قَبْلَكُمْ، كَانَتْ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ نَارٌ فَتَأْكُلُهَا "**[٢]

قال الحافظ ابن حجر: وقد مَنّ الله على هذه الأمة ورحمها لشرف نبيها عنده، فأحل لهم الغنائم وستر عليهم الغلول، فطوى عنهم فضيحة أمرِ عدم القبول "[٣].

فائدة (١٥) فضل أمم محمد ﷺ:

وفي قوله ﷺ: **" ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى من ضعفنا وعجزنا "** دليلٌ على أن الأضعف قد يكون الأفضلَ عند الله، فالفضل لا يقاس بالقوة، كما جاء

(١) - متفق عليه.

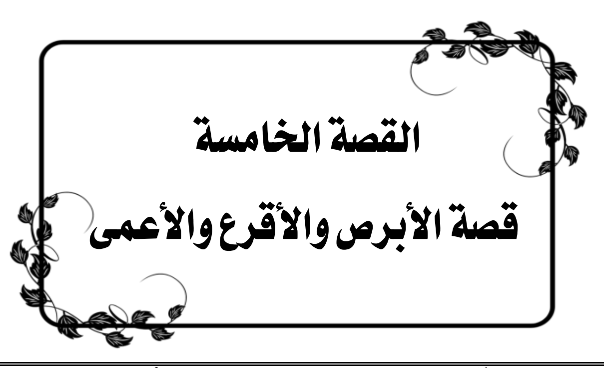
(٢) - صحيح الترمذي.

(٣) - فتح الباري.

في الحـديث: "**إنمـا ينصـر الله هـذه الأمـة بضـعيفها: بـدعوتهم وصـلاتهم وإخلاصهم**" (١)، فالأمم قبل هذه الأمة أقوى منها، إلا أن هذه الأمة أفضل الأمم.



(١) صحيح سنن النسائي.



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يقولُ:

"إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبرَصَ، وَأقرَعَ، وَأعْمَى، أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ فقَالَ: أيُّ شَيءٍ أحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حسَنًا، قَالَ: فَأيُّ المَالِ أحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبلُ -أوْ قَالَ: البَقرُ شَكَّ الرَّاوِي-، فأُعْطِيَ نَاقَةً عُشراءَ، فَقَالَ: بَارِكَ اللهُ لَكَ فِيْهَا، فَأَتَى الأَقْرَعَ، فقَالَ: أيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ، فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأعْطِيَ شَعْرَاً حَسَنًا، قَالَ: فَأيُّ المَاْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، فَأعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيْهَا، فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: أيُّ المَاْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ، فَأعْطِيَ شَاْةٍ وَالِدَاً، فَأَنْتَجَ هَذَانِ، وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَاْنَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، والجِلْدَ الحسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيْراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَاْلَ: الحُقُوْقُ كَثِيْرَةٌ. فَقَاْلَ:

كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُ أَبْرَصَ يَقْذُرُكَ النَّاسُ، فَقِيْرَاً فَأَعطَاكَ اللهُ؟!، فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَاْلَ كَابِرَاً عَنْ كَابِرٍ!! فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَال لَهُ مِثْلَ مَا قَال لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتى الأَعْمَى فِي صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَاْلَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ وَابْنُ سَبِيْلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِى رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاْةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي؟ فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ مَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّه عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيْتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع النبي صلى الله عيه وسلم يقول: " إن ثلاثة من بني إسرائيل):

❐ **فائدة (١): الإسرائيليات:**

الأخبار عن بني إسرائيل (الإسرايئليات) **ثلاثة أقسام:**

الأول: ما أخبرنا به القرآن، فهذا لا شك أنه حق، ومثاله:

قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

الثاني: ما جاء في صحيح السنة، وهذا لا شك أنه حق أيضـًا، ومثاله: هذا الحديث الذي معنا، وحديث القاتل مائة نفس، وغيرهما.

الثالث: ما جاء عن أحبارهم وعلمائهم، وهذا قد يشهد الشرع بتصديقه، فيُقبَل، ويُصدَّق، لا لأنه من أخبار بني إسرائيل، ولكن لأن شرعنا جاء به، وقد يشهد شرعنا ببطلانه ومخالفته، فهذا لا يُقبل ولا يُصدق، وقد لا يشهد الشرع لا بصدقه ولا ببطلانه، فهذا يُتوقف فيه، فلا يُصدق ولا يُكذب.

وفي هذا يقول ﷺ: " **بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** "(١).

❐ **فائدة: (٢): فإن قيل: ولماذا يقص الله علينا أخبار بني إسرائيل؟**

وإنما يقص علينا النبي ﷺ مثل هذه القصص، لا للتسلية، ولا لمجرد الحكاية، وإنما لأَخْذ العبرة، واقتباس العظة، وفهم الدرس.

(أبرص وأقرع وأعمى) الأبرص: من البرص، وهو بياضٌ يظهر في البدن، **والأقرع**: من القرع، وهو ذهاب شعر الرأس من آفة أو غيرها، **والأعمى**: وهو من ذهب بصره.

❐ **فائدة (٣): سنة الابتلاء:**

الابتلاء سنة الله في الأرض، قدَّره الله على عباده، لحكمٍ كثيرة، منها: لينظر الله، هل سيصبر عبده ويرضى، أم سيجزع ويسخط ؟ كما قال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]،

(١) – رواه البخاري.

وقال عز من قائل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٧]

(أراد الله أن يبتليهم):

❐ فائدة (٤): أنواع الابتلاء:

فإن قيل أليسوا في ابتلاء ؟ الجواب بلى؛ ولكن ابتلاءٌ من نوعٍ آخر، ابتلاء بالنعم، فالابتلاء إنما يكون بالنعم كما يكون بالنقم، يكون بالنعم ليرى الله شكرها، ويكون بالنقم ليرى الله صبرها، كما قال سبحانه: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فالمؤمن من إذا أُعطي شكر، وإذا مُنع صبر، وفي هذا يقول ﷺ: **" عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له "**(١).

وقد يكون الابتلاء بالسراء والرخاء أصعب من الابتلاء بالشدة والضرَّاء، مع أنَّ اليقظة للنفس في الابتلاء بالخير، أولى من اليقظة لها في الابتلاء بالشر، وذلك لأن الكثيرين قد يستطيعون تحمُّل الشدَّة والصبر عليها، ولكنهم لا يستطيعون الصبر أمام هواتف المادَّة ومغرياتها، فتَنَبَّه.

كثيرٌ هم الذين يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف، ولكنْ قليلون الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة، كثيرٌ هم الذين يصبرون على

---

(١) رواه مسلم.

الفقر والحرمان فلا تتهاوى نفوسهم ولا تَذل، ولكن قليلون الذين يصبرون على الغنى والثراء، وما يُغرَيان به من متاع وشهوات وأطماع، كثيرٌ هم الذين يصبرون على التعذيب والإيذاء، ولكن قليلون الذين يصبرون على الرغائب والمناصب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " قال بعض السلف: البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر ولا يصبر على العافية إلا الصديقون، قال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر" ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والأزواج والأولاد فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ وليس المراد من هذه العداوة ما يفهمه كثير من الناس أنها عداوة البغضاء والمحادة بل إنما هى عداوة المحبة الصادة للآباء عن الهجرة والجهاد وتعلم العلم والصدقة وغير ذلك من أمور الدين وأعمال البر، كما في جامع الترمذى من حديث اسرائيل حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة فأرادوا أن يأتو النبي فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدَعوهم أن يأتوا رسول الله فلما أتوا رسول الله ورأوا الناس قد فقِهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ الآية قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وما أكثر ما فات العبد من الكمال والفلاح بسبب زوجته وولده..." (١)

---

(١) عدة الصابرين.

ولعل السر في ذلك أن الشدَّة تستنفر قوى الإنسان وطاقاته، وتثير فيه الشعور بالتحدِّي والمواجهة، وتشعره بالفقر إلى الله تعالى، وضرورة التضرُّع واللجوء إليه فيهبه الله الصبر، أما السراء، فإن الأعصاب تسترخي معها، وتفقد القدرة على اليقظة والمقاومة، فهي توافق هوى النفس، وتخاطب الغرائز الفطريَّة فيها، من حب الشهوات والإخلاد إلى الأرض، فيسترسل الإنسان معها شيئًا فشيئًا، دون أن يشعر أو يدرك أنه واقع في فتنة، ومن أجل ذلك يجتاز الكثيرون مرحلة الشدة بنجاح، حتى إذا جاءهم الرخاء سقطوا في الابتلاء، كما في هذه القصة التي معنا.

(فبعث إليهم ملكـًا)

❐ **فائدة (٥): تشكل الملائكة بأشكال المخلوقات:**

فيه أن الملائكةَ أجسامٌ طيبةٌ أعطاها الله القدرة على التشكيل بأشكال المخلوقات.

(**فأتي الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك**) أي: ماهي أمانيك ؟

(**قال: لونٌ حسن، وجلد حسن، ويَذهب عني الذي قد قذرني الناس**) فكانت أمنيته أن يُشفى من برصه الذي كان سببـًا في تجنب الناس له وابتعادهم عن مجالسته.

❐ **فائدة (٦): أماني مباحة:**

وهذه الأمنية التي تمناها الأبرص، وصاحباه من بعده، من الأماني المباحة، ومن السعي المشروع، فقد كان النبي ﷺ: **"سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة"**[(١)]، وكان ﷺ يقول: **" يا عباد الله تداوَوا، فإن الله عز وجل لم يضع داءً**

(١) - رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

إلا وضع له شفاءً، غير داءٍ واحد " قالوا: وما هو يا رسول الله ؟ قال: " **الهَرم** " قالوا: يا رسول الله، ما خير ما أُعطي الإنسان ؟ قال "**خلق حسن** "[١].

(فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطي لونـًا حسنـًا)

❐ فائدة (٧): الله يوصل فضله بواسطة أو بغيرها:

وهذا لا شك إرادة الله، وقدرته، فلا يشفي المريض، ولا يُعطي المحروم، ولا يُغني الفقير، ولا يُغيث الملهوف إلا الله جل جلاله، وقد يوصل الله تعالى ذلك عن طريق بعض خلقه، فلا جرم، وأما الملائكة الكرام، فضلاً عن غيرهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعـًا، فضلاً عن أن يملكون ذلك لغيرهم.

❐ فائدة (٨): لا شيء يَستعصي مع الله:

وفيه أن الله تعالى يشفي من الأمراض التي يسميها الناس (مستعصية) وأنه لا شفاء منها، كالبرص أو العمى ونحوها، فلا مجال لليأس ولا محل لترك الدعاء والأخذ بالأسباب.

(قال: فأي المال أحب إليك ؟ قال: الإبل، فأُعطي) أي أعطاه الله.

(ناقة عُشراء) أي حاملاً مضى على حملها عشرةُ أشهر.

(فقال: بارك الله لك فيها)

❐ فائدة (٩): ماذا يقول من رأى من أخيه ما يُعجبه؟

وهذا درس علمناه النبي ﷺ حين قال: " **إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله**

---

(١) – رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني.

أو من أخيه ما يُعجبه، ليدع له بالبركة، فإن العين حق "[١]، وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّهُ قَالَ: رَأَى عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ: والله مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلاَ جِلْدَ مُخْبَأَةٍ، فَلُبِطَ سَهْلٌ مكانه، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لَكَ فِي سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ؟ وَاللهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَلْ تَتَّهِمُونَ بِهُ من أَحَدًا؟ فقَالُوا: نَتَّهِمُ عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامِر بن ربيعة، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: عَلاَمَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ أَلَّا بَرَّكْتَ اغْتَسِلْ لَهُ، فَغَسَلَ له عَامِرٌ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صُبَّ عَلَيْهِ، فَرَاحَ سَهْلٌ بن حنيف مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ.[٢]

(فأتى الأقرع، فقال: أي شيءٍ أحب إليك ؟ قال: شعرٌ حسنٌ ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه، وأُعطي شعراً حسنـًا، قال: فأي المال أحب إليك ؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملاً، وقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى، فقال:أي شيءٍ أحب إليك ؟ قال: أن يَرُدَّ الله إليّ بصري، فأبصر الناس، فمسحه فردّ الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك ؟ قال: الغنم، فأعطي شاةً والداً) أي قد وضعت ولدها.

❐ فائدة (١٠): كلُّ شيءٍ على الله هيِّن:

انظر كيف أن الله سبحانه بدل أحوال هؤلاء الثلاثة تبديلاً كاملاً شاملاً، من بلاءٍ ـ وأي بلاء ـ إلى عافية، ومن فقرٍ إلى غِنى، كل ذلك وغيره على الله هيِّن، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ۝٤٤﴾

---

(١) – رواه الطبراني والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) صحيح ابن حبان.

[فاطر: ٤٤].

عندما منَّ الله على عبده ونبيه زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبشَّره بالذرية، وقد بلغ من الكبر عتيًّا، وكذلك كانت زوجته، وهو ما كان مثارَ استغراب نبي الله، فيأتيه الجواب بكل سلاسة: ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ [مريم: ٩]

وعندما وهب المتفضل سبحانه لمريم عليها السلام ابنًا ﴿ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ [مريم: ١٩] لتسأل بتعجب وحيرة: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [مريم: ٢٠]؟! فيأتها الجواب مباشرة: ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ [مريم: ٢١]، فكل شيء على الله هين أن يحقق مطالب عباده مهما بانت أنها عظيمة وخارقة للعادة، وصعبة التحقق.

(**فأنتج هذان وولّد هذا**) أي أن كل واحدٍ من الثلاثة تولّى ما تحته من المال معتنيـاً به.

(**فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم**) أي:أن الله تعالى بارك لهم جميعـاً.

❒ **فائدة (١١): البركة:**

أن البركة إذاحلت في شيءٍ جعلت القليل كثيراً، والعكس بالعكس، ألا وإن من أعظم الأسباب التي تحصل بها البركة:

تقوى الله سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ومنها:

الدعاء، وأكل الحلال، والقناعة، والصدق في المعاملة، واتباع السُّنة.

(**ثم إنه**)أي الملَك نفسه.

(أتى الأبرص في صورته وهيئته) وذلك بعد فترة من الزمن.

أي تصوّر الملك بالصورة التي كان عليها الأبرص قبل الشفاء والغِنى، ثم أتاه بها.

(فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحِبال في سفري) أي انقطعت الأسباب آخذ بها للحصول على الرزق.

(فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك) أي ليس أمامي ما يبلغني في سفري إلا الله ثم أنت.

❐ **فائدة (١٢): هل يجوزالجمع بين الخالق والمخلوق بالواو؟**

وفي الإتيان بـ " ثم " دليل على أنه لا يُسِوِّى الخالق بالمخلوق، ولا يُعطف المخلوق على الخالق بـ " الواو " فإن هذا ضرب من الشرك في الألفاظ، فقد جاء يهوديٌ إلى النبي ﷺ فقال: **"إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت "**(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: أجعلتني لله نداً ؟ ما شاء الله وحده "(٢).

(أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلّغُ به في سفري) فسأله ناقة واحدة من هذا الوادي من الإبل.

---

(١) – صحيح سنن النسائي.

(٢) – رواه أحمد والنسائي، وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد وحسنه الألباني.

فائدة (١٣): من كان حالفًا فليحلف بالله:

وفيه أن المؤمن إذا أراد أن يُقسم على أحد، ألا يُقسم عليه إلا بالله أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفته.

فائدة (١٤): المعطِي هو الله:

وفيه تقريرٌ لما سبق بيانه من أن الذي أعطاه اللون الحسن والجلد الحسن والمال إنما هو الغنيّ الكبير المتعال سبحانه.

(فقال: **الحقوق كثيرة**) أي الالتزامات والمتطلبات !!

فائدة (١٥): لا تقل: الالتزامات كثيرة، ولكن قل: الله كبير، ومعطي ورزاق:

وهذه الكلمة – الحقوق كثيرة – أكثر ما يتفوه بها البخلاء الذين يجحدون نعم الله وينكرونها !!

(**فقال: كأني أعرفك**) أي قال الملك للأبرص: كأني رأيتك من قبل.

(**ألم تكن أبرص يقذُرك الناس، فقيراً فأعطاك الله ؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر**) أي أبا عن جدٍ.

فائدة (١٦): قبح البخل:

فيه أن البخل صفةٌ قبيحة، توقع صاحبها في صفة أقبح منها ألا وهي: الكذب، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

❐ فائدة (١٧): لا تكن كقارون:

وفيه أن من نسب المال أو العطاء عموماً إلى جُهدهِ أو نسبه أو علمه أو فهمه أو خبرته، ففيه شبهٌ من قارون القائل: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ﴾ ويوشك الله أن يتعامل معه كما تعامل مع قارون، إن لم يَعُد إلى الله سبحانه.

(فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله كما كنت)

❐ فائدة (١٨): ستأتي على المُعرِض ساعة لا يبالي بنصح الناصحين:

فيه أن هذه الرجل ممن نسوا الله، والعياذ بالله؛ لأنه لم يَرعَوِ حتى لما دعا عليه الملك، وفي هذا نذير لكل من نسِيَ الله وأعرض شكره وطاعته، سياتي عليه ساعة لا يبالي بنصح الناصحين ولا بوعظ الواعظين، ولا حتى بعقوبة رب العالمين، وهذه هي الحيلولة بين العبد وبين قلبه، ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤]

(وأتي الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردّ عليه مثل ماردّ هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت، وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله علي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله ما أجهدك اليوم بشيءٍ أخذتَه لله عز وجل) أي إذا أخذت المال كله، لا أشق عليك ولا أُكلفك برده، وهذا لله سبحانه وتعالى شكراً على نعمه.

❐ فائدة (١٩): المروءة لها أهلها:

فيه أن من المروءة ألا ينسى الإنسان سيرته الأولى، ألا ينسى فقره أو مرضه أو بلاءه؛ لأن ذلك سبيل إلى شكر النعم ودوامها.

فائدة (٢٠): فضل الصدق:

وفيه فضل الصدق، وأنه يحمل صاحبه على الشكر والجود والكرم، وفي الصحيحين، قال ﷺ: **"عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَالْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا"**

(فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم) يعني: أنتم الثلاثة قد تم اختباركم وظهرت النتيجة وهي:

(قد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك)

فائدة (٢١): من موجبات رضا الله:

فيه أن الصدق والجود يوجبان رضا الله عن العبد كما وقع للأعمى، وأن الكذب والبخل يوجبان سخط الله، كما وقع للأبرص والأقرع.

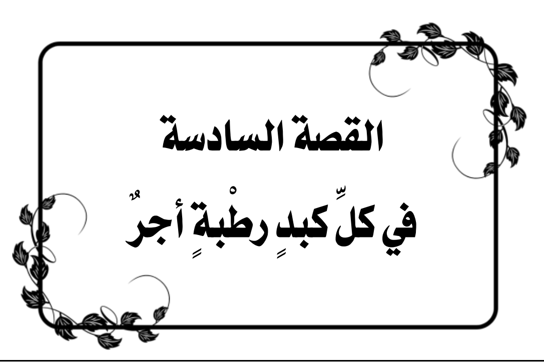
فائدة (٢٢): من ثمرات شكر النعم:

وفيه أن شكر النعم سبب لبقائها وزيادتها ورضا الله عن صاحبها، وأن كفران النعم من أسباب محقها وزوالها والتعذيب بها، وسخط الله على صاحبها، قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ [إبراهيم: ٧]

فائدة (٢٣): أهل الحق قلة:

وفيه أن أهل الحق قلة، وأن أهل الباطل كثرة، وذلك في كل عصر ومصر، فهؤلاء ثلاثة، نجا واحدٌ، وهلك اثنان.

نسأل الله النجاة والعافية في الدنيا والآخرة.



عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِى بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِى كَانَ بَلَغَ مِنِّى، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغفَرَ لَهُ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِى هَذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْرًا؟ فَقَالَ: " فِى كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ "

وفي رواية للبخاري: "فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ"

وفي رواية لهما: " بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِى إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ "

(بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِى بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرب):

(ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ) يلهث: أي يُخرج لسانه من شدة العطش، والثرى: التراب النَّدِي.

❐ **فائدة (١): نعمة الإنسانية:**

ميَّز الله الإنسان وكرمه بالعقل، وأعطاه القدرة على التصرف، واصطناع الحيل، ليصل إلى مراده، فلو نظرت الكلب لَمَّا حلَّ به ما حلَّ بالرجل، ما قدَر

على شيء، وكاد أن يكون مصيره الهلاك، فليشكر العبد ربه مستخدماً ما ميَّزه الله به في سبل مرضاته.

(فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِى كَانَ بَلَغَ مِنِّي)

❐ فائدة (٢): الشعور بالآخَر:

هكذا يجب أن يكون المؤمن، إذا مرض يشعر بمرض غيره، وإذا جاع يشعر بجوع غيره، وإذا ابتُلي يشعر ببلاء غيره، المؤمن يقِظ الضمير، دائم التفكر، كثير الذكر والشكر.

(فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ(١) فَسَقَى الْكَلْبَ)

❐ فائدة (٣): الرجل الإنسان:

ها هي الإنسانية تتجسد في شخص هذا الرجل، فالإنسان خدومٌ لغيره، معينٌ له وإن كان الغير حيوانـًا، فكيف إن كان إنسانـًا، وكيف إن كان إنسانـًا قريبـًا أو جاراً أو صالحـًا ؟

❐ فائدة (٤): رحمة المخلوق:

وفي رواية ابن حبان " فَرَحِمَهُ " فمن أكبر الأسباب التى تُنال بها رحمة الله: رحمة العبد للخلق، فتراه رحيمًا رقيق القلب بالصغار والكبار، يرحم حتى النملة فى جحرها والطير فى وكره فهذا أقرب القلوب من الله(٢)، وتأمل قول

---

(١) – بِفَتْحِ الرَّاءِ، وَكَسْرِ الْقَافِ – كَصَعِدَ وَزْنًا وَمَعْنًى، وَأَمَّا رَقَى بِفَتْحِ الْقَافِ، فَمِنَ الرُّقْيَةِ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ، انظر شرح الزرقاني على الموطأ

(٢) الأسماء الحسنى والصفات العلا: عبد الهادى حسن وهبى.

النبى: ﷺ: **"ارحموا من فى الأرض يرحمكم من في السماء"**(١) تجد الأمر يشمل جميع الخلائق البر والفاجر والوحش والطير.

(فَشَكَرَ اللهُ لَهُ) أَثْنَى عَلَيْهِ، أَوْ قَبِلَ عَمَلَهُ ذَلِكَ، أَوْ أَظْهَرَ مَا جَازَاهُ بِهِ عِنْدَ مَلَائِكَتِهِ(٢)

❐ فائدة (٥): الأعمال القلبية:

أعمال القلوب تقع عند الله موقعـًا حسنـًا، فهذا الرجل قد يبدو للناظر أنه قام بعملٍ ظاهري، وهو سقْيُ الكلب، لكن حمله عليه النوازع القلبية كالرحمة واللين والإحساس بالآخر وحب الخير للغير، فكانت سببـًا في نجاته، وقد ينزِع في قلب الإنسان نازعٌ قلبيٌ فاسد فيهلك، كنازع القسوة، ففي صحيح مسلم، أن النبي ﷺ قال: **"إن إمرآة من بني إسرائيل دخلت النار في هرّة حبستها حتي ماتت فلا هي اطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض "**.

❐ فائدة (٦): إذا لم يشكرْك الناس الله يشكرُك:

في هذا الحديث تربية للإنسان على العمل لله، وابتغاء الثواب من الله، وأنه لا يمنعك من العمل، ولا يوقفك قلة شكر الشاكرين، أو عدم تقديرهم، فاعمل للذي يُقَدِّر عملك ويشكرك عليه، فإن هذا الرجل كان في صحراء موحشة لم يعلم به أحد، لكن علِم به الله، لم يره أحد، لكن رآه الله وشكره وأدخله جنةً عرضها السماوات والأرض.

---

(١) صحيح سنن الترمذي

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ

❐ فائدة (٧): الله الشكور:

فيه أن الشكور جل جلاله: هو الذي يشكر القليل من العمل، ويعفو عن الكثير من الزلل، ولا يضيّع أجر من أحسن العمل، والسنة النبوية مليئةٌ وحافلة ببيان عطاء الله تعالى لعباده الأجورَ الكبيرةَ على الأعمال اليسيرة؛ فهو الشكور جل جلاله يجزي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعْفٍ، إلى أضاف كثيرة، ويجزي على السيئة مثلها.

تأمل قوله ﷺ: «**مَن تصدَّق بعدل تمرة من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا طيبًا – فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يُربي أحدكم فَلوَّه حتى تكون مثلَ الجبل**»(١).

(**فَغَفَرَ لَهُ**) الْفَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ، أَيْ بِسَبَبِ قَبُولِهِ غَفَرَ لَهُ، وفي الرواية الأخرى: "فأدخله الجنة"

❐ فائدة (٨): من ثمرات المغفرة:

فيه أن من ثمرات المغفرة، نعيم الجنة، فالكريم جل جلاله إذا غفر، لم يُعاتِب، بل يُنَعِّم، ويُكرم.

والرواية الأخرى، رواية المرأة، مشابِهة لرواية الرجل:

(بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِى إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ)

يطيف: أي يدور حولها، والرَّكِيَّة: البئر، والبغِيّ: الزانية، والموق: الخف أو

---

(١) متفق عليه.

الحذاء، فاستقت له بها: أي أخرجت له الماء من البئر بخفها.

❐ فائدة (٩): فضل سقي الماء:

وفيه بيان فضل سقي الماء لمن كان محتاجاً إليه من إنسانٍ وغيره، فعن سعيد بن المسيب عن سعد بن عبادة قال: قلت: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: سقي الماء [١]، قال بعض التابعين: "من كثرت ذنوبه فعليه بسقي الماء"[٢]

فيا أيها الراغب في البر والأجر، وبذل المعروف والخير سابق إلى الصدقات الجارية، عن الآباء والأمهات، والبنين والبنات،، واعلم أن من أعظم الصدقات: سقي الماء وإجراؤه، قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فدل على أن سقي الماء من أعظم القُرُبَات عند الله تعالى" [٣]

❐ فائدة (١٠): هل يكفر الإنسان بارتكاب الكبائر؟

وفيه أن المسلم لا يكفر بارتكاب الكبائر والموبقات، إذ أن الله جل جلاله، قد غفر للبغي، وهي التي أعلنت عن فحشها، غفر الله لها، لا بتوبتها، وإنما بسقيها الكلب.

❐ فائدة (١١): الإحسان إلى الحيوان:

وفيه أن الإحسان إلى الحيوان أجره عظيم، إذ غفر الله سبحانه بسببه للزانية، فكيف بالإحسان إلى الإنسان فكيف بمن سقى إنسانـاً إن كان عطِشـاً، أو أطعمه

---

(١) صحيح أبي داود

(٢) تفسير القرطبي

(٣) تفسير القرطبي

إن كان جائعـًا، أو كساه إن كان عاريـًا ؟

(قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِى هَذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْرًا؟) أي:وَإِنَّ لَنَا فِي سَقْيِ الْبَهَائِمِ، أَوْ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهَا لَأَجْرًا، أي ثَوَابًا ؟ أم أنها من باب الإنسانية فقط ؟

(فَقَالَ: فِى كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ) والرطبة: أي التي فيها حياة.

❒ فائدة (١٢): الإحسان إلى الكافر:

وَهُوَ عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْحَيَوَانِ، حَتَّى الْكَافِرُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإنسان: ٨]؛ لِأَنَّ الْأَسِيرَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْأَغْلَبِ كَافِرًا (١)

وقيل: كان هذا في بني إسرائيل، فهو عام مخصوص ببعض البهائم مما لا ضرر فيه، لأن الإسلام إنما أمر بقتل الكلاب، فعن جابر" أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب فكانت المرأة تقدم من البادية بكلبها فتقتله، ثم نهى النبي ﷺ عن قتلها وقال: عليكم بالأسود البهيم فإنه شيطان" (٢)

وقال ﷺ: **"خمسٌ من الدواب كلهن فاسقة يُقتلن في الحل والحرم: الغراب والحُدَأة والعقرب والفأرة والكلب العقور"** (٣)

وقيل: الحديث عام، والإحسان لا يتنافى مع القتل إن استدعى الأمر، فالإسلام إنما أمرنا بإحسان القتل، وهذا أظهر.

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ مالك.

(٢) رواه مسلم

(٣) متفق عليه

❐ فائدة(١٣): لا تحتقر معروفًا:

وفي الحديث أن العبد لا يحتقر من المعروف شيئًا قد يكون سببًا في تثقيل ميزان الحسنات يوم القيامة، فيكون من أهل النجاة، فقد قال ﷺ: **" لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ "** (١)

فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.



(١) رواه مسلم



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَاْنَ جُرَيْجُ رَجُلاً عَابِدَاً، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَاْنَ فِيْهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالتْ: يَا جُرَيْجُ!، فَقَالَ: يَارَبِّ! أُمِّي وَصَلَاتِي؟، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَاْنَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالتْ: يَا جُرَيْجُ!، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! أَمِّي وَصَلَاتِي؟، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَاْنَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالتْ؟ يا جُرَيْجُ! فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! أَمِّي وَصَلَاتِي؟ فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوْهِ المُوْمِسَاتِ. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَاْنَتِ امْرأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ! فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَاْنَ يَأْوِي إِلى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِن نَفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ. فَلَمَّا وَلَدَتْ قالتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوْهُ وَهَدمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعلُوا يَضْرِبُوْنَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟، قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ البَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ. قَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟! فَجَاؤُوا بِهِ فَقَالَ: دَعُوْنِي حَتَّى أُصَلِّي، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ: يَا غُلَامُ! مَنْ أبوْكَ؟! قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي!!، فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُوْنَهُ،

وَيَتَمَسَّحُوْنَ بِهِ، وَقَالوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيْدُوْهَا مِنْ طِيْنٍ كَمَا كَانَتْ فَفَعَلُوا.

وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ، وشَارَةٌ حَسَنَةٌ، فَقَالتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا! فتَرَكَ الثَّدْيَ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيهِ فَجَعَلَ يَرْتِضعُ"، فَكَأَنِّى انْظرُ إِلى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بَأَصْبُعِهِ السَّبابَةَ في فِيْهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا، قَالَ: "وَمَرُّوا بِجَارِيةٍ وَهُمْ يَضْرِبُوْنَهَا وَيَقُوْلُوْنَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ! وَهِيَ تَقُوْلُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ. فَقَالتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظرَ إِلِيْهَا وَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهُنَالِكَ تَرَاجعَا الحَدِيْثَ، فَقَالتْ: مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَمَرُّوا بِهَذِهِ الأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُوْنَهَا وَيَقُوْلُوْنَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجَعَلْنِي مِثْلَهَا؟! قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ كَانَ جَبَّارَاً، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُوْلُوْنَ لَهَا: زَنَيْتِ، وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة) المهد: حال الرضاعة، أو أول الرضاعة.

❐ **فائدة (١): وهل الذين تكلموا في المهد، هؤلاء الثلاثة فقط – عيسى ابن مريم، وصاحب جريج، والصبي الرضيع – ؟**

الجواب: قيل: نعم لم يتكلم في المهد سوى هؤلاء الثلاثة، أما ما ذُكر عن غيرهم من أنهم تكلموا في المهد، كالصبي الذي قال لأمه يوم الأخدود: يا أُمَّه اصبري فإنك على الحق، وشاهدِ يوسف، ويحيى بن زكريا، فلم يكونوا في

المهد وإن كانوا صغاراً.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: " قوله ﷺ: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، فذكرهم، وليس فيهم الصبي الذي كان مع المرأة في حديث الساحر والراهب وقصة أصحاب الأخدود المذكور في آخر صحيح مسلم، وجوابه: أن ذلك الصبي لم يكن في المهد بل كان أكبر من صاحب المهد وإن كان صغيراً "(١).

وقال الألباني – رَحِمَهُ اللَّهُ –: " لا يخالف هذا الحصر كلام صبي الأخدود؛ لأنه ليس فيه أنه كان في المهد، بل كان أكبر من صاحب المهد، وإن كان صغيراً يرضع، وأما حديث: " لم يتكلم في المهد إلا أربعة، عيسى وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وابن ماشطة فرعون " فحديث باطل، كما بينته في سلسلة الأحاديث الضعيفة، وأما ما ذكره بعضهم أن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ ممن تكلم في المهد، فمما لا أصل له مرفوعـاً، وإنما هو من زعْم الضحاك في تفسيره كما ذكره الحافظ في الفتح "(٢).

وقيل: أن الذين تكلموا في المهد أكثر من ثلاثة؛ لكن الحصر في هذا الحديث إخبار بحسب ما أُوحِي إلى النبي ﷺ في ذلك الوقت.

(عيسى ابن مريم):

❐ **فائدة (٢): بماذا تكلم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في المهد ؟**

الجواب: تكلم عيسى في المهد مُقِرَّاً لله بالوحدانية، ومُبَرِّئـاً أُمَّه من البهتان،

---

(١) – شرح النووي على مسلم.

(٢) – تحقيق مختصر صحيح مسلم للمنذري.

كما قال سبحانه: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [مريم: ٢٧ – ٣٦].

وفي هذه الآيات بطلان لعقيدتين مشتهرتين، عقيدة اليهود وعقيدة النصارى، فاليهود يعتقدون أن عيسى ابنُ زنا، وأن يوسف النجار زنا بمريم فجاءت بعيسى – قاتلهم الله – والنصارى يعتقدون أن عيسى ابنُ زنا أو هو الإله، أو ثالث ثلاثة – هداهم الله –، وكل ذلك كفرٌ بالله، كما قال الله: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴾ [المائدة: ١٧]، وقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ ﴾ [المائدة: ٧٣].

وبيَّن الله تعالى في كتابه أن عيسى ما صُلب وما قُتل وإنما رفعه الله حياً إلى السماء، إلى أن يعود إلى الأرض مرة أخرى في آخر الزمان ليقتل المسيح الدجال، والخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية.

قال سبحانه: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء:

١٥٧ – ١٥٨].

(وصاحب جريج) والصحبة هنا ليست صحبة القرين والمجالسة؛ ولكن صحبة القصة والحوار.

ومن صاحب جريج ؟

(وكان جريج رجلاً عابداً)

❐ فائدة (٣): العبودية أعظم وصف:

ووصْف النبي ﷺ لجريج أنه كان رجلاً عابداً، وصفُ مدحٍ، وقد جاء هذا الوصف كثيراً في كتاب الله على جهة المدح، كما قال تعالى عن المؤمنين في سورة التوبة: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢ ﴾ [التوبة: ١١٢] وقال تعالى عن ذرية ابراهيم: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣ ﴾ الأنبياء: ٧٣، وقال تعالى عن أيوب: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤ ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، وقال تعالى عن زوجات نبينا – حين أردن زينة الدنيا –: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ٥ ﴾ [التحريم: ٥]

❐ فائدة (٤): العبودية وظيفة العمر:

والعبودية وظيفة العمر، فهي الغاية الوحيدة والسمة الفريدة التي من أجلها خلق الله هذا الخلق، ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

وكل ما نمارسه في هذه الحياة، وقد تكون ملذات إنما هي معينات على طريق العبودية، والانشغال بالوسائل عن الغاية طريق الضلال والغواية.

أمـا والله لـو علـم الأنـام   لمـا خلقـوا لَمـا هجعـوا ونـاموا
لقـد خلقـوا لمـا لـو أبصـرته   عيـون قلـوبهم تـاهوا وهـاموا
ممـاتٌ ثـم قبـرٌ ثـم حشـرٌ   وتخويـفٌ وأهـوالٌ عظـامُ
ليـوم الحشـر قـد علمـت أُنـاس   فصـلوا مـن مخافتـه وصـاموا
ونحـن إذا أُمرنـا أو نُهينـا   كأهـل الكهـف أيقـاظ نيـام

□ **فائدة (٥): فإن قيل: ومتى يكون العبد متحققاً بوصف العبودية ؟**

لا يكون العبد متحققاً بوصف العودية إلا إذا حقق أصلين عظيمين:

الأصل الأول: الإخلاص للمعبود.

الأصل الثاني: المتابعة للرسول ﷺ.

فعند ذهاب الإخلاص يكون الرياء، أو الشرك، فيُحبط العمل، وعند ذهاب المتابعة تكون البدعة والمخالفة، فيُردّ العمل.

فالإخلاص: أن يكون العمل مجرداً لله، لا تشوبه ذرة شرك، ولا تحيط به شبهة رياء، قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [الزمر: ٢، ٣]

والمقصود بالمتابعة: متابعة الرسول صلى الله علي وسلم في أقواله وأعماله، وعباداته وأخلاقه وتروكاته وسائر أحواله.

قال الله: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾ [الملك: ٢]

سُئل الفضيل بن عياض، عن أحسن العمل ؟ قال: أخلصه وأصوبه، ثم قال:

إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتىَ يكون خالصاً وصواباً، والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على السنة.(١)

ومن قَبلُ قال ﷺ: " **إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، وابتُغي به وجهه** "(٢)، وقال: " **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** "(٣).

ولا يخفى على العقلاء أن العبادة ليس صلاة أو صياماً فقط، كما يزعم الكثير !! إنما العبادة منهج حياة.

العبادة: صدق التوجه إلى الله، وإخلاص النية لله، وحسن التوكل على الله وشدة الفقر إلى الله، وحب العمل لله، وخوف البعد عن الله، وقوة الرجاء في الله، ودوام الخوف من الله.

العبادة: أن تكون حيث أمرك الله، وأن تجتنب ما نهاك عنه الله.

فمن قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ ثم راح يخاف غير الله، أو يتوكل على غير الله، أو يُنذر لغير الله، أو يعلق قلبه بغير الله، فقد كذب في دعوى العبودية.

ومن قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ ثم راح يبتدع في دين الله، ويتبع هواه، ولم يَسِرْ على منهج رسول الله، فقد كَذَب في دعوى العبودية.

(فاتخذ صومعة فكان فيها) الصومعة: بناءٌ مرتفع عن الأرض، كان عُبَّادُ بني إسرائيل يعكفون فيها، يعبدون الله.

---

(١) – حلية الأولياء.

(٢) – صحيح النسائي.

(٣) – رواه مسلم

❑ فائدة (٦): هل في الإسلام هذه الرهبانية ؟

الجواب: لا، الإسلام دين الوسطية، والاعتدال، لا إفراط فيه ولا تفريط، تأكل وتشرب، وتقضي شهوتك في المباح، وتصلي، وتصوم، وتعبد، كما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا بها، كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليه، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأُفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ".

❑ فائدة (٧) فإن قيل: لكن الله شرع الاعتكاف !

الجواب: نعم، الاعتكاف سنة نبوية، وهو لزوم المسجد لزوماً مؤقتاً، بنية التقرب إلى الله سبحانه، وهو لزوم مستحب غير واجب، وهو فُرصة لشحذ الهمم وشحن الروح، وضبط القلب للعودة إلى الحياة، بخلاف الرهبانية التي ألزموا أنفسهم بها ورفضوا التعايش مع الناس بحجة الانقطاع لها، كما قال سبحانه: ﴿ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧ ﴾ [الحديد: ٢٧].

❑ فائدة (٨) وعلى ذلك، فهل العزلة مذمومة ؟

الجواب: " العزلة خير إذا كان في الخلطة شر، أما إذا لم يكن في الخلطة شر،

فالاختلاط بالناس أفضل، كما قال ﷺ: " **المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم**" لكن إذا كانت الخلطة ضرراً عليك في دينك، فانْجُ بنفسك، كما قال النبي ﷺ: "**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ**"(١)، وقال ﷺ لعقبة بن عامر: "**أَمْلِك عليك لسانك وليسعك بيتُك وابك على خطيئتك** "(٢).

(**فأتته أمه وهو يصلي، فقالت: ياجريج ! فقال: يارب أمي وصلاتي ؟**) أي: هل أجيبُ نداء أمي ؟ أم أُقبل على صلاتي ؟

❐ **فائدة (٩): وهل قال ذلك بلسانه، وهو في صلاته ؟**

قيل ذلك، وأن الكلام كان مشروعـًا في صلاتهم، كما كان مشروعـًا في صلاتنا أول الإسلام، كما في حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل قول الله: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ فأُمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام"(٣). وقيل: أنه قال ذلك بقلبه، أو في نفسه.

(**فأقبل على صلاته، فانصرفت**)

❐ **فائدة (١٠):وهل أخطأ جريج حينما أقبل على صلاته، ولم يجب نداء أمه ؟**

الجواب: نعم أخطأ؛ لأن طاعة الوالدين مُقدمة على صلاة التطوع، حتى

---

(١) – شرح رياض الصالحين، العثيمين.

(٢) – صحيح الترمذي.

(٣) – متفق عليه.

بعد الشروع فيها؛ لأن الاستمرار في صلاة التطوع نافلة، وإجابة نداء الأم وإرضاؤها من أوجب الواجبات.

وقد جاء في الأثر: " ولو كان جريج عالمـًا، لعلم أن إجابة أمه أولى من صلاته ".

وهنا يظهر فضلان عظيمان:

١-فضل العلم

٢-فضل البر

فالبعلم يعبد العبد ربه على بصيرة، وينجو من المهالك، ويَفِرُّ من الفتن، ويُعَلِّم أهله، ويدعو إلى الله.

وبالبر يصل العبد إلى رضوان الله والجنة، فَرِضَا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين، ورغِم أنفُه ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، من أدرك أبويه أو أحدهما، ولم يُغفر له.

(فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: أي رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: أي رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجود الموسات) الموسات: جمع مومِس أو مومِسة، وهي الزانية التي تجاهر بذلك، عياذاً بالله.

❐ **فائدة (١١): فإن قيل: ولماذا هذه الدعاء خاصة ؟**

الجواب: لأن الإنسان إنما يتعبد ليفر من الفتن، وينجو من المهالك، فلما

أغضبها، أرادت ألا يصل إلى مقصوده !!

❐ فائدة (١٢): وهل سيستجيب الله دعاءها ؟

الجواب: حتما؛ لأنها مُحقة من ناحية، وأمّ من ناحية أخرى، فقد قال ﷺ: **"ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده "** [(١)].

وفي رواية أحمد وغيره: " ودعوة الوالد لولده "

وفيه تنبيه وتحذير للأبناء على أهمية إرضاء الآباء، وضرورة برهم، وضرر إغضابهم، ولو قليلاً.

❐ فائدة (١٣): الحذر من الدعاء على الأبناء:

وفيه أيضـاً تنبيه للآباء أن يجتنبوا الدعاء على أولادهم، فكم من أولاد أُغْرقوا وحُرِقوا، ومُزِّقوا بسبب دعاء آبائهم عليهم، ومن هنا جاء إرشاد النبي ﷺ: **"لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم"**[(٢)].

❐ فائدة (١٤): فإن قيل: وكيف يستجيب الله دعاءها، وهو العابد الزاهد الذي لا يكاد ينزل من صومعته ؟

الجواب: إذا أراد الله شيئًا هيأ أسبابه، فإذا أراد الله نجاة عبدٍ أو هلاكه، وإغناءه أو إفقاره، وإحياءه أو إماتته، وفوزه أو خسرانه، خلق له الأسباب

---

(١) – رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وحسنه الألباني.

(٢) – رواه مسلم.

الموجبة لذلك، ثم إنه قد أخطأ في حق أمه، فقد استحق العقاب، أما عبادته فلنفسه.

فمع الله، لا تقل: كيف ؟

❒ **فائدة (١٥): قبح الزنا وشؤمه:**

ودل هذا الحديث على قبح الزنا وشؤمه، حتى أن مجرد النظر إلى وجوه المومسات كان عقوبة يُعاقب بها الإنسان ودعوة يُدعى بها عليه، فليحذر الذين يشاهدون المحرمات وينتهكون الحرمات في الخلوات، ويحسبون أنهم يتلذذون، وهم في الحقيقة يعذّبون ويعاقبون، لكن سكرة الهوى أنْسَتهم، وظلمة الشهوة أعمتهم.

(فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته)

❒ **فائدة (١٦): بنو إسرائيل قوم لئام:**

جعلوا يذكرون جريجاً وعبادته، لا على سبيل الحب والحكاية، وإنما على سبيل الحقد والاستهزاء.

وهذا شأن المجرمين في كل عصر ومصر، أذيتهم للمؤمنين سنة كونية، يرفع الله بها درجات المؤمنين، ويُكفر بها سيئاتهم ويبتليهم، ويمحق الظالمين.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المطففين:٢٩، ٣٠]، ويوم القيامة تنقلب الآية، من ضحك اليوم بغير حق سيبكي غداً بحق، وكما تدين تدان.

﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ المطففين: [٣٦:٣٥]

(**وكانت امرأة بغيٌ يُتمثل بحسنها**) أي كانت جالسة بينهم، والبغِي: هي من تعلن فجورها، عياذاً بالله، وكانت هذه البغي يُضرب بها المثل في الجمال والحسن.

❐ فائدة (١٧): الجمال المجرد عن الدين:

الجمال إذا لم يكن معه دين كان نقمةً على صاحبه، فقد يكون جمال المرأة سببـًا لوقوعها في الفواحش، وجعلها هدفـًا للفجار.

ولهذا كان اختيار المرأة زوجة لجمالها فقط اختياراً خاطئـًا يجر الويلات والندمات، فكم من بيوت تجرعت كئوس الغم بسبب ذلك، كم من بيوت هُدِّمت، وأسَرٍ شردت بسبب هذا الاختيار السلبي، وهنا جاءت وصية الرسول عليه الصلاة والسلام: " **فاظفر بذات الدين تربت يداك** "(١).

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والأدب

(**فقالت: إن شئتم لأفتننه**) في رواية لأحمد:" قالوا: قد شئنا "

❐ فائدة (١٨) عداوة الشيطان وأوليائه لأهل الإيمان:

تأمَّل حجم عداوة الشيطان وأوليائه لأهل الإيمان !

ماذا نالهم من جريج ؟ ما سبب هذه الحرب ؟

لا سبب لها إلا أن الساقطين وَدُّوا لو سقط الجميع، وقد قالها شيخهم ومُحَرِّك غرائزهم وهممهم، إبليسُ عليه اللعنة: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

---

(١) – متفق عليه.

وهل كان جريج من أولئك المخلصين ؟

(فتعرضت له فلم يلتفت إليها)

❐ فائدة (١٩): إسقاط الصالحين هدفٌ لأهل الباطل:

كثيراً ما يحاول الساقطون تشوية صفحة الصالحين الأخيار، ظناً منهم أن كل الناس كمن عرفوا !!

ولا يعلمون أن من عباد الله من يستعلي على هذه الفتن، ويستعصم بالله، فليت شبابنا يعقلون هذا المعنى، ويترفعون عن السفاهات التي تستجلب لهم الويلات والحسرات.

❐ فائدة (٢٠): فإن قيل: كيف نجا جريج من هذه الفتنة ؟ وكيف تغلب على هذه البغي التي كان يُتمثل بحسنها ؟

الجواب: ساعد جريجاً على ذلك – بعد اعتصامه بالله – أنه لم يلتفت، غض بصره وأغلق باب الفتنة من أصله، ودفعه إلى ذلك خوفه من الله، خوفه من سوء الخاتمة، خوفه من أن يسقط من عين الله، خوفه من أن يُحبط عمله، خوفه من عذاب القبر، خوفه من النار والأغلال والأهوال، خوفه من أن يحجب عن النظر إلى وجه الكبير المتعال.

❐ فائدة (٢١): أنت في امتحان:

فأنت في اختبار عظيم كاختبار جريج، وكاختبار يوسف عليه السلام، فإن كانت البغي قد تعرضت لجريج، وإن كان يوسف قد راودته امرأة العزيز، فإن آلاف النسوة اليوم يراودنك على شاشة هاتفك!

فيااامسلم استعصم !

فعظم الابتلاء، وشدة الفتنة ليسا بعذر لك ألا تستعصم، فمن أراد أن يستعصم عصمه الله، من صدق صدقه الله، فجُريج تعرّض لفتنة، هي ذاتها أعظم من كل الفتن التي تتعرض أنت لها الآن، ومع ذلك " لم يلتفت إليها "

(فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج)

❐ فائدة (٢٢): انظر كيف يُرمى البُرآء؟

إلى هذا الحد – وزيادة – يُتهم الصالحون ظلمـًا، ويُرمى البريء زوراً، فالحذر كل الحذر من تصديق كل ما يشاع، ونشر كل ما يسمع ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ [الحجرات: ٦]

❐ فائدة (٢٣) المرأة حين تكيد:

وإلى هذا الحد تقع المرأة في الإفساد والكيد !!

لما عجزت عن إضلال جريج، لجأت إلى هذه المكيدة الخبيثة، أمكنت الراعي من نفسها، فلما حملت انتظرت حتى وضعت، وقالت: هو من جريج !!

المرأة حين تُستخدم في الشر، تفتعل الأعاجيب، وتأتي بالألاعيب، وتفسد في الأرض، وقد أقر الله تعالى، العزيزَ حين قال: ﴿ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾ [يوسف: ٢٨]

قال القرطبي: إنما قال عظيم، لعظم فتنتهن واحتيالهن في التخلص من ورطتهن "[١].

---

(١) – تفسير القرطبي.

وفي الوقت ذاته، المرأة إذا كانت صالحة تصلح بها الأمة، وتعلو بها الهمة فوراء كل عظيم امرأة أو أم.

الأم مدرسة إن أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق
الأم أستاذ الأساتذة الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق(١)

(فأتوه، فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم ؟ قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك) وفي رواية الطبراني – في الكبير –: " فجعلوا يَجُرُّون أنفه، ويضربونه، ويقولون: مراءٍ تخادع الناس بعملك... "

❐ فائدة (٢٤): يا لها من محنة:

الابتلاء من لوازم الإيمان، المؤمنون الصادقون، للبلاء مُعرضون تلك، هي طبيعة الطريق، فليوطن المؤمن نفسه.

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾ ﴾ محمد: ٣١. قيل للشافعي: أيُمكَّنُ الرجل أم يُبتلى ؟ فقال: لا يُمكن حتى يُبتلى.(٢)

والمعنى: أيُمكن فيشكر، أم يُبتلى فيصبر ؟

❐ فائدة (٢٥): إجابة دعوة الأم:

قال الحافظ ابن حجر: " وفي رواية الأعرج: فلما مروا به نحو بيت الزواني، خرجن ينظرن فتبسم، فقالوا: لم يضحك حتى مَرّ بالزواني " (٣).

وفي الأدب المفرد – للإمام البخاري –: – قيل له –: " فما الذي تبسمت

---

(١) – شعر حافظ إبراهيم.
(٢) – الفوائد لابن القيم.
(٣) – فتح الباري.

......؟ قال: أمراً عرفته، أدركتني دعوة أمي، ثم أخبرهم " فهذه إجابة دعوة أمِّه.

❏ فائدة (٢٦): فماذا يُفعل بمن يؤذي أمه؟

إذا كانت صلاة جريج وعبادته ومناجاته لم تمنعه من إجابة دعوة أمه !

فما الظن بمن يؤذي أُمه ؟ ما الظن بمن يُبكي أمه، أو يدخل الحزن عليها ؟

(قال: أين الصبي ؟ - الرضيع - فجاءوا به، فقال: دعوني حتى أصلي)

❏ فائدة (٢٧): حال المؤمن عند البلاء:

حال المؤمن عند نزول البلاء: الصبر والصلاة والتضرع إلى الله، كثير من الناس – للأسف الشديد – ينشغل بالبلية عن المبتلِي، ويظل يفكر في الحيل التي يخرج بها مما نزل به، وقد يقع في المحاذير !! وأمامه باب الله لم يطرقه، لكن جريجاً لما شعر بوقوع البلاء فزع إلى رب السماء، قام يصلي، وهذه سنة نبينا ﷺ.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمرٌ صلّى "[1].

(فلما صلى أتى الصبيَّ، فطعن في بطنه، وقال: يا غلام من أبوك ؟ قال: فلان الراعي !!)

❏ فائدة (٢٨): البلاء لا يدوم:

بعد الشدة الفرج، وبعد المحنة منحة ويأبى الله إلا أن يجعل لأوليائه من الشدائد مخرجاً، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ [الطلاق: ٢].

(١) – صحيح أبي داود

فلـرب نازلـة يضـيق بهـا الفتـى ذرعـاً وعنـد الله منهـا المخـرج
ضـاقت فلمـا اسـتحكمت حلقاتهـا فرجـت وكنـت أظنهـا لا تفـرج

إذا ضاقت عليك الأرض بما رحُبت، وضاقت عليك نفسك بما حملت، فليس لك إلا الله.

ومـالى غيـر بـاب الله بـابٌ ولا مـولى سـواه ولا حبيـب
كـريمٌ مـنعمٌ بـرٌ لطيـفٌ جميـلُ السـترِ للـداعي مجيـب

❐ **فائدة (٢٩): قد يقول قائل: كيف كلّم جريج الغلام والعادة لم تجر بمثل ذلك ؟**

الجواب: حسن ظنه بالله، وصدق رجائه في الله، هكذا تمثلت العبودية في حياة جريج، فالعبادة الحقة هي التي يتقلب صاحبها بين (حب وخوف ورجاء)

الحب: حمل جريجاً على أن يكون عابداً، يحب الصلاة والدعاء والعبادة.

الخوف: حمل جريجاً على أن لا يلتفت إلى البغي حين تعرضت له.

الرجاء: حمل جريجاً على أن يكلم الغلام، الذي لم تجر العادة أن يتكلم مثله.

فهل حققنا هذه الأركان – أركان العبادة – حب الله، وخوف عقابه، ورجاء ثوابه ؟

❐ **فائدة (٣٠): إثبات الكرامة للصالحين:**

وفي هذه الواقعة دلالة على وقوع الكرامة لأولياء الله وهو مذهب أهل السنة.

والكرامة: هي الأمر الخارق للعادة، ليس مقروناً بالتحدي، بخلاف معجزة

الأنبياء، فهي أمرٌ خارق للعادة مقرون بالتحدي، والمعجزة يؤيد الله بها أنبياءه ورسله ليظهر صدقهم، والكرامة يُثَبت الله بها عباده الصالحين ويرفع مكانتهم، ويدافع عنهم.

ويبقى التساؤل: من هو الولي الذي قد تحصل له الكرامة ؟

الجواب: الولي: كل مؤمن تقي، الأولياء: هم الصالحون المطيعون لله و ورسوله، كما قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٤ ﴾ [يونس: ٦٢ -٦٤]

لكن رجلٌ لم يعهد الناس عليه صلاحـاً ولا تقوى، ثم يرونه يمشي على الماء أو يطير في الهواء، فهذا مشعوذ تحمله الشياطين.

قال الشافعي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: " إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، أو يطير في الهواء، فلا تصدقوه ولا تغتروا به حتى تعلموا متابعته للرسول ﷺ " (١).

☐ فائدة (٣١): تعرَّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة:

وفيه أن من عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة، بتفريجها وإزالتها، فهذا العابد كانت حياتُه صلاة ومناجاة، فلما وقع به المكروه حصلت له النجاة.

(فأقبلوا على جريج يقبلونه، ويتمسحون به)

☐ فائدة (٣٢): الاعتراف بالخطأ، وتصحيح المسار:

حملهم على ذلك، إدراكهم عظم الجريمة التي ارتكبوها في حق الرجل الصالح، وعلموا أنه لم يكن مرائيـاً ولا مخادعـاً كما زعموا.

---

(١) – انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ومعارج القبول للحكمي.

لكن الإشكالية أن هؤلاء تحللوا من صاحبهم بسبب ما رأوه من آية أَيّده الله بها، فما ظنك بأناس كثيرين وقعوا فيما وقع فيه أولئك، لكن لم يتحللوا ولم يرجعوا ؟

سيدفعون الثمن غالياً في يوم لا يجدون درهماً أو ديناراً يدفعونه، ولا يُقبل منهم اعتذارٌ يقدمونه.

وهنا جاء قول النبي ﷺ: **" من كانت له مظلمة لأخيه من عرض أو شيءٍ، فليتحلله منه اليوم، قبل ألا يكون دينارٌ ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإلم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه"**.(١)

(وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت)

❐ **فائدة (٣٣): من أتلف شيئًا:**

لأن من أتلف شيئًا فعليه إصلاحه، أو ضمانه بالقيمة أوبالمثل، حتى لو وقع الإتلاف على سبيل الخطأ، فكيف إذا كان عمداً ؟

فعن أنس رضي الله عنه أن بعض أزواج النبي ﷺ أهدتْ له طعامًا في قصعة، فضربت عائشة القصعة بيدها فألقت ما فيها وكسرتها، فأخذ النبي ﷺ قصعة عائشة، وردّها، وقال: طعام بطعام وإناء بإناء "(٢).

❐ **فائدة (٣٤): لا تعويل على العامة في شيء:**

وفيه أن العامة لا يُعوَّل عليهم في شيء، فهم مغالون دائمًا، لا يزنون الأمور،

---

(١) – رواه البخاري.

(٢) – رواه البخاري.

عاطفيون تارةً، مندفعون تارةً أخرى، صدَّقوا المومس في الرجل الصالح دون بينة وضربوه وهدموا صمومعته، ولَمَّا ظهرت براءته راحوا يغالون في اتجاهٍ معاكس، أرادوا بناء صومعته من ذهب.

(وبينا صبيٌ يرضع من أمه، فمرّ رجل راكبٌ على دابة فارهة، وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ، وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فِيهِ، فجعل يمصها)

❐ فائدة (٣٥): تساؤلان مُلِحَّان:

وهنا تساؤلان ملحان:

الأول: ما الذي دعا هذه المرأة أن تقول: حينما رأت هذا الرجل: " اللهم اجعل ابني مثله " ؟

الثاني: ما الذي دفع هذا الرضيع أن يقول: " اللهم لا تجعلني مثله " ؟

الجواب: أما الثاني، فسنعرفه بعد قليل.

وأما الأول: فإنما دفع المرأة أن تقول: " اللهم اجعل ابني مثله ": اغترارها بالمظهر، انخداعها بالصورة والمنظر !!

وهذا للأسف الشديد، تصور خاطئ، ونظرة مذمومة يقع فيها الكثير !!

فهل المظاهر الجوفاء هي كل شيء ؟ وهل المناظر هي الحَكم ؟ وهل الصورة دليل على السعادة ؟ ! لا والله.

ألم تقرأ عن قارون ؟ ألم تسمع خبره ؟

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص: ٧٦ – ٨٣].

فالمؤمن لا يغتر بالمظهر، ولا يسعى إليه، ولا ينخدع بالصورة ولا يركن إليها، إنما الذي يغر المؤمن ويأسره ويسعى إليه الخلق الجميل والقلب الطيب، والإيمان والصلاح اللذان هما سبب الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[١].

وقال ﷺ: **"رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره "**[٢]، الأشعث: ثائر الرأس غيرُ عابئ بالمنظر.

وفي المقابل:

يقول ﷺ: **"إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة"** وقال: اقرؤوا: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٥]

وتأمل:

عن عليّ رضي الله عنه قال: أمر النبي ﷺ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن يصعد شجرةً،

(١) – رواه مسلم مرفوعا.

(٢) – رواه مسلم.

فيأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله، فضحكوا من حموشة ساقيه [الحموشة: الدِّقة]، فقال ﷺ: " **مم تضحكون؟، لرِجْلُ عبد الله أثقل في الميزان من أحد** "(١).

ذلك لأننا قد نهزأ بأشياء وأشخاص وأحوال، والأمر ليس محلاً للهزء !!

وهنا يأتي بيان النبي ﷺ:

" **لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار** "(٢).

وفي رواية: " **رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته بالحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس** "(٣).

وتأمل:

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: مَرّ رجلٌ على النبي ﷺ فقال لرجل عنده جالساً: " ما رأيك في هذا " ؟

فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حريٌ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يُشفَّع، فسكت النبي ﷺ، ثم مر رجل آخر، فقال ﷺ: ما رأيك في هذا ؟ قال: يا رسول الله، هذا رجلٌ من فقراء المسلمين، هذا حريٌ إن خطب أن لا يُنكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال، لا يسمع لقوله !

(١) - أخرجه البخاري في الأدب، وأحمد في المسند وانظر الصحيحة.

(٢) - متفق عليه.

(٣) - متفق عليه.

فقال ﷺ: **"هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا "** (١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا أبا ذر، انظر أرفع رجل في المسجد، قال، فنظرت، فإذا رجلٌ عليه حُلة، فقلت: هذا.

فقال لي: انظر أوضع رجل في المسجد، قال: فنظرت فإذا رجلٌ عليه أخلاق، فقلت: هذا.

فقال: لهذا عند الله أخير يوم القيامة من ملء الأرض مثل هذا "(٢).

وقد لخص الله هذه المسألة بقوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣]

❐ فائدة (٣٦): الفرق بين الحسد والغِبطة:

وفي قول هذه الأم: "اللهم اجعل ابني مثله" يمكن التفريق بين الحسد والغبطة، فبنو إسرائيل حسدوا جُريج، وتمنَّوا زوال ما به من نعمة، وتمنوا فضيحته، وهذا الحسد الذي حرَّمه الله وجرَّم أصحابه، وجعله علامة على خبث القلوب وفسادها، وأما قول الأم: " اللهم اجعل ابني مثله " فهذه هي الغبطة المحمودة، وهي تمني ما عند الغير من الخير دون حسدٍ له، أي من غير تمني زوال ما عنده من الخير.

---

(١) - رواه البخاري.

(٢) - أخرجه أحمد وابن حبان وصححه الألباني في التعليقات الحسان وفي صحيح الترغيب والترهيب.

(ومروا بجارية وهم يضربونها، ويقولون: زنيت سرقت ! وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها وقال: اللهم اجعلني مثلها)

❒ فائدة (٣٧): الخطأ الثاني:

وهذا هو الخطأ الثاني الذي وقعت فيه هذه المرأة، أخذت بما يُردّده الناس دون ما تثبت، وكم من أناس ظَلموا، وأخرين ظُلموا بسبب الوقوع في هذه الآفة الخطيرة، والظلم ظلماتٌ يوم القيامة، وحسبك قول الله تعالى ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمًا ﴾ [طه: ١١١]

❒ فائدة (٣٨): حسبي الله ونعم الوكيل:

ونستفيد من ذلك: فضل قول المظللوم: ﴿ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾

معناها: أن المظلوم نقل ملف القضية من الأرض إلى السماء، فليُنصفن الله المظلوم وليرضينه، ولو بعد حين، ولينتقمن الله من الظالم وليعذبنه ولو بعد حين.

قالها ابراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، فكانت عليه برداً وسلامـًا.

قالها محمدٌ ﷺ وأصحابه في اليوم التالي لأحد، فرجعوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء.

وتقال عند المصاعب فتسهل، وعند الهموم فتنفرج، وعند المضايق فتزول، لما قال النبي ﷺ يومـًا: كيف أنعم، وصاحب القرن، قد التقم القرن وحنى جبهته، وأصغى سمعه، وينتظر أن يؤمر أن يَنفخ فينفخ ؟

قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله ؟

قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا " (١).

(فهنالك تراجعا الحديث، فقالت: مَرّ رجل حسنُ الهيئة، فقلت: اللهم اجعل ابني مثله، فقلت: اللهم لا تجعني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت، فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلت: " اللهم اجعلني مثلها ؟ قال: إن الرجل كان جباراً، فقلت اللهم لا تجعلني مثله)

❐ فائدة (٣٩): مصير الجبارين:

لأن الجبار مبغوض في الأرض، مبغوض في السماء، أما جبروته فزائل وأما عذابه فإليه صائر وعليه داخل.

كما جاء في الحديث: " **احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيّ ضعفاء الناس ومساكينهم !! فقضى الله بينهما: أنت الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وأنت النار عذابي، أعذب بك من أشاء، ولكليكما عليّ ملؤها** "(٢).

(وإن هذه يقولون لها زنيت، ولم تزن، وسرقت ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها)

❐ فائدة (٤٠): وهل يستفاد من ذلك أن يدعو الانسان على نفسه بظلم الغير ؟

الجواب: لا، ليس هذا هو المعنى المراد، وإنما معنى قوله: " **اللهم اجعلني**

---

(١) - صحيح الترمذي.

(٢) - رواه مسلم من حديث أبي سعيد مرفوعـاً.

مثلها" أي اللهم اجعلني سالمـًا من المعاصي كما هي سالمة، وليس المراد مثلها في النسبة إلى باطلٍ تكون منه بريئـًا " (١).

بل نقول كما علمنا النبي ﷺ أن يقول: **" اللهم إنا نعوذ بك أن نَظلم أو نُظلم أو نجهل أو يُجهل علينا "**.

❐ فائدة (٤١): قد يطلب الناس ما فيه مضرتهم:

ونستفيد من ذلك:

أن الناس قد يطلبوا ما فيه مضرتهم وهم لا يشعرون، فقد طلبت الأم أن يكون ابنها مثل الجبار، وهي لا تعلم، وطلبت ألا يكون ابنها المرأة الصالحة، وهي لا تعلم !!

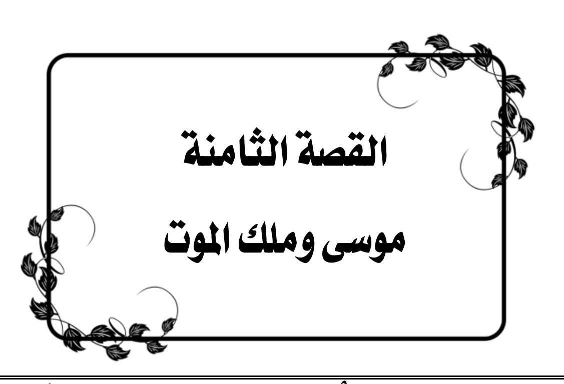
والنجاة من ذلك: ألا يُلح الإنسان في طلب شيء بعينه إلا أن يقول: إن كان خيراً لي.

وأن يُلحّ العبد في طلب رضا الله عنه، وأن يُقدِّر الله له الخير، وأن يرضى بعد ذلك بما قدره الله له.

فاللهم أرنا الحق حقـًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.



(١) شرح النووي على مسلم..



القصة الثامنة

موسى وملك الموت

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ: " جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ، فَلَطَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا، فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِى إِلَى عَبْدٍ لَكَ لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِى، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ ارْجِعْ إِلَى عَبْدِى فَقُلِ: الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَمِتْنِى مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " وَاللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ"

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ)

❐ **فائدة (١): فإن قيل: هل جاء في صورةٍ ملكية، أم في صورة بشرية؟**

الجواب: إنما جاء ملك الموت إلى موسى في صورة بشرية، يدل على ذلك ما دار في القصة مما سيأتي، وأيضا هذا أمرٌ متكرر، فقد جاء الملك إلى مريم في صورةٍ بشرية، كما قال تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ ﴾ مريم: ١٧ وقد جاء إلى نبينا عليه الصلاة والسلام في

صورةٍ بشرية، كما في حديث الإسلام والإيمان والإحسان، وغيره، وقد رآه كل من حضر هذا المجلس المبارك.

❐ **فائدة (٢): قدرة الملائكة على التشكل بالأشكال الحسنة:**

وفيه أن الملائكة الكرام لديهم القدرة على التشكل بالأشكال الحسنة، والتي منها، الإنسان.

(فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ) أي أجب لقاء ربك، وودِّع هذه الحياة.

إشكال: وهل كان موسى عليه السلام يعلم أنه ملك الموت ؟

الجواب: لا، قطعـاً، يدل على ذلك ما دار في القصة مما سيأتي إيضاحه.

(فَلَطَمَ مُوسَى عليه السلام عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا)

❐ **فائدة (٣): فإن قيل: كيف فعل موسى ذلك؟**

الجواب: رأى رجلاً تسوّر عليه منزله ومحل أهله بغير إذنه، وطلب منه سلب روحه، وقد ثبت في الشرع إباحة دفع الصائل بكل ممكن، وإنْ آلَ إلى قتله، فلما خفِي عليه أنه ملك الموت، مع ما قاله له: "أجب ربك" متجرداً في هذا القول عما يدل على أنه من عند الله، وقع من موسى ما وقع، فصادفت تلك الدَّفعة عينه المركبة في الصورة البشرية، لا العين الملكية (١)

وقد قال صلى الله عليه وسلم: **" لَوْ أَنَّ رَجُلاً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِحَصَاةٍ فَفَقَأْتَ**

---

(١) المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين د محمد بن فريد زريوح، وانظر كشف المشكل لابن الجوزي.

عَيْنَهُ مَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ جُنَاحٍ"(١) وقَالَ " مَنِ اطَّلَعَ فِى بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنَهُ "(٢)

(فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَقَالَ إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِى إِلَى عَبْدٍ لَكَ لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِى، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ)

إشكال: وقد قيل: كيف يرجع ملك الموت بغير تنفيذ ما أمره به ربه ؟

الجواب: لا برهان للمعترض على أن ما أُمر به ملكُ الموت من قبض روح موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان على سبيل الإيجاب والإلزام الفوري، بل المعلوم من سنة نبينا عليه الصلاة والسلام، أن أمر الله بقبض روح الأنبياء هو في حقهم على سبيل التخيير (٣) كما سيأتي بيانه.

إشكال آخر: وقد قيل: كيف لعبدٍ صالح، فضلاً عن نبيٍ من أولي العزم أن يأبى الموت، كما ذكر الملَك ؟

الجواب: ليس الأمر كذلك، وإنما كما ذكرنا أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما كان يعرف أنه ملك الموت، بدليل أنه لمَّا عرف في المرة الثانية أنه ملك الموت، رحّب بلقاء الله وآثر الآخرة على الأولى، ثم إن ملك الموت إنما ذكر لربه ما انتهى إليه مَبلغُ علمِه من ظاهر حال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد وقع نظير هذا الظن من الملائكة حين خفي عليهم الحكمة في خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(١) رواه مسلم

(٢) رواه مسلم

(٣) المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين د محمد بن فريد زريوح.

[البقرة: ٣٠].

يقول محمد العلوي المكناسيُّ (ت ١٣٦٧هـ): فهذا الذي ظنه الملائكة بآدم عليه السلام هو نظير ما ظنه ملك الموت هنا بموسى عليه السلام، وهذا الذي أجاب الله تعالى الملائكة به في هذه الآية، هو عين الجواب لملك الموت هنا، المستفاد مما اختاره موسى أخيراً (١)

(وَقَالَ ارْجِعْ إِلَى عَبْدِى فَقُلِ: الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً) وبهذا ينال موسى حياة مديدة لو قبِلها، لربما كان حياً إلى يومنا هذا.

❒ فائدة(٤): كرامة الأنبياء:

وهذا من كرامة الأنبياء على ربهم، وعظيم فضلهم، أن الله تعالى يخيِّره عند الموت بين الحياة وبين لقاء الله، كما قال ﷺ: "إنه لم يُقبض نبيُ حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخيَّر" (٢)

ولهذا كانت آخر كلمة تكلم بها نبينا ﷺ: **"اللهم الرفيق الأعلى "** (٣)

(قَالَ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ ثُمَّ تَمُوتُ)

❒ فائدة (٥): الموت أمرٌ محسومٌ، فهل عمِلنا له؟

الموت حقٌ محسومٌ على العباد، لم يجادل فيه منهم أحد، كما قال سبحانه:

---

(١) توضيح طرق الرشاد في حسم مادة الإلحاد.

(٢) متفق عليه

(٣) متفق عليه

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝ ﴾ [الرحمن: ٢٦- ٢٧] ولكن الشأن الذي وقع في الجدل بين المسلمين والكافرين هو: ماذا بعد الموت؟ ماذا ستلقى بعد الموت؟ ما هو مصيرك بعد الموت ؟

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكنا إذا متنا بعثنا لنسأل بعدها عن كل شيء

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

(قَالَ فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ)

❐ فائدة(٦): لماذا قال موسى عليه السلام: فالآن من قريب ؟

الجواب: لأن ما عند الله خيرٌ وأبقى، كما قال الله: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ ﴾ [الضحى: ٤]، وكما قال الله: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٦]، فالدنيا مهما عمَّر الإنسان فيها فهي قصيرة، فقد وُصفت في الوحي بأنها ساعةٌ من نهار، وبأنها عشيةٌ أو ضحاها، وبأنها قيلولة مسافرٍ تحت شجرة، وغيرها من الأوصاف الدالة على قِصَرها، فلا ينبغي الركون إليها أو الاطمئنان بها، فإنما جئنا فيها لنعبرها لا لنعمرها.

(رَبِّ أَمِتْنِى مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ):أي قدْر ما يبلغه الحجر إذا رُمي.

❐ فائدة(٧): فضل الأرض المقدَّسة:

وفيه بيان فضل الأرض المقدسة، وفضل أولئك الرجال المرابطين في

أكنافها، إذ رغب نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يُدفن بجوارها، وقد قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]

فائدة(٨): جواز الدفن في مكانٍ معيَّن:

وفيه أنه لا حرج على من رغب أن يدفن في مكان معين، خاصةً إذا كان لهدا المكان فضلٌ.

(قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَاللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ) الكثيب: هو الكوم من الرمل ويجمع كثبًا، وهو بطريق بيت المقدس.

فائدة (٩): شد الرحال إلى قبور الأولياء والصالحين:

في الحديث دليلٌ على أن شدَّ لبرحال إلى قبور الأولياء والصالحين ليس مشروعـًا، بل هو ممنوع، لما يترتب على ذلك من الوقوع في الشركيات والبدع، كما هو معروف، ولهذا لم يشد النبي صلى الله عليه وسلم رحله إلى قبر موسى، ولم أحدٌ من أصحابه ذلك، وفي الحديث: **" لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى "**(١)

فائدة (١٠): وهذا الحديث يدلّ بظاهره على: أنه ﷺ رأى موسى رؤية حقيقية في اليقظة، وأن موسى كان في قبره حيًّا، يصلي فيه الصلاة التي كان يصليها في الحياة، وهذا كله ممكن لا إحالة في شيء منه، وقد صحَّ أن الشهداء

(١) متفق عليه.

أحياء يرزقون، ووجد منهم من لم يتغير في قبره من السنين كما ذكرناه، وإذا كان هذا في الشهداء كان في الأنبياء أحرى وأولى. (١)

فاللهم ارزقنا شهادة في سبيلك.



---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي



القصة التاسعة

موسى يجري وراء الحجر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ!، قَالَ: فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الحَجَرُ بِثَوْبِهِ، قَالَ: فَجَمَعَ مُوسَى بِأَثْرِهِ، يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ! ثَوْبِي حَجَرُ! حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، فَقَامَ الْحَجَرُ بَعْدُ حَتَّى نُظِرَ إِلَيْهِ. قَالَ: فَأَخَذَ ثَوْبَهُ، فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا".

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "وَاللهِ إِنَّهُ بِالْحَجَرِ نَدَبٌ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحَجَرِ... " ونزلت:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾ [الأحزاب: ٦٩] هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراةً ينظر بعضهم إلى سوأة بعض)

❒ فائدة (١): من مساوئ الأخلاق كشف العورات:

وهذا نوع تساهل منهم، ومخالفة للشرع، وتخلي عن الحياء، ويَبْعُد أن

يكون ذلك شرعـًا لهم؛ لأن الشرائع كلها تأمر بمكارم الأخلاق وتنهى عن مساوئها، ومن مساوئها كشف السَّوْآت وإظهار العورات.

وإنما سمّى النبي ﷺ العورة سوأة، لأنه يسوء صاحبها انكشافُها، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ [الأعراف: ٢٦]

فاللباس في هذه الآية ثلاثة أنواع:

١-لباس يواري السوأة.

٢-لباس لتمام الزينة وكمال المنظر.

٣-لباس التقوى.

ومعنى " لباس التقوى " أي كما ستر الله ظواهرنا باللباس الظاهر، ينبغي أن نستر بواطننا بتعميرها بالتقوى والأعمال الصالحة.

لكن للأسف الشديد، يأبى بعض الخلق إلا أن يكشف ذلك الستر وينزع ذلك الرداء، فيَسقط منه الحياء ويُنزع منه الستر !!

(وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده) وفي رواية البخاري: " إن موسى عليه السلام كان رجلاً حييـًا ستيراً، وكان لا يُرى من جلده شيءٌ استحيـاءً منه "

❐ **فائدة (٢): فضل الحياء، وضرورته:**

وهنا يظهر خلق الحياء وفضله، ومكانته في الشرائع كلها، فهو شعبة من الإيمان كما قال ﷺ: **" الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها " لا إله إلا الله "**

وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة في الإيمان "[١] فالحياء خلقٌ كريم لا يتصف به إلا الكرام، ولا يتهاون به ويتخلى عنه إلا اللئام.

- فصاحب الحياء لا يكذب ولا يَسُبّ ولا يلعن ولا يلغو ولا يَنُمّ ولا يغتاب، ولا يقول الفحش، ولا يتكلم بكلمة تسقطه من عين الله، أو حتى من عين الناس.

- صاحب الحياء لا يصافح النساء ولا يجالسهن إلا لحاجة ولا يخلو بهن.

- صاحب الحياء لا يسرق ولا يأكل الحرام، لا يرتشي، ولا يأكل الربا، ولا يعق والديه ولا يقطع رحمه ولا يؤذي جيرانه، ولا يغش في بيعه، ولا يخون، ولا يخلفُ وعده.

- صاحب الحياء لا يحقد، ولا يحسد، ولا ينافق، ولا يخاصم، ولا يجادل، ولا يحرص على الدنيا، ولا يقصِّر في حق الله.

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **" استحيوا من الله حق الحياء، قلنا: يا رسول الله، إنا نستحيي والحمد لله، قال: ليس ذلك، الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، من فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء"**[٢].

- فإذا رأيت إنساناً يقول ما يشاء، ويفعل ما يشاء، فاعلم أنه لا حياء عنده

---

(١) - رواه مسلم

(٢) - صحيح الترمذي.

ولا خير فيه، إلا إذا رجع إلى الله وتاب إليه.

فقد قال ﷺ: " **إن مما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت** "(١).

والمعنى: أن هذا الكلام كان على لسان كل نبي، لم يُنسخ، بل تداوله الناس وتوارثوه، وتواصَوا به قرنـاً بعد قرن.

والمعنى كذلك: أن الحياء يتحكم في أقوال العبد وأفعاله وتصرفاته، فلا يقول القبيح ولا يفعله ولا يتحرك إليه.

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

❑ فائدة (٣): من مظاهر قلة الحياء:

واعلم أن من مظاهر قلة الحياء ما يلي:

١-أن يتهاون الإنسان بأكل الحرام، وسماع الحرام، وأن يُطلق لسانه يَهري ويَهرف بالحرام من غيبة ونميمة وكذب وشهادة زور، وانتهاك حرمات المسلمين والمسلمات، واختلاق للأكاذيب والشائعات !

٢-أن يُطلق الإنسان بصره إلى ما حرّم الله، أن يتسكع في الطرقات ينظر إلى الرائحات والغاديات، أن يمتلئ قلبه وبيته بالأفلام الهابطة والإباحيات !

٣-أن يسمح الرجل لزوجته أو لبناته أن يكنّ خراجات ولّاجات، يصافحن

---

(١) - رواه البخاري.

الرجال، ويختلطن بالرجال، بلا موجب، ولا مُسوِّغ !!

٤-أن يرضي الرجل لزوجته أو لبناته أن يخرجن متبرجات (كاسيات عاريات) متعطرات متجملات مُظهرات للعورات، مبديات للفتن والزينات، والنبي ﷺ يقول: "**وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات..**"(١).

٥-أن يرضى الرجل لزوجته أو لبناته، أن يذهبن إلى الطبيب (الرجل) للعلاج مع وجود الطبيبة الكُفء الحاذقة – وهن كثيرات – وقد تُكشف العورات الغليظة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فوالله إن الذي رزقه الحياء، ليطيش عقله حين يرى ذلك، والمرأة الحيية تأبى ذلك، والنفوس الحيية الأبية تشمئز من ذلك.

٦-أن يرضى الرجل لزوجته أن تجلس على المنصة ليلة عُرسه، وهي في أبهى زينة، وأجمل حلة، ليراها الناس، ثم يقوم ليتمايل معها أمام الناس !!

لا أقول أين ذهب الحياء ؟ ولكن أقول: أين ذهب الإيمان ؟

٧-أن يرضى الرجل لابنته أو زوجته أن تظهر على شواطئ البحار عارية، أو شبه عارية، أو حتى كاسية بين العرايا.

٨-ألا يعرف الإنسان عن الإسلام إلا اسمه، ولا عن القرآن إلا رسمه، بل لا يعرف الواحد منهم عن فروض الأعيان التي سيُسأل عنها بين يدي الله، في الوقت الذي يعرف كل شيء عن كل شيء !!

"**الحياء والإيمان قُرِنا جميعـًا، فإذا رُفع أحدُهما رُفع الآخر** "(٢).

---

(١) – رواه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع.
(٢) – رواه الحاكم مرفوعـًا، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدَرٌ) آدَر: أي به عيبٌ في خِصيتيه، وفي رواية البخاري: **" فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أُدرة، وإما آفة "**

❑ فائدة (٤): من سنن الله الإلهية: معاداة الأنبياء وورثتهم:

ونستفيد من ذلك: أن من سنن الله في خلقه، أن لكل نبيٍ أو وليّ أو عالم أو داعية أو صالح، عدواً من المجرمين يؤذونه بالقول أو بالفعل، أو بهما معـاً، يصدُّون عنه ويُنفرون منه، ولكن الله تعالى لا يخفى عليه مكرهم، ولا يغيب عنه كيدهم، وسيسومهم سوءَ العذاب عاجلاً وآجلاً، فقد قال الله تعالى في الحديث القدسي **" من عادى لي وليـًا فقد آذنته بالحرب "**(١)، فكيف بمن آذى نبيـًا ؟

فالويل كل الويل لمن آذى المؤمنين، وتعرض بالإهانة أو التسفيه للصالحين، قال رب العالمين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨]

❑ فائدة (٥): ودَّ الفاجر لو فجر سائر الناس:

وفي هذا دليلٌ على أن الفاجر قليل الحياء عديم الخُلق، لا يحب أن يكون كذلك وحده، حتى لا يشعر بالشذوذ، ولا يكون منبوذاً، فالعارية ودَّت لو تعرَّى نساء العالمين، وآكل الحرام ودَّ أن كل الناس صاروا لصوصـًا، وكذلك كل صاحب عار، وإذا لم ينالوا مرادهم، رَمَوْا أهل الحياء والعفاف زوراً وبهتانـًا.

---

(١) – رواه البخاري.

(فذهب مرةً يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في أثره، يقول: ثوبي حجر ! ثوبي حجر ! حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوءةِ موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر بعد حتى نظر إليه فأخذ ثوبه) في رواية البخاري: " وإن الله أراد أن يُبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه، ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر [أي توقف عن العدْو] فأخذ ثوبه فلبسه "

❐ **فائدة (٦): دفاع الله عن عباده الصالحين:**

نستفيد من ذلك: أن الله تعالى يدافع عن أنبيائه وأوليائه وعباده الصالحين، وقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ ﴾ [الحج: ٣٨]، فإذا أردت أن يدافع الله عنك – ولا تسأل كيف ؟ – فكن مع الله.

إن الله تعالى لما أرسل موسى وهارون إلى أكبر طاغوت، قال لهما: ﴿ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ ﴾ [طه: ٤٦] إنني معكما: أي أدافع عنكما، أنصركما، أحميكما من كيد عدوٍ، أو من مكرِ ظالم.

بل لما سار فرعون بجنوده وراء موسى وقومه، وقد اقترب منهم، وكاد أن يدركهم، والبحر أمامهم، صرخ ضعاف الإيمان وقالوا: ﴿ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ ﴾ [الشعراء:٦١] رد موسى عليهم: ﴿ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ ﴾ [الشعراء: ٦٢]

وأنجى الله موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه.

❐ **فائدة (٧): تأييد الله لأنبيائه بالمعجزات التي على مثلها يؤمن البشر:**

ونستفيد من ذلك: أن الله تعالى يؤيد أنبياءه بالمعجزات، فما حدث

لموسى، من جرى الحجر بثوبه حتى وصل إلى تجمعٍ من تجمعات بني إسرائيل ليروا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أحسن ما خلق الله، لمعجزة من الله يؤيد بها نبيه ويدافع بها عنه وليؤمنوا به، ويذعنوا لأوامره، وهذا رحمة من الله بعباده؛ لأنهم لو كفروا بأبنائهم لسامهم سوء العذاب ولخُلِّدوا في العقاب؛ لكن سهّل الله عليهم الإيمان وأظهر لهم الحجة والبرهان بمثل هذه المعجزات، التي يؤمن على مثلها البشر.

❑ فائدة (٨): الأنبياء أكمل الناس خَلقـًا، وخُلُقـًا:

ونستفيد من ذلك أيضـًا أن الأنبياء أكمل الناس خلقـًا وخُلقـًا، فمن كمال موسى الخَلقي: سلامته من الآفات والأمراض الظاهرة، ومن كماله الخُلقي: التخلق بخلق الحياء، ذلك الخلق الكريم الذي يبعث على كل فعل حسن كريم، وعلى ترك كل فعل قبيح لئيم.

(**فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا**): أي أخذ يضربه كأن بينه وبينه ثأْراً.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: **"وَاللهِ إِنَّهُ بِالْحَجَرِ نَدَبٌ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبُ مُوسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بِالْحَجَرِ... "**) قوله "إنه بالحجر نَدَب": أي آثار من الضرب.

❑ فائدة (٩): خروج أصحاب الوقار عن هيئتهم:

نستفيد من ذلك: أن أصحاب الوقار والرزانة، قد تمرُّ بحياتهم أحداث ومواقف، تجعلهم يخرجون عن هيئتهم ووقارهم وسمتهم، فلا يُلامون على ذلك، أو كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم، إلا الحدود "**(١).

(١) - رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(ونزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾)

❐ فائدة (١٠): الحذر من إيذاء أولياء الله:

نستفيد من ذلك: الحذر من إيذاء أولياء الله، فإن الله تعالى يغار عليهم، ويدافع عنهم، وينتقم لهم، ففي الحديث الإلهي: **" مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ "**(١)، وفي رواية البيهقي: **" مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِى بِالْحَرْبِ "**

❐ فائدة (١١): من أنت عند الله؟

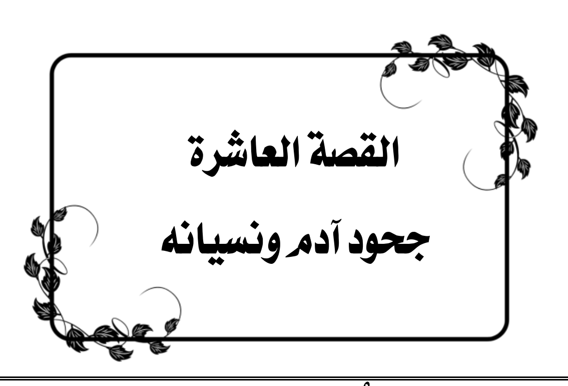
ونستفيد من ذلك: أن العبرة ليست بما يقول الناس فيك، ولكن بما يقول الله فيك، ليست العبرة: من أنت عند الناس !! ولكن العبرة من أنت عند الله، فكل مذامِّ الناس فيك لا تُنقص من قدرك إذا كنت عند الله وجيهـاً.

فاللهم نجنا برحمتك من القوم الظالمين.



---

(١) رواه البخاري.



القصة العاشرة

جحود آدم ونسيانه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَؤُلاَءِ ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلاً مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيْ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ: أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ.

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ أخرجه الترمذي وابن سعدٍ في الطبقات والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح" وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(**لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ**) أي خلقـاً سويـاً متكاملاً، على صورة أبنائه الآن، لا كما يزعم من لا علم عنده، أن الإنسان تطور من الحيوان أو من غيره، فإن ذلك تصوُّر من لا دين له، فإن الله سبحانه خلق آدم من اللحظة الأولى عاقلاً متكلمـاً.

❐ فائدة (١): صفة خلق آدم:

وقد أخبرنا النبي ﷺ بصفة خلق آدم، وأن طوله كان ستين ذراعـًا، وأن الخلق من بعده لم يزالوا في نقصان حتى استمر خلقهم على ما هم عليه اليوم، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: **"خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنْ الْمَلَائِكَةِ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ فإنها تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ"**

ويدل على صحة ما ذكرت من آدم خُلق مكتملاً منذ لحظة خلق الروح فيه، ما ورد في الحديث "أن الله خلق آدم على صورته" أي التي خلقه عليها، فلم يتطور ولم يرتق من صورة إلى أخرى أو من خلق إلى خلق، بخلاف ذريته، فإن الله يخلقهم في أرحام الأمهات نطفة ثم علقة ثم مضغة، ثم ينشئهم بعد نفخ الروح خلقـًا آخر.(١)

(مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) أي خرج من ظهره كل ذِي رُوحٍ، وَقِيلَ: كُلُّ ذِي نَفْسٍ مَأْخُوذَةٌ مِنَ النَّسِيمِ.

❐ فائدة(٢): الإيمان بالقدر:

وفي هذا دليل على إثبات ركنٍ من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالقدر، وأن من مراتبه، مرتبة العلم، فسبحانه عالمٌ بكل ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؛ جملة وتفصيلاً، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل خلقهم، وعلم

---

(١) صحيح القصص النبوي: د عمر الأشقر

أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وحركاتهم وسكناتهم، وعلم الشقيَّ منهم والسعيد، وذلك بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ [التوبة:١١٥]، ومن ذلك علمه بأعمار عباده، وكتابة ذلك عنده، فأرى آدم عليه السلام، ذريته من بعده إلى يوم القيامة.

❑ فائدة(٣): وهل إخراج الذرية كان حقيقيـاً؟

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى أَنَّ إِخْرَاجَ الذُّرِّيَّةِ كَانَ حَقِيقِيًّا [١]، والمؤمن يتعامل مع مثل هذه الأخبار بالتصديق والتسليم، ولا ينشغل بكيفية وقوع ذلك، فمع الله لا نقول: كيف؟ وكما قيل: لا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم.

(**وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ**) أي بريقًا ولمعانـًا، ولعل "فِي ذِكْرِهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ" [٢] التي فطر الله الناس عليها.

(**ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَؤُلاَءِ ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلاً مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ**)

❑ فائدة(٤): ولماذا خُصَّ داود بالذكر؟

وخُص داود بالذكر، إظهاراً لكرامته، وبيانـًا لفضله، وَلَا يَلْزَمُ تَفْضِيلُهُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ الْمَفْضُولَ قَدْ يَكُونُ لَهُ مَزِيَّةٌ، بَلْ مَزَايَا لَيْسَتْ فِي الْفَاضِلِ.

❑ فائدة (٥): كل شيء بقدر:

وفيه أن كل شيءٍ بقدرٍ حتى الأسماء، فالله سبحانه سمَّى داود قبل خلْقه،

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

(٢) المصدر السابق

وفي الحديث: " كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ "(١)

(**فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيْ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً**) استقل آدم عُمُر داود، فأراد أن يُكمل المائة.

(**فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ**) أي لقبض روحه.

(**فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟**) أي من جملة الألف، وفيه أن الله تعالى قد أعلم آدم عمره، ففي رواية: "قد كُتب لي ألفُ سنة".

❐ فائدة(٦): الحرص على العمر:

قَالَ الطِّيبِيُّ: وَفِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا نَقَلَهُ الشَّيْخَانِ: "**يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ فِيهِ اثْنَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ**"، **وَابْنُ آدَمَ وَارِدٌ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِطْرَادِ، وَابْنُ آدَمَ مَجْبُولٌ مَنْ أَصْلِ خِلْقَتِهِ عَلَى الْجَحْدِ وَالنِّسْيَانِ، وَالْخَطَأِ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ**" رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.(٢)

(**قَالَ: أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ**)

❐ فائدة(٧): نسيان آدم:

ظاهر معنى الجحود الإنكار، لكنه محمولُ على النسيان كما فُسِّر به بعده، لِأَنَّهُ كَانَ فِي عَالَمِ الذَّرِّ فَلَمْ يَسْتَحْضِرْهُ حَالَةَ مَجِيءِ مَلَكِ الْمَوْتِ لَهُ، كما قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ، فلم يُتصور من آدم الجحود والعناد، ولكن تُصُوِّر منه الخطأ والنسيان.

---

(١) رواه مسلم مرفوعـًا.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

فائدة (٨): حب الوالد للولد:

وفيه أن حبَّ الوالد للولد جبليٌّ، لا مصلحة من ورائه، فليرع الأولاد ذلك، بخلاف حب الولد لوالده، تغلب عليه المصالح والحاجة.

(فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ)

فائدة (٩): النسيان طبيعة ونعمة:

وفيه أن النسيان طبيعة الإنسان، فها هو أبو البشرية يقع فيه كما قال الله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥]، وَلِذَا قِيلَ: أَوَّلُ النَّاسِ أَوَّلُ النَّاسِي، وهاهو كليم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقع فيه، كما قال الله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف: ٦١]، ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **" إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِى "** (١)

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ يَعْتَادُهُ: الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ لَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يُفَارِقَ الدنيا، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُفْتَنًا تَوَّابًا نَسِيًّا إِذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ "** (٢)

والنسيان قد يكون نعمةً من الله، كما إذا نسي الإنسان الأذى والبلاءات، وقد يكون خطأً معفواً عنه، يظهر به ضعف الإنسان، كما إذا نسي العبد ما عليه، دون عمدٍ أو قصد، وقد يكون صاحبه ملوماً بل معذباً، كما إذا نسي ما عليه إهمالاً وتفريطاً، ومن الأخير قوله سبحانه: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٦].

---

(١) متفق عليه

(٢) رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع

ولهذا جاء عند الترمذي وغيره: " فمِن يومئذ أُمر بالكتاب والشهود" أي بكتابة العقود والديون والحالات ونحوها، بل والإشهاد عليها، فإن فعلنا قَلَّت النزاعات، ونَدُرت الخصومات، وبذلك تتم مواجهة الجحود والنسيان.

❐ فائدة (١٠): ابنُك نسختك، فانظر كيف تريد أن يكون:

وفيه أن الولد كأبيه غالبـاً، لأنه قال: "فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم ونسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته" وهي دعوة لصلاح الآباء، ليصلح الأبناء، وقد قال الله: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف:٨٢].

(**وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ**) والمراد بالخطيئة هنا المعصية، لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: ١٢١] وَلِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: " **كل بني آدم خطاء و خير الخطائين التوابون** " (١)

❐ فائدة (١١): الخطأ من شأن الإنسان، ولكن:

الخطأ مكتوبٌ على بني آدم، وليس هنا مكمن الخطر، وإنما الخطر، نسيان الخطأ، والإصرار عليه، وترك الاعتراف به، وعدم الرجوع عنه.

قال سبحانه في معرض كلامه عن المتقين: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٦].

فاللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني



القصة الحادية عشرة
كفى بالله وكيلاً

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِشُهَدَاءَ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللهِ وَكِيلًا، قَالَ: صَدَقْت. قَالَ: فَدَفَعَهَا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ إِلى الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ، لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ، وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تعلَمُ أَنِّي تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاً، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ وَكِيلًا، فرضي بِكَ وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، فرضي بِكَ، وَإِنِّي جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكِبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالَّذِي لَهُ، فَلَمْ أَجِدْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا!. فَرَمَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَهُ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةُ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أسلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ شَيئًا؟! قَالَ: أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنِّي

لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ بِهِ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ دِينَارٍ رَاشِدًا".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أَخرَجَهُ البُخاريُّ وَأَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ".

(إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ):

❐ فائدة (١): مشروعية القرض:

فيه أن القرض أو الاستدانة مشروعة في الجملة، وذلك لمن غلب على ظنه، وعرف من نفسه القدرة على الوفاء، وهذا لا يعني عدم خطورة الدَين، وأن العاقل لا يلجأ إليه إلا مضطراً، ولا جرم فقد كان ﷺ يستعيذ بالله منه، فعن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِى الصَّلاَةِ: **"اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ" قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: " إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ "**(١)

ذلك لأن ركوب الدين يورد المهالك ويحمل المدين غالباً على الوقوع في الكبائر.

(فَقَالَ: ائْتِنِي بِشُهَدَاءَ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا):

❐ فائدة (٢): الإشهاد في المداينة، ونحوها:

فيه أن طلب الشهود في المداينة ونحوِها أمرٌ هامٌ يُحفظ بها حقوق العباد،

---

(١) متفق عليه

وأطول آية في القرآن في سورة البقرة، هي آية المداينة، وقد اختلف العلماء: هل الإشهاد واجب أم مستحب ؟

(فَقَالَ: ائْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللهِ وَكِيلًا،):

❐ فائدة(٣): مشروعية الكفالة في المعاملات:

وفيه بيان مشروعية الكفالة في المعاملات المالية، ومعناها: ثقةٌ يتكفل بإحضار بدن المدين عند ثبوت مماطلته، والفرق بينها وبين الضمان، أن الضمان: ثقةٌ يتكفل بالسداد عن المدين عند ثبوت مماطلته.

(قال: صدقت): أي في قولك: كفى بالله شهيداً، وقولك: كفى بالله وكيلاً.

❐ فائدة (٤): فإن قيل: ما سبب تصديقه ورضاه؟

وإنما قال له صدقت ورضِيَ بذلك تعظيمـاً لله ولاسمه، ورضـاً به سبحانه شهيداً وكفيلاً، وحسن ظنٍ بصاحبه، وفي هذا يقول الله سبحانه: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وقال ﷺ: قَالَ اللهُ تعالى: **"ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ"**(١)

(قَالَ: فَدَفَعَهَا(٢) إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى (٣):

❐ فائدة (٥): معرفة الأجل:

فيه ضرورة معرفة الأجل وتحديده، حسمًا لمادة النزاع والخصومة، وهو

---

(١) رواه البخاري، ومعنى أعطى بي: أي عاهد باسمي.

(٢) أي أعطاه الألف دينار.

(٣) أي محدد.

موافق للآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ [البقرة:٢٨٢]

❐ فائدة (٦): فضل القرض الحسن:

فيه فضل إقراض المحتاج، وأن مِن أزكى الطاعات وأعظمها أجراً وأجزلها مثوبة عند الله أن يعين المسلم أخاه بدين أو بقرض حسن يقيل به عثرته، ويفك به عسرته ويفرح به كربته، ففي الحديث: «**ما من مسلم يُقرض قرضًا مرتين إلا كان كصدقتها مرة**»(١).

وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: " **إن السلف يجري مجرى شطر الصدقة** ".(٢)

(**فَخَرَجَ إلى الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ**): جاء في رواية عند البزار: "فركب الرجل البحر بالمال يتَّجِر فيه"

❐ فائدة (٧): الاستدانة للتجارة:

فيه مشروعية الاستدانة من أجل التجارة، إذا علم الإنسان قدرته على السداد.

(**ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا**(٣) **يَرْكَبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ، لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ**) فقد حان موعد سداده.

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه

(٢) رواه أحمد، وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.

(٣) أي بحث عن سفينة يركبها ليصل إلى صاحبه، يدفع إليه الذي له.

❐ **فائدة (٨): حسن القضاء:**

وفيه أن على المدين حسنَ القضاء، والوفاء بالوعد، والالتزام بالموعد المتفق عليه، فقد قال ﷺ: "**إن خياركم أحسنُكم قضاءً**" رواه البخاري.

وليحذر المدين ونحوه من المماطلة ـ عند القدرة ـ فإنها تحل العقوبة وتبيح العِرض، كما قال ﷺ: "**لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وعقوبته**" [(١)]

(فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا[(٢)]، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ، وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ[(٣)] ثُمَّ زَجَّ مَوْضِعَهَا[(٤)] ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاً، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ وَكِيلًا، فرضي بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، فرضي بِكَ، وَإِنِّي جَهِدْتُ[(٥)] أَنْ أَجِدَ مَرْكِبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالَّذِي لَهُ، فَلَمْ أَجِدْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا! فَرَمَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، حَتَّى وَلَجَتْ[(٦)] فِيهِ)

❐ **فائدة(٩): وهل تصرَّفَ هذا الرجل تصرُّفاً صحيحاً ؟**

الجواب: نعم، قطعاً، وإن لم يكن ملزِماً، ودليل صحته مع أنه في شرع مَن

---

(١) رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني

(٢) وفي رواية البزار: "وغدا رب المال إلى الساحل يسأل عنه ويقول: اللهم اخلُفني، فإنما أعطيت لك"

(٣) في رواية البزار: " وكتب إليه صحيفة: من فلان إلى فلان، إني دفعت مالك إلى وكيلي الذي توكل بي "

(٤) أي سوّى موضع النقر وأصلحه.

(٥) أي بلغ مني الجَهد، وأخذت بالأسباب المتاحة والكاملة.

(٦) دخلت.

قبلنا، أن النبي ﷺ، قصه علينا دون نكير منه، ودليل كونه غيرَ ملزمٍ، أننا لم نؤمر به، بل أُمرنا أن نتقي الله استطاعتنا.

□ فائدة (١٠): فإن قيل: وما الذي حمله على ما صنع؟

وإنما حمله على ما صنع، صدق توكله على الله، وقوة ثقته في الله وقدرته، وحسن ظنه بالله، وجامع هذه الخصال كلها: حسنُ الصلة بالله، وعِظَمُ الإيمان به، فمن كان عنده مثل هذا الإيمان ساغ له أن يفعل مثلَ الفعل، وقد قال ربنا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة: ٢٣]

□ فائدة (١١): مشروعية التوديع:

وفيه مشروعية التوديع بما ورد في ذلك عن النبي ﷺ: "**أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك**" أو يقول: " **أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه** "(١)

وقد جاء في الحديث: "**إن الله إذا استُودِع شيئا حفظه** " (٢)

(ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَهُ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةُ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ) وجاء في رواية البزار: "وغدا رب المال يسأل عن صاحبه كما كان يسأل فوجد الخشبة فحملها إلى أهله فقال أوقدوا هذه فانتثرت الدنانير منها والصحيفة فقرأها فعرف"

□ فائدة (١٢): قدرة الله، وتدبيره:

في هذه القصة بيان قدرة الله، وأنه لا شيء في هذا الكون يخرج عن تدبيره

---

(١) انظر السلسلة الصحيحة.

(٢) صحيح ابن حبان.

وإحاطته، فتأمل كيف تولى الله حفظ هذه الخشبة التي تحمل المال في جوفها ! كيف أن الله ساقها في بحرٍ عميق، عظيم الأمواج، من شاطئ إلى شاطئ، لكي تصل الأمانة إلى صاحبها، ويستجيب الله دعاء من صدقَ في دعائه ومعاملته واللجوء إليه، وأننا لو عاملنا الله بهذا الصدق وتلك اليقين، لوجدنا عجائب لطفه بنا وكرمه لنا.

❐ **فائدة (١٣): لُقَطَةُ ما لا تتطلع إليه همم الناس:**

وفي القصة إشارة إلى مشروعية التقاط ما له قيمةٌ قليلة، بحيث لا تتطلع إليها همم الناس، وجوازالانتفاع بها من غير تعريف، وقد جاء في صحيح البخاري، أن النبي ﷺ كان يجد الحبة من التمر، فما يمنعه من أكلها إلا خشية أن تكون من تمر الصدقة.

(ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أسلَفَهُ (١)، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ شَيئًا؟! قَالَ: أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ)

❐ **فائدة(١٤): فإن قيل: ولماذا رجع إليه مرةً أخرى؟**

الجواب: خشية أن يكون المال لم يصل إلى صاحبه، فجاءه يعتذر إليه، ويذكر له سرَّ تخلفه عن موعده، وذلك أيضاً من حسن خُلُقه وعِظَم إيمانه.

(قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ بِهِ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ دِينَارٍ رَاشِدًا)

❐ **فائدة (١٥): قد أدى الله عنك:**

وهنا يتجلى حسياً قول النبي ﷺ: **" من أخذ أموال الناس يريد أداءها، أدى**

---

(١) أي قدم المدين إلى صاحب المال، مرة أخرى.

الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله" (١)، وهذا الدرس من أعظم دروس هذه القصة، فمن صحت نيته، وصدقت عزيمته، ثم عجز عن الوفاء برئ، وأدى الله عنه، والله من وراء القصد.

❐ فائدة (١٦): أمانة صاحب المال:

وتأمل تجد أن صاحب المال لم يجحد وصوله إليه، وكان بإمكانه ذلك، لكن الطيور على أشكالها تقع، فمن كان صالحـاً وفق إلى أهل الصلاح غالبـاً، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

❐ فائدة (١٧):فإن قيل: أي الرجلين أعظم إيمانـاً ؟

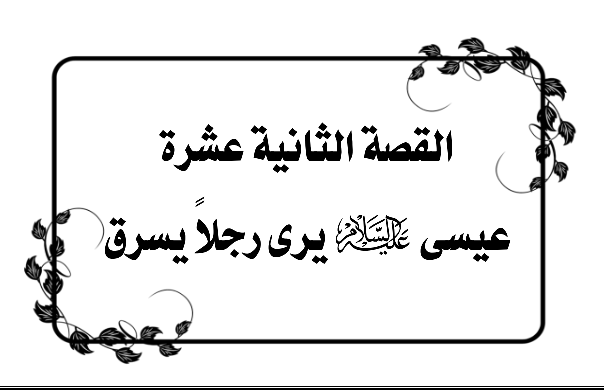
الجواب: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: **"فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَكْثُرُ مِرَاؤُنَا وَلَغَطُنَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَنَا: أَيُّهُمَا آمَنُ [من أشد إيمانـاً من الآخر] "** (٢)

فاللهم جدد الإيمان في قلوبنا.



(١) رواه البخاري

(٢) صحيح ابن حبان



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: سَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللهِ وَكَذَّبْتُ نَفْسِي".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

(رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق) أي رآه بعينه.

❐ **فائدة (١): لا تَحكم أو تُخبر إلا إذا رأت عيناك، أو سمعت أذناك:**

وهذا يدعو المؤمن إلى التخلق بخلقٍ قويم، ألا وهو: التثبت من الأخبار قبل تصديقها، فضلاً عن إذاعتها وإشاعتها ونشرها، وهذا منهجٌ ربانيٌ أصيل يُستراحُ به من القيل والقال.

" فالجماهير[١] دائمـًا أسرع إلى إساءة الظن من إحسانه، فلا تُصدِّق كل ما يقال، ولو سمعته من ألف فم، حتى تسمعه ممن شاهده بعينه، ولا تُصدق من شاهد الأمر بعينه حتى تتأكد من تثبته فيما شاهد، ولا تصدق من تثبت فيما شاهد حتى تتأكد من براءته وخلِّوه عن الغرض والهوى، لذلك نهانا الله عن

---

(١) أي من المؤمنين.

الظن واعتبره إثمـًا لا يُغني من الحق شيئـًا"(١).

(فقال له عيسى: سرقت؟)

❐ **فائدة (٢): فإن قيل: ولماذا سأله عيسى عليه السلام؟**

الجواب: وإنما سأله عيسى عليه السلام لأمرين:

الأول: التثبت، فربما هناك ملابسات وأشياء خفيّة لا يعلمها عيسى عليه السلام، فربما كا يأخذ حقـًا له كان قد سُلب منه، أو نحو ذلك، وهذا هو قول الله تعالى: ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ [الحجرات: ٦]

نادمين في الدنيا: على ما ترتب على سلوككم الشنيع من الإفساد في الأرض والتفريق بين الأحبة، فكم من بيوت هُدمت، ونساء طُلقت، وأرحام قُطعت، وصداقات مُزقت، وجماعات فُرِّقت، بسبب قالة السوء، والإشاعات الكاذبة.

ونادمين يوم القيامة: حين تُوزع حسناتهم وأعمالهم الصالحة، على من ظلموهم واتهموهم ظلمـًا وجرحوهم.

الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذلكم الواجب المهمل، والفريضة الضائعة، فما عمَّت الجهالة وما انتشرت الضلالة، وما استشرى الفساد، وما هلك العباد إلا بسبب إهمال هذا الواجب، في البيت، وفي المؤسسة الدراسية، وفي الشارع، وحتى في المسجد – إلا من رحم الله –

ولهذا قال ﷺ: **" من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه،**

---

(١) – أخلاقنا الاجتماعية: د/ مصطفى السباعي.

فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان " [١].

(قال: كلا والذي لا إله إلا هو)

❐ **فائدة (٣): ماذا إذا كان ذلك الرجل كاذبـًا؟**

الجواب: إن كان هذا الرجل صادقـًا، فنعمَّا هي، وذلك هو المؤمن، لا يعرف للكذب طريقـًا، ولا حرج في يمينه لينفي عن نفسه تهمة السرقة.

أما إن كان كاذبـًا وأكّد كذبه باليمين، فتلك هي القاصمة، وهذه هي اليمين الغموس، وهي اليمين الكاذبة التي تتعلق بالماضي، كقولك: ما قلتُ كذا، وقد قلتَ، أو ما فعلتُ كذا، وقد فعلتَ، ونحو ذلك، يسمونها يمين الفسق والخيانة، تضيع بها الحقوق ويُفسَد بها في الأرض.

وسُميت غموسـًا لأنها تغمس صاحبها في النار أو في الإثم.

وهل لها كفارة ؟

الجواب: ليس لها كفارة، إلا التوبة والندم، قال ﷺ: **"الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس "**[٢]، وقال ﷺ: **"خمسٌ ليس لهن كفارة: الشرك بالله عز وجل، وقتل النفس بغير حق، أو نهب مؤمن أو الفرار من الزحف أو اليمين صابرة، يقطتع بها مالاً بغير حق "**[٣].

❐ **فائدة (٤): فإن قيل: فما اليمين التي لها كفارة ؟**

الجواب: **اليمين المنعقدة**، وهي اليمين التي يقصدها صاحبها توكيداً لفعل

---

(١) - رواه مسلم.

(٢) - رواه البخاري والنسائي والترمذي.

(٣) - رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

شيءٍ أو تركه في المستقبل، فإن برّ بيمينه فنعمّا هي – إذا كان الذي حلف عليه صالحًا – وإن حَنَثَ فعليه الكفارة، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيۡمَـٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة: ٨٩]

واعلم أن من حلف على فعل شيءٍ ورأى الخير في تركه، كمن قال: والله لا أكلم فلانـًا، والله لا أدخل بيت أخي، وجب عليه أن يكفر عن يمينه ويفعل الخير.

قال ﷺ: **" من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه "**(١).

ولا تقل: لقد حلفت !!، قال: ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَـٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٤.

قال ابن عباس: لا تجعلن عرضةً ليمينك ألا تصنع الخير، ولكن كفِّر عن يمينك واصنع الخير (٢).

❒ **فائدة (٥): فإن قيل: عرفنا اليمين الغموس، واليمين المنعقدة، فما اليمين اللغو ؟**

الجواب: اليمين اللغو له صورتان:

الأولى: أن لا يقصد اليمين؛ ولكن يقصد الإكرام، كأن يقول: لأخيه: والله

---

(١) – متفق عليه.

(٢) – تفسير ابن كثير.

لتأكلن، أو لتدخلن، ونحوه، فذلك لا يؤاخذ به الحالف، لقوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ [المائدة ٨٩]، قالت عائشة: أنزلت في قوله: " لا والله، وبلى والله " (١).

الصورة الثانية: أن يظن الحالف صِدْق نفسه، فبان الأمر على غير ما حلف، قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥]

❒ فائدة (٦): الأيمان الأربعة:

واعلم أن هناك أيمان أربعة تتعلق بالحياة الزوجية:

١-الإيلاء.

٢-الظهار.

٣-التحريم.

٤-الطلاق.

هذه الأيمان لا يحل لأحدٍ أن يطلِقها إلا أن يكون علماً بأحكامها وحُرمتها.(٢).

(قال عيسى: أمنت بالله وكذّبت بصري)

---

(١)(١) - رواه البخاري.

(٢) - راجع في ذلك كتابي: سلوكيات مرفوضة، سلوك: التهون بالأيمان، فهي مفصلة هناك.

❑ فائدة (٧): فإن قيل: كيف قال عيسى ذلك، وقد رآه بعينه ؟

الجواب: تعظيم الله سبحانه، تعظيم لفظ الجلالة، تعظيم اليمين الذي حُلف، فرسل الله أشدُّ الخلق تعظيماً لربهم؛ لأنهم أعرف به، وأخلص في عبوديته وأحرص على طاعته وإقامة دينه وشريعته، ولهذا أمرنا الله تعالى بالاقتداء بهم والاهتداء بنورهم، كما قال سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإنما كان الله سبحانه وتعالى فى قلب المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أجل وأعظم من أن يحلف به أحد كاذبا، فلما حلف له السارق دار الأمر بين تهمته وتهمة بصره، فرد التهمة إلى بصره لما اجتهد له فى اليمين بالله، كما ظن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صدق إبليس لما حلف له بالله عز وجل، وقال: ما ظننت أحدا يحلف بالله تعالى كاذباً" (١)

فمن علامات تعظيم الله سبحانه: أن من حَلَف لك بالله، وجب عليك أن ترضي، وإن كنت على يقين أنه كاذب، تعظيماً لله، ورضاً بالله.

كما قال ﷺ: **" ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض بالله فليس من الله"**(٢).

❑ فائدة (٨): فإن قيل: كيف وقد علمت ؟ كيف وقد رأيت ؟

الجواب: إنما أمرنا أن نجريَ أحوال الناس على الظواهر، والله سبحانه

---

(١) إغاثة اللهفان.

(٢) – صحيح ابن ماجه.

متولي السرائر، نعم قد يستطيع المجرم الأثيم أن يتخلص من عقاب الدنيا، أو يهرب من سخط الناس بحلف كاذب !!

ولكن لن يستطيع أبداً أن يتخلص من عذاب الله غداً، فالله على كل شيءٍ شهيد لا يخفى عليه من أمر عباده خافية.

❐ **فائدة (٩): فإن قيل: كيف وعيسى رسول ؟**

الجواب: الرسل لم يبعثوا رقباء على الناس، يُفَتشون عن دواخلهم ويكشفون عن سرائرهم، فكيف بعموم الناس ؟

❐ **فائدة (١٠): قبول عذر المعتذِر:**

وفي الحديث دلالة على قبول عذر من اعتذر، وأن ذلك من الأخلاق السامية، والآداب الرفيعة، فقبول الأعذار من صفات الكرام، حتى ولو كان المعتذر كاذبًا، قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: "المؤمن طالبٌ عُذْرَ إخوانه، والمنافق طالبٌ عثراتهم" (١)

❐ **فائدة (١١): إذا تعارضت الأقوال مع الأفعال:**

وفي الحديث دلالة على أن الأفعال إذا تعارضت مع الأقوال، فإن المأخوذ به هو الأقوال، وكما قيل:

اعمل بقولي وإن قصَّرتُ في عملي ينفعْك قولي ولا يضررْك تقصيري.

---

(١) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة: بدر الدين، أبو البركات محمد بن محمد بن محمد الغزي.

❐ فائدة (١٢): حسن الظن بالناس:

وفي الحديث دلالة على أن المؤمن ينبغي أن يُغَلِّب حسن الظن على سوئه، فلا يلجأ إلى سوء الظن إلا في نطاقٍ ضيقة، هكذا أمرنا الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [الحجرات:١٢]، فإحسان الظن حتى وإن كان الخطأُ واضحـًا، حرصـًا على إخوَّةِ الإيمان، واجتنابـًا للخصومة والعدوان.

❐ فائدة (١٣): ومن علامات تعظيم الله – مما يتعلق بالأيمان –:

أن لا نحلف بغير الله، بل هذا من التوحيد الذي هو إفراد الله تعالى بالعبادة، لا نحلف بالكعبة ولا بالنعمة ولا بالنبي، ولا بالأمانة، لا نحلف إلا بالله.

فقد قال ﷺ: " **من كان حالفـًا فليحلف بالله أو ليصمت** " [(١)].

وقال: " **من حلف بغير الله فقد كفر أوأشرك** " [(٢)].

❐ فائدة (١٤): ومن علامات تعظيم الله – مما يتعلق بالأيمان –:

ألا تكثر من الحلف والأيمان:

نعم إذا تأملّت قول الله تعالى: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ ﴾ [المائدة: ٨٩]، علمت أنه يُكره للمسلم أن يُكثر الحلف، حتى مع الصدق؛ لأنه لا يُكثر الحلف إلا من ليس بصادق، لأنه يستشعر أن الناس يُكذبونه ولا يثقون به، فيحلف، ربما ليداري كذبه أو ليستجلب ثقة الناس.

---

(١) – صحيح الترمذي.

(٢) – صحيح الترمذي.

وكذلك كثرة الحلف تفضي إلى التساهل وعدم المبالاة ثم الوقوع في الكذب، فإن من كثرت أيمانه وقع في الكذب.

هذا وقد قال سبحانه: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ القلم: ١٠.

قال الزمخشري: " وكفى بهذا النهي مزجرة لمن اعتاد الحلف "(١).

ومن هنا جاء تحذير النبي ﷺ لأولئك التجار من كثرة الحلف، بل من الحلف، فقال ﷺ: **" إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه يُنفق ثم يمحق "** (٢)

وقال ﷺ: **" الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة "** (٣).

❒ **فائدة (١٥): ومن علامات تعظيم الله – مما يتعلق بالأيمان –:**

أن نصدُق عموماً وفي أيماننا خصوصاً:

ففي الحديث: **" لا تحلفوا بآبائكم، ومن حلف بالله فليَصدق...."** (٤).

وقال ﷺ: **" إن الله أذن لي أن أُحدث عن ديك رجلاه في الأرض، وعنقه مثنية تحت العرش وهو يقول: " سبحانك ما أعظمك ربنا، فيرد عليه لا يعلم ذلك من حلف بي كاذباً "** (٥).

فاللهم ارزقنا معرفتك، وتعظيمك، وأن نُقَدِّرك حق قدرك

---

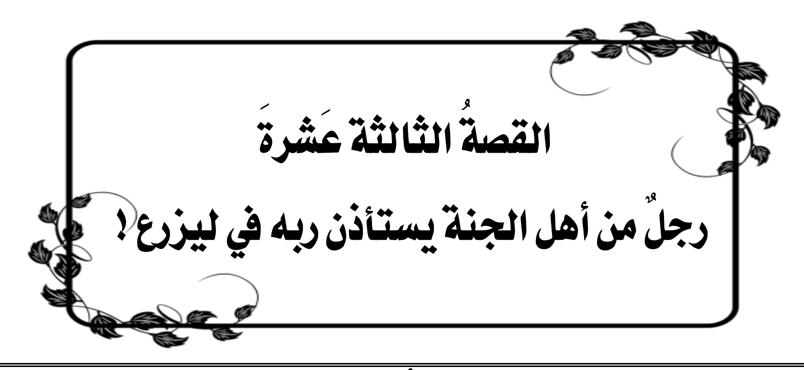
(١) – محاسن التأويل للقاسمي.

(٢) – رواه مسلم.

(٣) – متفق عليه.

(٤)(٤) – صحيح ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعاً.

(٥) – رواه الطبراني والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة



القصةُ الثالثة عَشرة

رجلٌ من أهل الجنة يستأذن ربه في ليزرع !

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟! قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ!! فَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الجِبَالِ، فَيَقُولُ اللهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي "صَحِيْحِهِ"، وَأَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ".

(إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟!) أَيْ أليس كلُّ شيءٍ لك مباحًا، مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ التَّنَعُّمِ، فلِمَ التعبُ إذن ؟

❐ **فائدة (١): من نعيم أهل الجنة:**

وفيه أن أهل الجنة، لهم فيها ما يشاءون، دون جَهدٍ منهم أو نصَب، كما قال سبحانه: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥ ﴾ [ق:٣٥]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧ ﴾ [يس:

٥٥-٥٧]

(قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ!!) يعني: أن طلبه الزرع ليس عن حاجة، وإنما هو مجرد محبة للزرع الذي كان يزاوله في الدنيا.

❐ فائدة (٢): الرغبة في متاع الدنيا طبيعة الإنسان

وَفِيه: بيان مَا جبل الله نفوس بني آدم عَلَيْهِ من الاستكثار وَالرَّغْبَة فِي مَتَاع الدُّنْيَا إلاَّ أَن الله تَعَالَى أغْنى أهل الْجنَّة عَن نصب الدُّنْيَا وتعبها [(١)]، فالرغبة في متاع الدنيا طبيعة الإنسان، غيرَ أن الله ندبنا إلى تزكية النفس من هذه الرغبة، فقال سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۝١٤ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝١٥ ﴾[آل عمران:١٤-١٥]، وقال تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ ﴾ [الأعلى:١٦-١٧]

(فَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الجِبَالِ) والمعنى أن الزرع الذي زرعه، نبت، واستوى، وحُصد، فكان عظيماً كالجبال، كل ذلك قبل أن يرتد إليه طرفُه !

❐ فائدة (٣): عجائب قدرة القدير:

يدل ذلك على عجيب قدرة الله، تلك القدرة التامة الكاملة التي لا يعجزه معها شيء في الأرض ولا في السماء، فقدرته تعالى مطلقة لا يُحدُّها شيء ولا

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني.

تحتاج إلى مقدمات ولا إلى أسباب، أمره وقضاؤه وقدره بين الكاف والنون، [مجازا] إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

فائدة (٤): نظام الجنة:

وفيه أن نظام الجنة لا كنظام الدنيا، بل ولا فيه منه شيء، فلا وجه شبهٍ ولا مقياس، وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما :" لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ يُشْبِهُ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءَ"(١)

(**فَيَقُولُ اللهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ**) أي: خذ ثمار الزرع الذي طلبت.

(**فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ**) أي ستظل تطلب، لا يوقفك شيء.

فائدة (٥): طبيعة الإنسان التي كُلِّف بتعديلها:

ولا يُفهم من قوله:"فإنه لا يُشبعك شيء" أن أهل الجنة يحتاجون، وإنما يفهم من ذلك أن الإنسان فيه من الشَّرَه، فوق ما يحتاجه.

وإن كان الإنسان لا يُشبعه شيءٌ ـ كما أخبر بذلك خالقه سبحانه ـ فليجعل تَطلعه وهِمَمه إلى معالي الأمور، فإن الله يحبها ويكره سَفْسَافها.

فائدة(٦): كلام الملِك الكريم لعباده في دار النعيم:

وفي الحديث أن الرب جل جلاله يُكلم أهلَ الجنة، ويكلمونه، وقد بوَّب البخاري بابـًا في كتاب التوحيد، قائلاً: باب كلام الرب مع أهل الجنة، وهذا نعيمٌ لا يضاهيه نعيم، فهو من نعيم رؤيته سبحانه، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم: " **إذا دخل أهل الجنة الجنة؛ يقول الله**

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم.

تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال: فيُكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم عَزَّ وجَلَّ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾"(١)

❐ فائدة(٧): الرد على الفلاسفة وتُرَّهاتهم:

وفي الحديث أن أهل الجنة يأكلون ويشربون في الجنة، خلافًا لمن زعم من الفلاسفة والنصارى، أنها حياة روحانية بعيدة عن المادة (٢)

فأهل الجنة لهم فيها ما اشتهته أنفسهم، وأحبته قلوبهم، ولهم فيها ما يدَّعون، كما قال عز مِن قائل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٢]

❐ فائدة (٨): البهجة تُخيِّم على مجالس الرسول ﷺ:

وفي الحديث أن رجلاً من أهل البادية كان في هذا المجلس الذي وقعت فيه هذه الحكاية، فقال: "والله لا تجده إلا قرشيـًا أو أنصاريـًا، فإنهم أصحاب زرع وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك النبي ﷺ"، ففيه أن مجالس الرسول ﷺ كان يُخَيِّم عليها أحيانًا من الأحاديث ما يشيع البهجة، ويَسُرُّ السامع، فترتسم البسمة على الشفاه، ويَحصل الضحك.

فاللهم ارزقنا رفقة نبيك ﷺ في الفردوس الأعلى

---

(١) رواه مسلم

(٢) قصص الغيب في الحديث النبوي د عمر الأشقر



عَنْ جُنْدَبٍ البَجَلِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قَرْحَةٌ، فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَنكَأَهَا فَلَمْ يَرْقَأِ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، فقَالَ الله: عَبْدِي بَادَرَنِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَق عَلَيْهِ.

(**كان رجلٌ ممن كان قبلكم**) أي في زمان الأمم السابقة.

(**خرجت به قَرحة**) القرحة: بفتح القاف وإسكان الراء، هي حبة، تخرج في بدن الإنسان، أو هي الجرح إذا دبّ إليه الفساد.

(**فلما آذته**) أي ازداد منها ألمه، واشتد بسببها وجعه.

(**انتزع سهمـًا من كنانته**) الكنانة: بكسر الكاف: هي الجُعبة التي يضعون فيها سهامهم، وسميت بذلك لأنها تَكنُّها وتسترها.

(**فنكأها**) أي خرقها أو فتحها، وفي رواية البخاري: " فأخذ سكينـًا فحزّ بها يده ".

(**فلم يرقأ الدمُ**) أي لم ينقطع أو لم يتوقف.

(حتى مات) أي بسبب فعله ذلك.

(فقال الله: عبدي بادرني بنفسه) أي استعجل أجله وقتل نفسه.

(حرمت عليه الجنة)

❑ **فائدة (١): من استعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه:**

هذا الحديث دليلٌ على القاعدة المشهورة: أن من استعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه، فهذا الرجل استعجل الراحة، فحُرِمها، فالموت راحة لمن عمل صالحًا وخُتم له بخير.

ولو أنا إذا متنا تُركنا لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بُعثنا لنُسأل بعدها عن كل شيء

❑ **فائدة (٢): فإن قيل: ما الذي حمل هذا الرجل على ارتكاب هذه الحماقة ؟ ما الذي حمله على قتل نفسه ؟**

الجواب: إنه الجزع، وادِّعاء عدم التحمل، كما جاء في رواية البخاري " كان فيمن كان قبلكم رجلٌ به جُرحٌ فجزِع "

أي لم يتحمل الألم، ولم يصبر على قضاء الله.

الجزع صفة ذميمة، لا تليق بالمؤمن الذي رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً.

صفة الجزع إذا تمكنت من الإنسان أوقعته في خطايا كثيرة، وحُفَر كبيرة قد لا يخرج منها، فالجازع يدعو على نفسه، ويزداد بلاؤه، ويمرض قلبه، ويفوته أجر الصبر على المصيبة، وقد ينتفي إيمانه، ويستحق العذاب في الآخرة.

ولهذا قال تعالى ـ وهو يحذر من الهلع والجزع -: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المعارج: ١٩ – ٢٢]

قال السعدي: " فيَجزع إن أصابه فقرٌ أو مرضٌ، أو ذهابُ محبوبٍ له من مالٍ أو أهل أو ولدٍ، ولا يَستعمل في ذلك الصبر والرضا بما قضى الله " (١)

وقال الله تعالى ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف: ١٨]، قال ابن القيم: أي " لا جزع فيه "(٢)

لما أسرت قريش خُبيبَ بن عَديّ، وقرروا صلبه، قال: " ذروني أركع ركعتين، فركع ركعتين، ثم قال، لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطوَّلتها، اللهم أحصهم عدداً " (٣).

وفي الحديث: " **إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ** " (٤).

ومعنى: " فله الصبر " أي له أجره العظيم، ومعنى:" فله الجزع " أي له عقوبته الوخيمة في الدنيا والآخرة.

قال عليٌ رضي الله عنه للأشعث بن قيس: " إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جَزِعت، جرى عليك القلم وأنت مأزور " (٥).

---

(١) – تفسير السعدي.

(٢) – بدائع الفوائد.

(٣) – رواه البخاري

(٤) – رواه أحمد وغيره وانظر صحيح الجامع.

(٥) – أدب الدنيا والدين.

فهذا الرجل الذي قتل نفسه، حمله على ذلك، الجزع والعياذ بالله.

❑ فائدة (٣): وهل الجزع وحده، هو سبب قتل الانسان نفسه ؟

الجواب: هناك أسباب كثيرة توقع صاحبها في الانتحار (قتل النفس)، منها: اليأس:

يأس العصاة والمذنبين من رحمة الله ومغفرته، اليأس من زوال الشدائد وتفريج الكروب، اليأس من التغيير، اليأس من ارتفاع الذلة والمهانة عن المسلمين، اليأس من إجابة الدعاء، وغيرها من صور اليأس المعروفة !!

لكن المؤمن حقـًا لا يعتريه يأس ولا ينتابه قنوط، لأنه يعلم أن له إلهـًا كبيراً وربـًا عظيمـًا يلجأ إليه في الشدائد، ويدعوه في الضراء والصعائب، ويركن إليه في جميع الأحوال، ويرضى بقضائه، ويطمئن بفعاله.

وقد قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر: ٥٦]

أسباب الانتحار كثيرة؛ لكن مَرَدُّها جميعـًا إلى ضعف الإيمان، والابتعاد عن الدين.

ذلك لأن الإنسان مكّون من جسد وروح، فالجسد إذا لم يتناول غذاءه وضروراته هلك، وغذاؤه من الأرض، طعام وشراب ونحوها، والروح إذا لم يتناول غذاءه وضروراته هلك كذلك، وحاول صاحبُه التخلص من الحياة، وغذاء الروح من السماء، الايمان بالله ومعرفته، وطاعته، وذِكره.

ولهذا أصبحت الحياة في ديار الغرب لا تطاق، رغم أن تلك الشعوب تعيش

حرية كاملة، ومع ذلك فمرض الاكتئاب يَدُبُّ في أوصالهم ويأكل قلوبهم، لم تستطع الثورة الجنسية، والحياة الكاملة المحترمة، والانغماس في الملذات والشهوات والمخدرات والمسكِرات، لم يستطع ذلك كله أن يوفر السعادة النفسية المنشودة، أو الحياة الطيبة المقصودة، بسبب افتقادهم لغذاء الروح، الإيمان بالله، وذكر الله، وطاعته.

ولهذا استحدثوا أموراً لمحاربة الانتحار المتزايد، أنشئوا مراكز يتلقون فيها مكالمات الذين يفكرون في الانتحار، أو من لديهم مشاكل نفسية أو عاطفية، وهذه الخدمات ٢٤ ساعة، ومجاناً؛ لكن بلا طائل !!

لماذا ؟ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٥، ١٢٦]

❏ فائدة (٤): حكم الانتحار:

وقوله ﷺ: " **بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة** " فيه أن الانتحار من كبائر الذنوب، وقد يصل إلى الكفر بالله، إذا كان مرتكبُه قد اعترض على أقدار الله، ولم يُعجبه نظام الحياة عياذاً بالله.

يقول ﷺ: " **من تردّى من جبلٍ ـ أي أسقط نفسه ـ فقتل نفسه، فهو في نار جهنم، يتردَّى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها بطنه ـ يطعن ـ في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً** "[(١)].

---

(١) – متفق عليه.

وقال ﷺ: **" ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عُذِّب به يوم القيامة "** (١).

وقال ﷺ: **" الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعن نفسه يطعنها في النار، والذي يقتحم، يقتحم في النار "** (٢).

وتأمل هذه الحادثة، حتى تعلم خطر الإقدام على هذا الفعل الشنيع:

في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون، فلما مال رسول الله إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجلٌ لا يدعُ شاذَّة ولا فاذَّة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحدٌ كما أجزأ فلان، فقال ﷺ: " أما إنه من أهل النار ".

فقال رجلٌ من القوم:أنا صاحبه أبداً [يعني سأصحبه لأرى حاله]، فخرج معه، كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، فجُرح الرجل جُرحـًا شديداً، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه [المكان الذي يمسك به المقاتل] الأرض، وذبابَه [حديدته] بين ثدييه، ثم تحامل على نفسه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ يقول: أشهد أنك رسول الله، قال: وما ذاك ؟ قال: الرجل الذي ذكرت آنفـًا أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحـًا شديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابَه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال صلى الله عيه وسلم: " إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار،

---

(١) – متفق عليه.

(٢) – رواه البخاري.

وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بالخواتيم " (١).

وفي رواية لهما: أن النبي ﷺ لما أُخبرأن الرجل قتل نفسه كبّر وقال: أشهد أني عبد الله ورسوله، ثم أمر بلالاً، فنادى في الناس أنه " لن يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " (٢).

❐ فائدة (٥): كيف والحياة نعمة ؟:

الحياة نعمةٌ عظيمة من نعم الله يجب اغتنامها في مرضاة الله، يدل على كونها نعمة: أن النبي ﷺ، كان إذا استيقظ من نومه قال: " **الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور** "(٣) لأن ذلك اليوم يمكن أن يرجع فيه عاصٍ، ويتوب فيه مذنب، ويتقرب إلى الله متقرِّب، ويمكن للمحسن أن يزداد فيه إحسانـًا، فقد كان ﷺ إذا استيقظ من نومه قال: "**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى عَافَانِى فِى جَسَدِى وَرَدَّ عَلَىَّ رُوحِى وَأَذِنَ لِى بِذِكْرِهِ**" (٤) وكان ﷺ يقول:: "**خيركم من طال عمره وحسن عمله**" (٥) فطول العمر مع حسن العمل، يُبَلِّغ الدرجات العلى والنعيم المقيم.

وانظر كيف فرَّق النبي ﷺ بين رجلين مات الأول قبل الآخر بجمعة، كما في حديث عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ السُّلَمِىِّ قَالَ: "آخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقُتِلَ

---

(١) – رواه البخاري ومسلم.

(٢) – متفق عليه.

(٣) رواه البخاري.

(٤) صحيح سنن الترمذي.

(٥) صحيح سنن الترمذي.

أَحَدُهُمَا(١) وَمَاتَ الآخَرُ بَعْدَهُ بِجُمُعَةٍ أَوْ نَحْوِهَا، فَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ (٢)فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"مَا قُلْتُمْ "** ؟ فَقُلْنَا: دَعَوْنَا لَهُ وَقُلْنَا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَأَلْحِقْهُ بِصَاحِبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"فَأَيْنَ صَلاَتُهُ بَعْدَ صَلاَتِهِ؟ وَصَوْمُهُ بَعْدَ صَوْمِهِ ؟ وَعَمَلُهُ بَعْدَ عَمَلِهِ؟ إِنَّ بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ"** (٣)

فانظر كيف سبق الرجل الذي مات على فراشه، أخاه الذي مات شهيداً، وارتفعت درجته فوق درجته، بسبب أيام عاشها بعده، فكيف لو عاش بعده سنة؟ فاغتنم حياتك قبل موتك، فإن الموت يأتي فجأة، وإن الموتى جميعاً عند قبض أرواحهم يطلبون الرجعة إلى الدنيا لما عرفوا قيمة الحياة، لكن هيهات هيهات، قد جاء وقت الممات، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٠]

قال قتادة: "ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة، ولا أن يجمع الدنيا ويقضي الشهوات، لكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله" (٤)

□ فائدة (٦) أخيراً: الوقاية من الآفة، والنجاة من الخطر:

١-تعزيز عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في نفس المؤمن:

فإذا علم العبد وأيقن أن كلّ ما يجري في هذا الكون، قد كتبه الله قبل أن

---

(١) أي مات شهيداً.

(٢) أي على الثاني.

(٣) رواه أبوداود والنسائي، وصححه الألباني.

(٤) تفسير ابن كثير.

يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وأنه إنما كتبه بعلمه وإرادته وحكمته ومشيئته، إذا علم العبد ذلك استراح، ورضي، فلم يحزن على ما فات، ولم يخف مما هو آت.

وتأمل هاتين الآيتين:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣ ﴾ [الحديد: ٢٢]

الثانية: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١١ ﴾ [التغابن:١١]

٢-الرضا والقناعة:

ففي الحديث: **" قد أفلح من أسلم، ورُزق عفافـًا، وقنعه الله بما آتاه "** (١).

وقال ﷺ: **" ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس "** (٢).

وقال ﷺ: **" وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس "** (٣).

٣-حسن الظن بالله:

فلن يجد الحزن سبيلاً إلى قلب أحسن ظنه بالله، ورجا رحمة الله.

ففي الحديث القدسي، يقول الله سبحانه: **" أنا عند ظن عبدي بي "** (٤).

---

(١) - رواه مسلم مرفوعـًا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) - متفق عليه.

(٣) - رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) - متفق عليه.

وعند الطبراني والحاكم: " **فليظن بي ما شاء** " وعند أحمد: " **إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله** " وانظر صحيح الجامع.

٤-الصبر والمصابرة:

قال الله سبحانه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧]

ولهذا نهى النبي صلى الله ﷺ المؤمن عن تمني الموت بسبب البلاء، فقال: " **لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ أصابه فإن كان لابد فاعلاً فليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي** " (١).

٥-المحافظة على الصلاة:

وقتـًا، وجماعةً، وخشوعـًا وخضوعـًا.

قال سبحانه: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٤٥]

ولقد كان نبينا ﷺ إذا نزل به كربٌ استعان بالصلاة، رجاءَ أن يكشف الله عنه الكرب، كما في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ إذا حزبه أمرٌ، همٌ أو غمٌ، صلى " (٢).

---

(١) – متفق عليه.

(٢) – صحيح أبي داود.

٦-الدعاء واللجأ إلى رب الأرض والسماء:

قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ﴾ [الروم: ٣٣]

وقال عز من قائل: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل: ٦٢]

قال ابن كثير: "يُنبِّه تعالى أنه هو المدعوّ عند الشدائد، المرجوّ عند النوازل"(١).

وقال ﷺ: **"الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء"**(٢).

فكم كشف الله من همٍّ بالدعاء ؟ وكم فرّج الله من ضيق بالدعاء ؟

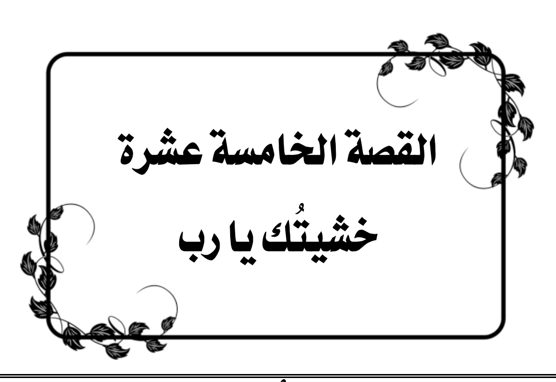
وكم فتح الله من أبواب للأمل بالدعاء ؟ وكم أغلق الله من أبواب للفتن والبلاء بسبب الدعاء ؟

فاللهم إنا نسألك حسن الخاتمة



(١) - تفسير ابن كثير.

(٢) - صحيح الجامع.



القصة الخامسة عشرة

خشيتُك يا رب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، لَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَاحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ، فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ! -أو قال: مَخَافَتُكَ- فَغَفَرَ لَهُ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي البَابِ عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الخدْرِيِّ، وَحُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، وَأَبِي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

(**كان رجل يُسرف على نفسه**): السرف: هو مجاوزة الحد، والمعنى أن هذا الرجل كان مبالغـًا في المعاصي مُكثراً منها.

(**لما حضره الموت**) أي حضرت أسبابه، وظهرت علاماته وشعُر ببوادره.

(**قال لبنيه: إذا أنا متُّ فاحرقوني ثم اطحنوني ثم ذرُّوني في الريح**): أي فرقوني في الهواء.

❐ فائدة (١): الوصية:

هذا الذي قاله هذا الرجل لبنيه، هو بمثابة الوصية، والوصية شرعًا لها أحكام:

- قد تكون واجبة: كما إذا كان للمسلم حقوقٌ عند الآخرين أو عليه حقوق لآخرين، فقد قال ﷺ: **" ما حقُّ امرئٍ مسلم يبيت ليلتين وله شيءٌ يريد أن يوصي فيه، إلا ووصيته مكتوبةٌ عند رأسه "** (١).

- وقد تكون مستحبة: كما إذا وصى الإنسان بشيءٍ من ماله في طُرُق البر والإحسان والخير، كما قال ﷺ: **" إن الله تصدق عليكم عند وفاتكم بثلث أموالكم زيادةً في أعمالكم "**(٢).

- وقد تكون الوصية محرمة: كما إذا أوصى الإنسان بمحرم.

كأن يوصي بأكثر من الثلث أو يوصي لأحد من الورثة دون الآخر، أو إذا قصد الإضرار بأحد الورثة، أو أن يوصيَ أولاده بألا يشهد أخوه جنازته، ومن الوصايا المحرمة: وصية هذا الرجل في الحديث الذي معنا، فإن إحراق الجسد بالنار في شرعنا جناية، فهو شعار ديانات أخرى باطلة.

وهنا تساؤل: ما الذي دعا هذا الرجل أن يوصي أولاده بهذه الوصية ؟

الجواب: قوله:

(فوالله لئن قدر الله عليّ ليُعذبني عذابًا ما عذبه أحداً)

---

(١) – متفق عليه.

(٢) – رواه ابن ماجه وغيره وانظر صحيح الجامع.

❐ فائدة (٢): الجهل بالله خطره شديد:

حمله هذا القول جهله بالله، جهله بأن الله على كل شيءٍ قدير، وأنه تعالى يبعث عباده يوم القيامة، ومنهم من قد أكلته السباع، ومنهم قد أكلته الأسماك، ومنهم من قد أكلته النيران، ومنهم من قد صار إلى تراب اختلط بغيره أو تحول إلى مادة أخرى؛ لكن الله تعالى قادرٌ على إحيائهم وبعثهم من بطون السباع والأسماك والطير، ومن بطن الأرض، كما قال سبحانه: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم:٩٣ – ٩٥]

❐ فائدة (٣): العذر بالجهل، ومتى يكون؟

وفيه أن الجاهل معذور، لأنه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فهذا رجلٌ شكَّ في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُرِّي، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفرٌ باتفاق المسلمين؛ لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله تعالى أن يعاقبه، فغَفر له بذلك " (١).

والجهل الذي يُعذر به صاحبه: الجهل الناشئ عن عدم البلاغ، لا عن الإعراض عن الحجة البيانية كتاباً وسنة..." (٢)

فالجاهل الذي يمكنه أن يسأل ويصل إلى العلم ليس بمعذور، فلابد أن يتعلم، ولابد أن يسأل ويبحث، والجاهل الذي يريد الحق غير الجاهل الذي لا يريد الحق، فالذي لا يريد الحق غيرُ معذور حتى ولو لم يستطع أن يصل إلى

---

(١) – مجموع الفتاوى.

(٢) – فصول في الفكر والمنهج للمؤلف.

العلم لأنه لا يريد الحق، أما الذي يريد أن يعلم الحق فهذا إذا بحث عن الحق ولم يصل إليه فهو معذور " [١].

(فلما مات فُعل به ذلك) أي أحرقوه وطحنوه وذَرُّوه في الهواء كما أمرهم.

❐ فائدة (٤): هل تُنَفَّذ الوصايا المحرَّمة؟

وقد أخطئوا غاية الخطأ، لأن الوصايا المحرمة عمومـًا لا يُتمسك بها، ولا يجوز تنفيذها.

❐ فائدة (٥): حقيقة هذه القصة:

قال الحافظ ابن حجر: " وهذا جميعه كما قال ابن عقيل: إخبار عما سيقع له يوم القيامة، وليس كما قال بعضهم، إنه خاطب روحه فإن ذلك لا يناسب قوله: فجمعه الله لأن التحريق والتفريق إنما وقع على الجسد، وهو الذي يُجمع ويعاد عند البعث " [٢].

وإنما جاء التعبير بصيغة الماضي لأن كلَّه عند الله سواء، ما سيقع كأنه وقع.

(فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك، ففعلت، فإذا هو قائم) وفي رواية: " فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البرّ فجمع ما فيه " [٣].

وفي حديث سلمان الفارسي ـ عند أبي عوانة في صحيحه ـ: " **فقال الله له: كن، فكان كأسرع من طرفة العين** " .

---

(١) – أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر – عبد العزيز الراجحي.
(٢) – فتح الباري.
(٣) – عند البخاري.

❐ فائدة (٦): لا يُعجزه شيء:

وهذا إنما يدل على قدرة الله عز وجل، وأنه لا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، قدرته لا تحتاج إلى مقدمات أو أسباب، أو أعوان أو خبراء ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨١]، قال سبحانه: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان: ٢٨]

أي كخلق نفس واحدة، فسبحانه لا يشق عليه شيء، القليل والكثير عنده سواء، حين سئل عليٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كيف يحاسب الله الناس جميعـًا في آن واحد ؟ قال كما يرزقهم جميعـًا في آن واحد " (١)

وكل شيء مهما عظُم هو على الله هيِّن.

لما قال زكريا لربه ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ ﴾ [مريم: ٨، ٩]

ولما قالت مريم: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [مريم: ٢٠، ٢١] (٢)

(فقال: ما حملك على ما صنعت ؟ قال: خشيتك يا رب ـ أو قال: مخافتك ـ فغفر له)

---

(١) – تفسير ابن جُزيّ.

(٢) – انظر أسما: القادر، القدير، والمقتدر من كتابي: " إنه الله "

فائدة (٧): ثمرة خشية الله:

ونستفيد من ذلك أن ثمرة خشية الله والخوف منه: مغفرة الله لعبده وعفوه عنه، فهذا الرجل غفر الله له ذنوبه العظيمة لِمَا وقع في نفسه من مخافة الله سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾ الملك: ١٢.

فائدة (٨): ومن ثمرات خشية الله:

- ومن ثمرات خشية الله: النجاة يوم القيامة من عذاب الله، كما قال ﷺ **"ثلاث منجيات..." وذكر منها: " وخشية الله في السر والعلن"** (١).

قال المناوي: " قَدَّم السر، لأن تقوى الله فيه أعلى درجةً من العلن..." (٢).

- ومن ثمرات خشية الله: أنها تسوق العبد إلى امتثال المأمور واجتناب المحظور، قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل، لينالوا بهما القرب من الله تعالى " (٣).

وعن عبيد الله بن أبي جعفر أنه قال: كان يقال: " ما استعان عبدٌ على دينه بمثل الخشية من الله " (٤).

---

(١) - رواه البيهقي في البعث، وأبو نعيم في الحلية، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.
(٢) - فيض القدير.
(٣) - مختصر منهاج القاصدين.
(٤) - شعب الإيمان للبيهقي، والمحاسبة لابن أبي الدنيا.

ذلك أن خشية الله هي التي تحمل على صيام النهار وقيام الليل، وفعل الفرائض وترك المحرمات، ولولا الخشية لأخلد الناس إلى المعاصي والشهوات والذنوب.

- **ومن ثمرات خشية الله**: الأمن يوم الفزع الأكبر.

قال الله تعالى: **" وعزتي وجلالي، لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمِنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمَّنته يوم أجمع عبادي.."** (١).

وفي الصحيحين قال ﷺ: **" سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله "** وذكر منهم: **" ورجل دعته امرأةٌ ذات منصبٌ وجمال، فقال: إني أخاف الله..."**

قال الفضيل بن عياض: " من خاف الله تعالى لم يضرَّه شيء، ومن خاف غير الله لم ينفعه شيء "(٢).

❑ **فائدة (٩): نخاف مِن مَن؟**

والخوف إنما يكون من الله وحده، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ ﴾ [البقرة: ٤٠] أي لا ترهبون أحداً غيري، وقال سبحانه: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٧٥ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٤٤]

وقال سبحانه ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ

---

(١) - رواه أبو نعيم في الحلية وانظر الصحيحة وصحيح الجامع.

(٢) - شعب الإيمان للبيهقي.

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [التوبة: ١٨]، والأمر كما قال أبو عمرو الدمشقي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: " حقيقة الخوف: ألا تخاف مع الله أحداً" (١).

❑ فائدة (١٠): أعمال القلوب:

وفي الحديث دلالة على أن "عمل القلب؛ كالمحبَّة له والتوكُّل عليه، والإنابةِ إليه والخوفِ منه، والرَّجاءِ له وإخلاص الدِّين له، والصَّبرِ على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره، والرِّضى به وعنه، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والذلِّ له والخضوع، والإخباتِ إليه والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرْضها أفرْضُ من أعمال الجوارح، ومستَحَبُّها أحبُّ إلى الله من مستحَبِّها، وعمَل الجوارح بدونها إمَّا عديم المنفعة أو قليل المنفعة" (٢)

فهذا الرجل بلغ به ما بلغ من التجاوز عنه والمغفرة له بسبب خوفه من الله وخشيته له.

ولذا كان عمَل القلب أعظَمَ خطرًا من عمَل الجوارح، وأشدَّ أمرًا؛ فمَن أتى بعمَل الجوارح غافلًا عن عمَل القلب كان ضالًّا أو مقصِّرًا بحسب نوع ترْكه لعمل القلب، قال ابن القيم: "إنَّ لله على العبد عبوديتَين؛ عبوديةً باطِنة وعبوديَّة ظاهرة، فله على قلبه عبوديَّة، وعلى لسانه وجوارحِه عبودية؛ فقيامُه بصورة العبوديَّة الظَّاهرة مع تعرِّيه عن حقيقة العبوديَّة الباطِنة ممَّا لا يقرِّبه إلى ربِّه ولا يوجِب له الثَّواب وقبول عمله؛ فإنَّ المقصود امتِحانُ القلوب وابتلاء السَّرائر، فعمل القلب هو رُوح العبوديَّة ولبُّها، فإذا خَلا عمَل الجوارح منه كان كالجسد

(١) – شعب الإيمان: للبيهقي.

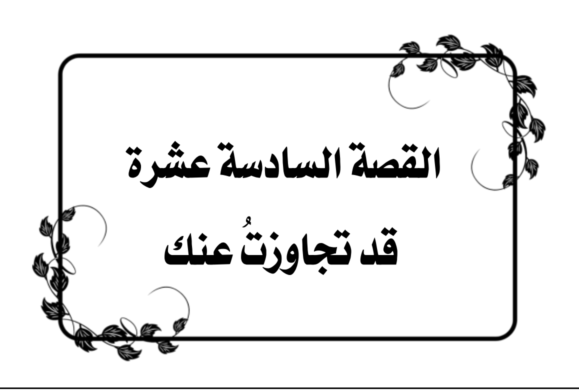
(٢) مدارج السالكين.

الموات بلا رُوح" (١)

اللهم إنا نسألك خشيتك في السر والعلن.



(١) بدائع الفوائد.



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ يَتَقَاضَى، قُلْتُ لَهُ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، قَالَ اللهُ: قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ".

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، أخرَجَهُ النَّسَائيُّ، وابْنُ حِبَّانَ، وَالحَاكِمُ.

(إن رجلاً لم يعمل خيراً قط)

❒ فائدة (١): هل كان هذا الرجل مؤمنـًا بالله؟

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: " فقول هذا الرجل الذي لم يعمل خيراً قط غير تجاوزه عن غرمائه: لعل الله أن يتجاوز عنا، إيمان وإقرار بالرب ومجازاته "(١).

كما جاء في رواية لحديث الرجل الذي قال لولده: إذا أنا مت فاحرقوني ثم اطحنوني ثم ذرُّوني في الريح..." وهو حديث متفق عليه، جاء في رواية: " قال

(١) – التمهيد.

رجل لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد "

قال ابن عبد البر: " وهذه اللفظة إن صحت رفعت الإشكال في إيمان هذا الرجل، وإن لم تصح من جهة النقل، فهي صحيحة من جهة المعنى، والأصول كلها تُعضدها، والنظر يوجبها، لأنه محالٌ غير جائز أن يغفر للذين يموتون وهم كفارٌ، لأن الله عزوجل أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافراً، وهذا ما لا مدفع له ولا خلاف فيه بين أهل القبلة..." (١).

(وكان يداين الناس) أي يقرضهم القروض الحسنة، أو يبيع لهم إلى أجل.

فهذان معنيان، فيهما فائدتان:

❐ فائدة (٢): فضل القرض الحسن:

فيه بيان فضل القرض الحسن، وأن الله تعالى يُخلف على صاحبه به خَلفاً كبيراً، ويضاعف له به أضعافاً كثيرة، كما قال عز من قائل: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٥]

وعن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة "** قال: **ثم سمعته يقول: "من أنظر معسراً فله بكل يوم مثلاه صدقة " قلت: يا رسول الله سمعتك تقول:** (فذكر اللفظ الأول) **ثم سمعتك تقول:** (فذكر اللفظ الآخر) قال: **" له بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين، فإذا حل الدين، فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة "**(٢).

---

(١) – التمهيد.

(٢) – رواه أحمد، والحاكم وأبو نعيم وغيرهم وصححه الألباني في الصحيحة وصحح =

فائدة (٣): حكم البيع إلى أجل:

وفيه جواز البيع إلى أجل (البيع بالتقسيط)

وقد ورد النص بجواز بيع النسيئة، وهو البيع مع تأجيل الثمن.

روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اشْتَرَى طَعَامًا مِنْ يَهُودِيٍّ إِلَى أَجَلٍ وَرَهَنَهُ دِرْعًا مِنْ حَدِيدٍ ".

وهذا الحديث يدل على جواز البيع مع تأجيل الثمن، وبيع التقسيط ما هو إلا بيع مؤجل الثمن، غاية ما فيه أن ثمنه مقسط أقساطاً لكل قسط منها أجل معلوم.

ولا فرق في الحكم الشرعي بين ثمن مؤجل لأجل واحد، وثمن مؤجل لآجال متعددة.

وروى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "جَاءَتْنِي بَرِيرَةُ فَقَالَتْ كَاتَبْتُ أَهْلِي عَلَى تِسْعِ أَوَاقٍ فِي كُلِّ عَامٍ وَقِيَّةٌ "

وهذا الحديث يدل على جواز تأجيل الثمن على أقساط.

والنصوص وإن وردت بجواز تأجيل الثمن إلا أنه لم يرد في النصوص جواز زيادة الثمن من أجل التأجيل.

ولهذا اختلف العلماء في حكم هذه المسألة، فذهب جماهير العلماء ومنهم الأئمة الأربعة إلى جوازه.

= الجامع.

واستدلوا على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة، منها:

قوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ ﴾ [البقرة:٢٧٥]، فالآية بعمومها تشمل جميع صور البيع ومنها زيادة الثمن مقابل الأجل.

وروى البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يُسْلِفُونَ بِالتَّمْرِ السَّنَتَيْنِ وَالثَّلَاثَ فَقَالَ: مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ فَفِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ"

وبيع السلم جائز بالنص والإجماع، وهو شبيه ببيع التقسيط، وذكر العلماء من حكمته أنه ينتفع المشتري برخص الثمن، والبائع بالمال المعجل، وهذا دليل على أن للأجل في البيع نصيباً من الثمن، وأن هذا لا بأس به في البيوع. (١)

وجرى عمل المسلمين على جواز زيادة الثمن مقابل التأجيل من غير نكير منهم. فصار كالإجماع على جواز هذه الصورة من صور البيع.

سئل الشيخ ابن باز عن حكم الزيادة في الثمن مقابل الأجل فقال:

إن هذه المعاملة لا بأس بها لأن بيع النقد غير التأجيل، ولم يزل المسلمون يستعملون مثل هذه المعاملة وهو كالإجماع منهم على جوازها، وقد شذ بعض أهل العلم فمنع الزيادة لأجل الأجل وظن ذلك من الربا وهو قول لا وجه له وليس من الربا في شيء لأن التاجر حين باع السلعة إلى أجل إنما وافق على التأجيل من أجل انتفاعه بالزيادة والمشتري إنما رضي بالزيادة من أجل المهلة وعجزه عن تسليم الثمن نقداً، فكلاهما منتفع بهذه المعاملة، وقد ثبت عن النبي

---

(١) انظر: المغني.

ﷺ ما يدل على جواز ذلك وذلك أنه ﷺ أمر عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن يجهز جيشاً فكان يشتري البعير بالبعيرين إلى أجل، ثم هذه المعاملة تدخل في عموم قول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ [البقرة:٢٨٢]

وهذه المعاملة من المداينات الجائزة الداخلة في الآية المذكورة وهي من جنس معاملة بيع السلم... اهـ (١)

(**فيقول لرسوله**): أي خادمه أو أجيره.

(**خذ ما تيسر**): أي خذ حقَّنَا ممن يملك السداد، أو لا تقف على الحق كله إذا لم يكن موجوداً.

❐ فائدة (٤): من هدي الإسلام السماحة في المعاملة:

فينبغي على العبد أن يكون هيناً ليناً سهلاً، في مختلف المجالات، وخاصة في القضايا المالية من بيع وشراء ومداينة وغيرها، فقد قال ﷺ: " **رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى** " (٢).

❐ فائدة (٥): مطل الغني ظلم:

وفيه أنه يجب على المدين إن كان يملك ما يوفى به دينه أن يعيده إذا طلبه الدائن، دون مماطلة ولا تسويف، فقد قال ﷺ: " **مطل الغني ظلم** " (٣).

---

(١) فتاوى إسلامية (٢/ ٣٣١)

(٢) – رواه مسلم.

(٣) – متفق عليه.

وقال ﷺ: **" من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله "** (١).

(**واترك ما عسر**): أي تجاوز وتساهل مع من لا يملك.

❐ **فائدة (٦): وجوب إنظار المعسر:**

وفيه فضل إنظار المعسر: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقد قال ﷺ: **" من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله "** (٢)، وقال ﷺ: **" من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فليُنفس عن معسر أو يضع عنه "** (٣).

(**وتجاوز**) أي أُعف وتغافل.

(لعل الله أن يتجاوز عنا)

❐ **فائدة (٧): فضل الاحتساب:**

فيه بيان فضل الاحتساب، ومعناه استشعار الثواب، فإن من أعظم المعينات على الطاعات عدم الغفلة عن هذا المعنى، فإن من رحمات ربنا بنا أن رتب على كل عمل مهما صغر الأجر العظيم، وخبّرنا به، ليكون ذلك عونـاً لنا على العمل.

(فلما هلك، قال الله: هل عملت خيراً قط ؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام

---

(١) – رواه البخاري.

(٢) – متفق عليه.

(٣) – رواه البخاري.

وكنت أداين الناس، فإذا بعثته يتقاضى – يجمع الديون – قلت له: خذ ما تيسر واترك ما عسُر وتجاوز، لعل الله أن يتجاوز عنا)

❐ فائدة (٨): حقيقة الرجاء:

في ذلك دليلٌ على أن الرجاء المقبول عند الله هو ما صاحبه العمل، فمن عمل خيراً فرجا خيراً، قُبِل رجاؤه، لكن من لم يعمل، أو عمل شراً، ثم رجا خيراً كيف يُقبل رجاؤه؟ كما رُوي عن الحسن البصري أنه قال: " وإن أحدكم يقول: أنا أحسن الظن بالله، وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل " ومصداق ذلك في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

تأمل كيف وصفهم الله بأنهم راجون لرَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد إتيانهم الطاعات وتقربهم إلي الله بأعظم القربات وهي الهجرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " أجمع العارفون علي أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل " (١)

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري علي اليبس.

(قال الله: قد تجاوزت عنك)

❐ فائدة (٩): أعمال القلوب ومكانتها:

وقول هذا الرجل: "لعل الله أن يتجاوز عنا" عملٌ قلبيٌ مهم، وهو الرجاء،

---

(١) مدارج السالكين.

رجاء العفو والمغفرة والثواب، هذا العمل كان سببـًا في نجاته وتجاوز الله عنه.

والسَّائرون إلى الله في أعمال القلوب أقسام:

الأول: قسم اعتنَوا بالأعمال الظَّاهرة وجعلوها دأبَهم من غير حِرص منهم على تَحقيق أعمال القلوب ومنازلِها وأحكامِها، وإن لم يكونوا خالين من أصلها، ولكنَّ هِمَمَهم مَصروفة إلى الاستِكثار من الأعمال الظَّاهرة.

فترى أحدَهم يقيم الصَّلاةَ غير أنَّه لا يَعتني بخُشوعها وإظهارِ الذلِّ والاستِكانة فيها، ويَعتني بعدَم سَماع المحرَّم من غيبةٍ أو نميمة غير أنَّ قلبه مَخمور بالحِقد والكِبْرِ والعُجب.

وهذا حال كثيرٍ من النَّاس، بل وقد يَنتسب أحدهم إلى العلم ويَعتني بالأعمال الظَّاهرة، وقلبه مبتلًى وهو لا يَنتبه لذلك ولا يعقله.

الثاني: قسم صرَفوا اهتمامَهم بصَلاح قلوبهم وعُكوفِها على الله وحده وحفظِ الخواطِر، واعتنَوا بأعمال القلوب؛ من تَصحيح المحبَّةِ، والخوف والرَّجاء، والتوكُّلِ والإنابة، غير أنَّهم ترَكوا بعضَ ما يحبُّه الله من الأعمال الظَّاهرة؛ كالدَّعوة إلى الله، وتعليمِ النَّاس الخير، ونحوِ ذلك.

فالأوَّلون قصَّروا؛ حيث أَهملوا أعمالَ القلوب ولم يَلتفتوا إليها وعدُّوها فضلًا أو فضولًا، والآخرون قصَّروا؛ حيث قصَروا نظرَهم وعملَهم عليها، ولم يلتفِتوا إلى كثيرٍ من أعمال الجوارح.

الثالث: وقسمٌ توسَّطوا؛ فاعتنَوا بأعمال القُلوب كما اعتنَوا أيضًا بالأعمال الظَّاهرة، غير أنَّ لعمل القلب عندهم فضلًا.

فهؤلاء هم الذين وفَّقهم اللهُ؛ فجمعوا بين عبوديَّةِ الظَّاهر وعبوديَّةِ الباطِن،

وهذا طريق السَّابقين العارفين.[1]

❐ فائدة (١٠): القاعدة الذهبية:

وفيه أن الله تعالى يعامل عبده بنفس المعاملة التي يتعامل بها مع الناس، فمن عفا عفا الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن أعطى أعطاه الله.

❐ فائدة (١١): الجزاء من جنس العمل:

وفيه أن الجزاء من جنس العمل، فكما أن الدائن أنقذ المدين من ضيقه وكربه وشدته في الدنيا، كذلك أنقذ الله الدائن من كرب يوم القيامة وأهواله وشدائده، كما قال ﷺ: " والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه "[2]

❐ فائدة (١٢): الشكور جل جلاله يَجزي على القليلِ الكثيرَ:

وفيه أن القليل من الحسنات والأعمال الصالحة إذا كان خالصاً لله، يكفر الله بها كثيراً من الذنوب والسيئات.

فاللهم اعف واغفر وتجاوز



(١) انظر: الفوائد لابن القيم.

(٢) - رواه البخاري.



القصة السابعة عشر
المتألِّي على الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا مُذْنِبًا، وَالْآخَرُ مُجْتَهِداً فِي الْعِبَادَةِ، وَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟! فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ!، أَوْ: لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ رُوحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ أبو دَاوُدَ، وأَحْمَدُ.

(**كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين**) أي متضادين في السعي، فكان أحدهما ساعياً في الخير، وكان الآخر ساعياً في الشر، وقيل: المعنى كانا متصادقين، أي تربطهما صداقة.

(**وكان أحدهما مذنبًا، والآخر مجتهداً في العبادة، وكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر**) أي كفّ عن المعاصي، واتق الله.

فائدة (١): المؤمن ناصحٌ لغيره:

وهذا هو شأن المؤمن، لا يسكت على منكر، ويأمر دائمًا بالخير والمعروف، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

لكنَّ المؤمنَ حينما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يكون متلطفًا رفيقًا، ولا يُشعر المدعو أو صاحب المنكر بأنه وصيُّه أو الرقيب عليه، بل يُشعره بأنه رحيمٌ به مشفقٌ عليه، هنا تقع الدعوة موقعها، وينفع الإرشادُ.

وهذا هو قول الله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥].

(فوجده يومًا على ذنب، فقال له:أقصر، فقال: خلِّني وربي، أبُعثت عليّ رقيبًا ؟)

فائدة (٢): سببُ عدم قبول النصيحة:

قد يكون المجتهدُ في العبادة أَشعرَه بذلك فعلاً، وهذا خطأٌ دعويٌ كبير، يَصُدُّ عن الدعوة ويُبعد عن الطريق، ويوقع الداعية نفسَه في الخطر.

فائدة (٣): أبُعِثْتَ عليَّ رقيبًا؟

وهذه الكلمة " أبعثت عليَّ رقيبًا " قد تُقال للداعية تَجَنِّيًا – أي بغير حق – !! والواجب عليه ساعتئذ أن يَنفي ذلك عن نفسه قائلاً: لا لم أُبعث رقيبًا عليك ولا على غيرك، إنما أنت أخي، وأنا عليك حريص، أحبُّ لك الخير كما أحبُّه

لنفسي، وأكره لك الشر كما أكرهه لنفسي.

وهذا ما يسمى بتصحيح المفاهيم، وتغيير الصورة.

لكن للأسف الشديد هذا الرجل ـ المجتهد في العبادة ـ الذي قام بدور الداعية لم يفعل ذلك، بل فعل ما يناقضه وأساء غاية الإساءة.

(فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يُدخلك الجنة)

❐ فائدة (٤): التألي على الله:

سقطة خطيرة وإثم كبيرٌ وقع فيه هذا الرجل الذي كان مجتهداً في العبادة ـ للأسف-، التألي على الله، أن يحلف إنسان على آخرأنه لن يدخل الجنة، أو لن يُغفر له أو لن يوسع الله عليه، أو لن يُكرمه أو نحو ذلك، حتى لو كنت تتحدث عن يهودي أو نصرانيٍّ كافرٍ بالله العظيم فعلاً، إلا أن تقول: إن مات على ذلك، فإنما الأعمال بالخواتيم، ولا يعلم أحدٌ بم يُختم له أو لغيره.

فقد روى ابن حبان في صحيحه من حديث ضمضم بن جَوْس قال: دخلتُ مسجد الرسول ﷺ فإذا أنا بشيخ مُصَفِّرٍ رأسَه [أي صبغها بصفرة] بَرّاقِ الثنايا، معه رجلٌ أدْعج [أي شديد سواد العينين شديد بياضهما] جميل الوجه شابٌ، فقال له الشيخ: يا يماميّ: لا تقولن لرجل أبداً لا يغفر الله لك، أو لا يُدخلك الله الجنة، قلت: ومن أنت يرحمك الله ؟ قال: أنا أبو هريرة، قلت: إن هذه الكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله أو لخادمه إذا غضب عليه، قال: فلا تقلها، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:.... وذكر هذا الحديث، وقال في آخر: والذي نفسي بيده لَتَكَلَّمَ بكلمةٍ أوْبَقَتْ دنياه وآخرتَه "

❐ **فائدة (٥): على قدر التقصير في العلم يكون التقصير في العبادة والمعاملة:**

تأمل النبي ﷺ وهو يصف هذا الرجل قائلاً: " والآخر مجتهداً في العبادة " ولم يذكر أنه كان على علم، ولهذا صدر منه ما صدر، فمهما كان الإنسان مجتهدا في الخير ومكثراً من البر، لكن على غير بصيرة، فإنه يذِل كثيراً ويخطئ أخطاء كبيرة، فالعلم قبل القول والعمل، حتى نعبد الله على بصيرة.

❐ **فائدة (٦): ومن التألي على الله:**

أن نحكم على أحدٍ بجنة على سبيل القطع أو الجزم، أو أن نقول:فلان شهيد، وإنما نقول: نحسبه من أهل الجنة، أو نحسبه شهيداً، وهذا كالدعاء له.

لما تُوفِّي أبو السائب عثمان بن مظعون رضي الله عنه، دخل عليه النبي ﷺ، وكانت بجواره أم العلاء رضي الله عنها فقالت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال لها النبي ﷺ **وما يدريك أن الله قد أكرمه ؟ فقالت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال: أمَّا عثمانُ فقد جاءه والله اليقين، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعل به، فقالت: والله لا أُزكي أحداً بعده أبداً، وأحزنني ذلك، فقالت: فنمتُ، فرأيت لعثمان عينـًا تجري، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: ذلك عمله "** (١)

❐ **فائدة (٧) ومن التألي على الله:**

أن يحلف الإنسان ألا يفعل المعروف !! أن يحلف ألا يصل رحمه الفلاني

(١) – رواه البخاري.

!! أن يحلف أن يظل متخاصماً مع فلان !! ونحو ذلك.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمع رسول الله ﷺ صوتَ خصوم بالباب عاليةً أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر [أي يطلب منه أن يضعَ أو يحط عنه شيئًا من دينه]، ويسترفقه في شيءٍ [أي يطلب منه الرفق في المطالبة]، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج رسول الله ﷺ فقال: أين المتألي على الله لا يفعل المعروف ؟ فقال: أنا يا رسول الله، وله أيُّ ذلك أحب " (١) أي سأفعل ما يطلبه خصمي.

(فقَبض أرواحَهما فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمـًا ؟ أوْ كنت على ما في يدي قادراً ؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار)

❑ فائدة (٨): التألي من محبطات الأعمال:

فيه أن التألي على الله من محبطات الأعمال، ومن أسباب العذاب والنكال والوبال، ويؤكد ذلك ما رواه مسلم من حديث جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، فقال ﷺ: قال الله تعالى: من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك.

❑ فائدة (٩): خطورة الكلمة:

وفيه بيان خطورة الكلمة، وأنها قد تكون سببـًا في سخط الله على صاحبها، كما قال ﷺ: " **إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يَزِلُّ بها إلى النار أبعد مما**

---

(١) – متفق عليه.

بين المشرق والمغرب " [١].

ولما قال معاذ للنبي ﷺ:"وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال ثكلتك أمك يا معاذ ! وهل يُكِبُّ الناسَ على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم ؟ [٢].

وهذا هو معنى كلام أبي هريرة مُعلِّقًا على حديث المتألي على الله: "والذي نفسي بيده لتَكلَّم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته ".

❑ **فائدة (١٠): لا تحقرنَّ عاصيًا:**

ونستفيد من هذه القصة أن الرجل الصالح لا ينبغي أبداً أن يحتقر أحداً من العصاة أو المقصرين، أو أن ينظر إليه بعين الازدراء، وينظر إلى نفسه هو بعين الرضا والإعجاب، فإن ذلك من موجبات الهلاك.

فالهداية بيد الله، والثبات من الله، ولا يدري أحدٌ بم يختم له، كما لا يدري أحدٌ من الذي ردّه الله، ومن الذي كتب له الحسنى والقبول ؟

ولهذا قيل: رب معصية أوجبت ذلاً واستصغاراً، خيرٌ من طاعة أوْجبت عجبًا واستكباراً.

❑ **فائدة (١١): كن مفتاح خيرٍ، ولا تكن مفتاح شر:**

ونستفيد من هذه القصة أنه لا ينبغي لأحد أن يُقنِّط أحداً من رحمة الله، فالخير في الناس إلى يوم الناس، وربُّ الناس لا يزال يغفر للناس ويرحم الناس ويتوب على الناس إلى يوم الناس.

---

(١) – متفق عليه.

(٢) – صحيح الترمذي.

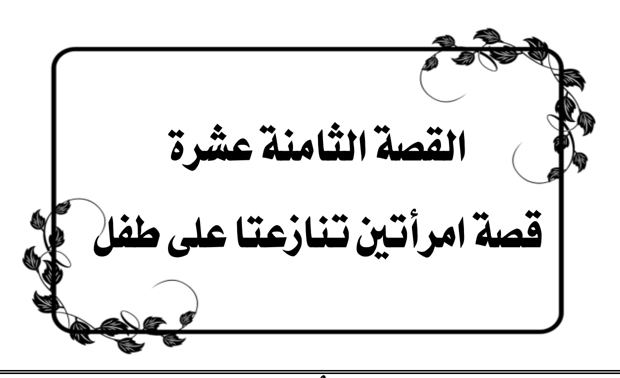
❒ فائدة (١٢): قد يُغفرُ الذنب بلا توبة:

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فيه دلالة لمذهب أهل السنة في غفران الذنوب بلا توبة إذا شاء الله غفرانها " (١)

فاللهم إنا نسألك التوفيق والسداد، ونعوذ بك من الخذلان



(١) - شرح النووي على مسلم.



القصة الثامنة عشرة

قصة امرأتين تنازعتا على طفل

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ! فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا!، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لاَ تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى" هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ!)

❐ **فائدة (١): المصائب قد تُحدث لصاحبها طغيانـًا:**

قد تقع المصيبة على العبد، فبدلاً من أن يُجهد نفسه ليقوم بواجب الرضا، قد يطغى فيأخذ حق غيره، فتكون قد ظهرت نتيجة امتحانه مبكرًا.

(فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى)

❐ **فائدة(٢): فإن قيل: وكيف توصل داود عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى هذا الحكم ؟**

الجواب: توصل إلى ذلك باجتهاده، إما لأنه وجد شبهـًا بين الطفل والمرأة، أو اعتمد قول الكبرى لسنها، أو لكون الطفل كان في يدها، أو لأنها كانت أفصح

لسانـًا، المهم أنه اجتهد فحكم.

❐ فائدة(٣): وهل أخطأ داود عليه السلام في حكمه ؟

الجواب: نعم، كما سيأتي بيانه، ومع ذلك فله أجر اجتهاده، كما قال ﷺ: **"إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ"**(١)، وهذا يدل على أن الأنبياء يجوز لهم أن يجتهدوا فيما لم يُوحَ إليهم بخصوصه، وإذا اجتهد النبي فأخطأ، فإن الله لا يقره على الخطأ، وإنما يَظهر له الصواب بأي صورةٍ كانت، كما وقع ذلك لنبينا ﷺ، في سهوه في صلاته، كما جاء في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: " صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِحْدَى صَلاتَيْ الْعَشِيِّ، قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: وَسَمَّاهَا أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَكِنْ نَسِيتُ أَنَا، قَالَ: فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَامَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ غَضْبَانُ وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَخَرَجَتِ السَّرَعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالُوا: قَصُرَتِ الصَّلاةُ – وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ – فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ فِي يَدَيْهِ طُولٌ ، يُقَالُ لَهُ: ذُو الْيَدَيْنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنَسِيتَ ، أَمْ قَصُرَتِ الصَّلاةُ ؟ قَالَ: لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصَرْ، فَقَالَ: أَكَمَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ، ثُمَّ سَلَّمَ ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَبَّرَ ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ، فَرُبَّمَا سَأَلُوهُ: ثُمَّ سَلَّمَ ؟ قَالَ: فَنُبِّئْتُ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ قَالَ: ثُمَّ سَلَّمَ"

وقد تقرر عند الفقهاء: أن الأنبياء يجوز عليهم الخطأ والنسيان في غير

---

(١) متفق عليه.

التشريع الذي يأتيهم بوحيٍ من الله، ما فيما أُوحي إليهم بخصوصه، فلا ينسَونه، ولا يخطئون في تبليغه، بل هم في هذا معصومون.

(فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا!، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى)

❏ **فائدة (٤): شفقة الوالدين:**

فضل الوالدين لا يقترب منه بعد الله فضل، وكما قال ﷺ: **"لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدَهُ، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ"**(١)، فمهما بذلنا للوالدين وقدَّمنا لهما، لن نصل إلى عشر ما قدموه لنا، ولا يعي ذلك إلا من عانى الأبوة أو الأمومة، فانظر قول الأم وهي تؤْثر سلامة ولدها حتى وإن كان ذلك في سبيل ابتعاده عنها:" لاَ تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا"

❏ **فائدة(٥): استخدام القاضي ونحوه الحيلَ ونحوها، للوصول إلى الحقيقة:**

وفيه أنه يجوز للقاضي أو الحاكم أن يستخدم الحيل والمعاريض ونحوها، للوصول إلى الحقيقة، وكشف الادعاءات.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: " وَأَمَّا سُلَيْمَان فَتَوَصَّلَ بِطَرِيقٍ مِنْ الْحِيلَة وَالْمُلَاطَفَة إِلَى مَعْرِفَة بَاطِن الْقَضِيَّة، فَأَوْهَمَهُمَا أَنَّهُ يُرِيد قَطْعه لِيَعْرِف مَنْ يَشُقّ عَلَيْهَا قَطْعه فَتكُون هِيَ أُمّه، فَلَمَّا أَرَادَتْ الْكُبْرَى قَطْعه، عَرَفَ أَنَّهَا لَيْسَتْ أُمّه، فَلَمَّا قَالَتْ الصُّغْرَى مَا قَالَتْ عَرَفَ أَنَّهَا أُمّه، وَلَمْ يَكُنْ مُرَاده أَنَّهُ يَقْطَعهُ حَقِيقَة،

(١) صحيح سنن ابن ماجه.

وَإِنَّمَا أَرَادَ اِخْتِبَار شَفَقَتهمَا؛ لِتَتَمَيَّز لَهُ الْأُمّ، فَلَمَّا تَمَيَّزَتْ بِمَا ذَكَرْت عَرَفَهَا"(١)

وقد وضع الإمام النسائي عنوانًا لهذا الحديث قائلاً: "السَّعة للحاكم في أن يقول للشيء الذي لا يفعله: أفعله، ليتبين له الحق "(٢)

❑ فائدة(٦): استعمال القرائن:

وفيه أنه يجوز الاستدلال بالقرائن، والعلامات، في القضايا المتنازع فيها، لمعرفة الحق، وذلك عند عدم وجود الأدلة الواضحة.

❑ فائدة(٧): من فضائل نبي الله سليمان:

وفي ذلك بيان فضل نبي الله سليمان، وأن الله تعالى آتاه من قوة الفهم والقدرة على الإصابة في غالب القضايا التي كانت تُعرض عليه، وقد جاء في الحديث أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " **لَمَّا فَرَغَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللهَ ثَلَاثًا: حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، وَمُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَلَّا يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ، إِلَّا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ** ".

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**أَمَّا اثْنَتَانِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ**"(٣)

❑ فائدة(٨): نقض الحاكم حكم غيره:

وفيه أنه يجوز للحاكم أو القاضي أن ينقض ما حكم به غيره، إذا ظهر الحق

(١) شرح النووي على مسلم

(٢) سنن النسائي

(٣) صحيح سنن ابن ماجه

بخلافه.

فائدة(٩): عاقبة الكذب:

وفيه أن الكذب عاقبته وخيمة، وحبله قصير، ولا فائدة فيه أبداً، وهو كما قال ﷺ: "**يهدي إلى الفجور**"(١)

فائدة(١٠): مخالفة الوالد ليس عقوقـًا بإطلاق:

وفي الحديث أن مخالفة الوالد ليس عقوقـًا بإطلاق، بل قد يكون واجبـًا كما هو هنا، وقد أخبرنا القرآن بواقعة أخرى خالف فيها نبي الله سليمان أباه داود عليهما السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

والنفش: هو رعي الغنم ليلاً، ويسمى رعي النهار هملاً.

وخلاصة القصة كما يقول علماء التفسير: أن أغنام رجلٍ دخلت في الليل بستانَ رجلٍ آخر، فلم تُبق منه شيئـًا، فاحتكما إلى نبي الله داود، فحكم بدفع الغنم إلى صاحب الحرث، بدل ما أفسدته أغنامه من حرثه، ولما مرّ الخصمان بسليمان بعدما خرجا من مجلس الحكم، وعلم سليمان بالحكم، لم يرض به، ولما استعلم منه داود عن حكمه في القضية، أشار إليه بأن يعطي صاحب الحرث الغنم، يستفيد من حليبها وصوفها، بقدر ما ضاع عليه من نتاج بستانه، ويُعطَى صاحب الغنم الأرض، فيقوم على رعايتها حتى تعود كما كانت، فإذا

---

(١) رواه مسلم

عاد الحرث، عادت الغنم، هذا ملخص ما قاله أئمة التفسير في هذه القضية، كابن عباس ومجاهد وقتادة.

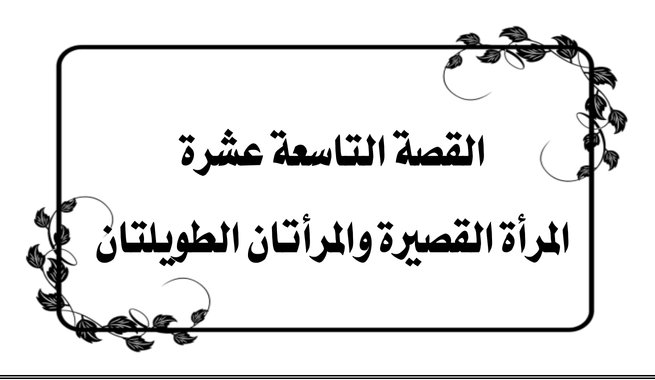
وذكر ابن كثير في تفسيره أن الحافظ ابن عساكر أورد في ترجمة سليمان بن داود قصة مطولة عن ابن عباس، خلاصتها: "أَنَّ امْرَأَةً حَسْنَاءَ فِي زَمَانِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا أَرْبَعَةٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ، فَامْتَنَعَتْ عَلَى كُلٍّ مِنْهُمْ، فَاتَّفَقُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَيْهَا، فَشَهِدُوا عَلَيْهَا عِنْدَ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهَا مَكَّنت مِنْ نَفْسِهَا كَلْبًا لَهَا، قَدْ عَوَّدَتْهُ ذَلِكَ مِنْهَا، فَأَمَرَ بِرَجْمِهَا، فَلَمَّا كَانَ عَشِيَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، جَلَسَ سُلَيْمَانُ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ وِلْدانٌ، مِثْلُهُ، فَانْتَصَبَ حَاكِمًا وَتَزَيَّا أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ بِزِيِّ أُولَئِكَ، وَآخَرُ بِزِيِّ الْمَرْأَةِ، وَشَهِدُوا عَلَيْهَا بِأَنَّهَا مكَنت مِنْ نَفْسِهَا كَلْبًا، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: فَرِّقُوا بَيْنَهُمْ. فَقَالَ لِأَوَّلِهِمْ: مَا كَانَ لَوْنُ الْكَلْبِ؟ فَقَالَ: أَسْوَدُ. فَعَزَلَهُ، وَاسْتَدْعَى الْآخَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ لَوْنِهِ، فَقَالَ: أَحْمَرُ. وَقَالَ الْآخَرُ: أَغْبَشُ. وَقَالَ الْآخَرُ: أَبْيَضُ. فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ، فَحُكِيَ ذَلِكَ لِدَاوُدَ، فَاسْتَدْعَى مِنْ فَوْرِهِ بِأُولَئِكَ الْأَرْبَعَةِ، فَسَأَلَهُمْ مُتَفَرِّقِينَ عَنْ لَوْنِ ذَلِكَ الْكَلْبِ، فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ، فأمر بقتلهم"

❐ فائدة(١١): الفطنة لا تتعلق بالسن، وكذلك الفقه:

وفيه أن الفطنة والفقه لا تتعلق بالسن، فالصغير قد يفقه ويدرك ما لا يدركه الكبير، كما فقه سليمان الابن ما لم ينتبه إليه داود الأب، وكما فقه عبدالله بن عمر جواب سؤالٍ سأله رسول الله ﷺ، ولم يفقه ذلك كبار الصحابة، وفيهم أبوبكرٍ وعمر.(١)

فاللهم علمنا ما ينفعنا، وزدنا علمـًا، وفقهنا في ديننا

(١) صحيح القصص النبوي، د عمر الأشقر.



القصة التاسعة عشرة
المرأة القصيرة والمرأتان الطويلتان

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"كَانَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَصِيرَةٌ تَمْشِي مَعَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ[1]، وَخَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، مُغْلَقٍ مُطْبَقٍ[2]، ثُمَّ حَشَتْهُ مِسْكًا، وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ، فَمَرَّتْ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ، فَلَمْ يَعْرِفُوهَا، فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا" وَنَفَضَ شُعْبَةُ يَدَهُ.[3]

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ مُسْلِمٌ.

❒ فائدة (١): رواية أخرى للقصة:

جاء في رواية أحمد: **"فَكَانَتْ إِذَا مَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ حَرَّكَتْهُ، فَنَفَحَ رِيحُهُ"** ورواه ابن خزيمة في التوحيد عن أبي سعيد أو جابر أن النبي ﷺ خطب خطبة فأطالها، وذكر فيها أمر الدنيا والآخرة، فذكر **"إِنَّ أَوَّلَ مَا هَلَكَ بَنُو إسْرائيلَ أَنَّ امرَأَةَ الفَقِير كَانَتْ تُكَلِّفُهُ مِنَ الثّيابِ أَوْ الصِّيَغِ أَوْ قَالَ: مِن الصِّيغَةِ مَا تُكَلِّفُ امْرَأَةَ الغني، فَذَكَرَ امرأةً مِنْ بني إسْرَائِيلَ كانتَ قَصِيرةً واتّخذَتْ رِجْلين مِنْ خشب،**

---

(١) أي نعلين من الخشب كما جاء في رواية ابن حبان.

(٢) أي خاتماً محكم الإغلاق وعليه غطاء.

(٣) يعني حرّكت يديها لتفوح رائحة العطر.

وَخَاتَماَ لَهُ غَلْقٌ وَطَبَقٌ، وَحَشَتْهُ مسْكـًا، وَخَرجَتْ بَيْنَ امْرَأتيْن طوَيلتَين، أوْ جسيمَتْين، فَبَعَثُوا إنسانـًا يَتْبَعُهم، فَعَرَفَ الطوِيلتَينِ، وَلَمْ يَعْرِفْ صَاحبةَ الرِّجْلين مِنْ خَشَبٍ "

❐ فائدة (٢): من جوانب الفساد الاجتماعي في الأمم السابقة:

أراد النبي ﷺ من خلال القصّة التي بين أيدينا، أن يبين جانبـًا من جوانب الفساد الاجتماعي والافتتان بزخارف الدنيا، وركوب المظهرية الجوفاء الكاذبة، الأمر الذي أودى بالمجتمع الإسرائيلي إلى الهلاك، وكان سببـًا في تسلّط أعدائهم عليهم.

لمَّا قَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، سَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِه، فَوَافَوْا صَلاَةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ انْصَرَفَ فَتعَرَّضُوا لَهُ فَتبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ ثُمَّ قَالَ: " **أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَىْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ** " فَقَالُوا أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ:" **فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّى أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ** "(١)

❐ فائدة(٣): وقوع التقليد الأعمى:

وللأسف الشديد حصل التقليد للأمم الهالكة، ووقع ما أخبر به النبي ﷺ حين قال: "**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟**" (٢)

---

(١) متفق عليه

(٢) متفق عليه

فوقعت المبالغة في الاهتمام بالمظاهر، ووقع الإنفاق على الملابس والحلي وأنواع الزينة ومراسم الحفلات على أشدّه، ولم يكن التسابق المحموم على تلك الأمور محصوراً بالطبقة الغنيّة القادرة، بل اكتوى بنارها الفقراء والمعدمين، سعياً لمجاراة الواقع الموجود، ومع مطالب النساء وما جرّه من النفقات الباهظة، كانت النتيجة الحتمية الغرق في دوّامة لا تنتهي من الديون والقروض الرّبوية.

❐ فائدة(٤): من صور التقليد الأعمى:

ويصلح هنا أن نحذر من بلاء انتشر انتشاراً مخيفاً، ألا وهو رفع مهور الزواج فوق المعتاد، وكثرة الطلبات التي ترهق الزوج وتجعله، بل تجعل المجتمع بأسره يقع في كثير من البلايا والمصائب، والتي على رأسها، العزوف عن الزواج أو تأخيره، وكثرة العوانس، وانتشار الفساد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❐ فائدة(٥): عدم الرضا شقاءٌ وهلكة:

وأراد النبي ﷺ من خلال هذه القصة القصيرة، أن يبين أن عدم الرضا بقضاء الله وقدره، يورد صاحبه المهالك، ويوقعه في الحيرة والتيه والمزالق، فهذه المرأة الإسرائيلية تملّكها الشعور بالحسرة على قصر قامتها، ورأت في نفسها أنها أقل حظّاً في نيل إعجاب الرجال ولفت أنظارهم، وكان الرجال من بني إسرائيل يرون الجمال في طول المرأة.

فبدلاً من الرضى بقضاء الله وقدره، ظلّت تفكّر زماناً طويلاً للبحث عن أفضل الطرق لجذب أنظار الناس إليها، حتى اهتدى عقلها إلى حيلة تزيل ما

تظنّه عيباً فيها، فقد صنعت لها نعلين من الخشب تلبسهما تحت الثياب فيزيد من قامتها، ويظهرها أمام الناس طويلة..

وأمام الحيلة التي ابتكرتها، تغيّر منظرها الخارجي، فلم يتعرّف عليها الرجال، وظنّوا أنها امرأة غريبة عن الديار، بل أرسلوا أحدهم ليعلم عن هذا الوافد الجديد – بالنسبة إليهم – ويتقصّى حقيقتها فلم يفلح.

ولم تكتف بهذا المجون بل اتّخذت خاتماً من ذهب صنعته خصّيصاً عند أحد الصاغة، وأمرته أن يجعل فيه تجويفاً له غطاء لتملأه مسكاً قوي الرائحة، ثم كانت تذهب إلى مجامع الناس وتحرّك يدها ذات اليمين وذات الشمال، فيفوح شذى العطر في أرجاء المكان ليسلب بعبقه ألباب الرجال وينال استحسانهم لها..

والنبي ﷺ إذ يعرض هذه القصّة، يريد من المجتمع الإسلامي أن يحذر من تلك الآفات ويرفع من تطلّعاته وطموحاته، ويوجّه تركيزه نحو إصلاح الباطن وتحسين الأخلاق، وما قيمة المرء إلا بنبل صفاته، وجميل أفعاله، وبياض صفحته، كما جاء تقرير ذلك في قوله ﷺ: **"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"**(١).

❐ فائدة (٦): التحذير من فتنة النساء:

وفي هذه القصة يحذرنا النبي ﷺ من فتنة النساء، وأن المرأة إذا خرجت عن طاعة ربها تفنّنت في طرق الغواية والإضلال، والمتأمل في واقعنا يجد انتكاسة أخلاقيّة تنبيء بذوبان العفّة وقلّة المروءة، وذهاب الغيرة من قلوب

---

(١) رواه مسلم

الرجال، وما جرَّ ذلك من فساد عظيم، وشرّ مستطير.

وكان الإشفاق من خطر هذه الفتنة هو ما أشغل بال رسول الله ﷺ، فلم يزل يحذّر أمته من فتنة النساء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **" إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِى النِّسَاءِ"**(١)

بل جاء في صحيح ابن خزيمة: "إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَاتَّقُوهَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ"، ثُمَّ ذَكَرَ نِسْوَةً ثَلَاثًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ تُعْرَفَانِ، وَامْرَأَةً قَصِيرَةً لَا تُعْرَفُ، فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ، وَصَاغَتْ خَاتَمًا، فَحَشَتْهُ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ الْمِسْكِ، وَجَعَلَتْ لَهُ غُلْفًا، فَإِذَا مَرَّتِ الْمَسْجِدَ أَوْ بِالْمَلَأِ قَالَتْ بِهِ فَفَتَحَتْهُ، فَفَاحَ رِيحُهُ...." الحديث

ومن هنا، حرص الإسلام من خلال تعاليمه ومبادئه أن يحمي أفراده من بواعث الفتنة وأسبابها، فنهى النساء عن مظاهر التبرّج والزينة، ومنع من الاختلاط والخلوة المحرّمة، ورتّب الوعيد الشديد على من خرجت من بيتها متعطّرة حتى ولو كانت ذاهبة إلى المسجد، وبهذا الموقف الحازم والصارم، يمكن للمجتمع المسلم أن يعيش في ظلٍّ من العلاقات الطاهرة، والقائمة على أساسٍ من التقوى والصلاح والمراقبة الذاتيّة.

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعليقاً على هذا الحديث: في هذا الحديث تنبيه ظاهر إلى أن عادة النساء الفاسقات لبس ما يلفت الأنظار إليهن ومن ذلك ما شاع بينهن من انتعال النعال العالية الكعاب...ولعل أصل ذلك من اختراع

---

(١) رواه مسلم

اليهود كما يشير هذا الحديث فعلى المسلمات أن يتقين ذلك والله المستعان (١)

❐ **فائدة (٧): الوقاية من الفتنة:**

واعلم أن من مظاهر الوقاية من الفتنة، ووسائل العلاج: إدراك أهمية صلاح المرأة، واستشعار أثره في حماية المجتمع، وأول وسائل إصلاحها: تعليمها أمر دينها، فلقد كان تعليم النساء من سُنته ﷺ، وقد أفرد لذلك البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تراجمَ في صحيحه، وذكر سنة النبي ﷺ في ذلك منها في كتاب العلم:

باب: الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله.

باب: تعليم الرجل أمته وأهله.

باب: عظة الإمام النساء وتعليمهن.

باب: هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم.

وساق بعده: باب من سمع شيئًا فراجع حتى يعرِفه، وفيه حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قال:حدثنا سعيد بن أبي مريم قال: أخبرنا نافع بن عمر، قال: حدثني ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي ﷺ، كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه، إلا راجعت فيه حتى تعرِفه، وأن النبي ﷺ قال: من حوسب عذِّب، قالت عائشة، فقلت: أو ليس يقول الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ ﴾ [الانشقاق: ٨]، قالت: فقال: إنما ذلك العرض، ولكن مَن نوقِش الحساب يَهلِك، وهذا من حُسن ترتيبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإن تعليم النساء يأت بخير كثير على هذه الأمة.

فاللهم إنا نسألك علمـًا نافعـًا ورزقـًا طيبـًا وعملاً متقبلاً

---

(١) السلسلة الصحيحة



عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:

"إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالًا ثَلَاثَةً: سَأَلَ اللهَ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللهَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللهَ حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ، أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، أما اثنتان فقد أُعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة"

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وابْنُ مَاجَةَ، وَأَحْمَدُ، وابْنُ حِبَانَ، وَالحاكِمُ.

(إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ) ورد ذكر سليمان عليه السلام في عدد من سور القرآن الكريم منها سورة الأنبياء والنمل وص، و سليمان عليه السلام من أنبياء الله العظام، وكان ملكـًا عظيمـًا وابنَ ملكٍ ونبيٍ عظيم هو داود عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ [النمل:١٦]، قال ابن كثير ـ في تفسيره ـ:" أَيْ: فِي النُّبُوَّةِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ فِي الْمَالِ لَمَا خَصَّهُ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِ بِذَلِكَ، وَلَمَا كَانَ فِي الْإِخْبَارِ بِذَلِكَ كَبِيرُ فَائِدَةٍ "، ولأن مال الأنبياء لا يورث وما تركوه صدقة، وورِثه كذلك في الملك،

وقد خصه الله تعالى بأشياء قصها علينا القرآن الكريم، منها أن الله تعالى علمه منطق الطير، وملَّكه على الإنس والجن والطير، كما قال الله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النمل:١٧]، وقال تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ص: ٣٦ـ ٤٠]، عاش سليمان عليه السلام اثنين وخمسين سنة، وكان ملكه أربعين سنة، نقله ابن كثير في قصص الأنبياء عن الزهري وغيره، وقال ابن جرير: كان عمره نيفاً وخمسين سنة، فلما حضر أجله أراد أن يعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب، فقام يصلي متوكئا على عصاه فقبض ملك الموت روحه وهو على تلك الحالة، فمكث سنة على حاله يظنون أنه يصلي، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سبأ:١٤]

(لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ)

❐ فائدة (١): وهل حقــًا سليمان عليه السلام هو الذي بنى بيت المقدس ؟

الجواب: نعم، لكن ليس هو أولَ من بناه، فكان بناؤه له تجديداً، وإنما الذي بناه أول مرة هو نبي الله يعقوب عليه السلام، كما جاء في حديث أبي ذرٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ ؟ قَالَ " الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ " قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: " الْمَسْجِدُ الأَقْصَى " قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ سَنَةً".(١)

(١) متفق عليه.

هذه الأربعون سنة هي الفترة التي بين إبراهيم عليه السلام الذي بنى المسجد الحرام، وبين حفيده يعقوب الذي بنى بيت المقدس، وإلا فإن سليمان بينه وبين إبراهيم أكثر من ألف سنة.

(سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلاَلاً ثَلاَثَةً) الخلال - بالكسر- جمع خَلَّة، كَخَصْلَة وخِصَال، وزنًا ومعنى، و"ثلاثة" صفة، أو بدل، أو عطف بيان، وإنما أُنث "ثلاثة" مع كون المعدود مؤنثًا؛ لأن وجوب تذكير العدد لتأنيث المعدود إنما هو إذا وقع المعدود تمييزًا، وأما إذا قدم أو حذف فلا يجب، كما هو مقرر في محله[1] والمعنى: دعا سليمان عليه السلام وطلَبَ مِن اللهِ ثلاثةَ أُمورٍ.

❐ فائدة (٢): فضل الدعاء عقب العمل الصالح:

وفيه أن الدعاء مستحب عقب العمل الصالح، لأنه ساعتئذ أدعى للقبول وأرجى للإجابة، ولهذا نظائر، فقد شرع الله تعالى الدعاء عقب الوضوء، وعقب الصلاة، وعقب الحج، وغيرها.

(سَأَلَ اللهَ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ) أي: حكمًا يوافِقُ حُكْمَ اللهِ، والمُرادُ: التَّوفيقُ للصَّوابِ في الاجتهادِ وفصْلِ الخُصوماتِ بين النَّاسِ.

❐ فائدة (٣): الطريق إلى موافقة حُكم الله:

فيه أن موافقة حُكم الله مفتقرة إلى توفيق الله، مع الأخذ بالأسباب اللازمة من العلم الواجب، وفقه الواقع، وترك اتباع الهوى، قال سبحانه: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ

---

(١) شرح سنن النسائي: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي.

ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص:٢٦]

وفي الحديث: **"الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ، اثْنَانِ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، رَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ جَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ"** (١)

❐ فائدة (٤): قد يجتهد الأنبياء:

واستنبط العلماء من ذلك أيضـًا أن الأنبياء يجتهدون، حيث إن سليمان عليه السلام طلب من الله تعالى أن يوافق حكمه حكمه، وهذا معنى الاجتهاد، إذ لو كان مراده نزول الوحي إليه بحكم الله تعالى، لما كان بينه وبين غيره من الأنبياء فرق.

(فَأُوتِيَهُ) أي استجاب الله له، وأعطاه سؤْله ذلك، وهذا موافق لقول الله: ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ ﴾ [الأنبياء:٧٩]

(وَسَأَلَ اللهَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) أي لا ينبغي لأحد أن يسأله، فكأنه سأل منع السؤال بعده، حتى لا يتعلق به أمل أحد، وقيل: إن سؤاله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده أن يناله.

❐ فائدة(٥): فإن قيل: ما الحكمةُ من سؤال المُلك مع تنزُّه الأنبياء – صلوات الله عليهم– عن الدنيا؟

فالجواب: أن ذلك كان معجزةً له، فليس الملك مقصودًا لذاته، بل لغيره، كما أن من الأنبياء من كانت آيتُه الناقةَ، ومنهم من آيتُه العصا والحية.(٢) فيكونُ

---

(١) رواه أبوداود وابن ماجه وابن حبان والبيهقي، وغيرهم مرفوعـًا، وصححه الألباني.
(٢) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام: شمس الدين، أبو العون السفاريني الحنبلي.

سببًا للإيمانِ والهدايةِ.

وقيل: لكونِه مَلِكًا أراد أنْ تكونَ مُعجزتُه ما يُناسِبُ حالَه، وقيل: طلَبَ ذلك ليكونَ مَحلُّه وكرامتُه مِن اللهِ ظاهرًا في خلْقِ السَّمواتِ والأرضِ؛ فإنَّ الأنبياءَ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ لهم تنافُسٌ في المَحَلِّ عنده؛ فكلٌّ يُحِبُّ أنْ تكونَ له خُصوصيَّةٌ يُسْتَدَلُّ بها على مَحَلِّه عنده، فلو أُعْطِيَ أحدٌ بعدَه مثلَه ذهَبَتِ الخُصوصيَّةُ، ويدل على ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: "إن عفريتًا من الجن تَفَلَّتَ عليَّ البارحة -أو كلمة نحوها- ليقطع عليَّ الصلاة، فأمكنني الله تبارك وتعالى منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا، وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص: ٣٥]

وأورد العلامة القرطبي رَحِمَهُ اللهُ تعالى نفس التساؤلَ قائلاً: وقد يقال: كيف أقدم سليمان على طلب الدنيا، مع ذمها من الله تعالى وبغضه لها، وحقارتها؟

ثم قال:فالجواب أن ذلك محمول عند العلماء على أداء حقوق الله تعالى وسياسة ملكه، وترتيب منازل خلقه، وإقامة حدوده، والمحافظة على رسومه، وتعظيم شعائره، وظهور عبادته، ولزوم طاعته، ونظم قانون الحكم النافذ عليهم منه، وتحقيق الوعد في أنه يعلم ما لا يعلم أحد من خلقه، حسب ما صرح بذلك لملائكته، فقال: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠ ﴾ [البقرة: ٣٠].

وحوشي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يكون سؤاله طلبًا لنفس الدنيا، لأنه هو والأنبياء أزهد خلق الله فيها، وإنما سأل مملكتها لله، كما سأل نوح دمارها وهلاكها لله؛ فكانا محمودين مجابين إلى ذلك، فأجيب نوح، فأهلك من عليها، وأعطي

سليمان المملكة.(١)

(**فَأُوتِيَهُ**) أي استجاب الله له، وأعطاه سؤله ذلك أيضـًا، فسخَّرَ اللهُ تعالى له الرِّيحَ تحمِلُه بعسكَرِه وجُنودِه إلى حيث أراد، وسخَّرَ له الشَّياطينَ يجْعَلونَ له ما يشاء مِن مَحاريبَ وتماثيلَ وجِفانٍ كالجَوابِ، وقُدورٍ راسياتٍ، وسخَّرَ له آخرينَ مُتمرِّدينَ، يقرُنُهم في السَّلاسِلِ وقُيودِ الحديدِ؛ تعذيبًا لهم حتَّى يرْجِعوا عن تمرُّدِهم، ثمَّ امْتَنَّ اللهُ تعالى عليه، حيث قال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [ص: ٣٩]، أي: هذا المُلْكُ عطاؤنا، فأعْطِ مَن شئْتَ، وامنَعْ مَن شئْتَ، فلا حسابَ عليك.

قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أنعم الله على أحد نعمة، إلا عليه فيه تَبِعة، إلا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإن الله تعالى قال له: ﴿ فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [ص: ٣٩]، وهذا من فضائل سليمان، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

(**وَسَأَلَ اللهَ حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ**) أي: لا يَقصِدُه إلَّا للصَّلاةِ فيه.

❑ فائدة (٦): هل كانت السؤالات الثلاثة بغد فراغه من بناء البيت؟

ظاهر هذه الرواية يدل على أن السؤال الثالث كان عند فراغه من البناء، بخلاف الأولَين، لكن جاء في رواية ابن ماجه أن الثلاثة كانت عند الفراغ، ولفظه:"لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس، سأل الله ثلاثًا".

(**أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**) أي: يُغْفَرُ له كلُّ ذُنوبِه ويُطَهَّرُ منها لا

---

(١) تفسير القرطبي.

يضره منها شيءٌ.

فائدة (٧): قبول العمل مترتبٌ على إرادة وجه الله به:

وهذا الأجر العظيم المترتب على الصلاة في بيت المقدس ـ وغيره من الأعمال الصالحة ـ مشروط بتحقيق الإخلاص، وهو إرادة وجه الله وحده بالعمل، لقوله " لا ينهزه إلا الصلاة فيه ".

وكما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسًا وعشرين درجة، وذلك أنه إذا توضأ، فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد، لا يُخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة" الحديث.

فائدة (٨): فضل المسجد الأقصى، وفضل الصلاة فيه:

وفي الحديث بيان فضل المسجد الأقصى، وفضل الصلاة فيه.

وقد وردت أحاديث في المسجد الأقصى تبين مكانته وفضله توجب على المسلمين بذل أقصى ما يمكن بذله للحفاظ عليه وإبقائه على وضعٍ من النقاء والصفاء اللائق به.

ـ وحسبك أنه مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم ومنه معراجه، فروى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ التي يربط بها الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ... "**

ـ وهو قبلة المسلمين الأولى، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن

عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله ﷺ يصلي بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرًا، ثم صُرف إلى الكعبة"(١)

ـ الصلاة فيه مضاعَفة، فقد روى الحاكم في المستدرك من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ فقلنا: أيهما أفضل: مسجد رسول الله ﷺ أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: **"صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى، وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنِ فَرَسِهِ مِنَ الأَرْضِ، حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا"**(٢)

وهذا علم من أعلام نبوته ﷺ، حيث بيَّن ما سيؤول إليه المسجد الأقصى مع تعلُّق قلوب المسلمين به وأن مؤامرات الأعداء على المسجد الأقصى ستزداد، حتى إن المؤمن ليتمنى أن يكون له موضع صغير يطلُّ منه على المسجد الأقصى ويكون ذلك أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها.

"وهذا يفيد أن فضل الصلاة في المسجد النبوي أربعة أضعاف الصلاة في الأقصى، وينتج منه أن الصلاة في المسجد الأقصى على الربع من الصلاة في المسجد النبوي، أي بمائتين وخمسين صلاة" (٣)

ـ وهو أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها، فعن عبد الله بن

---

(١) قال محققوا المسند: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، كما في الثمر المستطاب: وهو كما قالا.

(٣) الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ قال: **"لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام وإلى المسجد الأقصى، وإلى مسجدي هذا"**(١)

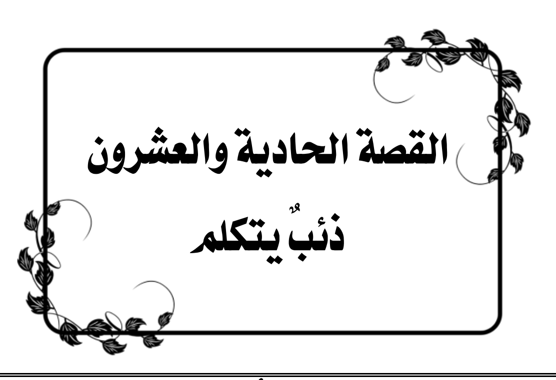
(**أما اثنتان فقد أُعطيهما**) أَي الحُكم وَالْمُلك، أما الحكم فقد عُلم من قَوْله تَعَالَى ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ [الأنبياء:٧٩]، وَأما الْملك فَمن قَوْله تَعَالَى ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨ ﴾ [ص: ٣٦-٣٨]

(**وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة**) وَهِي طلب الْمَغْفِرَة لمن أَتَى مَسْجده، وإنما رجا النبي ﷺ أن يكون الله قد أعطاه الثالثة أَيْضا، لِأَن الله تَعَالَى لما اسْتَجَابَ دعاءه فِي أَمر الدُّنْيَا فَكيف لَا يستجيب دعاءه فِي أَمر الآخرى؟

فاللهم أقر أعيننا بالصلاة في مسرى رسولك ﷺ



(١) صحيح سنن ابن ماجه.



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ، فَقَالَ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟!. وَبَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا، فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ. قَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ ! ".

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"فَإِنِّي أُؤْمِنُ بِذَلِكَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَق عَلَيْهِ.

(**بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ**) أي هاجم غنمه، وحاول الاعتداء عليها.

(**فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي**) أي حاول الدفاع عن غنمه، جاء في رواية البخاري: " فطلب حتى كأنه استنقذها منه" أي ظفر بشاته، وفوَّتها على الذئب.

(**فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ، فَقَالَ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟**) في رواية البخاري: "فقال له الذئب: هذا استنقذه مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري"

قال الحافظ ـ في الفتح ـ: " فَالْمَعْنَى إِذَا أَخَذَهَا السَّبُعُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى خَلَاصِهَا مِنْهُ فَلَا يَرْعَاهَا حِينَئِذٍ غَيْرِي أَيْ إِنَّكَ تَهْرُبُ مِنْهُ وَأَكُونُ أَنَا قَرِيبًا مِنْهُ أَرْعَى مَا يَفْضُلُ لِي مِنْهَا، وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ: مَعْنَاهُ مَنْ لَهَا يَوْمَ يَطْرُقُهَا السَّبُعُ أَيِ الْأَسَدُ فَتَفِرُّ أَنْتَ مِنْهُ فَيَأْخُذُ مِنْهَا حَاجَتَهُ وَأَتَخَلَّفُ أَنَا لَا رَاعِيَ لَهَا حِينَئِذٍ غَيْرِي، وَقِيلَ: إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ الِاشْتِغَالِ بِالْفِتَنِ فَتَصِيرُ الْغَنَمُ هَمَلًا فَتَنْهَبُهَا السِّبَاعُ فَيَصِيرُ الذِّئْبُ كَالرَّاعِي لَهَا لِانْفِرَادِهِ بِهَا"

❑ **فائدة (١): هل وقع نحو ذلك بعد البعثة؟**

الجواب: نعم، وقع نحوُ ذلك بعد البعثة النبوية، كما روى أبو نُعيم في معرفة الصحابة، عن أُهبان بن أوس الأسلمي، قال: " إنه في غنم له فشد الذئب على شاة منها، فصاح عليه فأقعى [(١)] على ذنبه، فخاطبني فقال: من لها يوم تشغل عنها، تنزع مني رزقا رزقنيه الله ؟ قال: فصفقت بيدي، وقلت: والله ما رأيت شيئا أعجب من هذا، فقال: تعجب ورسول الله ﷺ بين هذه النخلات، وهو يومئ بيده إلى المدينة، يحدث الناس أنباء ما قد سبق، وأنباء ما يكون، وهو يدعو إلى الله وإلى عبادته، فأتى أهبان إلى رسول الله ﷺ فأخبره بأمره وأمر الذئب وأسلم، لفظهما سواء " [(٢)]

وأخبر النبي ﷺ أن الساعة لا تقوم حتى يقع ذلك، فقد روى أحمد في

---

(١) الإقْعاء: أن يُلْصِقَ الرجُل ألْيَتَيه بالأرض، ويَنْصِب ساقَيه وفَخِذَيه، ويَضَع يديه على الأرض كما يُقْعِي الكلْب.

(٢) الخبر أورده ابن الأثير في ترجمة (أهبان بن أوس) انظر أسد الغابة: ١/ ١٦١ وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: قال البخاري إسناده ليس بالقوي، قلت – أي ابن حجر – لأن فيه عبد الله ابن عامر الأسلمي وهو ضعيف.

مسنده، عن أبي هريرة قَالَ: جَاءَ ذِئْبٌ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى انْتَزَعَهَا مِنْهُ، قَالَ: فَصَعِدَ الذِّئْبُ عَلَى تَلٍّ، فَأَقْعَى وَاسْتَذْفَرَ، فَقَالَ: عَمَدْتَ إِلَى رِزْقٍ رَزَقَنِيهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ انْتَزَعْتَهُ مِنِّي. فَقَالَ الرَّجُلُ: تَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ذِئْبًا يَتَكَلَّمُ قَالَ الذِّئْبُ: أَعْجَبُ مِنْ هَذَا رَجُلٌ فِي النَّخَلَاتِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ، يُخْبِرُكُمْ بِمَا مَضَى وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ. وَكَانَ الرَّجُلُ يَهُودِيًّا، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمَ وَخَبَّرَهُ، وَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"إِنَّهَا أَمَارَةٌ مِنْ أَمَارَاتٍ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ فَلَا يَرْجِعَ حَتَّى تُحَدِّثَهُ نَعْلَاهُ وَسَوْطُهُ مَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ"**

وفي رواية: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"صَدَقَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ "** (١)

(وَبَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا، فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ) وفي رواية البخاري: " بينا رجل يسوق بقرةً إذ ركِبها فضربها، فقالت إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث " وكأنها تقول له: أنت ظالمٌ لي بركوبك لي، لأنك استعملتني في غير ما خلقني الله له، ومن هنا نعرف أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، فالله سبحانه خلق كل حيوانٍ ليقوم بوظيفة محددة تناسب طاقته، وقدراته.

❏ فائدة (٢): وهل البقرة خُلقت للحرث فقط؟

وقول البقرة "وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ" قال الحافظ ـ في الفتح ـ: " وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون قَوْلهَا إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى مُعْظَم مَا خُلِقَتْ لَهُ، وَلَمْ تُرِدْ

---

(١) صحح الروايتين أحمد شاكر في تحقيق المسند، والألباني في الصحيحة.

الْحَصْر فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ غَيْر مُرَاد اِتِّفَاقًا، لِأَنَّ مِنْ أَجْل مَا خُلِقَتْ لَهُ أَنَّهَا تُذْبَح وَتُؤْكَل بِالِاتِّفَاقِ "

❑ فائدة (٣): الحيوان يعرف وظيفته في الحياة:

هنا وقفة تربوية عظيمة يجدرالوقوف عندها والتنبيه عليها، وهي أن البقرة على الرغم من كونها مجرّد حيوان يعيش وفق دوافعه الغريزية، يعلم وظيفته في الحياة، ويدرك أن الله سبحانه وتعالى قد وضع نواميس كونيّة وسنناً إلهيّة لا يجوز العدول عنها، فهو بذلك يَفضُل كثيراً من البشر الذين تعجّ بهم الحياة، ممّن يجهلون غاية وجودهم فيها، ولا يلتزمون بالمنهج الربّاني الذي ينظّم سلوكهم وينسّق حركتهم، حتى إنهم ليصدق عليهم وصف ربنا تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤]

فمن العدل استعمالُ كلِّ شيءٍ فيما خُلق له، وهذا قانونٌ إلهيٍ من خالفه فقد أساء وظلم، من استعمل أعضاءه في غير ما خُلقت له فقد أساء وظلم، من استعمل قلبه في غير محبة الله ومعرفته وعبوديته فقد أساء وظلم، وهكذا سائر الحياة من لم يعرف غاية وجوده فيها، وعمل بمقتضى هذه الغاية فقد أساء وظلم.

❑ فائدة (٤): اتق الله فيما ولاك الله إياه:

وهنا وقفةٌ أخرى، وهي أن الإنسان ينبغي أن يتقى ربه فيمن ولَّاه عليهم:

فيتقى ربه فى والديه الذَّين بلغا الكبر، ويتقى ربه فى أولاده وزوجته، ويتقى ربه فى تلامذته، ويتقى ربه فى بهيمته، ويتقى ربه فى كل من هم تحت ولايته لأنه

ربهم وجب أن يربيهم شيئًا فشيئًا برفق ولين وحكمة وعلم وحلم ورحمة.

فعن عبد الله بن جعفر أن النبى ﷺ دخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جملٌ، فلما رأى النبىَّ ﷺ حَنّ وذرفت عيناه فأتاه النبى فمسح ذِفره فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتىً من الأنصار فقال: لى يا رسول الله، فقال: أفلا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها فإنه اشتكى إلىّ أنك تجيعه وتُدئبه» أى تُتعبه.(١)

(**قَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ!**): وفي رواية البخاري: " فقال الناس: بقرةٌ تَكَلَّم؟... ذئبٌ يتكلم ؟ " إذ ذاك أمرٌ عجيب، خارقٌ للمألوف، وما كان قولهم تكذيباً لما أخبر به رسول الله ﷺ أو إنكاراً له، حاشاهم أن يصدر منهم ذلك، ولكنّه كان وليد دهشةٍ أصابتهم، وحيرةٍ تملّكتهم، عند سماع الخبر.

❐ فائدة (٥): الله لا يُعجزه شيء:

وفي ذلك بيان عظيم قدرة الله، فبقدرته تكلم الحيوان بلغة الإنسان، وبقدرته أوجد الموجودات وبقدرته دبّرها وبقدرته سوّاها وأحكمها وبقدرته يحيي ويميت ويبعث العباد للجزاء ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وبقدرته إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

(**قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَإِنِّي أُؤْمِنُ بِذَلِكَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، رضي الله عنهما**) الإيمان هنا: اليقين، والمعنى: أوقن بذلك أنا وأبو بكرٍ وعمر، ويدل ذلك على أن النبي ﷺ لم يعاين ذلك، ولم يره، وإنما أطلعه عليه ربه عز وجل.

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألبانى.

فائدة (٦): الإيمان هو اليقين:

جاء في رواية البخاري: " وما هما ثَمَّ " أي ما كان عمر ولا أبو بكرٍ حاضرين هذا المجلس، وكان ذلك في صلاة الصبح ـ كما سيأتي ـ ولكن غابا، إما لسريةٍ ذهبا إليها، أو لمهمةٍ أمرهما بها النبي ﷺ، أو نحو ذلك.

وإنما قال النبي ﷺ ذلك في حق الشيخين، ومدحهما باليقين، ثقةً بهما، لعلمه بصدق إيمانهما، وقوّة يقينهما، وكمال معرفتهما بالله جلّ وعلا وقدرته، وأنهما لا ينكران ما ثبت بالسند الصحيح لمجرد استبعاده عقلاً.

ولذا جعل الله اليقين من أوصاف أئمة الدين؛ قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤].

بل إن اختبار القبر إنما هو اختبار يقين حقيقة، فينجح فيه صاحب اليقين ويرسب فيه صاحب الشك؛ كما ورد في مسند أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أخبر أنه يُقال للمؤمن في قبره: **"عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ"**، ويُقال للمنافق: **"كُنْتَ عَلَى الشَّكِّ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ"**.(١)

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه "اليَقِينُ الإِيمَانُ كُلُّهُ"(٢)

فائدة (٧): اطلاع المربي على حقيقة أتباعه:

وفيه أن المربي ينبغي أن يكون مطلعـًا على حقيقة أتباعه على وجه

---

(١) ورواه ابن ماجه في سننه، وابن حبان في صحيحه، وغيرهما، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري.

الخصوص، "أنا وأبو بكر وعمر".

❐ **فائدة (٨): ذكاء المربي:**

وفيه أن المربي ينبغي أن يُبرز بعض الصفات الحميدة عند تلامذته ومتبوعيه، لتشجيعهم، ولبيان فضلهم، والاقتداء بهم..

❐ **فائدة (٩): من مقتضيات الإيمان تصديق ما جاء به الوحي أيًا ما كان:**

ونستفيد من ذلك أنه يجب على المسلم أن يُصَدِّق بالأخبار التي جاء بها القرآن، أو صح بها السند إلى رسول الله ﷺ، مهما كان الخبر مُسْتَغْرَبًا، يستوي في ذلك الحديث المتواتر والآحاد، ومن رد شيئًا مما أخبر به عليه الصلاة والسلام، أو كذَّبه فيه فهو كافر، سواء كان رده اتباعًا للهوى، أو لشريعة منسوخة، أو لفلسفة موروثة، والله المستعان.

وهذه إحدى العلامات الفارقة بين المؤمن الذي يؤمن بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ، سواءٌ شاهد ذلك أم لم يشاهده، وسواءٌ عقِله وفهمه أم فاق ذلك تصوّره وإدراكه، ما دام الخبر قد صحّ عن الصادق المصدوق، وبين الكافر الذي يقف من تلك المغيبات موقف الشاكّ والمرتاب، ومثله أصحاب المذاهب المادّية والمدارس العقلية الذين يقدّمون العقل على النصوص الصحيحة الصريحة، بحجّة أنها لا تتماشى مع عقولهم القاصرة وأفهامهم السقيمة.

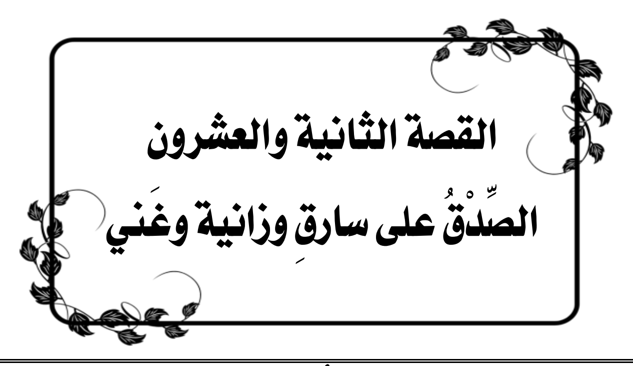
❐ **فائدة (١٠): استحباب الوعظ بمثل هذه الوقائع:**

ونستفيد كذلك من هدا الحديث استحباب وعظ الناس بمثل هذه الوقائع الدالة على عظيم قدرة الله، فإن ذلك مما يكون له الأثرُ الكبير في ترسيخ الإيمان

وتقوية اليقين في القلوب، فقد جاء في رواية البخاري: " صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال: بينما رجلٌ يسوق بقرة......." الحديث، فليت الدعاةَ اليوم يستفيدون من هذا الهدي النبوي، فيعَلِّمون الناس دينهم، عقب الصلوات التي يجتمع فيها الناس، وذلك عن طريق تفسير آية، أو شرح حديث، أو توضيح قضية عقدية، أو بيان مسألة فقهية، ونحو ذلك، لكان ذلك خيراً كثيراً.

فاللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه





القصة الثانية والعشرون

الصِّدْقُ على سارقٍ وزانية وغَني

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى سَارِقٍ. فَقَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى سَارِقٍ!! لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ!. فَأَصْبَحُوا يَقُولُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ!. لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ. فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تَصَدَّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ، وَعَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ. فَأُتِيَ، فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال رجل: (لأتصدقن الليلة بصدقة)

❐ فائدة (١): ترتيب العمل وجدولته، سبيلٌ إلى تذكره والمداومة عليه:

فيه أنه يستحب للإنسان أن يضع لنفسه جدولاً يذكر فيه ما يريد أن يصنعه في يومه وليلته، فإن ذلك من تنظيم الوقت وتنظيم العمل الذي هو سبيل إلى

الحفاظ على العمر، ومن ذلك قول هذا الرجل الصالح: "لأتصدقن الليلة بصدقة "

❐ فائدة (٢): الإصرار على إخفاء الصدقة:

وفي قوله: " لأتصدقن الليلة " في المرات الثلاث، إشارة إلى إصراره على إخفاء الصدقة والإسرار بها، فذلك أوفق للإخلاص وأدعى للقبول، وقد قال سبحانه: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾ وذلك إذا كانت المصلحة راجحة، وإلا فقد قال الله: ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧١]

وفي الحديث: " صدقة السر تطفئ غضب الرب " (١).

(**فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق**) على سبيل الخطأ، ظنَّه فقيراً.

(**فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على سارق**) حدَّث اللصُّ بما جرى معه، فمثل هذه الأخبار تُذاع في المجتمعات الصغيرة، فبلغ الخبر صاحبُنا، وآلمه ذلك، فقال:

(**اللهم لك الحمد على سارق ! !**) وكأنه يقول: الحمد لله على كل حال، ليس هذا ما كنت أرجوه، وعزم أن يعيد الكرة في الليلة التالية.

❐ فائدة (٣): عبير الإخلاص:

وفيه أن الإخلاص له عبير، مهما كتمه صاحبه تظهر رائحته، فقد حرص صاحبنا على إخفاء صدقته، لكن أظهرها الله.

---

(١) – رواه الطبراني وانظر صحيح الجامع.

(لأتصدقن الليلة بصدقة)

❐ فائدة (٤): استحباب إعادة الصدقة إذا لم تقع موقعها:

فيه استحباب إعادة الصدقة، إذا لم تقع موقعها وتصل إلى أهلها، بل استحباب إعادة العمل عموماً إذا لم يقع على وجهه المطلوب، شريطة ألا يكون ذلك ديدنـاً يوقع في الوسواس ونحوه.

(**فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية**) على سبيل الخطأ، ظنها فقيرة.

(**فأصبح الناس يتحدثون: تُصدق الليلة على زانية، فقال: الحمد لله على زانية !! لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون، تصدق الليلة على غني، فقال: اللهم لك الحمد على سارق وزانية وغني!! فأتي**) يعني في المنام.

(**فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله**)

❐ فائدة (٥): من قصد الخير أُثيب عليه:

جاء في بعض الروايات: " أما صدقتك فقد قبلت " لأن من قصد فعل الخير أثيب عليه، وإن حصل ووقع فيه الخطأ كُتب له الأجر، ففيه فضل مجرد النية الصالحة، فأحيانـاً تكون أبلغ من العمل.

❐ فائدة (٦): قبول الصدقة وإن وقعت في يد من لا يريد المتصدق أن تقع في يده:

وفيه دليلٌ على قبول الصدقة وإن وقعت في يد من لا يريد المتصدق أن تقع

في يده، ويشهد لذلك ما رواه البخاري في صحيحه أن يزيد بن الأخنس وضع دنانير عند رجل في المسجد، ووكَّله بصرفها إلى مستحقيها، فجاء ابنه معْن فأخذها، وهو لا يعلم أن مصدرها والدُه، وجاء بها إلى أبيه، فرفض الوالد أخذه إياها، وقال: والله ما إياك أردت، فخاصمه الابن إلى رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: لك ما نويت يايزيد ولك ما أخذت يا معن "

وهذا دائما إنما يكون في صدقة التطوع، وأما الزكوات الواجبة، فيجب التحري في إخراجها وإيصالها إلى أهلها.

❐ فائدة (٧): الموفَّق من وفقه الله:

وفيه أنه قد ينتج عن فعل الإنسان آثار طيبة لم يردها ولم يفكر فيها لكن يؤجره الله عليها، فالسارق قد يستعف، والزانية كذلك، والغني قد يتحمس للإنفاق.

❐ فائدة (٨): الرؤيا الصالحة من الله:

الرؤيا الصالحة بشرى من الله، كما قال ﷺ: " لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة " (١).

فذلك الرجل جاءه في منامه من بشره بأن الله قبل صدقته وأثابه عليها.

❐ فائدة (٩): أمور تعين على صدق الرؤيا:

١-التزام الصدق في الأقوال:

فقد قال ﷺ: **" أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا "** (٢).

---

(١) - رواه البخاري.

(٢) - رواه مسلم.

٢-تقوى الله سبحانه ومراقبته:

قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس:٦٣، ٦٤]

٣-سؤال الله الرؤيا الصالحة:

كما رؤي عن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: " اللهم إني أسألك رؤيا صالحة، صادقة غير كاذبة نافعة غير ضارة " (١)

فاللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل



(١) - ذكره النووي في الأذكار.



القصة الثالثة والعشرون

سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يطوف على مائة امرأة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ، فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، فَجَاءَتْ بِشِقِّ إِنْسَانٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرَكًا لِحَاجَتِهِ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(**قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ**) أي والله لأطوفن،

فاللام الظاهر أنها لام جواب القسم، ويؤيد ذلك قوله ﷺ بعده: **"لو قال: إن شاء الله لم يحنث"**، وكنَّى بِالطَّوافِ عَن الْجِمَاع.

❐ **فائدة (١): ضرورة انتقاء الألفاظ، والتعبير الحسن:**

فيه استجاب التعبير باللفظ الحسن، والابتعاد عما فيه بشاعة، فإنه عبَّر عن الجماع بالطواف، لكن لو دعت ضرورة شرعية إلى التصريح به لم يعدل عنه.

(**عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ**) والروايات في العدد جاءت مختلفة، ففي رواية: سبعين، وفي رواية: ستين، وفي رواية تسعين،، وفي رواية: تسعٍ وتسعين، وليس في ذلك

تعارض، لأنه ليس في ذكر القليل نفىُ الكثير، وقيل:جُمع بينها بأن البعض سرارى والبعض حرائر.

❐ فائدة (٢): فإن قيل: وما ذلك العدد ؟

الجواب: كان ذلك مباحـًا في شرائعهم الزواجُ من غير تحديد عدد، وتذكر كتب التوراة أن عدد نساء سليمان بلغ سبعمائة امرأة.

❐ فائدة (٣) الأنبياء مميَّزون بالقوة:

وَفِي الحديث مَا خُصَّ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى الْجِمَاعِ الدَّالِّ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ الْبِنْيَةِ، وَقُوَّةِ الْفُحُولِيَّةِ، وَكَمَالِ الرُّجُولِيَّةِ مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الِاشْتِغَالِ بِالْعِبَادَةِ وَالْعُلُومِ، وَقَدْ وَقَعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنْ ذَلِكَ أَبْلَغُ الْمُعْجِزَةِ؛ لِأَنَّهُ مَعَ اشْتِغَالِهِ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَعُلُومِهِ، وَمُعَالَجَةِ الْخَلْقِ كَانَ مُتَقَلِّلًا مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ الْمُقْتَضِيَةِ لِضَعْفِ الْبَدَنِ عَلَى كَثْرَةِ الْجِمَاعِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَكَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ فِي لَيْلَة بِغسْلٍ وَاحِد وَهن إحدى عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَيُقَالُ إِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَتْقَى لِلَّهِ فَشَهْوَتُهُ أَشَدُّ؛ لِأَنَّ الَّذِي لَا يَتَّقِي يَتَفَرَّجُ بِالنَّظَرِ وَنَحْوِهِ. (١)

وفي صحيح البخاري: عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَوَكَانَ يُطِيقُهُ؟ قَالَ؟ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ.

(كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ)

❐ فائدة (٤): صدق العزيمة، وعلو الهمة، يصنعان الأعاجيب:

وهذا يدل على صدق عزيمته، وعظيم نيته، وعلو همته، وقد بوَّب البخاري

---

(١) فتح الباري: ابن حجر.

على هذا الحديث قائلاً:" باب مَنْ طَلَبَ الْوَلَدَ لِلْجِهَادِ"، وكما قيل: الهمة هي الباعث على الفعل، وكما قال أحدهم: هِمَّتُك فاحفظها، فإن الهمة مقدمة الأشياء، فمن صلحت له همته وصدق فيها، صلح له ما وراء ذلك من الأعمال.

إنّ عالي الهمة يجود بالنفْس والنفيس في سبيل تحصيل غايته، وتحقيق بغيته، لأنه يعلم أن المكارم منوطةٌ بالمكاره، وأن المصالح والخيرات، و اللذات و الكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة، ولا يُعبر إليها إلا على جسر من التعب.

فقل لِمُرَجِّي معالي الأمور بغير اجتهاد: رجوتَ المحالا.

إنّ عالي الهمة يعلم أنه إذا لم يزِدْ شيئا في هذه الحياة فسوف يكون زائداً عليها، ومن ثم فهو لا يرضى بأن يحتل هامش الحياة، بل لابد أن يكون في صلبها ومتنها عضوا مؤثراً

إذا مرَّ يومٌ فلم أستفد علمـاً ولـم أقتبس هدىً فما ذاك من عمري.

❐ فائدة (٥): شغَف سليمان بالجهاد:

ومن يتأمل ما عرَضه القرآن من أخبار سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، يجد أنه كان شغوفـاً بالجهاد في سبيل الله، معتنيـاً بجنده، حريصـاً على تفقدهم، ومتى عظُم اهتمام الإنسان بأمرٍ من الأمور، فإنه يقضي عمره بتحصيل ذلك الشيء، وإقامته بين الناس، قال سبحانه:﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النمل:١٧] وتأمل اهتمامه بخيله حتى شغله استعراضها عن أفعال الخير التي قد تكون أفضل منها ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ﴾ [ص:٣٢] وانظر إلى محاسبته أحد جنوده، لمَّا وجده غائبـاً

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝٢١﴾ [النمل: ٢٠، ٢١] وقد بلغ من شغفه بالجهاد، وإعداد المجاهدين ما جاء في هذا الحديث من إقسامه على أن يطأ في ليلةٍ مائةَ امرأة، تلِد كلَّ واحدةٍ منهن فارسـًا يقاتل في سبيل الله.

ذلك، لأن الجهاد ذُروة سَنام الدين، كما جاء في سنن الترمذي من حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له: **"أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ"**، قلت: بلى يا رسول الله، قال: **"رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ"**

وما ذاك إلا لما يترتب عليه الجهاد من إعلاء كلمة الله، ونصر دينه، ونصر عباده المؤمنين، وقمع الظالمين والمنافقين الذين يصدون الناس عن سبيله، ويقفون في طريقه، ولما يترتب عليه أيضًا من إخراج العباد من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وغير ذلك من المصالح التي تخص المؤمنين، وتعم الخلائق أجمعين.

وينبغي للمؤمن أن يحدث نفسه بالجهاد، وشرف نصرة الدين، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ"**

وإذا صدق العبد في سؤال الله الشهادة، بلغه الله منازل الشهداء، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: **"مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ"**

❒ فائدة (٦): فإن قيل: وكيف جزم سليمان بذلك:

الجواب: إنما قال سليمان عليه السلام ذلك، على سبيل الجزم، لأنه غلب عليه الرجاء؛ لكونه قصد الخير وتمناه، وأراد الآخرة، لا الدنيا، كما أن من عباد الله الصالحين من إذا أقسم على الله أبرَّه، وقد أخبر نبينا ﷺ عن كثيرٍ منهم، كالبراء بن مالك، وأويس بن عامر القرني، ونبي الله سليمان عليه السلام أعلى مكانةً من أفضل الصحابة رضي الله عنهم، قال سبحانه: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ص:٣٠] وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النمل: ١٥]

❒ فائدة (٧): جواز الإخبار المبني على الظن:

قال ابن دقيق العيد: وقد يؤخذ من الحديث جواز الإخبار عن وقوع الشيء بناء على الظن، فإن هذا الإخبار من سليمان لم يكن عن وحي، وإلا لوجب أن يقع ما أخبر به.(١)

❒ فائدة (٨): من مقاصد الزواج:

وفيه أنه ينبغي أن يجعل المؤمن من مقاصد زواجِه، ومعاشرتِه امرأته، إنجابَ الذرية الصالحة، التي تنفع مجتمعها، وتبني أُمَّتها، فضلاً عن كونها أحدَ سجلات الحسنات الجارية الباقية للإنسان بعد موته، كما جاء في صحيح مسلم: **" إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له "**

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام.

(فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ) المراد بصاحبه هنا: الملَك، كما ورد مجزومـًا به في رواية مسلم " صاحبه أو الملَك"، وفي رواية عند البخاريّ: "فقال له الملك".

❑ **فائدة (٩): فإن قيل كيف لم يقل سليمان: إن شاء الله؟**

الجواب: جاء في بعض روايات الحديث في الصحيحين: **"فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ"**، وفي رواية معمر، عن طاوس عند البخاريّ: قال: "ونسي أن يقول: إن شاء الله".

قال ابن الجوزي:: "وَإِنَّمَا ترك سُلَيْمَان الاستثناء نِسْيَانـًا " (١)

وقال الحافظ ابن حجر: "نَسِيَ الِاسْتِثْنَاءَ لِيَمْضِيَ فِيهِ الْقَدرُ..... وَمَعْنَى قَوْلِهِ: فَلَمْ يَقُلْ أَيْ بِلِسَانِهِ، لَا أَنَّهُ أَبَى أَنْ يُفَوِّضَ إِلَى اللهِ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ ثَابِتًا فِي قَلْبِهِ، لَكِنَّهُ اكْتَفَى بِذَلِكَ أَوَّلًا، وَنَسِيَ أَنْ يُجْرِيَهُ عَلَى لِسَانِهِ" (٢)، وقال: **"وَفِيهِ جَوَازُ السَّهْوِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِي عُلُوِّ مَنْصِبِهِمْ، وَفِيهِ جَوَازُ الْإِخْبَارِ عَنِ الشَّيْءِ أَنَّهُ سَيَقَعُ وَمُسْتَنَدُ الْمُخْبِرِ الظَّنُّ مَعَ وُجُودِ الْقَرِينَةِ الْقَوِيَّةِ لِذَلِكَ"**(٣)

وقال ابن حزم: ولا يجوز أن يُظن به أنه يجهل أن ذلك لا يكون إلا أن يشاء الله -عز وجل- وقد جاء في نص الحديث المذكور أنه إنما ترك "إن شاء الله" نسيانـًا، فأُخذ بالنسيان في ذلك، وقد قصد الخير.(٤)

وقال القرطبي: لا أنه غفُل عن التفويض إلى الله تعالى بقلبه؛ فإن ذلك بعيدٌ

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين.

(٢) فتح الباري.

(٣) فتح الباري.

(٤) الملل والنحل.

على الأنبياء، وغير لائق بمناصبهم الرفيعة، ومعارفهم المتوالية، وإنَّما هذا كما قد اتُفق لنبينا؛ لما سئل عن الرُّوح، والخضِر، وذي القرنين؛ فوعدهم بأن يأتي بالجواب غدًا، جازمًا بما عنده من معرفته بالله تعالى، وصدق وعده في تصديقه، وإظهار كلمته، لكنه ذهل عن النطق بكلمة: "إن شاء الله "، لا عن التفويض إلى الله تعالى بقلبه، فأُدِّب بأن تأخر الوحي عنه؛ حتى رموه بالتكذيب لأجلها، ثم إن الله تعالى علَّمه وأدَّبه بقوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾، فكان بعد ذلك يستعمل هذه الكلمة في الواجب.(١)

(فَطَافَ عَلَيْهِنَّ، فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، فَجَاءَتْ بِشِقِّ إِنْسَانٍ) جاء في بعض روايات الحديث: وَلَدَتْ شِقَّ غُلَامٍ، وَفِي رِوَايَةِ: نِصْفَ إِنْسَانٍ، وقيل: إنه الجسد الذي ذكر الله أنه أُلقِيَ على كرسيه ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [ص:٣٤]

❐ فائدة (١٠): من تربية الله لعباده:

وإنما وقع ذلك تأديبًا من الله تعالى، وعظةً لأوليائه وأصفيائه، وليُرجِعَهم إلى كمالهم بالتعلق به وإدامةْ ذكره ومراقبته، فيما يأتون وما يذَرون، وليعلم الناس أن الأمر لله وحده، وأنه المدبر المتصرف بالأمور.

(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَمْ يَحْنَثْ) أي في يمينه.

❐ فائدة(١١): قول: "إن شاء الله" يمنع حَنْث اليمين:

قَالَ الْقَاضِي عياض:" أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ يَمْنَعُ انْعِقَادَ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أبو العبَّاس الحافظ، الأنصاريُّ القرطبيُّ، رَحِمَهُ اللهُ.

الْيَمِينِ بِشَرْطِ كَوْنِهِ مُتَّصِلًا، قَالَ: وَلَوْ جَازَ مُنْفَصِلًا كَمَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ لَمْ يَحْنَثْ أَحَدٌ قَطُّ فِي يَمِينٍ وَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى كَفَّارَةٍ" (١)

وهناك شرطٌ آخر يجب الانتباه إليه، وهو: أن يقصد تعليق المحلوف عليه على مشيئة الله تعالى، لا إن جاء بها للتبرك أو كانت سبق لسان بلا قصد.

❐ فائدة (١٢): وهل ذلك الاستثناء يمنع الحنث في غير اليمين بالله:

الجواب: الاستثناء في الطلاق والعتق، وغير ذلك ـ سوى اليمين بالله ـ كقول القائل: أنت طالق إن شاء الله، أو أنت حرٌ إن شاء الله، أو أنتِ عليّ كظهر أمي إن شاء الله، وما أشبه ذلك، فمذهب مالك والأوزاعي وغيره: أنه لا يصح الاستثناء في شيءٍ من ذلك سوى اليمين بالله، وهو الصواب إن شاء الله، وخولفوا في ذلك.

❐ فائدة (١٣): استعمالات "لو":

وقوله ﷺ: **" لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ"** يفيد جواز استعمال "لو"، فهل هذا مطلق؟

قال الشيخ السعدي ـ في القول السديد شرح كتاب التوحيد ـ: " اعلم أن استعمال العبد للفظة: "لو" تقع على قسمين: مذموم ومحمود، أما المذموم فأن يقع منه أو عليه أمر لا يحبه، فيقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا، فهذا من عمل الشيطان؛ لأن فيه محذورين:

أحدهما: أنها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن الذي ينبغي له إغلاقه،

---

(١) شرح النووي على مسلم.

وليس فيها نفع.

الثاني: أن في ذلك سوءَ أدب على الله وعلى قدره، فإن الأمور كلها والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره، وما وقع من الأمور فلا بد من وقوعه، ولا يمكن رده، فكان في قوله: لو كان كذا أو لو فعلت كذا كان كذا، نوع اعتراض ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره. ولا ريب أن هذين الأمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلا بتركهما.

وأما المحمود من ذلك فأن يقولها العبد تمنيا للخير، كقوله ﷺ: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سُقْتُ الهدي ولأهللت بالعمرة".

وقوله في الرجل المتمني للخير: "لو أن لي مثل مال فلان، لعملت فيه مثل عمل فلان".

و"لو صبر أخي موسى لقص الله علينا من نبأهما" أي في قصته مع الخضر.

وكما أن (لو) إذا قالها متمنيا للخير فهو محمود، فإذا قالها متمنيا للشر فهو مذموم.

فاستعمال (لو) تكون بحسب الحال الحامل عليها.

إن حمل عليها الضجر والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقدر أو تمنى الشر كان مذموما.

(وَكَانَ دَرَكًا لِحَاجَتِهِ) من الإدراك، والمعنى: أنه لو قالها لحصل له ما أراد، وفي رواية البخاري: "وكان أرجى لحاجته" وفي الصحيحين: " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ "

❐ فائدة (١٤): بركة "إن شاء الله":

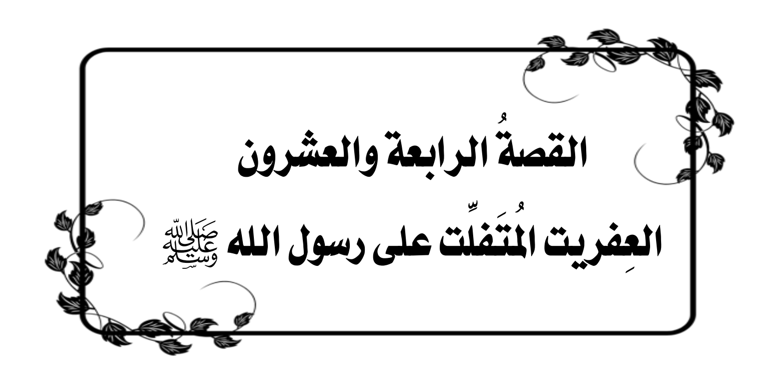
فيه أن الاستثناء في اليمين، وهو قول الحالف (إن شاء الله) نافع لتحقيق المطلوب، ونَيْلِ المرغوب، وهو أمرٌ مستحب إذا نوى الإنسان فعل شيء، أو قال سأفعل كذا، فقد قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤] فإن مشيئة الله تعالى نافذةٌ على كل شيء، وبركةٌ ويمن.

❐ فائدة (١٥): وهل كل من استثنى قائلاً: "إن شاء الله" كان لزامًا أن يدرِك حاجته ؟

الجواب: لا، لأن إدراك الحاجة أو عدمَه، إنما هو بقدر الله، والله يقدِّر الخير، سواء كان منعـًا أو عطاءً، ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وبهذا يجاب عن قول موسى للخضر عليهما السلام: ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] مع قول الخضر له آخراً: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف: ٨٢]

فاللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وجلاء همومنا وأحزاننا





عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ البَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلاَةَ، فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ، فَذَعَتُّهُ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ فَرَدَّهُ الله خَاسِئًا".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي البَابِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه.

(إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ البَارِحَةَ) العفريت - بكسر العين- يطلق على كلّ شرير من الإنس والجن، وهو مقيَّدٌ هنا بالجن، والمقصود: إبليس، فقد جاء في صحيح مسلم بلفظ: "**إن عدو الله إبليس...**"

ومعنى "تفلت" تعرض فجأةً من الفلتة؛ وهي كل فعل وقع بغتة، ومنه قول عمر في بيعة الصدّيق: كانت فلتة، والبارحة: الليلة التي أنت في يومها، من البراح، وهو الزّوال؛ لأنها خلت ومضت.(١)

---

(١) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري: أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد =

فائدة (١): جواز رؤية الجن:

وفي الحديث دليلٌ على جواز رؤية الجن، وأمّا قوله تعالى في حق الجن: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] فلا دلالة فيه على عدم الجواز؛ لأنّ مساق الآية الكريمة التحذير من شرّهم لخفاء كيدهم، واستدلال ابن بطال بالآية على أن رؤية العفريت خُصَّ به رسول الله ﷺ كما خصّ برؤية جبريل على صورته، وكذا رؤية الشيطان على صورته لم يقع لأحد غير رسول الله ﷺ لا يَتمُّ كما أشرنا إليه، وقد نقل عن السلف رؤية الجن، وحديث أبي هريرة في البخاري أنه رأى إبليس وخاطبه ثلاث ليال على الولاء، كما يأتي في أبواب الزكاة. (١)

ويدل على ذلك أيضـًا حديث أُبَيِّ بن كَعْبٍ،، أَنَّهُ كَانَ لَهُ جُرْنٌ مِنْ تَمْرٍ، فَكَانَ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ شِبْهِ الْغُلامِ الْمُحْتَلِمِ [يعني في الحجم]، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ، جِنِّيٌّ أَمْ إِنْسِيٌّ ؟، قَالَ: لا بَلْ جِنِّيٌّ، قَالَ: فَنَاوِلْنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَإِذَا يَدُهُ يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُهُ شَعْرُ كَلْبٍ، قَالَ: هَكَذَا خَلْقُ الْجِنِّ، قَالَ: قَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ أَنَّ مَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ ؟ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ، قَالَ: فَمَا يُنْجِينَا مِنْكُمْ ؟ قَالَ: هَذِهِ الآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] مَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُمْسِيَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ:

= الكوراني.

(١) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري.

صَدَقَ الْخَبِيثُ. (١)

(لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلاَةَ) أي ليفسدها عليَّ، فلا أكون فيها حاضرَ القلب.

فائدة (٢): إفساد الصلاة من وظائف الشيطان:

وفيه أن من الوظائف الرئيسة للشيطان الرجيم، الحرص على إفساد صلاة المؤمن، وتضييع خشوعه فيها، فلئن فاز بذلك، فاز بالشيء العظيم، فلقد ضيع صلاة المؤمن، ولهذا نبهنا النبي ﷺ على مثل ذلك، ففي حديث عُثْمَانَ بْنَ أَبِى الْعَاصِ رضي الله عنه، أنه أَتَى النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِى وَبَيْنَ صَلاَتِى وَقِرَاءَتِى يَلْبِسُهَا عَلَىَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" **ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنْزِبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاَثًا، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّى**". (٢)

فائدة(٣): من وسائل دفع الشيطان:

وفيه أن الشيطان إنما يُدفع شرُّه وأذاه بالاستعاذة بالله منه، والاستعانة بالله عليه(٣)، فخير سبيل للاحتماء من الشيطان وجنده، هو الالتجاء إلى الله والاحتماء بجنابه، وقد قال سبحانه: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]

(فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ) أَيْ: أَعْطَانِي مُكْنَةً مِنْ أَخْذِهِ وَقُدْرَةً عَلَيْهِ أَنْ أُعَاقِبَهُ بِمَا شِئْتُ يَعْنِي جَعَلَنِي غَالِبًا عَلَيْهِ.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه مسلم.

(٣) والفرق بين الأولى والثانية: أن الأولى باللسان، والثانية بالقلب.

(**فَذَعَتُّهُ**) بالذال المعجمة: أي خنقته، وفي رواية "فدعته" بالدال المهملة: أي دفعته دفعًا شديدًا.

(وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ)

❐ فائدة (٤): القدرة على الجن، وربطه:

وفيه أن الله تَعَالَى أقدره على ذلك، وأمكنه منه، وفيه مشروعية هذا الربط للجني أو الإنسي الذي يُخشى هروبه من حقٍ عليه، أو دين، والتوثيق منه، لئلا يضيّع حقوق المسلمين.

❐ فائدة (٥): ربط الأسير في المسجد:

وفيه أن ربط الأسير في المسجد، مباح، لأن إرادته ﷺ كفعله، بل قد فعل ذلك في غير هذا الموضع، فقد ربط ثُمامة بن أُثال في إحدى السواري، وقتـًا ليس بالقصير، وحديثه في الصحيحين، ولهذا بوّب البخاري بقوله: "باب الأسير والغريم يُربَط في المسجد".

وفي قوله ﷺ: **"حتى تصبحوا تنظرون إليه"** دليلٌ على أن ذلك ممكن، فهو دليلٌ على جواز رؤية الجني، كما أشرنا إلى ذلك في أول فائدة.

(فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي)

❐ فائدة (٦): لماذا ترك النبي ﷺ، الجنيَّ؟

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "معناه أنه مختص بهذا، فامتنع نبينا ﷺ من ربطه، إما لأنه لم يقدر عليه لذلك، وإما لكونه لمّا تذكر ذلك لم يتعاط ذلك لظنه أنه لم

يقدر عليه، أو تواضعًا وتأدبًا"

قال الجامع عفا الله تعالى عنه: تركه تواضعًا وتأدبًا هو الظاهر والله تَعَالَى أعلم.(١) وقال السندي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "والمراد لولا توهم عدم استجابة هذه الدعوة لأخذته، لا أنه بالأخذ يلزم عدم استجابتها، إذ لا يبطل اختصاص تمام الملك لسليمان بهذا القدر. فليتأمل".(٢)

❐ فائدة (٧): توقير الأنبياء، والعلماء والصالحين بعضهم بعضـًا:

وفيه أن الأنبياء يوقِّر بعضهم بعضاَ، ويرعى بعضُهم حقوق بعض، فلقد امتنع النبي ﷺ من ربط العِفريت من أجل تلك الدعوة التي دعا بها سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، أفلا يقتدي الدعاة، وأهل العلم، بنبيهم عليه الصلاة والسلام ـ وهم أحق بأن يقتدوا به ـ فيوقر بعضهم بعضـًا، ويَشيع الأدب بينهم، حتى وإن اختلفوا، طالما يسعهم الخلاف، فيعرفون فقهه، ويتأدبون بأدبه، ليقتدي بهم من دونهم ؟

قَالَ يُوْنُسُ الصَّدَفِيُّ: مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنَ الشَّافِعِيِّ، نَاظَرْتُهُ يَوْمـًا فِي مَسْأَلَةٍ، ثُمَّ افْتَرَقْنَا، وَلَقِيَنِي، فَأَخَذَ بِيَدِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُوْسَى، أَلاَ يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُوْنَ إِخْوَانـًا وَإِنْ لَمْ نَتَّفِقْ فِي مَسْأَلَةٍ.(٣)

(فَرَدَّهُ الله خَاسِئًا) أي مطروداً ذليلاً، لم ينل ما أراد.

❐ فائدة(٨): الشيطان ضعيف:

وفيه أن كيد الشيطان ضعيف، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا

---

(١) شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي.

(٣) سير أعلام النبلاء.

﴿ ... ﴾ [النساء: ٧٦] فالشيطان وإن بلغ مَكْرُهُ ما بلغ فإنه في غاية الضعف، ويظهر هذا الضعف إذا استعان العبد بربه، واستعاذ به، فهنا لا حيلة للشيطان ولا كرامة، ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٩-١٠٠]

❐ فائدة (٩): فاتخذوه عدواً:

وفيه ضرورة إعلان العداوة لهذا الشيطان، لا بالقول فقط، وإنما بالقول والقلب والعمل، فاللسان يستعيذ بالله منه، والقلب يستعين بالله عليه، والجوارح تخالفه، وتجاهده، وتتحداه، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر:٦]

قال السعدي ـ في تفسيره ـ: "أي لتكن عداوته منكم على بال، فلا تُهملوا محاربته كل وقت، فإنه يراكم وأنتم لا ترونه، وهو دائمٌ لكم بالمرصاد ".

وكلما كنت قوياً في معاداته، كلما كان ضعيفاً، ولا يزال يضعف حتى يمل، فلا يأتينك إلا قليلاً.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفَتَّنٍ تَوَّابٍ، قِيلَ: فَإِذَا عَادَ؟ قَالَ: يَسْتَغْفِرُ اللهَ وَيَتُوبُ، قِيلَ: فَإِنْ عَادَ؟ قَالَ: يَسْتَغْفِرُ اللهَ وَيَتُوبُ، قِيلَ: فَإِنْ عَادَ؟ قَالَ: يَسْتَغْفِرُ اللهَ وَيَتُوبُ، قِيلَ حَتَّى مَتَى؟ قَالَ: حَتَّى يَكُونَ الشَّيْطَانُ هُوَ الْمَحْسُورُ.(١)

❐ فائدة (١٠): فإن قيل: وكيف نتحصن من الشيطان الرجيم ؟

فالجواب:

١ـ الإخلاص: لما علم إبليس أنه لا سبيل له على أهل الإخلاص استثناهم

---

(١) جامع العلوم والحكم.

من إضلاله وإغوائه، فقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣ ﴾ [ص: ٨٢ – ٨٣]، وقال تعالى في حق الصِّدِّيق يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٢٤﴾ [يوسف: ٢٤]، فالإخلاص هو سبيل الخلاص من الشيطان، وأهل الإخلاص أعمالهم كلها لله وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله ومنعهم لله وحبهم لله وبغضهم لله.

٢ـ تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، فقد روى أبو داود في سننه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلى أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وَهُمَا يُصَلِّيَانِ اللَّيلَ.. وجاء في آخر الحديث: أَنَّ عُمَرَ سَأَلَهُ النَّبِيُ ﷺ عَنْ سَبَبِ رَفعِ صَوتِهِ بِالقُرْآنِ، فَقَالَ: أُوقِظُ الْوَسْنَانَ، وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ.(١)

٣ـ قراءة سورة البقرة: فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ"**.

٤ـ قراءة آية الكرسي عند النوم: فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قصة قبضه على الشيطان.. وفي آخر الحديث علَّمه أن يقرأ آية الكرسي فإنه لن يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، فلما أخبر أبو هريرة النبي ﷺ بذلك قال: **"صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ"**.

٥ـ قراءة المعوذتين: فقد روى أبو داود في سننه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمره بقراءة المعوذتين وقال له: **"يا عُقْبَةُ تَعَوَّذْ بِهِمَا، فَمَا تَعَوَّذَ**

---

(١) صحيح سنن أبي داود.

مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا".(١)

ومن المواضع التي ثبت في السنة أنها تُقرأ فيها: حين يصبح المؤمن، وحين يُمسي، وعند النوم، وأدبار الصلوات، والرقية بهما على المسحورين، والمرضى وغير ذلك.

٦ـ التهليل مائة مرة: كما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ"**.

٧ـ التسمية عند الخروج من البيت، وعند الجماع، وعند الدخول إلى الخلاء، وعند الطعام:

ففي صحيح الترمذي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"من قال يعني إذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كُفيت ووُقيت وتَنحى عنه الشيطان"**

وفي صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِى ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا "**.

وفي صحيح سنن الترمذي عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" سِتْرُ مَا بَيْنَ**

---

(١) صحيح سنن أبي داود.

الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ الْكَنِيفَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللهِ "

وفي الصحيحين عن أنس كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: " **اللهم إني أعوذ بك من الخبُث والخبائث** "، وهي ذكور الشياطين وإناثهم.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**"

٨ـ وهو من أهمها معرفة تفاصيل عداوته وطرق خداعه التي جاء بيانها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والاستعانة في ذلك بكتب أهل العلم الشارحة لهذه الأمور، ومنها: كتاب ابن القيم إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، وكتاب ابن الجوزي المسمى تلبيس ابليس.. وغيرها.

❐ فائدة (١١): لماذا أخبرنا النبي ﷺ بهذا الحديث؟

الجواب: سبب إخبار النبي ﷺ بهذا الحديث: ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ [أي يصلي] سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: "**أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ**"، **ثُمَّ قَالَ: "أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ"، ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ؟ قَالَ: "إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي فَقُلْتُ أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قُلْتُ أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ آخُذَهُ، وَاللهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ**".

❐ فائدة (١٢): استحباب لعن إبليس:

جواز لعن إبليس داخل الصلاة، وخارجها من باب أولى، وأن ذلك مستحب، ليذَكِّر الإنسان نفسه دائمـًا بعداوته له، فقد قال ﷺ: "**أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ**".

❐ فائدة (١٣): هل الجن باقون على عنصرهم الناري؟

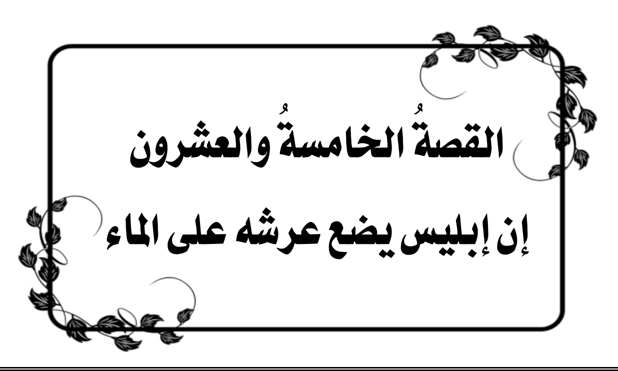
أن الجن ليسوا باقين على عنصرهم الناري، لأنه ﷺ قال: "إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي" ولو كانوا باقين على عنصرهم الناري، وأنهم نار محرقة لما احتاجوا إلى أن يأتي الشيطان بشعلة من نار، ولكانت يده، أو شيء من أعضائه إذا مس ابن آدم أحرقه، كما تحرق النار الحقيقية الآدمي بمجرد اللمس، فدلّ على أن تلك النارية انغمرت في سائر العناصر حتى صار إلى البرد.

❐ فائدة (١٤): الحلف من غير استحلاف:

وفيه بيان جواز الحلف من غير استحلاف، لتفخيم ما يخبر به الإنسان، وتأكيد صحته، وهو قوله ﷺ:" وَاللهِ لَوْلاَ دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لأَصْبَحَ مُوثَقًا بِهَا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ "

فاللهم إنا نعوذ بك من شر شياطين الإنس والجن





القصةُ الخامسةُ والعشرون

إن إبليس يضع عرشه على الماء

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا! قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ. قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ! "**.

قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: "فَيَلْتَزِمُهُ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ.

(**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ**) أي سريرَ ملكِهِ، وذلك كل مطلع يوم.

(**عَلَى الْمَاءِ**) وفي رواية على البحر، ومعناه أن مركز قيادته البحر، ومنه يبعث سراياه في نواحي الأرض، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد أن الرسول ﷺ قال لابن صائد، وقد لقيه في بعض طرق المدينة، وكان يشك ﷺ أنّه الدجال: ما ترى ؟ قال: أرى عرشـًا على الماء، فقال رسول الله ﷺ: ترى عرش إبليسَ على البحر.

❐ فائدة (١): مسكن إبليس:

وفيه أن إبليسَ، مسكنه البحر، كما هو ظاهر الحديث.

(**ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ**) أي جنودَه وأعوانَه، يُرسلهم إلى إغواء بني آدم وإضلالهم

وإيقاع البغضاء والشرور بينهم، ففي رواية لمسلم:" ثم يبعث سراياه يَفتنون الناس " أي يضلونهم بتزيين المعاصي إليهم حتى يقعوا فيها، وفي رواية ابن حبان: "**إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ**"

❐ **فائدة (٢): ولماذا يفعل إبليس ذلك؟**

الجواب:هذا الذي يقوم به إبليس هو ما أخذه عهداً على نفسه منذ أخرجه الله من الجنة، كما قال سبحانه: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ۝٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٨٣ ﴾ [ص: ٧٧ـ٨٣] فوجب التحصن بالإيمان لمواجهة ذلك الطغيان، ولزِم تحقيق الإخلاص، إذا أردنا الخلاص.

(**فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**) أي أقربهم منه، وأحبهم إليه، أكثرهم إضلالاً، وفي رواية لمسلم: "فَأَعظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً "

(**يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا**) أي أمرت بأجناس المعاصي، من شرب الخمر، والسرقة، والزنا، ونحو ذلك.

(**فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا!**) أي ما قدَّمت شيئاً عظيماً أو معتداً به، يقلل جهوده، ويستصغر عمله، مع أنه أضلَّ وأغوى.

(**قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ**) أي ظللت أوسوس لهما وأوقع البغضاء والعداوة بينهما حتى فارقها.

(**قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ**) أي يقرب إبليسُ ذلك المُغْوي المضِل من نفسه.

(**وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ!**) بكسر النون وسكون العين المهملة أي نعم الجنديُّ

أنت، لقد صنعت شيئاً عظيماً، فالمقصود أنه شكر صنيعه، وأُعجب بفعله.

❑ فائدة (٣): ليتنا نتعلم الخِبرة والتخطيط من الشيطان !

ونستفيد من ذلك: أن الشيطان له خبرة عريضة في مجال الإضلال، ولذلك فإنّه يجيد وضعَ خططِه، ونصبَ مصايده وأحابيله، فهو لم يزل حيّاً يضل الناس منذ وجد الإنسان إلى اليوم، وإلى أن تقوم الساعة: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ ﴾ [الحجر: ٣٦-٤٠]

وهو دؤوب على القيام بالشر الذي نذر نفسه له، لا يكل ولا يمل، ففي الحديث: "إن الشيطان قال: وعزتك وجلالك لا أبرح أُغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني" (١)

أفلا يتعلم المؤمن من عدوِّه، فيكون مراقباً لمن تحته، متابعاً لهم، معتنياً بهم، منظِّماً حياتَه، مخططاً لها، وكما قيل: لو أننا نعمل كالأبالسة لكنا من المصطفَين الأخيار.

❑ فائدة (٤): أسمى أماني الشيطان:

واعلم أن من أسمى أماني الشيطان الرجيم: التفريق، لا بين المرء وزوجه فقط، ولكن بين الأحبة، كما في حديث جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **"إِن الشَّيْطَانَ قد أيس أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنَّ فِي التحريش**

---

(١) رواه أحمد والحاكم بإسناد حسن، وانظر صحيح الجامع.

بَينهم" (١)، والمعنى أن الشيطان لم يطمع كثيراً في أن يترك الناس دينهم، فهذا مما يصعب على العبد، وإنما طمع الشيطان في أن يُحرِّش بينهم، حتى يقعوا في الخصومة والهجر.

(**قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: "فَيَلْتَزِمُهُ"**) الأعمش: أحد رواة الحديث، واسمه سليمان بن مِهران، وقوله (أُرَاهُ) بضم أوله، أي أظن أبا سفيان طلحة بن نافع الراوي عن جابر، (قَالَ: "فَيَلْتَزِمُهُ") أي فيعانقه ويضمُّه إلى نفسه مِن حُبِّه لما قام به التفريق بين الزوجين.

إشكال: فإن قيل: إن الطلاق مباح، والزنا محرم، والسرقة محرمة، وشرب الخمر محرم، والقتل محرم، فلِمَ لَمْ يفرح إبليس بوقوع هذه المعاصي المحرمة وفرح فرحًا عظيمًا لهذا الشيء المباح الذي يرتكبه بنو آدم، ولا إثم عليهم؟

الجواب: إن كل معصيةٍ يمكن أن يتوب العبد منها، فكل معصية جعل الله تعالى للعبد فيها فَرَجًا ومخرجًا، إما بحدٍ أو باستغفار، فإذا زنى الرجل المحصن، فرُجم، فكأنما لم يزن، وإذا سُتر عليه وتاب صادقًا، تاب الله عليه، وهنا رجع الشيطان خائبًا، فقد ذهب جهدُه هدراً، وكذلك الذي يشرب الخمر، أو الذي يقتل، أو يسرق، مع فداحة هذه المعاصي، إلا أن إبليس لا يهتز لها، وإنما يهتز للطلاق! لماذا؟

لأن مراد إبليس أن يرى العباد جميعًا في غوايةٍ وضلال دائمين، تصور رجلاً طلق امرأته، وله منها ولد، من الذي سيتولى تربية هذا الولد ؟

---

(١) رواه مسلم.

هل زوجُ أمِّه الجديد؟ أم زوجةُ أبيه الجديدة ؟ غالبـًا لا هذا ولا ذاك، وإنما سيربيه الشارع المليء بالوباء، وحينئذٍ سيكون هذا الولد جنديـًا مخلصـًا من جنود إبليس، [1] فإذا كان الشيطان يحمل سلاحه بهذه الصورة الفجة، ويُشهره في وجوه بني آدم جميعـًا، أفيليق بك أيها العاقل أن ترى هذا الشيطان ممسكـًا سلاحه، ثم تلقي سلاحك على الأرض؟! أهذا يعقل؟! عدوُّك معه سلاحه، وهو يتربص بك، وأنت تعلم أنه سيقتلك، ثم ترمي سلاحَك أمامه؟!

فكان لزامـًا على الزوجين أن يعلما أن الشيطان الرجيم لهما بالمرصاد، فهو متربصٌ بهما، مضمرٌ لهما العداوة والبغضاء، فيصعِّد عندهما الخلافات البسيطة مما يجعلها ذات حجم أكبر من أصلها، وربما كانت سببًا في إحداث الفرقة بينهما، فليتقوا ربهم، ولا يجعلوا للشيطان عليهم سبيلاً.

جاء في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: "وذلك لأن النكاح عقد شرعي يستحل به الزوج، وهو يريد حَل ما عقده الشرع، ليستبيح ما حرَّمه، فيكثر الزنا وأولاد الزنا، فيفسدوا في الأرض، ويهتكوا حدود الشرع، ويتعدَّوا حدود الله تعالى، قاله الطيبي، والقصد بسياق الحديث التحذير من التسبب في الفراق بين الزوجين"

❐ **فائدة (٥): ابتعد عن أسباب الطلاق:**

وإنه مما يجب على الزوجين: معاداةً للشيطان، ومخالفةً له، وطمعـًا في الحياة السعيدة ـ أن يبتعدا عن كل سببٍ قد يؤدي إلى الفراق بينهما.

---

(١) وهذه القاعدة ليست مطردة، لكنها غالبة.

وأسباب الطلاق كثيرة، أهمها ما يلي:

١ـ التفريط في طاعة الله، وعدم الاستقامة على منهج الله، قال سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٣، ١٢٤]

٢ـ غلاء المهور، والتكاليف الباهظة في حفلات الزواج وغيرها مما لا يعود بنفع، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: " إن من يُمن المرأة: أن يتيسر خِطبتها، وأن يتيسر صداقها، وأن يتيسر رحِمها" (١)

٣ـ راتب الزوجة، فبقدر ما تنفق الزوجة بقدر ما تُسقط من قوامة الزوج ـ إلا من رحم ـ فقد قال سبحانه: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء:٣٤]

٤ـ التهاون بلفظ الطلاق، وإطلاقه لأتفه سبب، وعند أدنى استفزاز، مثل هذا، لا يقوم له بيت، أو يعيش في الحرام مع زوجته، عياذاً بالله.

قال القرطبي: وفي موطأ مالك أنه بلغه أن رجلاً قال لابن عباس: "إنى طلقت امرأتى مائة مرة فماذا ترى عليَّ؟ فقال ابن عباس: طُلقت منك بثلاث، وسبعٌ وتسعون اتخذت بها آيات الله هزوًا" (٢)

٥ـ طلب الزوجة الطلاق، وهذا يقع كثيراً بلا موجب، ويظن صاحبنا أنه إذا لم يُلبِّ طلبها نقصت رجولته، وضعفت كرامته، فيقع الطلاق، ويكثر العويل والصراخ والشقاق، وقد قال ﷺ:**"أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما**

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي وأحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) الجامع لأحكام القرآن.

بأس، فحرامٌ عليها رائحة الجنة" [١]

وقوله: "في غير ما بأس" أي بغير سببٍ قويٍ مشروع، كأن يكون تاركـًا للصلوات، لاهثـًا وراء المخدرات، يعاملها أسوأ المعاملات، ونحو ذلك.

٦ـ عدم الإشباع العاطفي والنفسي لكلٍ من الزوجين، تسعون في المأئة من المشاكل التي تثار في أكثر البيوت، سببها إهمال ذلك الجانب.

٧ـ تدخل الأبوين في شئون الزوجين.

٨ـ الترف الذي نشأت عليه المرأة.

٩ـ فقد الرجل أهم ما يملك (القوامة).

١٠ـ فقد الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله.

١١ـ المعاصي الضخمة التي تعج بها البيوت في هذه الأيام، وأظهرها الإباحيات التي صارت في أيدي الصغار والكبار، والنساء ! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٢ـ الجهل بالدين عمومـًا، وبأحكام الطلاق خصوصـًا.[٢]

❐ فائدة (٦): الإسراع في حل الخلافات الزوجية في مهدها:

وإنه مما يجب على الزوجين كذلك: أن يسرعا في علاج الخلافات في بدايتها، وأن يُعالَجَ الخطأ في مَهده قبل أن يستفحل الأمر ويتسع الخَرْقُ على

---

(١) رواه ابن ماجه وأبوداود والترمذي، وصححه الألباني.

(٢) راجع كتابي: سلوكيات مرفوضة

(كثرة الطلاق)

الراقِع وقبل أن يستعصي الداءُ فلا ينْفَعُ دواء، وليعلما أن التواني والقعود عن حلها يعني تأصيلها وتغلغلها في جسد الحياة الزوجية، وما أجمل أن يضع الزوجان أسلوبًا أو منهجًا، يتفقان عليه في مواجهة المشكلات الزوجية؛ وذلك من أول أيام الزواج.

وقد قسم القرآن الخلافَ بين الزوجين إلى درجات ووضع لكل درجة علاجـًا مناسبـًا لها.

❍ الدرجة الأولى:

الخلافات الصغيرة بين الزوجين، كاختلافهما في الطباع والذوق والمزاج، وهذه الخلافات الصغيرة المتكررة بين وقت وآخر، ولا تخلو منها أسرة من البشر، حتى بيوت الرسول ﷺ لم يسلم من مثل هذه المنغِّصات العابرة، وهنا يقول ﷺ " **لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَر**" (١)

فالعلاج يكون بين التسامح وغض الطرف، وبين الموعظة والمغاضبة والهجر اللطيف، ودعوة كل طرف أن يراجع نفسه.

❍ الدرجة الثانية:

أن يكون الخلاف حول أمر جوهري لا يمكن التغاضي عنه أو التسامح فيه، وقد نبهت الآية إلى عدة حلول له:

١ـ النصح والإرشاد، حيث يُلفت الزوج نظر زوجته إلى خطئها، ويبين لها الصواب، بالقول اللين، والوعظ الحسن.

---

(١) رواه مسلم، ومعنى "يفرك": يبغض.

٢ـ الهجر في المضاجع أي يترك الجماع، مع الصد والإعراض، قال ابن عباس يوليها ظهره ولا يجامعها(١)، وقد هجر رسول الله ﷺ نساءه شهراً حتى شاع في المدينة انه طلقهن.

٣ـ الضرب الخفيف [غير المُبَرِّح]، فان لم ترتدع الزوجة بالموعظة ولا بالهجران، فله أن يؤدبها بالضرب غير المبرح ضرباً رقيقاً رحيماً، يؤدب ولا يحطم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء: ٣٤]

وقد وضع الإسلام قيوداً وضوابط لهذا العلاج حتى ربط بين الضرب وبين الإتيان بقبائح الأفعال كالفاحشة، كما في حديث عَمْرِو بنِ الأحْوَصِ أن النبي ﷺ قال:**"ألاَ واسْتَوْصُوا بالنّسَاءِ خَيراً، فإنّمَا هُنّ عَوانٌ عِنْدَكم لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنّ شَيْئًا غَيْرَ ذلِكَ، إلاّ أَنّ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهجُرُوهُنّ في المضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنكُمُ فَلاَ تَبْغُوا علَيْهِنّ سَبِيلاً، أَلاَ إنّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُم حَقّا، ولِنسَائِكمْ عَلَيْكُمْ حَقًا، فَأَمّا حَقكّمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئنَ فُرُشكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ولاَ يَأْذَنّ في بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، ألاَ وحَقهُنّ عَلَيْكُمْ أنْ تُحسِنُوا إلَيْهِنّ فِي كِسْوَتِهِنّ وطَعَامِهِن"** (٢)

قال ابن حجر: " إن كان لابد فليكن التأديب بالضرب اليسير بحيث لا يحصل منه النفور التام، فان اكتفى بالتهديد ونحوه كان أفضل، ومهما كان

(١) تفسير الطبري.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

الوصول إلى الغرض بالإيهام لا يعدل إلى الفعل لما في وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن المعاشرة المطلوبة في الزوجة إلا إذا كان في أمر يتعلق بمعصية الله تعالى " (١)

❍ الدرجة الثالثة:

إذا اشتد الخلاف وعجزت كل الطرق السابقة في العلاج، فعلى الحاكم أن يختار حكمين عدلين واحداً من أقرباء الزوجة والثاني من أقرباء الزوج، ليبحثا في موضوع الخلاف، ويحاولا الإصلاح بين الزوجين بالطرق الحكيمة، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء: ٣٥]

قال القرطبي: ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ ﴾ أي إن يُرد الحكمان إصلاحـًا يوفق الله بين الزوجين، وقيل: إن يُرد الزوجان إصلاحاُ وصدقـًا فيما أخبرا به الحكمين يوفق الله بينهما، والحكمان لا يكونان إلا من أهل الرجل والمراة إذ هما أبصر بأحوال الزوجين ويكونان من أهل العدالة وحسن النظر والبصر والفقه، فان لم يوجد من أهلهما من يَصلح لذلك، فيرسِل من غيرهما عدلين عالمين " (٢)

❍ الدرجة الرابعة:

أن تتسع الفجوة بين الزوجين ويقع ما تستحيل معه العشرة وترتفع الألفة

---

(١) فتح الباري.
(٢) تفسير القرطبي.

والمودة فيلجأ إلى الطلاق، وهنا يقول الله سبحانه: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ [النساء:١٣٠]

وقد جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي امرأةً لا تَرُدُّ يدَ لامس ! فقال ﷺ: طلقها (١)

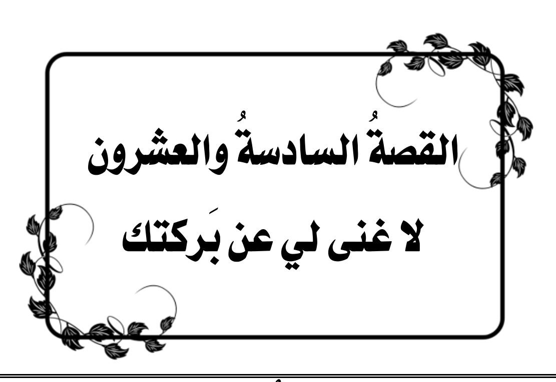
وفي حديث ابن عباس: أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي فقالت: يا رسول الله، ثابتُ بن قيس، ما أعتِب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفرَ في الإسلام، فقال رسول الله: أترُدِّين عليه حديقته؟ قالت: نعم، قال: اقبل الحديقة وطلقها تطليقة.(٢)

والله نسأل أن يحفظ بيوتنا من الشقاق، وأن يديم بيننا المودة والوفاق



(١) صحيح سنن النسائي.

(٢) رواه البخاري.



القصةُ السادسةُ والعشرون
لا غنى لي عن بَركتك

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا أَيُّوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ البُخارِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَأَحْمَدُ.

(بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا) أي وحده.

❐ **فائدة (١): جواز التعري عند الخلوة:**

ويستفاد من ذلك: جواز التعرِّي عند الخلوة، لأنَّ شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يدل الدليل على نسخه، وقد قال عز وجل ـ عن أنبيائه ورسله ـ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام:٩٠] وإن تسَتَّر خاليـًا كان أفضل، لحديث بَهز بن حكيم عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَوْرَاتُنَا، مَا نَأْتِي مِنْهَا، وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: "احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: "إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تُرِيَهَا أَحَدًا، فَلَا تُرِيَنَّهَا"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: "فَاللهُ

أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ "[1]

أما إذا كان الإنسان يغتسل أو يقضي حاجته بحضرة الناس ـ رجالاً كانوا أو نساءً ـ فوجب عليه التستر، فديننا دين الحياء، وقد علَّمنا ذلك سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام، فعن يعلى بن أمية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يغتسل بالبَراز[2] بلا إزار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**إن الله عز وجل حَييٌّ ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»[3].

(**خَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ**) أيْ أنزل اللهُ تعالى على نبيه أيوب ﷺ، ذهبًا على صورة الجراد، وذلك من جزاء صبره على البلاء، ورضاه بما قَدَّره سُبحانه عليه، ومعجزةً في نفس الوقت، وفي رواية للبخاري: "خر عليه رِجْلُ جرادٍ من ذهب" أي مجموعة جراد، لأن الجراد جمع جرادة.

❐ فائدة (٢): من هو أيوب عليه السلام؟

وأيوب عليه السلام من أنبياء الله الكرام الذين عظُم بلاؤهم، وعظُم كذلك صبرهم، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللهِ عليه السلام لَبِثَ بِهِ بَلاؤُهُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ ، إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ ، كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانَ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: تَعْلَمُ وَاللهِ ، لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ ، قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرحمه الله فَيَكْشِفَ مَا

---

(١) رواه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه، وغيرهم، وحسنه الألباني.

(٢) البَراز: بالفتح الفضاء الواسع، انظر مختار الصحاح.

(٣) رواه أبوداود والنسائي وصححه الألباني.

بِهِ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَى أَيُّوبَ ، لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: مَا أَدْرِي مَا تَقُولَانِ ، غَيْرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ بِالرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ ، فَيَذْكُرَانِ اللهَ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللهُ إِلَّا فِي حَقٍّ ، قَالَ: وَكَانَ أَيُّوبُ يَخْرُجُ لِحَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ ، أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى أَيُّوبَ أَنِ: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ص:٤٢] فَاسْتَبْطَأَتْهُ ، فَبَلَغَتْهُ تَنْظُرُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ ، فَهو أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللهِ هَذَا الْمُبْتَلَى؟ وَاللهِ عَلَى ذَلِكَ ، مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا ، قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هو، وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ (١): أَنْدَرُ الْقَمْحِ، وَأَنْدَرُ الشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللهُ سَحَابَتَيْنِ فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ ، أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ وَأَفْرَغَتِ الْأُخْرَى عَلَى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ " (٢)

وفيه: أن المحنة مهما طالت، تعقبها المنحة، والشدة مهما زادت تعقبها الفُرجة، فإن مع العسر يسراً، فإن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ صبر على مرضه وبلائه مدةً طويلة، لكنه كوفئ بعد ذلك أعظم المكافأة، في الدنيا: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٤] مع هذا المال الذي أغناه الله به، ولثواب الآخرة أتم وأوفى، وأعظم وأكرم.

---

(١) أي بيدران.

(٢) رواه ابن حبان، وأبو يعلى في المسند، والحاكم في المستدرك، وصححه الألباني في الصحيحة،وانظرالجامع الصحيح للسنن والمسانيد: صهيب عبد الجبار

(**فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ**) أي: يَجمعُ مِن ذلك الذهب بيديه جميعًا، ويضعه في ثوبه، وفي رواية بَشير بن نَهيك: "يلتقِط"، وفي حديث ابن عبّاس عند أبي حاتم: "فجعل أيّوب ينشُرُ طرفَ ثوبه فيأخذ الجراد، فيجعله فيه، فكلما امتلأت ناحية نشر ناحية".(١)

(**فَنَادَاهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**) يُحتمل أن يكون بواسطة أو بإلهام، ويُحتمل أن يكون بغير واسطة كما كلَّم موسى، وهذا النداء لم يكن من قبيل العتاب بقدر ما كان منْ قَبِيلِ التَّلَطُّفِ وَالامْتِحَانِ بِأَنَّهُ هَلْ يَشْكُرُ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ، فَيَزِيدُ فِي الشُّكْرِ.

(**يَا أَيُّوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟**) أي بعد أن عافاك الله إلى الآن.

❐ فائدة (٣): أيوب الصابر الشاكر:

فيه: أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَمَعَ لِأَيُّوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَقَامَيْ الصَّبْرِ عَلَى الْفَقْرِ وَالشُّكْرِ عَلَى الْغِنَى بِاعْتِبَارِ حَالَتَيْنِ فَكَانَ فِي حال الْبَلَاءِ فَقِيرًا صَابِرًا وَبَعْدَهُ كان غَنِيًّا شَاكِرًا وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِ ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ ﴾ [ص: ٤٤] فَأَثْنى عَلَيْهِ بِالصَّبْرِ ثُمَّ قَالَ ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠ ﴾ [ص: ٤٤] فَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ غَنِيٌّ شَاكِرٌ كَمَا قَالَ فِي حَقِّ سُلَيْمَانَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠ ﴾ [ص: ٤٤] مَعَ أَنَّهُ كَانَ غَنِيًّا شَاكِرًا.

(**بلى وعزتك**)

---

(١) كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري: محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي.

فائدة (٤): الحلف بصفات الله:

يدلّ ذلك على جواز الحلف بصفة من صفات الله تعالى، كصفة العزة.

(وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ) أي بلى أغنيتني بفضلك الواسع فأنعمت على بالصحة بعد المرض، وبالغنى بعد الفقر، وبالسلامة من العاهات البدنية التي كنت أعانيها مدة من الزمان، فطهّرت جسمي منها ولكن هذا الذهب نعمة من نعمك، وخيرٌ من عندك، فكيف أستغني عن خيرك ونعمتك، وإني لما أنزلتَ إلي من خيرٍ فقير.

فائدة (٥): معنى البركة:

معنى البركة: النماء والزيادة، حسية كانت أو معنوية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: " فهذا الدعاء [١] يتضمن إعطاءه من الخير ما أعطاه لآل إبراهيم وإدامته وثبوته له، ومضاعفته له وزيادته، هذا حقيقة البركة" [٢]

وبهذا يتضح أن البركة هي: ثبوت الخير ودوامه، أو كثرة الخير وزيادته، أو هما معـًا.

جاء في التوقيف على مهمات التعاريف ـ للمُناوي ـ:" البركة: هي خيرٌ تابتٌ دائمٌ مع زيادةٍ ونماء، ولا تكون إلا من الله تعالى، يضعها في من شاء من خلقه، على وجهٍ لا يُحصى ولا يُحسُّ ظاهره، فيكون مباركـًا، وهذا الخير الإلهي، قد يكون في ذوات أو صفات أو أمكنة أو أزمنة ".

---

(١) أي دعاء الصلاة على النبي ﷺ في التشهد "اللهم بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ"

(٢) جلاء الأفهام.

البَرَكَة إن وُجدت وحلَّت، اتسعت الأوقاتُ، وتضاعفت الطاقات، وتحققت الإنجازات، ووقعت المعجزات، وإن فُقدت أو رحلت، فربما خرج الإنسانُ من هذه الحياة، مهما طال عمره، وكثُر سعيُه، بلا زاد قدَّمه، ولا أثر خلَّفه.

"وطلب البركة لا يخلو من أمرين: الأول: أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم، مثل القرآن، قال الله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام:٩٢]، فمن بركته هدايته للقلوب، وشفاؤه للصدور وإصلاحه للنفوس، وتهذيبه للأخلاق، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة. الثاني: أن يكون التبرك بأمر غير مشروع، كالتبرك بالأشجار والأحجار والقبور والقباب والبقاع ونحو ذلك، فهذا كله من الشرك" (١)

❐ فائدة (٦): هل يجوز الاستكثار من الحلال؟

وَفِيهِ جَوَازُ الْحِرْصِ عَلَى الِاسْتِكْثَارِ مِنَ الْحَلَالِ فِي حَقِّ مَنْ وَثِقَ مِنْ نَفْسِهِ الشُّكْرَ عَلَيْهِ، وَيَصْرِفُهُ فِيمَا يُحِبُّ رَبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَيُتَوَجَّهُ الْأَمْرُ إِلَيْهِ.

قَالَ الطِّيبِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ: وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ ﷺ لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ جَوَابًا عَنْ قَوْلِهِ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي: " «**مَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرَ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَمَا لَا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**» " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢)

❐ فائدة (٧): لَا يُحْكَمُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِالشَّرَهِ وَحُبِّ الدُّنْيَا بِمُجَرَّدِ أَخْذِهِ لَهَا وَإِقْبَالِهِ عَلَيْهَا:

وفِيهِ أَنَّهُ لَا يُحْكَمُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِالشَّرَهِ وَحُبِّ الدُّنْيَا بِمُجَرَّدِ أَخْذِهِ لَهَا وَإِقْبَالِهِ

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة.

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي الهروي القاري.

عَلَيْهَا بَلْ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمَقَاصِدِ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ فَمُحَالٌ أَنْ يَكُونَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخَذَ هَذَا الْمَالَ حُبًّا لِلدُّنْيَا وَإِنَّمَا أَخَذَهُ كَمَا أَخْبَرَ هُوَ عَنْ نَفْسِهِ لِأَنَّهُ بَرَكَةٌ مِنْ رَبِّهِ [(١)]؛ لأنه قريب العهد بتكوينه عَزَّ وَجَلَّ، أو أنه نعمة جديدة خارقة للعادة، فينبغي تلقّيها بالقَبول، ففي ذلك شُكرٌ لها، وتعظيمٌ لشأنها، وفي الإعراض عنها كفر لها.[(٢)]

❐ **فائدة (٨): وفيه أنَّ نعمَ الْمَالُ الصَّالِحُ في يد الْعَبْدِ الصَّالِحِ.**

❐ **فائدة (٩): حبّ المتاع الدنيوي قضيّةٌ مركوزة في النفوس، ولكن:**

وفيه أن حبّ المتاع الدنيوي قضيّةٌ مركوزة في النفوس كما قال عزّوجل: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤].

ومثل هذا التجاوب مع الفطرة البشريّة ليس عيباً في حدّ ذاته ولا حرج فيه، كما أنّه لا يتنافى مع مبادئ العبوديّة ولوازمها، ولذلك توالت الآيات في التنبيه على خيرات الأرض وإباحة السعي في تحصيلها، نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد): أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي.

(٢) كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري.

والضابط في المسألة أن يستخدم المرء ماله في الأمور المشروعة والمباحة وألا يشغله عن طاعة الله وعبادته، وأفضلُ من ذلك أن يستعين به على أمور معاده، وهو ما حصل لنبي الله أيوب عليه السلام حيث إن الرزق الذي تحصّل لأيوب لم يشغله عن الشكر الواجب لتلك النعم بالقول والعمل.

❑ **فائدة (١٠): لا غنى لأحدٍ عن بركة الله:**

ومن أعظم الدروس التي نستفيدها من هذه القصّة: أنه لا غنىً لأحد عن بركة الله تعالى وإحسانه على عباده، وأن تحصيل ذلك أمرٌ مشروع عند الخلائق كلّها حتى الأنبياء والرسل عليهم السلام، وقد كان من دعاء النبي ﷺ: **"وبارك لي فيما أعطيت "**.(١)

❑ **فائدة (١١): البركة أعظم الأرزاق:**

واعلم أن البركة خير الأرزاق، قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦]

كان أحد الصالحين يدعو: "اللهم بارك لي في رزقي "، فسأله أحدهم لماذا لا تقول: اللهم ارزقني؟ قال: إن الله ضمن الرزق لكل حيّ من خلقه، ولكني أسأله البركة في الرزق، فهي جند خفي من جنود الله، يرسلها لمن يشاء، فإذا حلّت في المال أكثرته، وفي الولد أصلحته، وفي الجسم قوته، وفي القلب أسعدته.

❑ **فائدة (١٢): أسباب البركة في حياة المسلم:**

وإذا كانت البركة من الله، فعلى المؤمن التماسها، وتحري مواطنها

---

(١) أخرجه أحمد وأبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وصححه الألباني.

وأسبابها، وهاهي:

أسباب البركة في حياة المسلم:

أشارت نصوص كثيرة من القرآن والسنَّة إلى أسبابٍ تُلتمس بها البركة من الله -عز وجل- وفيما يلي بيانٌ لبعض هذه الأسباب:

١- تقوى الله عز وجل، والتوكل عليه:

قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦] وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

فليس هناك أعظمُ بركة من أن يأتيَ للإنسان رزقُه من حيث لا يحتسب ولا يتوقع، وأن يكون اللهُ -عز وجل- هو حسبَه وكافيَه في تحقيق ما يؤمِّل، ودفْعِ ما يحاذر، وأن يجعل الله تعالى له من كل همٍّ فرَجًا، ومن كل ضِيق مخرجًا، إنها أسباب البركة الواسعة، والعافية السابغة، والخير الكثير المتنوع المتعدد، تجتمع وتتكاثر حول من يتَّقي اللهَ ويتوكَّل عليه، ويمتلئ قلبُه بخشيته وتفويض الأمر إليه.

٢- الاستغفار مع ترك الإصرار:

إن البركات التي أودعها الله -عز وجل- في هذه الأرض، والتي بثَّها في وحيه المعصوم، وشريعتِه المحكَمة - لَتُحجب عن الإنسان بذنوبه ومعاصيه؛ فإذا به يسعى ولا بركة في سعيه، ويجمع ولا بقاء ولا قرار لِما يجمعه، فإذا ما ثاب إلى رشده، وآب إلى ربِّه، ولهج لسانُه بالاستغفار؛ فإن هذا الاستغفارَ الحارَّ يمزِّق الحجب، ويحرق الأستار، التي كانت تَحول بين العبد وما ساق

اللهُ له من البركات، فإذا بالخير يتدفَّق من كل جانب، وينحدر من كل صوب، على هذا النحو الذي صوَّره القرآن، قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ ﴾ [نوح: ١٠ – ١٢]، وقال جلَّ شأنه: قال سبحانه:﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هود: ٣].

٣- الدعاء بالبركة:

فمما لا شك فيه أن الدعاءَ هو أقرب الأسباب لنيل ما عند الله من الخير، فمن دعا اللهَ تعالى بالبركة فاستجاب الله دعاءه، فإنه يحصِّل البركةَ من أخصر طُرقها؛ لذلك كان رسول الله ﷺ يُعطيها من يحب؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: "مات ابنٌ لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدِّثوا أبا طلحة بابنه حتى أكونَ أنا أحدِّثه، قال: فجاء فقرَّبت إليه عَشاءً، فأكل وشرب، فقال: ثم تصنَّعتْ له أحسنَ ما كانت تصنَّعُ قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريَتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسبِ ابنَك، قال: فغضب وقال: تركتِني حتى تلطَّخت، ثم أخبرتِني بابني! فانطلق حتى أتى رسولَ الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: **"بارك اللهُ لكما في غابر ليلتكما"** قال: فحملتْ..." (١)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَىٰ أَبِي قَالَ: فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَامـًا وَوَطْبَةً، فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِتَمْرٍ فَكَانَ يَأْكُلُهُ وَيُلْقِي النَّوَىٰ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، وَيَجْمَعُ

(١) رواه مسلم.

السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَىٰ قَالَ شُعْبَةُ: هُوَ ظَنِّي، وَهُوَ فِيهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، إِلْقَاءُ النَّوَىٰ بَيْنَ الإِصْبَعَيْنِ، ثُمَّ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ، قَالَ: فَقَالَ أَبِي، وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ: ادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَقَالَ: " **اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ** " (١)

وعن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبيَّ ﷺ كان إذا رَفَعَ مائدته قال: " **الحمدُ لله كثيراً طيِّبًا مُباركًا فيه، غير مَكفِيّ ولا مُودَّع ولا مُستَغنىً عنه ربّنا** " (٢)

وعَنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي جُشَمٍ، فَقَالُوا: بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ، فَقَالَ: لاَ تَقُولُوا هٰكَذَا، وَلٰكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ، وَبَارِكْ عَلَيْهِمْ** " (٣)

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إِذَا رَفَّأَ الإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ قالَ: "**بَارَكَ الله لك، وبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي الْخَيْرِ**" (٤)

قال الشيخ الألباني ـ في آداب الزفاف ـ: وينبغي أن يضع يده على مقدمة رأسها عند البناء بها أو قبل ذلك وأن يسمي الله تبارك وتعالى ويدعو بالبركة ويقول ما جاء في قوله ﷺ: "**إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما [فليأخذ بناصيتها] [وليسم الله عز وجل] [وليدع بالبركة] وليقل: اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلتَها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه**" [وإذا

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني.

(٤) أخرجه الدارمي وابن حبان واللفظ لهما، والترمذي وقال: حَدِيثُ حسنٌ صحيحٌ.

اشترى بعيرا فليأخذ بذروه سنامه وليقل مثل ذلك] " (١)

وعن عبدالله بن مسعودٍ ﵁ أن النبي ﷺ قال: **"إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليُجب فإن كان مفطرا فليأكل وإن كان صائما فليدع بالبركة"**.(٢)

وعن عامر بن ربيعة، أن رسول الله ﷺ قال: **"إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة فإن العين حق"** (٣)

٤- سلوك السبيل السويِّ في الكسْب والاسترباح وطلب الرزق الحلال، والتعفف عن الحرام وعن الشبهات:

فإذا كان المسلم ينشُد البركة في رزقه، وفي صحته، وفي ولده، فعليه بتحري الحلال في التكسب، والترفُّع عن كل ما لا يحل له من المال والمتاع، وعليه بالصِّدق والأمانة والعفة والصيانة، وألا ينغمسَ في الربا أو الغش أو ما شابه ذلك من المحرمات التي فيها أكلٌ لأموال الناس بالباطل؛ فإنه إن سار على منهج الله، فإن البركةَ ستحُلُّ في كسبه ورزقه وحياته كلها.

عن حكيم بن حزام ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: **"البيِّعان بالخيار ما لم يتفرَّقا؛ فإن صدقا وبيَّنا، بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا، مُحقت بركةُ بيعهما"**(٤)

---

(١) أخرجه البخاري في "أفعال العباد" وابن ماجه والحاكم والبيهقي وأبو يعلى في "مسنده" بإسناد حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال الحافظ العراقي في " تخريج الإحياء": " إسناده جيد". وأشار لصحته عبد الحق الإشبيلي في "الأحكام الكبرى" بسكوته عليه كما نص في المقدمة وكذا ابن دقيق العيد في "الإلمام".

(٢) أخرجه الطبراني، وانظر صحيح الجامع.

(٣) أخرجه الطبراني والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) متفق عليه.

وعن ثوبان قال: "جاء حكيم بن حزام فسأل النبي ﷺ فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، فقال: "يا حكيمُ، إن هذا المالَ خضِرة حُلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس، بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفسٍ، لم يبارَكْ له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى"(١)

٥ـ الرضا والقناعة:

عن أَبِي الْعَلَاءِ بْن الشِّخِّيرِ، حَدَّثَنِي أَحَدُ بَنِي سُلَيْمٍ، وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، **"أَنَّ اللهَ يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِمَا أَعْطَاهُ، فَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ، بَارَكَ اللهُ لَهُ فِيهِ، وَوَسَّعَهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارِكْ لَهُ"**(٢)

وعَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" لاَ تُلْحِفُوا فِى الْمَسْأَلَةِ فَوَاللهِ لاَ يَسْأَلُنِى أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّى شَيْئًا وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ "** (٣)

٦- البر والصلة وحسن المعاملة مع الخَلْق:

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **"من أحب أن يُبسطَ له في رزقه، ويُنسأَ له في أَثَره فليصِلْ رحِمَه"** (٤)

والمقصود بقوله: "يُنسأ له في أَثَره": أن تحصلَ له البركةُ في عمره، وأن يوفَّقَ للطاعات، ولِعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة. (٥)

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه أحمد، وصححه الألباني في الصحيحة.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) فتح الباري.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: "إن حُسْنَ الخُلق، وحسن الجوار، وصلة الرحم، تعمُر الدارَ، وتَزيد في الأعمار" (١)

٧- العيش مع القرآن:

وهذا من أعظم ما تُستجلب به البركات، وتُنال به الخيرات، وتُرفع به الدرجات، تدبر كلام رب الأرض والسماوات، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ [ص٢٩]. فمن بركاته: هدايته للقلوب، وشفاؤه للصدور وإصلاحه للنفوس، وتهذيبه للأخلاق، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

وقال رسول الله ﷺ: " **اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعـًا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف، يحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة ـ السحرة ـ**" (٢)

٨ـ الاستخارة في الأمور كلها:

فقد قيل: ما خاب من استشار، وما ندم من استخار، فالإنسان قبل أن يُقدم على أمر ما، حتى يستشير أهل الخبرة من الناس، ليدلوه على الطريق الصواب، وإن احتمل رأيهم الخطأ والصواب.

كذلك ينبغي ألا يقدم على أمر حتى يستخير الله تعالى، فعند الله الخيرة، وعنده الخير لعباده، وقد وجه النبي ﷺ إلى ذلك، كما في حديث جابرِ بنِ عبدِ

---

(١) رواه أبو داود والترمذي،وابن ماجه،وغيرهم، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم.

اللّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: " كان رسولُ اللّهِ ﷺ يُعلِّمُنا الاستخارةَ في الأُمورِ كما يُعلِّمنا السورةَ منَ القرآنِ يَقولُ: " **إذا همَّ أحدُكم بالأمرِ فلْيَركعْ رَكعتَينِ منِ غيرِ الفريضةِ، ثمَّ لِيَقُلْ: اللَّهمَّ إني أستخيرُكَ بعلمك، وأستَقدِرُكَ بقُدرَتِكَ، وأسألُكَ من فضلكَ العظيمِ، فإنَّكَ تَقدِرُ ولا أَقدِرُ، وتَعلمُ ولا أعلَمُ، وأنتَ علاَّمُ الغُيوب، اللهم إِنْ كنتَ تَعلم أن هذا الأمرَ ـ ثم يسمِّيه بعينِهِ ـ خيراً لي في عاجلِ أمري وآجِلِهِ ـ قال: أو في دِيني ومعاشي وعاقِبةِ أمري ـ فاقدُرْه لي ويَسِّرْه لي ثم باركْ لي فيه، وإن كنتَ تَعلم أنه شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري ـ أَو قال في عاجِلِ أمري وآجِلِه ـ فاصرفه عني، واصرِفني عنه، واقْدُرْ لي الخيرَ حيثُ كان ثم رضِّني به** ".(١)

٩ـ حسن تنظيم الوقت والمبادرة إلى اغتنامه:

فالوقت هو رأس مال المسلم، ومسؤولياتُه في هذه الحياة تضيق بها الأوقات، وتفنى فيها الأعمار؛ لذلك كانت المبادرةُ إلى اغتنام الوقت؛ لأن واجباتِ المسلم لا تتمُّ إلا بهذا، وما لا يتم الواجبُ إلا به فهو واجب، وقد دعا النبي ﷺ لأمَّته بالبركة في بكورها؛ لأن البكور مبادرةٌ إلى اغتنام الوقت، وتبكيرٌ إلى حسن استغلاله وتنظيمه؛ فعن صخر بن وداعة الغامدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: "**اللهم باركْ لأمتي في بكورها**"، وكان إذا بعث سَريةً أو جيشًا بعثهم في أول النهار، وكان صخرٌ رجلاً تاجرًا، وكان يبعث تجارتَه في أول النهار؛ فأثرى وكثُر ماله (٢)

---

(١) أخرجه البخاري

(٢) صحيح سنن أبي داود، والترمذي وابن ماجه.

١٠ـ الجود والكرم والتكافل:

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ: ٣٩]، ويقول: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **"كُلُوا جميعًا ولا تَفرَّقوا؛ فإن طعامَ الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة والأربعة، كُلوا جميعًا ولا تفرقوا؛ فإن البركةَ في الجماعة"** (١)

وقال ﷺ: **"فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسمَ الله عليه، يُبارَكْ لكم فيه"**.(٢)

١١ـ اتباع السنة في الطعام والشراب:

مثل الاجتماع على الطعام والتسمية قبل الأكل، فعن وَحْشِيِّ بْن حَرْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَأْكُلُ وَلاَ نَشْبَعُ، قَالَ: **"فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ"**، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: **"فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ"**.(٣)

ومنها: الأكل من حافتي الطعام وترك الأكل من وسطه: فقد روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **"الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلاَ تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ"** (٤)

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح أبي داود..

(٢) انظر صحيح الجامع.

(٣) صحيح سنن أبي داود.

(٤) صحيح سنن الترمذي.

وفي رواية البيهقي في سننه من حديث عبدالله بن بسر أن النبي ﷺ قال عن القصعة: "**كُلُوا مِنْ جَوَانِبِهَا وَدَعُوا ذرْوَتَهَا يُبَارَكْ لكم فِيهَا**"، ثم قال: "خذوا فكلوا، فوالذي نفس محمد بيده ليفتحن عليكم أرض فارس والروم، حتى يكثر الطعام، فلا يُذكر اسم الله عليه"

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: "والحديث علم من أعلام نبوته ﷺ، فقد فتح سلفنا أرض فارس والروم، وورثنا ذلك منهم، وطغى الكثيرون منا، فأعرضوا عن الشريعة وآدابها، التي منها ابتداء الطعام بـ (بسم الله) فنسوا هذا حتى لا تكاد تجد فيهم ذاكراً " (١)

ومنها: لعق الأصابع والصحفة: فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلاَثَ، وَقَالَ: "**إِذَا سَقطَت لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَسْلُتَ القصْعةُ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكَةُ**"

وفيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: "**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أَيَّتِهِنَّ الْبَرَكَةُ**".

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: " في قوله "لاَ تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكَةُ" معناه – والله أعلم – أن الطعام الذي يحضره الإنسان فيه بركة، ولا يدري أن تلك البركة فيما أكله، أو فيما بقي على أصابعه، أو فيما بقي في أسفل القصعة، أو في اللقمة الساقطة، فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصل البركة، وأصل البركة الزيادة وثبوت الخير والإمتاع به، والمراد – والله أعلم – ما يحصل به التغذية، وتسلم

(١) انظر السلسلة الصحيحة.

عاقبته من أذى، ويقوي على طاعة الله.. وغير ذلك. (١)

ومنها: ترك الطعام حتى تذهب حرارته: روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها أنها كانت إذا ثردت، غطته شيئًا حتى يذهب فوره، (٢)

ثم تقول إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**هُوَ أَعْظَمُ لِلْبَرَكَةِ**"

١٢ـ السلام على الأهل:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم، يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك** " (٣)

١٣ـ أكل التمر:

عن سلمان بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إذا أفطر أحدكم، فليفطر على تمر، فإنه بركة، فإن لم يجد فليفطر على ماء، فإنه طهور** " (٤)

١٤ـ الحجامة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **الحجامة على الريق أمثل، وفيه شفاء وبركة، وتزيد في العقل، وفي الحفظ، فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس، واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء والجمعة والسبت ويوم الأحد تحريًا،**

---

(١) شرح صحيح مسلم.

(٢) أي حرارته

(٣) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وقال الألباني: حسن لغيره.

(٤) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة والدارمي، وصححه الألباني رحمه الله، ولم يذكر فإنه بركة غير الترمذي

واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء، فإنه اليوم الذي عافى الله فيه أيوب من البلاء، واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء، فإنه اليوم الذي ابتلي فيه أيوب، وما يبدو جذام ولا برص إلا في يوم الأربعاء، أو في ليلة الأربعاء " (١)

١٥ـ ماء السماء:

والمقصود به ماء المطر، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: " **ما أنزل الله من السماء من بركة، إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الله الغيث فيقولون: بكوكب كذا وكذا** " (٢)

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: أَصَابَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَطَرٌ، فَحَسَرَ النَّبِيُّ ﷺ ثَوْبَهُ (٣) عَنْهُ حَتَّى أَصَابَهُ الْمَطَرُ. قُلْنَا: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: "لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ" (٤)

١٦ـ اتخاذ الغنم:

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل عن الصلاة في مبارك الإبل ؟ فقال: " لا تصلوا في مبارك الإبل فإنها من الشياطين " وسئل عن الصلاة في مرابض الغنم ؟ فقال: " صلوا فيها فإنها بركة " (٥)، وفي رواية: " اتخذوا الغنم فإنها بركة " (٦)

وقال عليه الصلاة والسلام: " الإبل عز لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود

---

(١) أخرجه البيهقي وابن السني والحاكم، وأبونعيم وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه مسلم.

(٣) أي كشف عن بعض بدنه.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفر وصححه الألباني.

(٥) أخرجه أبو داود وصححه الألباني.

(٦) انظر: صحيح الجامع.

في نواصي الخيل إلى يوم القيامة " (١)

١٧ـ السحور:

السحور هو ما يأكله الصائم قبل طلوع الفجر الثاني ليتقوى به على صيام النهار، وهو سنة عن النبي ﷺ، ولا شك أن في اتباعه عليه الصلاة والسلام أجراً وفضلاً وخيراً وبركة.

وقد بين ﷺ بركة السحور بقوله: " **إن السحور بركة أعطاكموها الله فلا تدَعُوها** " (٢)

وقال ﷺ: " **تسحروا فإن في السحور بركة** " (٣)

وقال عليه الصلاة والسلام: " **السحور أكله بركة، فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين** " (٤)

١٨ـ سُكنى المدينة المنورة، والشام واليمن:

عن أَنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: " **اللّهُم بارِكْ لهم في مِكيالِهم، وبارِكْ لهم في صاعِهم ومُدِّهم، يَعني أهلَ المدينةِ** " (٥)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ كَانَ يُؤتَىٰ بِأَوَّلِ الثَّمَرِ فَيَقُولُ: " **اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثِمَارِنَا، وَفِي مُدِّنَا، وَفِي صَاعِنَا، بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ** " **ثُمَّ**

---

(١) أخرجه البيهقي عن عروة البارقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.
(٢) أخرجه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.
(٣) متفق عليه.
(٤) أخرجه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الجامع.
(٥) متفق عليه.

يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوَلْدَانِ " (١)

وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ذكرَ النبيُّ ﷺ: " **اللهمَّ باركْ لنا في شامِنا، اللهمَّ بارك لنا في يمننا**"، قالوا: يا رسول الله: وفي نجدِنا، قال: " **اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا** " قالوا: يا رسولَ الله وفي نجدِنا، فأظنُّه قال في الثالثة: " **هناك الزلازلُ والفِتن، وبها يطلعُ قرنُ الشيطان** " (٢)

١٩ـ شكر النعم:

فإن الله تعالى قد قال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝ ﴾ [إبراهيم: ٧].

٢٠ـ الجهاد في سبيل الله:

يقول النبي ﷺ: "**الخيل معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة: الأجر، والمغنم**".(٣)

فالجهاد خيرٌ وبركة على هذه الأمَّة إلى يوم القيامة، فيه الأجر الكبير والثواب الجزيل، وفيه الرِّزق الواسع الشريف الذي هو أشرفُ الأرزاق، والذي هو رزق أشرفِ الخلق محمَّد ﷺ: "**وجعل رزقي تحت ظلِّ رمحي**"، وفيه – إلى جانب ذلك– قيامُ الدين، وتحقيقُ مصالح العباد في الدارين.

إن البركة نعمةٌ من نِعَم الوهاب، ونفحة من الواسع العليم، والكيِّس الفطِنُ هو الذي يلتمسها من المولى الكريم، وإن المسلم وبخاصة في هذه الأزمان لفي

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

مسيس الحاجة إلى نيل البركات؛ ليصلَ إلى ما يريد من خيرَي الدنيا والآخرة من أقصر الطُّرق وأخصرِها.

فائدة (١٣): أسباب الحرمان من البركة:

واعلم رعاك الله وبارك: أن هناك أسباباً تُنزع بها البركات، وتُحرم بها الخيرات، فاحرص على اجتنابها، والتخلي عنها.

أساب محق البركة:

١ـ كثرة المعاصي: فللمَعصيةِ كبير الأثر في مَحقِ بركةِ المالِ والعُمُر والعلم والعمَل، وفي الأثر: " وإن العبدَ ليُحرَم الرزقَ بالذنبِ يُصيبه "

٢ـ الغش والخداع: وما أكثرهما في حياتنا، بسبب الطمع، وقلة خشية الله، وضعف مراقبته، تأمَّل عاقبة ذلك في قول النبي ﷺ: **"الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلبركة"** (١)، ومعنى الحلف أي الكثير، أو الكاذب.

وفي الحديث: **" وإن كذبا وكتَما مُحِقَت بركة بيعِهما"** (٢)

٣ـ التعامل بالربا: وما أكثر من يتعالم بالربا في حياتنا، ويَحسَب أن فيها زيادةً للمال، لكنها زيادة ظاهرية لا بركة فيها، اقرؤا إن شئتم قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ ﴾ [الروم: ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

٤ـ أكل الحرام:

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

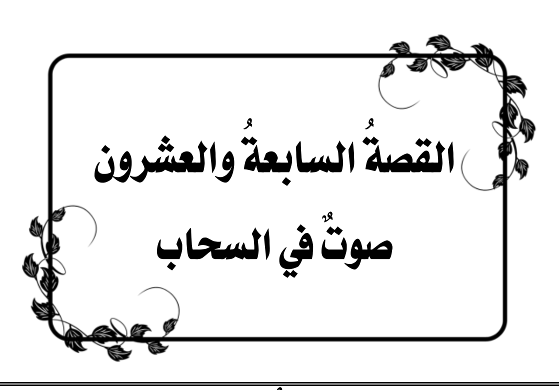
٥ـ العقوق والقطيعة:

٦ـ عدم الرضا والقناعة:

٧ـ كفران النعم:

نسأل الله الكريم باسمه الكريم أن يبارك لنا في ما رزقنا





عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ!، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ، يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ! مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ، لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ! لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟! قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثًا".

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، أخرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ.

(بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ) أي بصحراءَ واسعة.

قوله (فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ يَقُول:) أي لآخر.

(اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ!،) وسمَّاه.

(فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ) أَيْ: ابتعدَ عَنْ مَقْصِدِهِ.

(فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ) أي صبَّ السحابُ الماءَ في أرضٍ ذاتِ حجارةٍ سوداء.

(فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ) الشرجة: قناة الماء، وهي كالترعة الصغيرة، والمعنى: أن الماء النازل من السحاب، قد استقر في هذه القناة وملأها.

(فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ) أي ذلك الرجل الذي سمع الصوت، تتبع أثره.

(فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ، يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ) أي يُدخل ذلك الماء حديقته، بآلة معه.

(فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ! مَا اسْمُكَ؟) يريد أن ينظر: هل اسمه هو ذاك الاسم الذي سمعه يُذكر في السحاب ؟

(قَالَ: فُلَانٌ، لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ)

❒ فائدة (١): معرفة الأسماء ليست من الأمور المهمة:

قال الطيبي: صرح باسمه لكنَّ رسولَ الله ﷺ كنى عنه بفلان، ثم فسَّر بقوله: "الاسم الذي سمع في السحابة"، ولعل العدولَ عن التصريح إلى الكناية، للإشارة إلى أن معرفة الأسماء في بعض المواضع ليست من الأمور المهمة.(١)

(فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ! لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟! قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟) أي كيف تتعامل مع هذه الحديقة؟ ماذا تصنع في الخارج منها؟ ما قصتك مع الله؟ ماذا تُقدِّم من الخير حتى تستحق هذه الكرامة ؟

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي الملا الهروي القاري.

❐ **فائدة (٢): الكرامة ثابتة في حق المؤمن:**

يا لها من رعاية عظيمة من الله لعباده الصالحين، فأنت في طاعتك، والله في قضاء حاجتك، فمن كان مع الله كان الله معه، يُغني فقره، ويجبر كسره، ويرفع قدره.

ففيه أن الكرامة ثابتة للمؤمن، فلا سبيل إلى إنكارها، لكن يجب التفريق بينها وبين الآية، والشعوذة والسحر، فالآية: ما أيد الله به نبيه، والكرامة: أمر خارق للعادة يجريه الله إكراماً لولي من أوليائه، والسِّحر والشعوذة: أمر خارق للعادة كذلك، لكنه يكون على يد فاسق أو مشرك فاجر.

والولي: هو الذي يوافق الشرع لا يخالفه، يفرد الله بالعبادة، لا يدعو الناس إلى أن يعبدوا غير الله، بخلاف السحرة الفساق والمشعوذين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في مجموع الفتاوى في سبعة مواضع ـ:

" قَالَ الْأَئِمَّةُ: لَوْ رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ أَوْ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ فَلَا تَغْتَرُّوا بِهِ حَتَّى تَنْظُرُوا وُقُوفَهُ عِنْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَلِهَذَا يُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ وَتَكُونُ الشَّيَاطِينُ هِيَ الَّتِي تَحْمِلُهُ لَا يَكُونُ مِنْ كَرَامَاتِ أَوْلِيَاءِ اللهِ الْمُتَّقِينَ".

فهذا الرجل كان ولياً من أولياء الله الصالحين، فأيُّ كرامة أعظم من أن يوكِّل الله تعالى ملائكته يسقون حديقته.

فالولي قد يكون عاملاً في حقله، مدرساً في فصله، طبيباً في عيادته، تاجراً في سوقه، لكن يراقب ربَّه، ويؤدي حقه.

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ

يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٣]

❐ **فائدة (٣): الملائكة موكَّلون بأمر الله:**

وفيه أنّ الله أوكل أمور تدبير الكون للملائكة الكرام عليهم السلام، كما قال سبحانه: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ ﴾ [النازعات:٥]، فقد أقسم الله تعالى بالملائكة الذين وكَّلهم الله أن يدبروا كثيرا من أمور العالم العلوي والسفلي، من الأمطار، والنبات، والأشجار، والرياح، والبحار، والأجنة، والحيوانات، والجنة، والنار، وغير ذلك.

❐ **فائدة (٤): العبودية أعظم صفة للإنسان:**

وفيه: أن أفضل صفات الإنسان أن يكون عبدًا لله، فكلٌ من الرجلين وصف صاحبه بصفة العبودية، وناداه بهذا النداء: يا عبدالله.

(قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا)

❐ **فائدة (٥): الأصل إخفاء العمل الصالح:**

فيه أن على الإنسان أن يخفي عمله الصالح، ولا يجاهرَ به، ولا يعرضه للبطلان بالرياء السمعة، فإخفاء الأعمال مشروع، ولكن إذا الإنسان اضطر إلى الإجابة عن شيء معين تطييباً لخاطر شخص، أو أن يُقتدى به، فلا بأس أن يُخبِر عن عمله الصالح، ما دام لا يقصد الرياء والسمعة واحتيج إلى ذلك، فإن هذا الرجل يقول لصاحبه: " أما إذ قلت هذا " أي فسأخبرك، ولولا ذلك ما أخبر بعمله، وفي الصحيحين، يقول ﷺ: " **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**...." وذكر ضِمن هؤلاء السبعة السعداء: " **وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَخْفَاهَا حتى لَا تَعْلَمُ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ** "

(فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا) أي من زرعٍ وثمرٍ ونحوهما.

(فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ) أي على المستحقين من الفقراء والمساكين، ونحوهم، وفي رواية أحمد: "أَجْعَلُ ثُلُثَهُ فِي الْمَسَاكِينِ، وَالسَّائِلِينَ، وَابْنِ السَّبِيلِ".

❐ فائدة (٦): فضل الإنفاق في سبيل الله:

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ - في شرحه على صحيح مسلم -:"وَفِي الْحَدِيث فَضْل الصَّدَقَة وَالْإِحْسَان إِلَى الْمَسَاكِين وَأَبْنَاء السَّبِيل".

والنفقة هي التجارة التي لا تعرف الخسارة، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠ ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠]

ومن أنفق فهو موعود بخلفٍ رباني كريم، لقول رب العالمين: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩ ﴾ [سبأ: ٣٩]

واعلم أنّ المنفِق يدعو له ملكٌ كلَّ يوم، وأنّ الممسك الشحيح البخيل يدعو عليه ملك كل يوم، فعن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **"مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"** (١)

فالصدقة تحفظ المال وتزكيه وتباركه، وقد قال ﷺ: **"ثلاثةٌ أقسِمُ عليْهنَّ، وأحدِّثُكم حديثًا فاحفظوهُ، قالَ: ما نقصَ مالُ عبدٍ من صدقةٍ، ولا ظلِمَ عبدٌ مظلمةً فصبرَ عليْها إلَّا زادَهُ اللهُ عزًّا، ولا فتحَ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلَّا فتحَ اللهُ عليْهِ بابَ**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

فقرٍ" (١)

واعلم كذلك: أنّ المال الذي تقدمه صدقةً هو الذي ستنتفع به، بل هو مالك الحقيقي، فعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النبيُّ ﷺ **"مَا بَقِيَ مِنْهَا"** ؟ قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُها. قَالَ: **"بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا"** (٢)

ولهذا كان سهلُ بن عبد الله التُّسْتَرِيُّ يكثر من الإنفاق؛ فلامه بعضهم في ذلك، فقال لهم: أرأيتم لو أنّ رجلاً أراد أن يرتحل من دارٍ إلى دارٍ هل يُبقي في الأولى شيئًا ؟ قالوا: لا، قال: فإني مرتحل من الدنيا إلى الآخرة.

❐ **فائدة (٧): الجزاء من جنس العمل:**

وفيه أن الإنسان كما يدين يُدان، فالجزاء من جنس العمل، فهذا الرجل أنفق فأنفق الله عليه، عرف حق الله وحقوق الفقراء في ماله، فعرفه الله وأمده من فضله، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **"قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ "** (٣)

وقال ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: **"لاَ تُوكِي فَيُوكى عَلَيْكِ"**، وفي رواية: **" أنفقي، وَلاَ تُحصي فَيُحْصِي اللهُ عَلَيْكِ، وَلاَ تُوعي فَيُوعي اللهُ عَلَيْكِ"**(٤)

❐ **فائدة (٨): الكريم جل جلاله يرزق عباده من حيث لم يحتسبوا:**

وفيه أنّ العبد الصالح يرزق من حيث لا يحتسب، فهذا الرجل المتصدق

---

(١) رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني.

(٢) صحيح سنن الترمذي.

(٣) أخرجه الشيخان.

(٤) متفق عليه.

رُزق أمرين:

الأول: رُزق من ماء السماء.

الثاني: رُزق بمن يخبره بما يدل على مكانته عند الله، ولو شاء الله لما هيأ له هذا المُخبر.

وإذا كان هذا الرّجل الصالح قد نال من خير تلك السحابة وبركاتها، فتلك عاجل بشراه في الدنيا، أما في الآخرة فما أعدّه الله له من ألوان الكرامة أعظم وأعظم.

(وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا)

❐ فائدة (٩): فضل النفقة على الأهل والعيال:

وفيه فضل النفقة على الأهل والعيال، وهذا من أفضل ما يتقرب به المسلم إلى ربه.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ"** (١)

وليس معنى ذلك أن نهمل المساكين بحجة الإنفاق على الأهل، وإنما لكلٍ أجره، وفضله.

وعَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ، قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ

---

(١) أخرجه مسلم.

اللهِ ﷺ مِنْ جَلَدِه وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ"**.(١)

وقال ﷺ: **" وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِك"** (٢)

وقوله ﷺ: **"تبتغي بها وجه الله يَخرج المنفق بها من أسر العادات، أي أنفق على أهلك واحتسب ثواب ذلك عند ربك"**.

ولقوله ﷺ ـ كما في صحيح مسلم ـ:**"إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً"**.

وعَنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ **" إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَقَى امْرَأَتَهُ مِنَ الْمَاءِ أُجِرَ"**، قَالَ فَأَتَيْتُهَا فَسَقَيْتُهَا وَحَدَّثْتُهَا بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. (٣)

ولقد حذر النبي ﷺ من إهمال النفقة على الأهل والولد فقال في سنن أبي داود:**"كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ"**(٤) أي: من يلزمه قوته ونفقته، وفي

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم.
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.
(٤) صحيح سنن أبي داود.

رواية للنسائي في الكبرى قال ﷺ: " **كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُول**".

(وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثًا) أي فِي الْحَدِيقَةِ لِلزِّرَاعَةِ وَالْعِمَارَةِ.

❐ فائدة (١٠): حث الإسلام على الاستثمار والعمل:

وفي هذا دليل على أن الإسلام يحث على استثمار الأرض، ويحث على استيعاب الطاقات والاستفادة من الجهود المبعثرة، بخلاف بعض الناس الذي يظنون أن الإسلام دين التواكل، فهذه فرية بلا مرية.

وفي الحديث أيضـًا: قال ﷺ: "**إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلةٌ فليغرسْها**"(١)، فلو أن أحداً يزرع نخلةً، وقامت الساعة، فليحذر أن يقول: لن أزرعها، ولمن أزرعها؟ فالقيامة قد قامت؟! وهل هناك حث على ذلك أكثر من قوله ﷺ "ما من عبدٍ يزرع زرعـًا أو يغرسُ غرسـًا، فيأكل منه إنسان أو حيوان أو طائرٌ إلا كان له به أجر" (٢)

❐ فائدة (١١): الوسطية مطلب شرعي:

وفي الحديث بيان فضل الوسطية والاعتدال.

كان صاحب القصة مثالًا للعامل المسلم، الذي يعرف لكل ذي حق حقه، فتأمل قوله: "فإنِّي أَنْظُرُ إلى ما يَخْرُجُ مِنْها، فأَتَصَدَّقُ بثُلُثِهِ، وآكُلُ أنا وعِيالِي ثُلُثًا، وأَرُدُّ فيها ثُلُثَهُ"، فخير الأمور الوسط، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣] وقال سلمان لأبي الدرداء: "إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا،

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في المسند، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه.

وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ"، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: **"صَدَقَ سَلْمَانُ"** (١)

وقد حذَّر النبي ﷺ من المغالاة في أي جانبٍ على حساب الجوانب الأخرى، خذ أمثلةً على ذلك:

١- المغالاة في جانب العمل والسعي في طلب الرزق على حساب الجوانب الأخرى، فقد قال النبي ﷺ: **"تَعِسَ عبدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وإذَا شِيكَ فلا انْتَقَشَ"** (٢)

٢- المغالاة في جانب الأهل على حساب الجوانب الأخرى، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ ﴾ [المنافقون:٩-١٠]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝١٤ ﴾ [التغابن:١٤].

٣- المغالاة في جانب العبادة على حساب الجوانب الأخرى، فعن أنس رضي الله عنه: أنَّ نفَرًا مِن أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، قال بعضُهم: لا أتزوَّجُ النِّساءَ، وقال بعضُهم: لا آكُلُ اللَّحْمَ، وقال بعضُهم: لا أنامُ على فِراشٍ، وقال بعضُهم: أصومُ فلا أُفطِرُ، فبلَغ ذلكَ رسولَ اللهِ ﷺ، فحمِد اللهَ وأثنى عليه، ثمَّ قال: **"ما بالُ أقوامٍ**

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري، وابن ماجه واللفظ له.

يقولونَ كذا وكذا، لكنِّي أُصلِّي وأنامُ، وأصومُ وأُفطِرُ، وأتزوَّجُ النِّساءَ، فمَن رغِب عن سُنَّتي فليس منِّي" (١)

فائدة (١٢): فضل الاكتساب من عمل اليد:

وفي الحديث فضل الاكتساب من عمل اليد، وأنه أفضل الكسب، وقد كان نبي الله داود عليه السلام يأكل من عمل يده، كما أخبر به النبي ﷺ ففي صحيح البخاري قال ﷺ: **"مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"**.

وقال ﷺ: **"وَاللهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلًا فَيَحْتَطِبَ فَيَحْمِلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَأْكُلَ أَوْ يَتَصَدَّقَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا أَغْنَاهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَيَسْأَلَهُ، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ، ذَلِكَ بِأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى"** (٢)

وفي مسند أحمد وغيره، عن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ قَالَ "عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ" (٣)

فهنيئًا للعامل الذي يبيت متعبًا من عمل يده، قد أضناه العمل وأتعبه الكد، هنيئًا له ثم هنيئًا له.

فائدة(١٣): من أنت عند الله؟

ومن الفوائد العظيمة التي نستفيدها من هذا الحديث: أنه لا يَعرف مقادير الخلائق إلا خالقهم سبحانه، فهذا الرجل العظيم الذي نودي على اسمه في

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد في مسنده بسندٍ صحيحٍ.

(٣) وصححه الألباني في الصحيحة، وصحيح الجامع.

السحاب، كان مجرَّدَ مزارعٍ لم يَشتهر في الناس بعلم، ولا بعبادة، ولكن عُرف عند الله بصدقه وإخلاصه، فاختصه الله بهذه الكرامة، ولَكرامة الآخرة أعظم وأبقى.

فاللهم ارزقنا الصدق والإخلاص في القول والعمل





القصةُ الثامنةُ والعشرون
أُمَّة النمل تُسبِّح

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ، أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ؟!! ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَق عَلَيْهِ.

(**قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ**) قيل: نبي الله موسى، وقيل: داود، وقيل: غير ذلك، ودائماً في مثل هذه المواطن، نقول: ليس المهم أن نعرف الأشخاص، أو الأسماء، إنما المهم أن نأخذ العظة، ونستلهم العبرة.

(**فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْل**) المراد بالقرية هنا: منزل النمل، أو مسكنه، وسمى قرية لاجتماعه فيها.

(**فَأُحْرِقَتْ**) أي القرية.

(**فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ، أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ**) أي واحدة.

(**أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ؟!**)

❐ **فائدة (١): احذر الغضب:**

أول ما نستفيده من هذه القصة: وجوب الحذر من الغضب، أي من آثاره،

فإن نبي الله، حمله على ما صنع، ثوران الغضب، فالغضب: "ثورانٌ في النفس يحملها على الرغبة في البطش والانتقام" (١)

وقد نبهنا النبي ﷺ على علاجات نبوية هامة للتخلص مما يمكن أن تفتعله حالة الغضب، وعلى رأسها: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِي ﷺ وَرَجُلاَنِ يَسْتَبَّانِ، وَأَحَدُهُمَا قد احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: **"إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ"** فَقَالُوا لَهُ: إِن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «**تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ"**

وعن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **"إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس؛ فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع "** (٢)

قال ابن مفلح: "ويستحب لمن غضب أن يغير حاله، فإن كان جالسًا قام واضجع، وإن كان قائمًا مشى" (٣)

وقال ﷺ: **"إذا غضب أحدكم فليسكت"** (٤)

قال الحافظ ابن رجب: "وهذا أيضًا دواءٌ عظيمٌ للغضب؛ لأنَّ الغَضبان يصدُر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليهِ في حال زوال غضبه كثيرًا من السِّباب وغيره مما يعظم ضَرَرُه، فإذا سكت زال هذا الشرُّ كلُّه عنه، وما أحسنَ

---

(١) الوافي في شرح الأربعين النووية؛ لمصطفى البغا ومحيي الدين مستو.

(٢) صحيح أبي داود.

(٣) الآداب الشرعية.

(٤) أخرجه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

قولَ مُورِّق العجلي رَحِمَهُ اللَّهُ: ما امتلأتُ غيظًا قَطُّ، ولا تكلَّمتُ في غضبٍ قطُّ بما أندمُ عليه إذا رضيتُ" (١)

فائدة (٢): العدل في الرضا والغضب:

ونبهت هذه القصة القصيرة على وجوب التزام العدل حال الغضب، كما يلتزمه العبد حال الرضا، كما قال ﷺ: **"ثلاثٌ منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى"**(٢)

ولما كان الأعم الأغلب من الخلق لا يرعوي، ولا يتنبه إلى ذلك، كان من دعائه ﷺ: **" وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب وأسألك القصد في الفقر والغنى"** (٣)

فإن الله سبحانه عتَبَ على نبيه الكريم تحريقَ قرية النمل، مع أن التي اعتدت نملةٌ واحدة، فالجزاء لا يتعدّى الجاني، فلا يُباد غيرُه مما كَانَ منْ جنسه، فقي روايةٍ في الصحيح: " فَأَوْحَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ: فَهَلَّا نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ" أي فهلا عاقبت نملةً واحدة ؟ فقد قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء: ١٥]

فائدة (٣): الأمم كُثُرٌ:

ونستفيد من هذه القصة أن الأمم كُثُر، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

(١) جامع العلوم والحكم.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) صحيح سنن النسائي.

يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام:٣٨]

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: "أي: جميع الحيوانات، الأرضية والهوائية، من البهائم والوحوش والطيور، كلها أمم أمثالكم خلقناها كما خلقناكم، ورزقناها كما رزقناكم، ونفذت فيها مشيئتنا وقدرتنا، كما كانت نافذةً فيكم"

قال قتادة: "الطير أمة، والإنس أمة، والجن أمة" وقوله ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾ أي: الجميع علمهم عند الله، ولا ينسى واحدًا من جميعها من رزقه وتدبيره، سواء كان بريًا أو بحريًا، كقوله ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [هود:٦].(١)

❐ فائدة (٤): هل تسبيح النمل تسبيح حقيقيٌ بصوت؟

وقوله: "أحرقْتَ أمةً من الأمم تسبح ؟ " مقتضى هذا: أنه تسبيحُ مَقالٍ ونطق، كما قد أخبر الله تعالى عن النَّمل: أنَّ لها منطقًا، وفَهْمُه سليمان ﷺ معجزة له، وقد أخبر الله تعالى عن النملة التي سمعها سليمان: أنها قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾، فهذا كلُّه يدلُّ دَلالةً واضحة: أن للنَّمل نُطقًا وقولاً، لكن لا يسمعه كل أحدٍ، بل من شاء اللّه تعالى مِمَّن خرق له العادة من نبي، أو ولي، ولا ينكر هذا: من حيث أنَّا لا نسمع ذلك، فإنَّه لا يلزم من عدم الإدراك عدم المدرك في نفسه.(٢)

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.

❐ فائدة (٥): وإذا كانت أمة النمل تسبح، فهل خيرُ أمةٍ تُسبح ؟

قال الله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٤].

وقال ﷺ: **"ما تستقل الشمس -أي ما تطلع - فيبقى شيءٌ من خلق الله إلا سبّح الله بحمده إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم"** (١).

وقال سبحانه: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ **[الأنبياء: ٧٩]**.

فالطير والجبال يسبحن للكبير المتعال!!

أفلا نكثر نحن تسبيحه وتحميده؟!!

وقال عزّ من قائل: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ [**الرعد**: ١٣].

أفلا نخاف نحن، فنكثر حمده وتسبيحه؟!!

وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [**غافر**:٧].

وقال سبحانه -عنهم-: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [**الأنبياء**: ٢٠].

---

(١) رواه أبونعيم في الحلية وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

فكيف يفتر عن التسبيح أصحاب المعاصي؟!

وتأمل تسبيحَ ملَك عظيم الخِلقة، بلغ حجمُه من الأرض إلى العرش:

يقول ﷺ: **"إنَّ اللهَ عز وجل أذِنَ لي أن أُحدِّثَ عن ديكٍ قد مَرَقَتْ رجلاه الأرضَ، وعُنُقُه مَثْنِيَّةٌ تحت العرشِ، وهو يقول: سبحانك ما أعظَمك ربَّنا! فيردُّ عليه: لا يعلم ذلك من حلفَ بي كاذبًا"**(١).

فالكون بجميع مخلوقاته قد دان بالعبوديّة لله وحده وأسلم له طوعـاً واختياراً، واعترف بقدْره وقهْره، وكماله وسلطانه، أفلا يكون ابن آدم الذي ميّزه الله بالعقل والإدراك ما استدلّ به على وجود خالقه ووحدانيّته، أولى بالعبودية وأحرى بالتسبيح والتنزيه؟!

وقد أمرنا ربنا بتسبيحه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ **[الأحزاب:٤٢، ٤١]**.

وجعل الله تعالى التسبيح من أعظم أسباب تفريج الكروب:

إذ قال تعالى عن نبيه يونس: ﴿ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الصافات:١٤٢-١٤٤].

وقال ﷺ: **«دعوةُ ذي النُّونِ إذ دعا وهو في بطنِ الحوتِ: لا إلهَ إلَّا أنتَ سبحانَك إنِّي كنتُ من الظالمينَ، فإنَّه لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قط، إلَّا استجاب اللهُ له»**(٢).

---

(١) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني في الصحيحة.

(٢) صحيح سنن الترمذي.

ووصى نوحٌ ابنه بالتسبيح قائلًا: وآمرُك أن تقولَ: «سبحان اللهِ وبحمدِه وإنها صلاةُ الخلقِ وتسبيحُ الخلقِ وبها يُرزق الخلقُ»(١).

ووعنا جل جلاله، بكرمه وعظيم فضله بالأجور الكثيرة على التسبيح اليسير:

يقول ﷺ: **"أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يومٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِن جُلَسَائِهِ: كيفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قالَ: يُسَبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ، فيُكْتَبُ له أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عنْه أَلْفُ خَطِيئَةٍ"**(٢).

وقال ﷺ: «**من قال حين يصبح وحين يمسي، سبحان الله وبحمده مائة مرة، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»(٣).

وقال ﷺ: «**من قال حين يصبح، وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه**»(٤).

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»(٥).

---

(١) رواه أحمد والحاكم والبخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) متفق عليه.

وعَنْ جُوَيْرِيَةَ، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»(١).

وقال النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَفْضَلُ الْكَلامِ أَرْبَعٌ لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**»(٢).

وقال ﷺ: «..**وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض**..»(٣).

وقال ﷺ: «**لَأَنْ أقولَ: سُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أكبَرُ أحبُّ إليَّ ممَّا طلَعَتْ عليه الشَّمسُ**»(٤).

ولعظم التسبيح، جعل الله أهل الجنة يُلْهمون التسبيح كما يُلهمون النفس:

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس:١٠].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»(٥).

---

(١) رواه مسلم.
(٢) صحيح سنن النسائي.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه مسلم.

فائدة(٦): فعل البعض قد يجر الويلات على الكل:

ونستفيد من هذه القصة: أن فعل البعض قد يجر الويلات على الآخرين، فالمعتدية في الظاهر، نملةٌ واحدة، لكن الذي عوقب قرية النمل، ويشبه ذلك قول الله سبحانه: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال:٢٤] بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتُتَّقى هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن.

فائدة (٧): حكم قتل النمل، وتحريقه:

ومما يبدو من هذه القصة: أن قتل النمل، والتحريق بالنار كانا مشروعين في الأمم السابقة، لكنّ هذا وذاك حُرِّما في شريعتنا.

قال الإمام النووي: "قال العلماء هذا الحديث محمول على أن شرع ذلك النبي كان فيه جواز قتل النمل، وجواز الإحراق بالنار، ولم يعتب عليه في أصل القتل والإحراق بل في الزيادة على النملة الواحدة..." (١)

وقال أبو العباس القرطبي: "ظاهر هذا الحديث أن هذا النبي إنما عاتبه الله تعالى حيث انتقم لنفسه بإهلاك جمع أذاه منه واحد. وكان الأولى به الصبر والصفح لكن وقع للنبي أن هذا النوع مؤذ لبني آدم، وحرمة بني آدم أعظم من حرمة غيره من الحيوان غير الناطق فلو انفرد له هذا النظر، ولم ينضم إليه التشفي الطبيعي لم يعاتب، والله أعلم، لكن لما انضاف التشفي الذي دل عليه

---

(١) شرح النووي على مسلم.

سياق الحديث عوتب عليه، والذي يؤيد ما ذكرنا التمسك بأصل عصمة الأنبياء، وأنهم أعلم الناس بالله وبأحكامه وأشدهم له خشية" (١)

أما قتل النمل، فقد "نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن قتل أربعة من الدواب: النملة، والنحلة، والهدد، والصُّرَد" (٢)، فإذا كان هذا النمل مؤذيـًا، ولا يندفع آذاه إلا بقتله، فلا حرج حينئذٍ في ذلك عليك؛ لكن قبل أن يُقتل، إن أمكن ترحيله كان أفضل.

وقيل: الذي لا يجوز قتله هو النمل الكبير المعروف بالسليماني، كذا قاله الخطابي في معالم السنن، والبغوي في شرح السنة، وأما الصغير المسمى بالنمل فاسمه الذر، وقتله جائز بغير الإحراق.

وأما التحريق بالنار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "بعثنا رسول الله ﷺ في بعث، فقال: إن وجدتم فلانًا وفلانًا فأحرقوهما بالنار، ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج: **"إني أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلانًا، وإن النار لا يعذِّب بها إلا الله؛ فإن وجدتموهما فاقتلوهما"**. (٣)

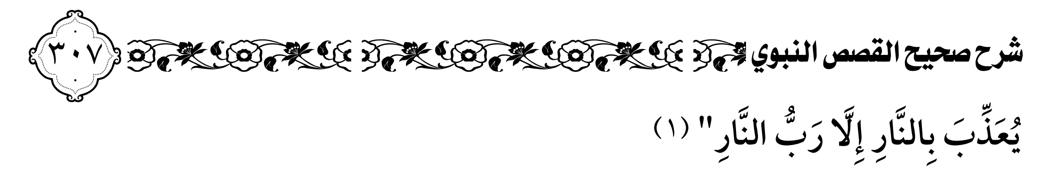
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: **"مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا"**، وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: "مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟" قُلْنَا: نَحْنُ، قَالَ: **"إِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ**

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.

(٢) صحيح أبي داود.

(٣) رواه البخاري.



يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ" [١]

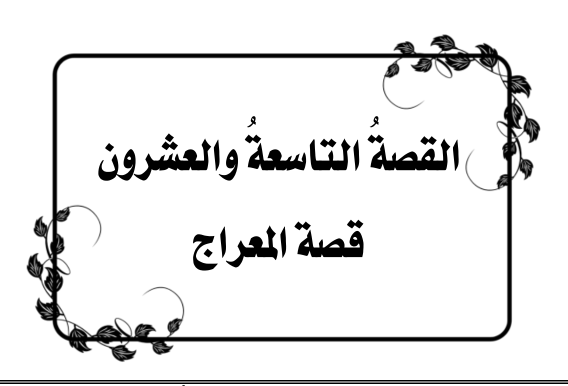
❐ **فائدة(٨): تعظيم الصغائر:**

وهذه القصّة اللطيفة تحمل لمحة تربويّة لطيفة، ترقى بسلوك المؤمن إلى أعلى مستوى يمكن أن تصل إليه، وتفجّر بين جنباته معاني الإحساس بالمسؤوليّة واستشعار المراقبة الذاتيّة؛ ومن تربّى على التحرّز من قتل نملة واحدة بغير حقّ، لا يمكنه أن يفكّر مجرّد تفكير أن يسفك دمًا حرامًا، أو يأكل أموال الناس بالباطل، أو يعيث في الأرض فساداً وإهلاكًا.

فاللهم اجعلنا نخشاك كأننا نراك



(١) صحيح أبي داود.



القصةُ التاسعةُ والعشرون

قصة المعراج

عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي بِمَاءِ زَمْزَم، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ، أَبْيَضَ، يُقَالَ لَهُ: البُرَاقُ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلامَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا بِيَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّا ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؛ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ

عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا هَارُونُ. قَالَ: هَذَا هَارُونُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى. قَالَ: هَذَا مُوسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي؛ لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي، يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي.! ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ. قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، فقَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ رُفِعَتْ لِيَ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهَى. وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ؛ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، قُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ. ثُمَّ رُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ. فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا البَيْتُ

الـمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا إِلَيهِ آخِر مَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ ثُمَّ فُرِضَ عَلَيَّ خمسون صَلَاةُ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ، فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا. فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ!! وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قُلْتُ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنه، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(**بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ مُضْطَجِعًا**) الحطيم: الحِجْر، سُمي حَطيمًا لِمَا حُطم أو كُسر من جداره، فلم يسوَّ ببناء البيت.

(**إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ**) وفي رواية: "فشق ما بين هذه إلى هذه" يَعْنِي مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى أسفل بطنه.

(**فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ**) الاستعمال كان قبل التحريم،

أو أن ذلك من خصوصياته ﷺ، أو ذلك مما لا دخل له به.

(مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا) قال النووي: " معناه أن الطست كان فيه شيء تحصل به زيادة في كمال الإيمان وكمال الحكمة، وهذا الملء إما حقيقة، وتجسد المعاني جائز مثل وزن الأعمال، ومجيء الموت في صورة كبش، أو هو من باب التمثيل" (١)

(فَغُسِلَ قَلْبِي بِمَاءِ زَمْزَم، ثُمَّ حُشِيَ) إيمانـًا وحكمة.

(ثُمَّ أُعِيدَ) أي مكانه الأول، على الوجه الأكمل.

❐ **فائدة (١): كم مرة شُقَّ فيها صدر النبي ﷺ؟**

هذه هي المرة الثانية التي يُشَق فيها صدره ﷺ، والمرة الأولى، وهو صغير في ديار بني سعد بن هوازن في فترة الرضاع، فعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق قلبه، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسّله في طَسْت من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه حليمة، فقالوا: إن محمدًا قد قتِل، فاستقبلوه منتقعَ اللون، قال أنس: "كنت أرى أثر المخيط في صدره ﷺ " (٢)

ويبدو أن الحكمة في ذلك إعلان أمر الرسول ﷺ وتهييؤه للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادية ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم

---

(١) شرح النووي على مسلم.

(٢) رواه مسلم.

برسالته، إنها إذن عملية تطهير معنوي، ولكنها اتخذت هذا الشكل المادي الحسي، ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهي بين أسماع الناس وأبصارهم، وفي هذا عناية الله سبحانه وتعالى بنبيه ﷺ، وإعداده للنبوة والرسالة.

❐ **فائدة (٢): إعداد الله لنبيه:**

وفيه أن من أراده الله لأمر عظيم أعده إعداداً قويـاً، فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما أرسله الله إلى الطاغية فرعون جعل له آية العصا، وأجرى له تجربة عملية، حتى لا يخاف حينما تنقلب حية تسعى؛ كذلك الرسول محمد ﷺ شق جبريل صدره، وملأه حكمة وإيمانـاً، ليتأهب لما يراه في الإسراء والمعراج، والقلب إذا طاب بالإيمان طاب الجسد كله كما قال النبي ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهي القلب" (١)

❐ **فائدة (٣): شق صدره ﷺ إحدى معجزاته، رغم أنف المستشرق نيكلسون:**

اعْلَمْ أَنَّ هَذَا مُعْجِزَةٌ فَإِنَّ مِنَ الْمُحَالِ الْعَادِيِّ أَنْ يَعِيشَ مَنْ يَنْشَقُّ بَطْنُهُ وَيُسْتَخْرَجُ قَلْبُهُ، وَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ حَمَلُوهَا عَلَى الْمَعَانِي الْمَجَازِيَّةِ، وَلِذَا قَالَ التُّورِبِشْتِيُّ: مَا ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ شَقِّ النَّحْرِ وَاسْتِخْرَاجِ الْقَلْبِ، وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ، فَإِنَّ السَّبِيلَ فِي ذَلِكَ التَّسْلِيمُ دُونَ التَّعَرُّضِ بِصَرْفِهِ مِنْ وَجْهٍ إِلَى وَجْهٍ بِمَنْقُولٍ مُتَكَلَّفٍ دُعَاءَ لِلتَّوْفِيقِ بَيْنَ الْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ، هَرَبًا مِمَّا يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ مُحَالٌ، وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللهِ لَا نَرَى الْعُدُولَ عَنِ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ فِي خَبَرِ الصَّادِقِ عَنِ

---

(١) متفق عليه.

الْأَمْرِ لِعَدَمِ الْمُحَالِ بِهِ عَلَى الْقُدْرَةِ.(١)

وقد زعم المستشرق نيكلسون: أن حديث شق الصدر أسطورة نشأت عن تفسير الآية ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾ وأنه لو كان لها أصل فعلينا أن نخمن أنها تشير إلى نوع من الصرع، وهذا الذي زعمه نيكلسون سبقه إليه المشركون من قبل، حين اتهموا رسول الله ﷺ بالجنون فنفى الله عنه ذلك ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ ﴾.(٢)

(ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ، أَبْيَضَ، يُقَالَ لَهُ: البُرَاقُ) سُمِّيَ بِهِ لِبَرِيقِ لَوْنِهِ، وِسُرْعَةِ سَيْرِهِ كَالبَرْقِ، ويبدو أنه مركوبُ الأنبياء قبله، خلافًا لمن نفى ذلك، فعند النسائي وابن مردويه من طريق يزيد بن أبي مالك عن أنس نحوه موصولًا، وزاد: "وكانت مُسَخَرة للأنبياء قبله"، قال الحافظ ـ في الفتح ـ: "ويؤيده ظاهر قوله "فربطته بالحَلْقة التي تَربِطُ بها الأنبياء" ووقع في المبتدأ لابْنِ إسحاق من رواية وثيمة في ذكر الإسراء "فاستَصْعَبَت البراقُ، وكانت الأنبياء تركبها قبلي، وكانت بعيدةَ العهد بركوبهم، لمَ تكن رُكِبت في الفَتْرَةِ".

(يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ) أَيْ: يَضَعُ قَدَمَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى بَصَرِهِ وَغَايَةِ نَظَرِهِ.

(فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ)

❐ فائدة (٤): إكرام الله لأنبيائه وأوليائه:

لقد زاد الله في تكريمه لرسوله محمد ﷺ، فأرسل إليه مركوبًا يحمله،

---

(١) مرقاة المفاتيح.

(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث: علي محمد محمد الصلابي.

ودليلاً يؤنسه، فأرسل إليه جبريل بالبراق يحمله إليه، فأهل الجنة يذهبون إليها راكبين مُكرمين كما قال عنهم ربهم: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [مريم:٨٥] وهكذا يفعل العظماء إذا دَعَوا إلى ضيافتهم عزيزاً عليهم.

(فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا)

❐ فائدة (٥): وكان الإسراء قبل ذلك:

وذلك هو المعراج، وسمي كذلك لاشتماله على العروج وهو الصعود، وكان قبله الإسراء، وإن لم تشر إليه هذه الرواية.

ففي حديث أنس عند مسلم: " **فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين** "

وحديث ابن مسعود عند مسلم: " **فحانت الصلاة فأممتهم** "

وفي رواية يزيد بن أبي مالك عن أنس عند ابن أبي حاتم: فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناسٌ كثير، ثم أذن مؤذن، فأقيمت الصلاة، فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا، فأخذ بيدي جبريل فقد مني فصليت بهم "

❐ فائدة (٦): الحكمة من الإسراء قبل المعراج:

وكان من حكمة الإسراء قبل المعراج " إرادة إظهار الحق لمعاندة من يريد إخماده، لأنه لو عُرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح، فلما ذَكر أنه أُسري به إلى بيت المقدس سألوه عن تعريفات جزيئات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في

ليلة، وإذ صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره " (١)

وأيضاً من حكم الإسراء إلى بيت المقدس ثم العروج منه إلى السماء، بيان فضل المسجد الأقصى ومكانته الخاصة التي ينبغي أن يدركها المسلمون في كل مكان، فلا يتهاونوا بأولى القبلتين، ومسرى رسول الله ﷺ.

(فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ)

❐ فائدة (٧): هل للسماء أبوابٌ حقيقية؟

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَفِيهِ أَنَّ لِلسَّمَاءِ أَبْوَابًا حَقِيقَةً وَحَفَظَةً مُوَكَّلِينَ بِهَا، وَفِيهِ إِثْبَاتُ الِاسْتِئْذَانِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: أَنَا زَيْدٌ مَثَلًا، يَعْنِي: لَا يَكْتَفِي بِقَوْلِهِ: أَنَا، كَمَا هُوَ الْمُتَعَارَفُ إِذْ قَدْ وَرَدَ بِهِ النَّهْيُ.(٢)

(قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟) فيه إشعار بأنهم أحسوا معه برفيق، وإلا لكان السؤال بلفظ "أمعك أحد؟ "، وذلك الإحساس إما بمشاهدة لكون السماء شفافة، وإما بأمر معنوي، كزيادة أنوار، أو نحوها، يشعر بتجدد أمر يحس معه السائل بهذه الصيغة. (٣)

(قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟) قَالَ النَّوَوِيُّ: "وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى، وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ أَيْ بُعِثَ إِلَيْهِ لِلْإِسْرَاءِ وَصُعُودِ السَّمَاءِ، وَلَيْسَ مُرَادُهُ الِاسْتِفْهَامَ عَنْ أَصْلِ الْبَعْثَةِ وَالرِّسَالَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَى الْمَلَائِكَةِ إِلَى هَذِهِ الْمُدَّةِ، وَهَذَا هُوَ

---

(١) فتح الباري.

(٢) مرقاة المفاتيح.

(٣) فتح الباري.

الصَّحِيحُ" (١)

(قَالَ: نَعَمْ)

❐ فائدة (٨): الاستئذان وآدابه:

فيه أن الاستئذان من آداب الإسلام الهامة التي لا ينبغي التفريط فيها.

وأنه ينبغي لمن يستأذن أن يقول: أنا فلان، ولا يقتصر على " أنا"، لأنه ينافي مطلوب الاستفهام.

(فَقَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ)

❐ فائدة (٩): فيه استحباب تلقي أهل الفضل بالبشر والترحيب والثناء والدعاء، وجواز مدح الإنسان -المأمون عليه الافتتان- في وجهه.

(فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ) بِفَتْحِ اللَّامِ أَيْ: وَصَلْتُ إِلَيْهَا وَدَخَلْتُ فِيهَا.

(فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ)

❐ فائدة (١٠): من آداب السلام:

أُمِرَ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، لِأَنَّهُ كَانَ عَابِرًا عَلَيْهِم وَكَانَ فِي حُكْمِ الْقَائِمِ، وَكَانُوا فِي حُكْمِ الْقُعُودِ، وَالْقَائِمُ يُسَلِّمُ عَلَى الْقَاعِدِ، وَإِنْ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُمْ، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال:"**يسلم الراكب على الماشي والماشي على القائم والقليل على الكثير**" (٢) وفي روايةٍ للبخاري: "**يسلم الصغير على الكبير والمار**

---

(١) شرح النووي على مسلم.

(٢) صحيح سنن الترمذي

على القاعد والقليل على الكثير".

(فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ)

□ فائدة (١١): هل الأنبياء أحياء ؟

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَحْيَاءٌ حَقِيقَةً.

(ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ)

□ فائدة (١٢): وصف الصلاح يشمل جميع خصال الخير:

اقْتَصَرَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ، لِأَنَّ الصَّلَاحَ صِفَةٌ تَشْمَلُ جَمِيعَ خِصَائِلِ الْخَيْرِ وَشَمَائِلِ الْكَرَمِ، وَلِذَا قِيلَ: الصَّالِحُ مَنْ يَقُومُ بِمَا يَلْزَمُهُ مِنْ حُقُوقِ اللهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، وَلِذَا وَرَدَ فِي الدُّعَاءِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَنْبِيَاءِ: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ الصَّالِحَ لِهَذَا الْمَقَامِ الْعَالِي.

(ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ)

□ فائدة (١٣): كم بين السماء والتي تليها؟

جاء عن ابنِ مسعودٍ ﵁ قال: "بين السماءِ الدنيا، والتي تليها خمسُمائةِ عامٍ، وبين كلِّ سماءٍ وسماءٍ خمسُمائةِ عامٍ، وبين السماءِ السابعةِ والكرسيِّ خمسُمائةِ عامٍ، وبين الكرسيِّ والماءِ خمسُمائةِ عامٍ، والعرشُ فوق الماءِ، واللهُ فوق العرشِ، لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالِكم" (١)

(١) رواه الدارمي في الرد على الجهمية، وقال ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة: إسناده صحيح، وقال الذهبي في العرش: إسناده صحيح، وقال ابن باز ـ في شرح كتاب التوحيد ـ: صحيح جيد.

(فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ)

❏ **فائدة (١٤)**: فِي تَكْرَارِ هَذَا السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ فِي كُلٍّ مِنَ الْأَبْوَابِ إِشْعَارٌ بِأَنَّهُ بُسِطَ لَهُ الزَّمَانُ وَطُوِيَ لَهُ الْمَكَانُ، وَاتَّسَعَ لَهُ اللِّسَانُ، وَانْتَشَرَ لَهُ الشَّأْنُ فِي ذَلِكَ الْآنِ بِعَوْنِ الرَّحْمَنِ.(١)

(فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا بِيَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّا ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؛ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ،

---

(١) مرقاة المفاتيح.

فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى. قَالَ: هَذَا مُوسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ)

❑ **فائدة (١٥): فإن قيل: لماذا هذه الكثرة في التكرار؟ ألا يكفي: فمر على سائر الأنبياء فسلم عليهم، فردوا السلام، ورحبوا به ؟**

الجواب: هَذَا التَّكْرَارُ، وَالْبَيَانُ عَلَى وَجْهِ التَّكْثِيرِ يُعَدُّ مِنْ قَبِيلِ:

أَعِدْ ذِكْرَ نُعْمَانَ لَنَا إِنَّ ذِكْرَهُ هُوَ الْمِسْكُ مَا كَرَّرْتَهُ يَتَضَوَّعُ. (١)

أو كما قيل: العلم يحلو كلما كررته ولذاك عدت مكرراً لحلاوته.

(فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ) أَيْ: مُوسَى أَوْ مَقَامِي.

(بَكَى) أَيْ: مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، تَأَسُّفًا عَلَى أُمَّتِهِ وَشَفَقَةً عَلَى أَهْلِ مِلَّتِهِ، فَإِنَّهُمْ قَصَّرُوا فِي الطَّاعَةِ، وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ حَقَّ الْمُتَابَعَةِ مَعَ طُولِ مُدَّتِهِ وَامْتِدَادِ أَيَّامِ دَعْوَتِهِ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِ انْتِفَاعَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعَ قِلَّةِ عُمُرِهِ وَقِصَرِ زَمَانِهِ، ولهذا:

(قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي؛ لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي، يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي.!)

---

(١) أبيات شعرية من قصيدة لمهيار بن مردويه.

نعمان المذكور في هذا البيت هو: النعمان بن ثابت المعروف بأبي حنيفة، صاحب المذهب المشهور.

❐ فائدة (١٦): ماذا أراد موسى بهذه المقولة؟

لَمْ يُرِدْ موسى قطعـًا التقليل من شَأْنِه أخيه، فَإِنَّ الْغُلَامَ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ الْقَوِيُّ الشَّابُّ، وإنما كَانَ قوله ذلك أَسَفًا عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الْأَجْرِ الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ رَفْعُ الدَّرَجَةِ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ كَثْرَةِ الْمُخَالَفَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِتَنْقِيصِ أُجُورِهِمُ الْمَلْزُومِ لِنَقْصِ أَجْرِهِ، لِأَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ مِثْلَ أَجْرِ كُلِّ مَنِ اتَّبَعَهُ.

❐ فائدة (١٧): أمة محمدٍ ﷺ أكثر أهل الجنة:

وفيه إشارة إلى أن أكثر أهل الجنة من أمة محمد ﷺ، فقد جاء في مسند أحمد عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" أرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة، فكبرنا، قال: أرجو أن يكونوا الشطر "** (١).

(ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ، فقَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ)

❐ فائدة (١٨): سنة التعارف:

وفيه إثبات سنة التعارف، فلقد قام جبريل بسنة التعريف بالأنبياء في السماء، وأن التعارف من سنن الإسلام، لأنه سبيل المحبة والتعاون بين المسلمين، فعلى المسلم أن يتعرف على أخيه، ويسأله عن اسمه وأحواله.

---

(١) – قال محققوا المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

فائدة (١٩): من آداب السلام:

وفيه أن المار يُسلم على القاعد، وإن كان المار أفضل من القاعد.

فائدة (٢٠): هل من حكمة في كون كل نبيٍ في السماء التي هو فيها؟

قال ابن أبي جمرة: الحكمة في كون آدم في السماء الدنيا، لأنه أول الأنبياء، وأول الآباء، وهو أصل، فكان أَوَّلًا في الأولى، ولأجل تأنيس النبوة بالأبوة، وعيسى في الثانية لأنه أقرب الأنبياء عهدًا من محمد، ويليه يوسف، لأن أمة محمد تدخل الجنة على صورته، وإدريس في الرابعة، لقوله: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ ﴾ [مريم: ٥٧]، والرابعة من السبع وسط معتدل، وهارون لقربه من أخيه موسى، وموسى أرفع لفضل كلام الله، وإبراهيم لأنه الأب الأخير، فناسب أن يتجدد للنبي - ﷺ - بلُقيه أُنس؛ لتوجهه بعده إلى عالم آخر، وأيضًا فمنزلة الخليل تقتضي أن تكون أرفع المنازل، ومنزلة الحبيب أرفع من منزلته، فلذلك ارتفع النبي - ﷺ - عن منزلة إبراهيم إلى قاب قوسين أو أدنى.(١)

فائدة (٢١): الحكمة في اختصاص كل منهم بالسماء التي التقاه بها:

قيل في ذلك كلامٌ كثير، وأحسنه ما ذكره الحافظ ابن حجر ـ في الفتح: الإشارة إلى ما سيقع له - ﷺ - مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم؛ فأما آدم فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض بما سيقع للنبي - ﷺ - من الهجرة إلى المدينة، والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة، وكراهة فراق ما أَلِفَه من الوطن، ثم كان مآل كل منهما أن يرجع إلى موطنه الذي

---

(١) فتح الباري.

أخرج منه، وبعيسى ويحيى على ما وقع له من أول الهجرة من عداوة اليهود وتماديهم على البغي عليه، وإرادتهم وصول السوء إليه، وبيوسف على ما وقع له من إخوته من قريش في نصبهم الحرب له، وإرادتهم هلاكه، وكانت العاقبة له، وقد أشار إلى ذلك بقوله لقريش يوم الفتح: أقول كما قال يوسف: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ [يوسف: ٩٢]، وبإدريس على رفيع منزلته عند الله، وبهارون على أن قومه رجعوا إلى محبته بعد أن آذوه، وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر"، وبإبراهيم في استناده إلى البيت المعمور بما ختم له - ﷺ - في آخر عمره من إقامة مناسك الحج، وتعظيم البيت.

قال: وهذه مناسبات لطيفة أبداها السهيلي، فأوردتها مُنَقَّحَةً مُلَخَّصَة.

إشكال: هل الأنبياء الذين التقى بهم النَّبيُّ ﷺ في السَّماوات، هل يدل ذلك على أنَّ هذه السَّماوات مستقرٌّ لهم؟ وهل رآهُم فعلاً بِأرْواحِهِم وأجْسادهم؟

الجواب: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قدِ التقى الأنبِياء ليْلةَ الإسراء والمعراج في السَّماء، روحًا وجسدًا، وهو أمرٌ ثابتٌ بالنَّقل الصحيح، ولا يردُّه أو يعارضه العقل الصريح، وقد دلَّ عليْه أحاديثُ كثيرة، منها ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "لقد رأَيْتُني في الحِجْر، وقريش تسألُني عن مسراي، فسألَتْني عن أشياء من بيْتِ المقدس لَم أُثْبِتها، فكُرِبتُ كربةً ما كُرِبْت مثله قطُّ، قال: فرفعه الله لي أنظُر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتُهُم به، وقد رأيتُني في جماعةٍ من الأنبياء، فإذا موسى قائمٌ يُصلِّي، فإذا رجلٌ ضرْبٌ جعْدٌ كأنَّه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابْنُ مرْيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قائمٌ يُصلِّي، أقْرب النَّاس به شبهًا عرْوة بن مسعودٍ الثَّقفي، وإذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قائمٌ يصلِّي، أشْبه النَّاس به

صاحبُكم - يعْني نفسَه - فحانتِ الصَّلاة، فأمَمتُهم، فلمَّا فرغت من الصَّلاةِ، قال قائل: يا مُحمَّد، هذا مالك صاحب النار، فسلِّم عليْه، فالتفتُّ إليْه، فبدأني بالسَّلام"

ومنها: أن القرآن قد دلَّ على أن الشُّهداء أحياء، ودلت السنة الصحيحة أنهم في الجنة؛ فالأنبياء أولى لأنهم أفضلُ منهم.

ومنها: أنه لا يمنع أن الله تعالى يكون قد هيأ أنبياءه لنبيه، وأحضرهم لملاقاته، كما قال الحافظ ـ في الفتح ـ: "وقَد اسْتُشْكِل رُؤْيَة الأنْبِياء في السَّماوات، مَعَ أنَّ أجْسَادهمْ مُسْتَقِرَّة في قُبُورهم بالأرْضِ، وأُجيبَ بأنَّ أَرْوَاحهمْ تَشَكَّلتْ بِصُوَرِ أجْسَادهمْ، أوْ أُحْضِرَتْ أجْسَادهمْ لمُلاقاةِ النَّبيِّ ﷺ تلْكَ اللَّيلةَ؛ تَشْرِيفًا له وتَكْرِيمًا، ويُؤَيِّده حَدِيث عَبْدالرَّحْمَن بْنِ هَاشِم عن أنَس؛ ففيهِ: "وبُعِثَ لهُ آدَم فمَنْ دُونه من الأنْبِياء؛ فافْهَمْ"

فالظاهر هو أنهم أُحضروا بأجسادهم، لظواهر الأحاديث الصحيحة، ولا يُعْدَلُ عن ذلك، والاستشكالُ في مثل هذا غير صحيح، لأن الأمور الغيبية لا تقاسُ على الشاهد، بل يجب تسليم ما صح منه، والله على كل شيء قدير.

(**ثُمَّ رُفِعَتْ لِيَ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى**) قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلَانِيُّ: الْأَكْثَرُ بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ وَضَمِّ التَّاءِ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ، وَبَعْدَهُ حَرْفُ الْجَرِّ.

□ فائدة (٢٢): لماذا سميت سدرة المنتهى بذلك الاسم؟

قَالَ النَّوَوِيُّ ـ في شرح مسلم ـ: سُمِّيَتْ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى لِأَنَّ عِلْمَ الْمَلَائِكَةِ يَنْتَهِي إِلَيْهَا، وَلَمْ يُجَاوِزْهَا أَحَدٌ إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَحُكِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِكَوْنِهِ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يَهْبِطُ مِنْ فَوْقِهَا وَمَا يَصْعَدُ مِنْ تَحْتِهَا مِنْ

أَمْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَقَالَ السُّيُوطِيُّ: وَإِضَافَتُهَا إِلَى الْمُنْتَهَى لِأَنَّهَا مَكَانٌ يَنْتَهِي دُونَهُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ وَعُلُومُ الْخَلَائِقِ، وَلَا تَجَاوُزَ لِلْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ مِنْهَا إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَأَصْلُ سَاقِهَا فِي السَّادِسَةِ.(١)

(**فَإِذَا نَبْقُهَا**) أَيْ ثَمَرُهَا مِنْ كِبَرِهِ الدَّالِّ عَلَى كِبَرِهَا.

(**مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ**) بِكَسْرِ الْقَافِ جَمْعُ قُلَّةٍ بِالضَّمِّ وَهِيَ إِنَاءٌ لِلْعَرَبِ كَالْجَرَّةِ الْكَبِيرَةِ، وَهَجَرُ اسْمُ بَلَدٍ.

(**وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ**)، أي في الكبر.

(**قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهَى. وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ**) أَيْ: فَإِذَا أَنَا بِأَرْبَعَةِ أَنْهَارٍ.

(**نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، قُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ**) أي بتلك السدرة ينبع من تحتها أربعة أنهار تجري في الجنة، نهران منهما باطنان، أي لم يرهما أحد من البشر إلاّ في الدار الآخرة، وهما السلسبيل والكوثر، ونهران منهما ظاهران، نراهما في الدنيا، وهما النيل، نهر مصر، والفرات بغداد بالجانب الغربي منها.

جاء في مرقاة المفاتيح: وَالظَّاهِرُ أَنَّ النِّيلَ وَالْفُرَاتَ يَخْرُجَانِ مِنْ أَصْلِهَا، ثُمَّ يَسِيرَانِ حَيْثُ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ يَخْرُجَانِ مِنَ الْأَرْضِ وَيَسِيرَانِ فِيهَا، وَهَذَا لَا يَمْنَعُهُ شَرْعٌ وَلَا عَقْلٌ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ فَوَجَبَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ.

(**ثُمَّ رُفِعَ**) أَيْ: قُرِّبَ وَأُظْهِرَ لِأَجْلِي.

(**لِي البَيْتُ المَعْمُورُ**) وَهُوَ بَيْتٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حِيَالَ الْكَعْبَةِ وَحُرْمَتُهُ فِي

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح.

السَّمَاءِ كَحُرْمَةِ الْكَعْبَةِ فِي الْأَرْضِ.

(فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا إِلَيهِ آخِر مَا عَلَيْهِمْ)

❐ فائدة (٢٣): الملائكة أكثر المخلوقات:

واستدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات؛ لأنه لا يعرف من جميع العوالم، من يتجدد من جنسه في كل يوم سبعون ألف، غير ما ثبت عن الملائكة في هذا الخبر.

(ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ) قال الحافظ: أي دين الإسلام يعني أن هذا الشراب الذي اخترته هو الشراب الطيب الموافق لدينك وشريعتك، والموافق للطبيعة البشرية، لأنه أوّل شيء يدخل بطن المولود، ويشق أمعاءه ويغذي جسمه أثناء طفولته، ويكون له غذاءً ودواء وسقاء أثناء الرضاعة، بخلاف الخمر، فإنها شراب خبيث يفتك بشاربه صحياً وجسمياً، أما العسل فقد شرب منه النبي ﷺ قليلاً.(١)

❐ فائدة (٢٤): فساد الفطَر:

وحين نرى الناس يجنحون عن هذا الدين، فلا شك أن فطرتهم قد فسدت، ومهمة الداعية أن يعالج فساد هذه الفطرة بما حوت من ركام، وفي الحديث القدسي: " **وَإِنِّى خَلَقْتُ عِبَادِى حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ**

(١) فتح الباري.

عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِى مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا "(١)

❑ فائدة (٢٥): لماذا اللبن ؟

اعْلَمْ أَنَّ اللَّبَنَ لَمَّا كَانَ ذَا خُلُوصٍ وَبَيَاضٍ، وَأَوَّلُ مَا يَحْصُلُ بِهِ تَرْبِيَةُ الْمَوْلُودِ صُوِّرَ بِهِ فِي الْعَالَمِ الْمُقَدَّسِ مِثْلَ الْهِدَايَةِ وَالْفِطْرَةِ الَّتِي يَتِمُّ بِهِ الْقُوَّةُ الرُّوحَانِيَّةُ، وَهِيَ الِاسْتِعْدَادُ لِلسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، أَوَّلُهَا انْقِيَادُ الشَّرْعِ، وَآخِرُهَا الْوُصُولُ إِلَى اللهِ تَعَالَى.(٢)

(ثُمَّ فُرِضَ عَلَيَّ خمسون صَلاَةُ كُلَّ يَوْم، فَرَجَعْتُ، فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ) أي عانيت منهم كثيراً.

❑ فائدة (٢٦): عِظَمُ الصلاة:

وهذا مما يبين عِظم الصلاة في الإسلام، فقد فُرضت في ليلةٍ عظيمةٍ في مكان عظيم، فقد خُصت بذلك من بين فرائض الإسلام وعموم الطاعات أن الله تعالى فرضها على نبيه ليلة أسريَ به في السماء السابعة.

فعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:" فُرضت على النبي ﷺ الصلوات ليلة أُسرِيَ به خمسين، ثم نُقِصت حتى جُعلت خمسًا، ثم نودي: يا محمد إنه لا يُبَدّل القول

---

(١) رواه مسلم.

(٢) مرقاة المفاتيح.

لدّي وإن لك بهذه الخمس خمسين" (١)

بينما عموم الطاعات وجميع الفرائض والعبادات كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل بها إلى النبي ﷺ، يوحي إليه بها، وهذا مما يبين كذلك مكانة الصلاة عند الله.

فالصلاة عمود الدين الذي لا يقوم إلا به، كما قال ﷺ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده وذِرْوة سنامه" قال: بلى يا رسول الله، قال: "رأس الأمر الإِسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد"(٢)

وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر، كما قال ﷺ: **"إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت، فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر"** (٣)

وهي آخر وصية وصى بها رسول الله ﷺ أمته، فقد قال في أنفاسه الأخيرة: **"الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم"** (٤)

(فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ) أيالتنقيص من عدد الصلوات تيسيراً وتسهيلاً عليهم ليتمكنوا من أداء ما فرض الله عليهم دون مشقة أو عناء.

❏ فائدة (٢٧): نُصح موسى وشفقته:

وهذا من كمال شفقة موسى عليه الصلاة والسلام، على أخيه وأمته، وتمام

---

(١) رواه أحمد وقال محقق المسند: صحيح على شرط الشيخين.
(٢) رواه أحمد والترمذي، وصححه الالباني.
(٣) رواه الترمذي والنسائي، وصححه الألباني.
(٤) رواه أبوداود وابن ماجه، وصححه الألباني.

نصيحته لهم، وفيه أن النصيحة تُبذل لمن يحتاجُ إليها وإن لم يُسْتَشَرِ الناصحُ في ذلك.

(فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا) فصارت أربعين.

(فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا) فصارت ثلاثين.

(فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا) فصارت عشرين.

(فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ!! وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ)

❐ فائدة (٢٨): التجربة عِلمٌ معتبر:

وفيه أن التَّجْربَة أقْوَى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة.

(قُلْتُ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْه)

❐ فائدة (٢٩): فضل الحياء:

فيه بيان فضل الحياء، وأنه دأب الأنبياء ومن تبعهم من الصالحين والأولياء، وأول مظاهر حيائه ﷺ وأولاها، يتجلى في مع خالقه سبحانه وتعالى؛ حين قال

لموسى: "**استحييت من ربي**" (١) ويشبه لنا الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حياء الرسول ﷺ، فيقول: " كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها" (٢)

(**وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ**) قال الحافظ: " قوله: ولكن أرضي وأسلم " فيه حذف، تقدير الكلام: سألت ربي حتى استحييت فلا أرجع، فإني إن رجعت صرت غير راض ولا مسلم ولكني أرضي وأسلم" (٣)

(**فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي**) أي نفذ حكمي وجعلت الصلاة خمساً، تخفيفاً على عبادي من هذه الأمة المحمدية، جاء في رواءة أحمد: " إنه لا يُبدل القول لدّي، وإن لك بهذه الخمس خمسين " وهذا فضل الله الواسع، وكرمه الفياض، وجوده الدائم على عباده، فلله الحمد والمنة.

❐ فائدة (٣٠): يسر الشريعة:

وفيه أن شريعتنا شريعة سهلةٌ يسيرة، وأن التكليف فيه على قدر الاستطاعة، وهي مزية اختص الله بها هذه الأمة عن باقي الأمم، قال سبحانه: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره: "أي: يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير، ويسهلها أشد تسهيل، ولهذا كان

---

(١) كما في رواية البخاري.

(٢) رواه البخاري و مسلم.

(٣) فتح الباري.

جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله. وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله، سهَّله تسهيلاً آخر، إما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات، وهذه جملة لا يمكن تفصيلها، لأن تفاصيلها، جميع الشرعيات، ويدخل فيها جميع الرخص والتخفيفات"

لكن إشكالاً حصل لدى البعض، ففهم اليسر على غير حقيقته، مما دفعه إلى إهمال الكثير من الأحكام والأوامر الشرعية طلباً لليسر؛ بل رأينا من يدعو الناس إلى ترك كثير من الأوامر الإلهية بحجة التيسير والتخفيف عن الناس، مدعياً أن العبرة بأعمال القلوب لا الأبدان، وإصلاح النوايا لا أداء الفرائض والسُنن، حتى صارت قاعدة التيسير عند البعض ذريعة للتفريط والتقصير، بل الانسلاخ من دين الله بالكليّة.

لهذا كان لزاماً علينا بيان المراد بالتيسير، أو اليسر في الدين، هل يعني ترك التكاليف وإهمال الشرع والسعي خلف ملذات الدنيا ومُلهياتها؟ أم للأمر ضابط يحكمه، وقاعدة تضبط مساره؛ حتى لا يُمتهن الدين، ويضيع كما ضاع غيره من الأديان؟

فاليسر في حقيقته لا يعني إطلاق الإنسان من كل قيد شرعي، وإعفائه من كل تكليف ومشقة، بل هو:

"رحمة من الله بعباده فلم يكلّفهم بما لا يطيقون، وهو أيضاً يسدّ الذرائع ويقطع الطريق على المتهاونين، حيث لابد من امتثال أمر الله، فمن لم يستطع أن يصلي قائماً صلّى جالساً أو مضطجعاً، وبذلك يتحقق الإتيان بالمأمور به، ولكن بالكيفية التي لا مشقة فيها، فالتيسير إذاً يلغي عذر من يحاول التضييع، ويقطع أسباب التملّص والإهمال، ولا يدع للمتهاون حجّة، وأمامه الرخصة

بدلاً من العزيمة، فالتيسير إذاً هو من باب الحرص على أداء الفرائض، ولا يعني رفعُ الحرج الإعفاء من بذل أي جهد، وإنما الإعفاء مما في بذله مشقة وجهد غير عادي" (١)

فاليسر في الإسلام هو: تشريع الأحكام على وجه روعيت فيه حاجة المكلف، وقدرته على امتثال الأوامر واجتناب النواهي، مع عدم الإخلال بالمبادئ الأساسية للتشريع.

❐ فائدة (٣١): معجزة الإسراء والمعراج:

دل هذا الحديث على أن من المعجزات العظيمة الثابتة للنبي ﷺ معجزة الإسراء والمعراج:

❍ **يُقصدُ بالإسراء**: الرحلة الأرضية، والانتقال العجيب بالقياس إلى مألوف البشر، الذي تمَّ بقدرة الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والوصول إليه في سرعة تتجاوز الخيال، يقول تعالى في سورة الإسراء: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ [الإسراء:١].

❍ **وأما المعراج**: فهو الرحلة السماوية والارتفاع والارتقاء من عالم الأرض إلى عالم السماء، حيث سدرة المنتهى، ثم الرجوع بعد ذلك إلى المسجد الحرام، يقول تعالى في سورة النجم: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾

---

(١) مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. فرج على الفقيه حسين.

وقد حدثت هاتان الرحلتان في ليلة واحدة.

❍ وقد اختلف العلماء في أي سنة كان؟ وفي أي شهر؟

أ - قال البعض: إنهما كانا قبل الهجرة بسنة، وإلى هذا ذهب الزهري، وعروة بن الزبير، وابن سعد وادعى ابن حزم الإِجماع على هذا.

ب - والذي عليه أكثر المحققين أنهما كانا في شهر ربيع الأول، وقيل في شهر ربيع الآخر، وقيل في شهر رجب وهو المشهور بين الناس.

ج - والذي ترجح عند العلماء أن الإِسراء والمعراج كانا في ليلة الثانية عشر من شهر ربيع الأول فقد ذكر ابن كثير في "البداية والنهاية" أثراً عن جابر وابن عباس يشهد لذلك:

قال جابر وابن عباس: (وُلد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وفيه بُعث، وفيه عُرِج به إلى السماء، وفيه هاجر).

أقول: يشهد لبعض هذا الأثر الحديث الآتي:

"سُئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم الإثنين؟ قال: ذاك يوم وُلدتُ فيه، وفيه بُعثت، وفيه أنزل عليَّ"(١)(أي القرآن). (٢)

❍ وقد لخَّص الحافظ ابن كثير حادثة الإِسراء والمعراج فقال:

١ - والحق أنه عليه السلام أسري به يقظة لا مناماً من مكة إلى بيت المقدس

---

(١) رواه مسلم.

(٢) مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع: محمد بن جميل زينو.

راكبـًا البُراق، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب، ودخله فصلَّى في قبلته تحية المسجد ركعتين.

٢ - ثم أُتِي بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيه، فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السموات السبع، فتلقاه من كل سماء مقرَّبوها، وسلم على الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم، حتى مر بموسى الكليم في السادسة، وإبراهيم الخليل في السابعة، ثم جاوز منزلتهما ﷺ وعليهما وعلى سائر الأنبياء، حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام [أي أقلام القدر بما هو كائن].

٣ - ورأى سدرة المنتهى، وغشيها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة، من فَراش من ذهب وألوان متعددة، وغشيتها الملائكة، ورأى جبريل على صورته وله ستمائة جناح، ورأى رفرفـًا أخضر قد سد الأفق.

٤ - ورأى البيت المعمور، وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مسنداً ظهره إليه، لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفـًا من الملائكة يتعبدون فيه، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة.

٥ - ورأى الجنة والنار، وفرض الله عليه هنالك الصلوات الخمسين، ثم خففها إلى خمس رَحمة منه ولطفـًا بعباده، وفِي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها.

٦ - ثم هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء، فصلى بهم لما حانت الصلاة، ويحتمل الصبح من يومئذ، ومن الناس من يزعم أنه أَمَّهم في السماء، والذي تظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس، ولكن في بعضها أنه كان أول

دخوله إليه، والظاهر أنه بعد رجوعه إليه، لأنه لما مَرَّ بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً، وهو يخبر بهم، وهذا هو اللائق لأنه كان أولًا مطلوبـًا إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى، ثم لما فرغ من الذي أريد به اجتمع به هو وإخوانه من النبيين، ثم أظهر شرفه عليهم بتقديمه في الإمامة، وذلك عن إشارة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذلك.

٧ – ثم خرج من بيت المقدس، فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس، والله أعلم.

٨ – وأما عرض الآنية من اللبن والعسل، أو اللبن والخمر، أو اللبن والماء أو الجميع، فقد ورد أنه في بيت المقدس، وجاء أنه في السماء، ومحتمل أن يكون هاهنا وهاهنا لأنه كالضيافة والله أعلم. (١)

وهل كانت هذه الرحلة بالروح والجسد، أم بهما معـًا ؟

جمهور السلف والخلف من العلماء على أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، وبروح الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجسده، وهو الذي يدل عليه قوله تعالى في أول سورة الإسراء (بعبده) ولا يكون إلا بالروح والجسد.

وهناك أحاديث صحيحة كثيرة، تشير إلى أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد: منها أنه شُق صدره الشريف، وركِب البراق، وعُرِج به إلى السماء، ولاقى الأنبياء، وفُرضت عليه الصلوات الخمس، وأن الله كلمه، وأنه كان يرجع بين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين ربه عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) تفسير ابن كثير.

فهما حقٌ أخبر به القرآن والسنة، فوجب التصديق بهما، ومع ذلك فهما أمران ممكنان للعقل، ومن ادعى استحالتهما فعليه البيان.

ومن يتابع العلم الحديث اليوم، يراه يطالعنا باكتشافات جديدة وعجيبة، فالطائرة النفاثة تسبق سرعة الصوت، والصعود إلى القمر صار حديث الصغار، إلى غير ذلك من المخترعات؛ فإذا كان الإنسان مع ضعفه قد استطاع أن يقوم بمثل هذه الاختراعات التي جعلت من المسافات البعيدة قريبة ضمن قوانين دقيقة، أفلا يقدر خالق هذا الإنسان والكون أن ينقل رسوله محمداً ﷺ إلى حيث أراد بقدرة فائقة وسرعة عجيبة؟ إنه على كل شيء قدير.

فائدة (٣٢): واعلم أن هذا الحديث الذي تم استخراج فوائده إنما هو طرف قصير من أطراف قصة الإسراء والمعراج، ودونك كتبُ السيرة لتعرف البداية والنهاية والتفاصيل.

فاللهم ثبتنا على الإيمان حتى نلقاك





القصةُ الثلاثون

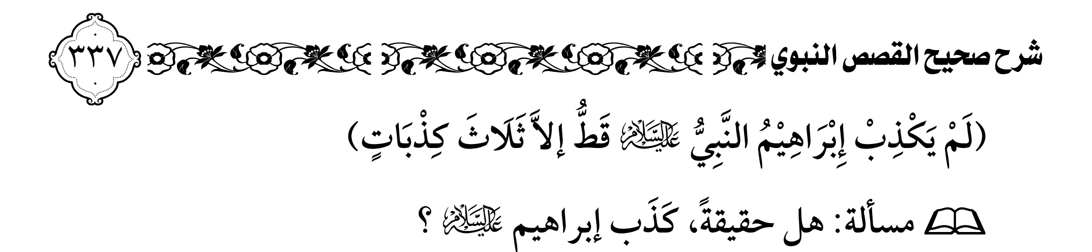
هل كذَب إبراهيم عليه السلام ؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهُ صلى الله عليه وسلم:

"لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيْمُ النَّبِيُّ عليه السلام قَطُّ إلاَّ ثَلَاثَ كِذْبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ، قَوْلُهُ: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾، وَوَاحِدَةً فِي شَأْنِ سَارَّةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَّةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَال لَهَا: إِنَّ هَذَا الجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرأَتِي، يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرُكِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ، رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الجَبَّارِ، أَتَاهُ فَقَال لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُوْنَ إلاَّ لَكَ، فأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَأُتِي بِهَا، فَقَامَ إِبْرَاهِيْمُ عليه السلام إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيْدَةً، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، وَلَا أَضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ القَبْضَةِ الأُوْلَى، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ القَبْضَتَيْنِ الأولَيَنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، فَلَكِ اللهَ أَنْ لَا أَضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا، فَقَال لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ!! فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي وَأَعْطِهَا هَاجَرَ، قَالَ: فِأَقْبَلَتْ تَمْشِي، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيْمُ عليه السلام انْصَرَفَ، فَقَالَ: مَهْيَمْ! قَالَتْ: خَيْرَاً، كَفَّ اللهُ يَدَ الفَاجِرِ، وَأَخْدَمَ خَادِمًا".

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



(لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيْمُ النَّبِيُّ عليه السلام قَطُّ إِلاَّ ثَلَاثَ كِذْبَاتٍ)

مسألة: هل حقيقةً، كَذَب إبراهيم عليه السلام ؟

الجواب: إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، لا يمكن أن يقع في ذلك الخطأ البشع، فإن الله تعالى قال: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ ﴾ [مريم: ٤١] ولا يمكن لنبيٍ أن يقع في مثل ذلك، لأن الكذب من أقبح ما يكون، فهو أقرب طريقٍ إلى النار، وهو شعبة من شعب النفاق، بل النفاق أثرٌ من آثاره، وهو سبب محق البركة، وعلامة ذهاب الإيمان، وسبب الريبة والاضطراب، ولهذا كان الكذب مذموماً مستقبحاً في سائر الشرائع، وهو مستقبحٌ عند كل صاحب عقل، ويستنكف منه البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ودليل ذلك ما حكاه أبو سفيان ابن حرب رضي الله عنه، عما جرى ـ قبل إسلامه ـ بينه وبين هرقل، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ: "أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، فَوَاللهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ..... " (١)

وروى ابن عساكر: أن سليمان بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك

---

(١) متفق عليه.

فقال له: يا سليمان الذي تولى كبره من هو؟ [١] قال: عبد الله بن أبي، قال: كذبت هو علي، قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، فدخل الزهري فقال: يا ابن شهاب من الذي تولى كبره؟ فقال: ابن أبي، قال: كذَبت، هو علي، قال: أنا أكذب؟ لا أبـًا لك، والله لو نادى منادٍ من السماء أن الله قد أحل الكذب ما كذبت، حدثني عروة وسعيد وعبد الله وعلقمة عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي" [٢]

فالمؤمن لا يكذب، فضلاً عن النبي، لأن الكذب من أخص صفات الأراذل من الخلق، كما قال عليه الصلاة والسلام: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان" [٣]

فالكذب يُفسد المعاش والمعاد، قال ابن القيم: " كل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمنشؤه الكذب، والله تعالى يعاقب الكذاب بأن يقعده ويثبطه عن مصالحه ومنافعه، ويثيب الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته، فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق، ولا مفاسدها ومضارها بمثل الكذب " [٤]

قال شيخ الإسلام ـ في مجوع الفتاوى ـ: " الكاذب أسوأ حالاً من البهيمة العجماء "

---

(١) أي في قصة الإفك.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر.

(٣) متفق عليه.

(٤) بدائع الفوائد.

مسألة أخرى: إذن فما معنى قول النبي ﷺ: "لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيْمُ النَّبِيُّ عليه السلام قَطُّ إلاَّ ثَلَاثَ كِذْبَاتٍ"

الجواب: الكذب هنا ليس على حقيقته المعروفة، إنما المراد به: التورية، فالكذب أحياناً يُطلق، ويُراد به التورية، كما هو هنا، وسنُبيِّن عن قريب، كيف ورَّى إبراهيم، ولماذا ورَّى ؟

لكن قبل ذلك: ما التورية، وما حقيقتها، ومتى تصح ؟

التورية في اللغةً: إخفاء الشيء، كما قال الله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [المائدة:٣١].

وأما معناها الاصطلاحي فهي: أن يقول القائل كلاماً يُظهر منه معنىً يفهمُه السامع، ولكن القائل يريد معنى آخر يحتمله الكلام، كأن يقول له ليس معي درهم في جيبي فيُفهم منه أنّه ليس معه أي مال أبداً، ويكون مراده أنه لا يملك درهماً لكن يملك ديناراً مثلاً، ويسمى هذا الكلام تعريضاً أو تورية.

وتُعد التورية من الحلول الشرعية لتَجَنُّب حالات الحَرَج التي قد يقع فيها الإنسان عندما يسأله أحدٌ عن أمرٍ وهو لا يريد إخباره بالواقع من جهة، ولا يريد أن يكذب عليه من جهة أخرى.

فعَنْ مُطَرِّف قال: صَحِبْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رضي الله عنه مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَقَلَّ مَنْزِلٌ يَنْزِلُهُ إِلاَّ وَهُوَ يُنْشِدُنِي شِعْرًا، وَقَالَ: "إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ[1]

(١) المَعارِيضُ: التَّوْرِيةُ بالشيء عن الشيء ، وفي حديث عمر رضي الله عنه: أَمَا في المَعارِيض ما =

لَمَنْدُوحَةً(١) عَنِ الْكَذِبِ(٢) " (٣)

وتصح التورية من القائل إذا دعت الحاجة أو المصلحة الشرعية لها، ولا ينبغي أن يكثر منها بحيث تكون ديدنـًا له، فإن ذلك بابٌ إلى الكذب، ولا أن يستعملها لأخذ باطل أو دفع حق.

قال النووي: "قال العلماء: فإن دعَت إلى ذلك مصلحة شرعيَّة راجحة على خداع المخاطب(٤)، أو دعت إليه حاجة لا مندوحة عنها إلا بالكذب، فلا بأس بالتعريض، فإن لم تدع إليه مصلحة ولا حاجة: فهو مكروه وليس بحرام، فإن توصل به إلى أخذ باطل أو دفع حق فيصير حينئذ حرامـًا، وهذا ضابط الباب"(٥)

وذهب بعض العلماء إلى تحريم التعريض لغير حاجة أو مصلحة، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، (٦)، وهو اختيارٌ مسدد، لأنها فرارٌ من الكذب، لا أكثر من ذلك.

= يُغْني المسلم عن الكذب؟ لسان العرب.

(١) أَيْ: سَعة وفُسْحة.

(٢) يعني أَن في التعريض بالقول من الاتساع ، ما يُغني الرجلَ عن تَعَمُّدِ الكذب. لسان العرب.

(٣) صحيح الأدب المفرد.

(٤) وإطلاق الإمام النووي هنا، كلمة الخداع، مجازفة، أو مجازاً، لأن التورية في الحقيقة الشرعية ليست خداعـًا، وإلا ما شُرعت.

(٥) الأذكار.

(٦) الاختيارات الفقهية.

وهناك حالات أرشد النبي ﷺ فيها إلى استخدام التورية، فعلى سبيل المثال:

إذا أحدث الرجل في صلاة الجماعة فماذا يفعل في هذا الموقف المحرج ؟

الجواب: عليه أن يأخذ بأنفه فيضع يده عليه ثم يخرج، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: **" إذا أحدث أحدكم في صلاته فليأخذ بأنفه ثم لينصرف "** (١)

قال الطيبي: "أمر بالأخذ ليخيل أنه مرعوف (والرعاف هو النزيف من الأنف)، وليس هذا من الكذب، بل من المعاريض بالفعل، ورُخِّص له في ذلك لئلا يسوِّل له الشيطان عدم المضي استحياء من الناس ا.هـ" (٢)

وهذا من التورية الجائزة والإيهام المحمود رفعـًا للحرج عنه، فيظن من يراه خارجـًا بأنه أصيب برعاف في أنفه...

وكذلك إذا واجه المرء المسلم ظروفـًا صعبة محرجة يحتاج فيها أن يتكلم بخلاف الحقيقة لينقذ نفسه، أو ينقذ معصومـًا، أو يخرج من حرج عظيم، أو يتخلص من موقف عصيب، فذاك هو المخرج، وقد بوَّب البخاري رحمه الله في صحيحه: " باب المعاريض مندوحة عن الكذب "

أمثلة من المعاريض التي استخدمها السلف والأئمة، أوردها العلامة ابن القيم رحمه الله **تعالى في كتابه " إغاثة اللهفان ":**

---

(١) صحيح سنن أبي داود.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.

ـ ذُكر عن حماد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه إذا أتاه من لا يريد الجلوس معه قال متوجعـاً: ضرسي، ضرسي، فيتركه الثقيل الذي ليس بصحبته خير.

ـ وأحضر سفيان الثوري إلى مجلس الخليفة المهدي فاستحسنه، فأراد الخروج فقال الخليفة لا بد أن تجلس فحلف الثوري على أنه يعود فخرج وترك نعله عند الباب، وبعد قليل عاد فأخذ نعله وانصرف فسأل عنه الخليفة، فقيل له إنه حلف أن يعود فعاد وأخذ نعله.

ـ وكان الإمام أحمد في داره، ومعه بعض طلابه منهم المروذي، فأتى سائل من خارج الدار يسأل عن المروذي، والإمام أحمد يكره خروجه، فقال الإمام أحمد: ليس المروذي هنا وما يصنع المروذي ها هنا وهو يضع إصبعه في كفه ويتحدث لأن السائل لا يراه.

ومن أمثلة التورية أيضـاً: لو سألك شخص هل رأيت فلانـاً وأنت تخشى لو أخبرته أن يبطش به فتقول ما رأيته وأنت تقصد أنك لم تقطع رئته وهذا صحيح في اللغة العربية أو تنفي رؤيته وتقصد بقلبك زمانـاً أو مكانـاً معينـاً لم تره فيه، وكذلك لو استحلفك أن لا تكلم فلانـاً: فقلت: والله لن أكلمه، وأنت تعني أي لا أجرحه لأن الكلم يأتي في اللغة بمعنى الجرح. وكذلك لو أرغم شخص على الكفر وقيل له اكفر بالله، فيجوز أن يقول كفرت باللاهي. يعني اللاعب.(١)

هذا مع تكرار التنبيه هنا أنه لا يَستخدم المسلم التورية إلا في حالات الحرج البالغ وذلك لأمور منها:

١ – أن الإكثار منها يؤدي إلى الوقوع في الكذب.

---

(١) إغاثة اللهفان: ابن القيم.

٢- فقدان الإخوة الثقة بكلام بعضهم بعضـاً، لأن الواحد منهم سيشك في كلام أخيه هل هو على ظاهره أم لا ؟

٣- أن المستمع إذا اطلع على حقيقة الأمر المخالف لظاهر كلام المورِّي ولم يدرك تورية المتكلم يكون المورِي عنده كذاباً وهذا مخالف لاستبراء العرض المأمور به شرعـاً.

٤- أنه سبيل لدخول العجب في نفس صاحب التورية لإحساسه بقدرته على استغفال الآخرين.

عودٌ على بدء: فما قام به إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، هو التورية بضوابطها الشرعية، كما سيأتي بيانها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ في الفتاوى الكبرى ـ: " وَالثَّلَاثُ: مَعَارِيضُ وَمَلَاحَةٌ. فَإِنَّهُ قَصَدَ بِاللَّفْظِ مَا يُطَابِقُهُ فِي عِنَايَتِهِ، لَكِنْ لَمَّا أَفْهَمَ الْمُخَاطَبَ مَا لَا يُطَابِقُهُ سُمِّيَ كَذِبًا"

فعلى المؤمن أن يوقن بصدق الرسل جميعًا؛ فإن دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقًا به؛ ليُعلم صدقُ ما جاء به عن الله، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه؟! وإنما أُطلق عليه ذلك؛ لكونه بصورة الكذب عند السامع.

إشكال: فإن قيل: فلماذا اعتذر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في أرض المحشر عن الشفاعة، بسبب كذباته الثلاث، وسمَّاها كذبـًا، وأطلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عليها لفظ الكذب في هذا الحديث ؟

الجواب: وَأَمَّا إِطْلَاقُه النبي ﷺ، الْكَذِبَ عَلَى الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ فَلِكَوْنِهِ قَالَ قَوْلًا يَعْتَقِدُهُ السَّامِعُ كَذِبًا لَكِنَّهُ إِذَا حُقِّقَ لَمْ يَكُنْ كَذِبًا لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْمَعَارِيضِ الْمُحْتَمِلَةِ لِلْأَمْرَيْنِ.(١)

أما اعتذار إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الشفاعة، متعللاً بهذه الكذبات "فهي في حق غيره ليست بذنوب، لكن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أشفق منها؛ إذ لم يكن عن أمر الله"(٢)، وأن هذه إنما هي طبيعة المؤمن، يخاف مما لا بأس به.

بيان حقيقة الكذبات الثلاث:

(ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ) يعني ثِنتان من الكذبات الثلاث مشتملتان على تنزيهِ الله سبحانه عما كان قومه مُكِبين عليه من الإشراك في الربوبية والدعاوى الباطلة، أو أنه تكلم بهما على سبيل التورية لإثبات توحيد الله تعالى.

(قَوْلُهُ: إِنِّي سَقِيْمٌ) كما قال تعالى حكايةً عنه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الصافات: ٨٥ - ٨٩] فسَبَبُ نَظَره في علم النجوم وقوله: ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ أنهم طلبوا منه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يخرجَ معهم إلى عيدٍ لهم من الأعياد، فأراد أن يتخلَّفَ عن الأمر الذي هم به، ولم يُرد أن يهاجمهم الآن، فقد وضع الخطة المحكمة لدعوتهم، وإقناعهم، ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: ٨٨، ٨٩]؛ أي: خارجٌ مزاجي عن حد الاعتدال، وقلَّ من يخلو عنه، أو سقيم القلب بما أشاهده من كفركم وعنادكم،

---

(١) فتح الباري، لابن حجر.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم.

وكل هذا ليس فيه كذب، بل هو خبر صحيح صدق.

(وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾) قال بعدها: ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٣] فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ علَّق خبره بشرط نطق كبيرهم، كأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إن كان ينطق فهو فعله، على طريق التبكيت لقومه، وهذا صدق أيضًا ولا خلف فيه، أو يقال: قال لهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا الكلام ليقولوا: إنهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرون، فيقول لهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: فلم تعبدونهم؟ فتقوم عليهم الحجة منهم، ولهذا يجوز عند الأمة فرض الباطل مع الخصم؛ حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه، فإنه أقرب في الحجة وأقطع للشبهة.

(**وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَّةَ**) أي زوجته، ثم طفق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يكشف حقيقتها، فقال:

(**فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَّةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَال لَهَا: إِنَّ هَذَا الجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرأَتِي، يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ**) قيل: إن ذلك الجبار كان من سيرته أنه لا يغلب الأخ على أخته ولا يظلمه فيها، وكان يغلب الزوج على زوجته، وقيل: أنه من كانت متزوجة لا يقربها حتى يقتل زوجها، ويبطش به، ويأخذها، ولهذا قال إبراهيم:

(**فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الإِسْلَامِ**) لأنه إن كان عادلًا، خطبها ثم يرجو مدافعته عنها، وإن كان ظالمًا خلص من القتل ذكره الحافظ في الفتح، وقال: هذا أُخذ من كلام ابن الجوزي في مشكل الصحيحين فإنه نقله عن بعض علماء أهل الكتاب: أنه سأله عن ذلك فأجاب به، ويضاف إلى ذلك أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما احتال لصيانة نفسه عن القتل، لأنه كان يرجو إن بقي حيًّا وأراد الجبار بامرأته سوءًا فإنه يدعو الله تعالى ليصرف عنها ذلك السوء،

فتجتمع بذلك المصلحتان، صيانة نفسه عن القتل وصيانة عرضة وعرض امرأته عن سوء نية الجبار فوقع الأمر حسب ما رجا به.

قال النووي: هذا ليس بكذب لوجهين: الأول: بأنه وَرَّى بأنها أختُه في الإسلام كما ذكر، ومن سمى المسلمة أختَه قاصدًا أُخُوَّةَ الإسلام فليس بكاذب، والثاني: أنه وإن كان كذبًا لا تورية فيه فهو جائز، لأنهم اتفقوا لو جاء ظالم يطلب رجلًا مختفيًا ليقتله أو يطلب وديعة إنسان ليأخذها غصبًا لوجب إخفاؤه على من علم ذلك، والكذب فيه حينئذٍ واجب.

(**فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرُكِ**) وقد ورد على ذلك أن لوطًا كان معه، كما قال تعالى ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٦] ؟ قال الحافظ ابن حجر: "ويمكن أن يجاب بأن مراده بالأرض التي وقع له فيها ما وقع، ولم يكن معه لوط ".[1]

(**فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ، رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الجَبَّارِ، أَتَاهُ فَقَال لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرأَةٌ لا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُوْنَ إلاَّ لَكَ، فأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَأُتِي بَهَا، فَقَاْمَ إِبْرَاهِيْمُ** عليه السلام **إِلَى الصَّلَاةِ،**) يدعو الله فيها أن يخلصها من ذلك الجبار الغاشم، الذي يُفسد في الارض، ويهتك العرض.

❐ فائدة (١): الفزع إلى الصلاة عند الكُرَب والنوازل:

الفزع إلى الصلاة عند الكُرَب والنوازل والشدة، كان هديَه العملي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة؛ لأنها الملجأ والمأوى والملاذ، قال حذيفة رضي الله عنه: "رجعت إلى النبي ﷺ ليلة الأحزاب وهو مشتمل في

---

(١) فتح الباري.

شملة يصلي، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى" (١)

وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: "لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم، غير رسول الله ﷺ يصلي ويدعو حتى أصبح".(٢)

وعن ثابت رضي الله عنه: قال: "كان النبي ﷺ إذا أصابته خصاصة نادى أهله صلوا صلوا"، قال: وكان الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة.(٣)

وكان ﷺ يقول: **"إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده، فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم"** (٤) وفي رواية: **"فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا"**.

وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ [البقرة:٤٥]

❐ فائدة (٢): الانحناء للعاصفة قد يكون ضرورة:

قد تضطر الحاجة أو الضرورة المسلم للانحناء للعاصفة، فإبراهيم عليه السلام يقول عن سارة أنها أخته حتى لا يبطش به الطاغية، ولم يستطع إبراهيم أن يمنع إرسال سارة إلى ذلك الطاغية، وسارة ذهبت إلى الطاغية، وخلا بها، ولكن الله حفظها، وعصمها منه.

والذين يأبَون الانحناء للعاصفة لا يفقهون دين الله، فالإنسان لا يستطيع

---

(١) صحيح أبي داود.

(٢) أخرجه أحمد، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، وقال الألباني في الضعيفة: وهذا إسناد رجاله ثقات ؛ كلهم من رجال " التهذيب "، إلا أنه مرسل.

(٤) متفق عليه.

دائمـًا أن يمضي في طريقه على الوجه الأكمل، فالرسول ﷺ وأصحابه من بعده، والسائرون على دربهم كانوا يداهنون في الحرب ويصالحون، ويرضون أحيانـًا باتفاقات فيها ظلمٌ واضح، وما لا طاقة للعباد به عليهم أن يلجئوا فيه إلى الله.(١)

(فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا) لفرط عدوانه، وفرط جمالها.

(فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيْدَةً) أي صار لا يستطيع حراكها، وفي روايةٍ للبخاري: "فغُطّ حتى رَكض برجله" أي خُنق خنقـًا شديداً حتى كان يضرب الأرض برجله، وفي رواية، دعت، وقالت: "اللهم إن يمت يُقال: قتَلَتْه فأُرْسِل"

❐ فائدة (٣) عناية الملِك بأوليائه:

وهنا تظهر عناية الملك جل جلاله بأوليائه، وعباده الصالحين، وقدرته سبحانه على نصرهم، ورد كيد الكائدين عنهم، فتعرَّف على الله في الرخاء، يعرفْك في الشدة، وكن مع الله يكن تجاهك.

(فَقَالَ: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقُ يَدِي، وَلَا أَضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ) عادة اللئام، يمدُّون أيديهم متذللين، فإذا استغنَوا اعتدَوا.

❐ فائدة (٤): الفطرة تتكلم:

وهنا تنطق الفطرة الأصلية، وتظهر المعرفة الإرادية، فهذا الجبار الغاشم كان عنده معرفة بالله تعالى، وبأن لله من عباده من إذا دعاه أجابه، ومع ذلك فلم يكن مسلمًا لأن إبراهيم عليه السلام قد قال لسارة: ما أعلم على الأرض مسلما غيري

---

(١) صحيح القصص النبوي: د عمر الأشقر.

وغيرك.

(**فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ القَبْضَةِ الأَوْلَى، فَقالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ القَبْضَتَيْنِ الأولَيَنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، فَلَكِ اللهَ أَنْ لَا أَضُرَّكِ، فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ**) فيئِس من الوصول للردَى، وقرر هجران العِدا.

(**وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا، فَقَال لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أُتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ!!**) وأراد بالشيطان: المتمرد من الجن وكانوا قبل الإسلام يعظمون أمر الجن جدًّا ويرون كل ما وقع من الخوارق من فعلهم وتصرفهم.

❑ **فائدة (٥): السالك طريقَ الشيطان، أقواله متناقضة، وأعماله كذلك:**

وكلامه ذلك يناقض قوله أولاً: اِدْعِي الله لي، فيكون ذمُّه لها عنادًا بعد أن ظهر له كرامتها على الله، أو إخفاءً لحالِها، لئلا يَتحدثَ الناسُ بما ظهر عليها من الكرامة، فتعظمَ في نفوس الناس وتُتَّبع، فلَبَّسَ على السامع بقوله: إنما أتيتني بشيطان.(١)

(**فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي وَأَعْطِهَا هَاجَرَ**) أي وهبْ لها خادمًا اسمها هاجر.

❑ **فائدة (٦): فإن قيل: لماذا وهب الجبار سارة ما وهبها؟**

الجواب: سبب هذه الهبة مع أنه لم ينل منها ما أراد: أنه شغله ما رأى من كرامتها، فأعظمها أن تخدم نفسها.

(**قَالَ: فِأَقْبَلَتْ تَمْشِي، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْصَرَفَ**) أي من صلاته.

(**فَقَالَ: مَهْيَمْ!**) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الياء وسكون الميم الأخيرة

---

(١) المُفْهِمْ، لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تلخيصِ كتابِ مُسْلِمْ، بتصرف يسير.

أي ما شأنك وما خبرك مع الجبار؟

(**قَالَتْ: خَيْرَاً**) أي فعل الله خيرًا، ثم فسرت الخبر، فقالت:

(**كَفَّ اللهُ يَدَ الفَاجِرِ**) أي حفظني الله بحفظه، وردَّ كيد المعتدي بقدرته.

❐ **فائدة (٧): نسبة الخير إلى الله:**

فيه بيان ضرورة نسبة الخير دائمـًا إلى الله، وإعلان ذلك، وهو كذلك، لأنه منه وإليه، كما كان ﷺ يقول: **" وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ "** (١).

❐ **فائدة (٨): من إكرام الله لرسله:**

الأنبياء والرسل معصومون في أزواجهن فلا يستطيع الجبارون والطغاةُ الولوغَ في أعراضهم، كما وقع لهذا الطاغية الذي أراد سوءًا بزوجة إبراهيم، فحفظها الله، ونجاها من شره.

(**وَأَخْدَمَ خَادِمًا**) أي وأكرمني الله بخادم، وأرادت هاجرالتي أهداها لها الجبار الغاشم.

❐ **فائدة (٩): وفيه جواز قبول هدية الكافر.**

(**قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَتِلْكَ**) أي الخادمة الموهوبة لسارة.

(**أُمُّكُمْ**) أي أم أبيكم إسماعيل، والخطاب للعرب.

(**يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ**) وإنما سماهم بذلك، لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع القطر لأجل رعي دوابهم، وقيل: أراد بماء السماء زمزم لأن الله أنعمها

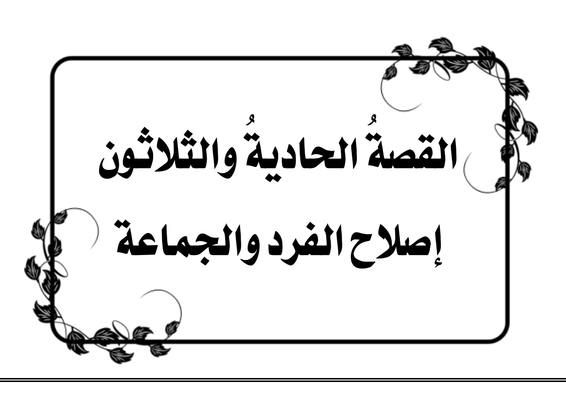
---

(١) رواه مسلم.

لهاجر فعاش ولدها بها وصاروا كأنهم أولادها، قال ابن حبان في صحيحه: كل من كان من ولد إسماعيل يقال له: ماء السماء لأن إسماعيل ولد هاجر وقد ربى بماء زمزم وهي من ماء السماء، وقيل غير ذلك.

فاللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم





القصةُ الحاديةُ والثلاثون

إصلاح الفرد والجماعة

في وصية يحيى، ومحمد، عليهما الصلاة والسلام

عَنِ الحَارِثِ الأَشَعرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ:

"إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ يَعْمَلُ بِهِنَّ، وَيَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيْلَ يَعْمَلُوْنَ بِهِنَّ؛ وَإِنَّ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَالَ لَهُ: إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ تَعْمَلُ بِهِنَّ، وَتَأْمُرُ بِهِنَّ بَنِي إِسْرَائِيْلَ يَعْمَلُوْنَ بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ؟ قَالَ: إِنَّك إِنْ تَسْبِقْنِي بِهِنَّ خَشِيْتُ أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي، قَالَ: فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ حَتَّى امْتَلأَ، وَقَعَدَ النَّاسُ عَلَى الشُّرُفَاتِ، قَالَ: فَوَعَظَهُمْ، قَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَعْمَلُ بِهِنَّ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ،، أُوْلَاهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ. قال: هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟! وَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، وَمَعَهُ عِصَابَةٌ كُلُّهُمْ يُعْجِبُهُ أَنْ يَجِدَ رِيحَهَا، وَإِنَّ الصيام أَطْيَبَ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، وَقَامُوا إِلَيْهِ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْدِي نَفْسِي مِنْكُمْ؟ قَالَ: فَجَعَلَ يُعْطِيهِمُ القَلِيلِ

وَالكَثِيرِ لِيَفُكَّ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهَ كَثِيرًا وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ حَتَّى أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ، كَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ".

قَال رَسُوْلُ اللهِ ﷺ:

"وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِي اللهُ بِهِنَّ، الجَمَاعَةُ، وَالسَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالهِجْرَةُ، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَمَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ خَلَعَ الإِسْلَامِ مِنْ رَأْسِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ".

قِيلَ: وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ قَالَ: "وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ المُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللهِ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ بِبَعْضِهِ، وَأَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

وَقَاْلَ التِّرْمِذِيُّ: "حَسَنٌ صَحِيْحٌ".

هاتان خماسيتان عظيمتان، وهما بحق من جوامع الكلم، لما اشتملتا من روائع الأخلاق ومكارمها، وفضائل العبادات ومحاسنها، فالخماسية الأولى: جاءت لتهذيب الفرد، وإصلاح نفسه وخُلقه، وسمو روحه وفكره، والخماسية الثانية: جاءت للمحافظة على الجماعة وتقويتها، وفي هذا تذكرة للمسلمين، ليدركوا أن طبيعة هذا الدين الذي ارتضاه لهم ربهم، مكملاً لغيره من الشرائع السابقة، ومتمماً لها، فإذا كانت الشرائع السابقة ذات عناية بشئون الفرد، فإن الإسلام قد جاء لرعاية الفرد والجماعة على حدٍ سواء، وما ذلك إلا لأن رسالة هذا الدين باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أولاً: خماسية يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا) أَيْ "أَوْحَى إِلَيْهِ" كَمَا فِي رِوَايَةِ اِبْنِ خُزَيْمَةَ.

(بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ يَعْمَلُ بِهِنَّ، وَيَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيْلَ يَعْمَلُوْنَ بِهِنَّ)

فائدة (١): العمل هو المقصود:

نستفيد من ذلك أن المقصود العمل، فالمعرفة ليست مقصودة لذاتها، ولكن للعمل بها، فالذي يحفظ، ويتعلم، ويتفقه، ولكنه لا يعمل بعلمه، فليس ذلك ممن أريد به الخير، فقد يكون علمه سبباً في الجناية عليه في الدنيا والآخرة، وفي حديث أبي برزة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه" [١]، عن علمه ماذا عمل به ؟ فهل أعددنا لهذا السؤال جواباً؟

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"سلوا الله علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع"**[٢]، والعلم الذي لا ينفع، ولا يرفع هو العلم الذي لا يورث عملاً، يستوي فيه حال الإنسان مع حال العوام، فلا ترى فيه زيادة عمل من صلاة، وصيام، وذكر، وقراءة، ومسارعة في الخيرات، هو كغيره ممن لم يتعلم، ولم ينصَب.

والله تعالى يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٢١].

---

(١) صحيح سنن الترمذي.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئًا على غير تأويله"، وجاء عن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: "يتبعونه حق اتباعه، وذلك بالعمل" (١)

وجعل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ جهاد النفس أربع مراتب (٢):

الأولى: أن يجاهدها على تعلم الهدى، ودين الرسول ﷺ الذي لا فلاح لها، ولا سعادة في معاشها، ومعادها إلا به، ومتى فاتها شقيت في الدارين، هذا إنما يحتاج إلى مجاهدة؛ لأنه يحتاج إلى تواضع، وصبر، وجلوس، وتعب، وعناء، وقد يسمع ما يكره مما يخالف هواه.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فإن مجرد العلم بلا عمل لا ينفع، وهذا أيضًا يحتاج إلى مجاهدة؛ لأن النفس تقعد به إلى الكسل، وتطلب الراحة.

والثالثة: أن يجاهدها في الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى، والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

والرابعة: وهي أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين.

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) زاد المعاد.

وقد قال بعض أهل العلم لرجل رآه يستكثر من العلم دون عمل: "يا هذا إذا أفنيت عمرك في جمع السلاح فمتى تقاتل؟!

واعلم أن من عمل بما علم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم، وهذا مشاهد، والله يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد: ١٧] وهذا الهدى يكون في العلم، والعمل: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [النساء: ٦٦ – ٦٨]

كان أبو قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يوصي تلميذه أيوب السختياني يقول: "إذا أحدث الله لك علمًا فأحدث له عبادة، ولا يكن همك أن تحدث به الناس" (١)

(وَإِنَّ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَالَ لَهُ: إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ تَعْمَلُ بِهِنَّ، وَتَأْمُرُ بِهِنَّ بَنِي إِسْرَائِيْلَ يَعْمَلُوْنَ بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ؟) وسبب قول عيسى ذلك ليحيى، ما جاء في رواية الترمذي: "وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا" مِنْ الْإِبْطَاءِ وَهُوَ ضِدُّ الْإِسْرَاعِ، وَفِي رِوَايَةِ اِبْنِ خُزَيْمَةَ: " فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ بِهِنَّ"

❐ فائدة (٢): المبادرة:

فيه الحَثِّ على السُّرعةِ في العمل بأوامرِ اللهِ، وخاصة واجب الدعوة إليه وتبليغ دينه، وعدم التواني في ذلك؛ فإن عيسى حث يحيى ـ عليهما السلام ـ أن يبلغ ما أمره الله تعالى بتبليغه، ولا يتباطأ، وذلك أن الرسل عليهم السلام يُسألون يوم القيامة عن البلاغ، كما يسأل أقوامهم عن الاستجابة ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ

(١) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي.

إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦].

(قَالَ: إِنَّك إِنْ تَسْبِقْنِي بِهِنَّ خَشِيْتُ أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي) وَفِي رِوَايَةِ اِبْنِ خُزَيْمَةَ: "فَقَالَ يَا أَخِي لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخَافُ إِنْ سَبَقْتَنِي بِهِنَّ أن يخسف بي و أعذب"

❐ فائدة (٣): خوف الأنبياء:

وفيه بيان مدى خوف الأنبياء عليهم السلام ربهم، وخشيتهم عذابه، فإن عيسى عليه السلام لما أراد أن يبلغ كلمات الله تعالى التي أُمر يحيى بتبليغها خاف يحيى عليه السلام من العذاب، وسارع إلى تبليغ أوامر الله تعالى إلى بني إسرائيل، وقد ذكر الله تعالى جملة من الأنبياء عليهم السلام، ثم قال سبحانه في وصفهم ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

(قَالَ: فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ حَتَّى امْتَلَأَ، وَقَعَدَ النَّاسُ عَلَى الشُّرُفَاتِ) أي الأطراف، والأسوار، ونحوها مما يدخل في حرم البيت.

❐ فائدة (٤): كثرة بني إسرائيل:

وفيه بيان كثرة المؤمنين من بني إسرائيل بعيسى ويحيى عليهما السلام، وذلك أن المسجد الأقصى امتلأ بهم أثناء تبليغ يحيى عليه السلام رسالة ربه سبحانه وتعالى حتى رقوا على الشرفات، وهذا يدل كذلك على أن الأصل في الناس الاستجابة لدعوة الأنبياء عليهم السلام، والاستماع إليهم، لولا اجتيال شياطين الجن والإنس الذين يصرفونهم عن دعوات الرسل عليهم السلام، ويزينون لهم سوء أعمالهم ﴿ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٣٧﴾

[الزخرف: ٣٧] ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [هود: ١٨- ١٩].

❐ فائدة (٥): فضيلة بيت المقدس:

وفيه بيان فضيلة بيت المقدس، وأنه كان مَجْمع الرسل من بني إسرائيل وأتباعهم، وأن الأحق به أهل الإيمان لأنه بيت الله تعالى، ومسرى رسوله عليه الصلاة والسلام، وفيه يعبد سبحانه ويوحد، فلا حق فيه للمتلبسين بالشرك، ولا للمغيرين دين الله تعالى،، وفي آخر الزمان ينزل في أرضه المباركة المسيح عيسى عليه السلام، فيكسَر الصليب، ويَقتل الخنزير، ويحكم بالإسلام؛ ليعيش الأنام في سلام.

(قَالَ: فَوَعَظَهُمْ)

❐ فائدة (٦): الموعظة وفضلها:

الموعظة مطلبٌ جليل في كل وقت، وتعظم أهميته هذه الأيام التي كثُرت فيها الصوارف عن الخير والخُلُق الكريم، وكثُرت فيها مؤسسات إعلاميَّة تدعو إلى الرذيلة والفحش، إما بصورة مباشرة، أو غيرها.

ففيها تنبيه الغافل، وتعليم الجاهل، وتذكير العارف، وهي من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي امتثال لأمر الرب جل جلاله حين قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [النساء: ٦٣] وعن عبد اللّهِ بن عمْرٍو بن العاص رضي الله عنهما

أنَّ النبي ﷺ قال: "**بلِّغُوا عنِّي ولَوْ آيةً**" (١)، وفي قيام أهلها بها، براءةٌ لذممهم، وأداءٌ لما عليهم، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، وفيها الخير العظيم للخلق، إن استجابوا لها، فقد قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [النساء: ٦٦، ٦٧]

○ الكلمة الأولى: إخلاص التوحيد لله:

(قَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَعْمَلُ بِهِنَّ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ. أُوْلَاهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)

أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ: عبادة الله هي طاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه، محبة وخضوعـًا، وإخلاصا له، في جميع العبادات الظاهرة والباطنة، وهذا هو الذي خُلق العباد من أجله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦]، ما خلقنا الله لنأكل ونشرب ونلبس ونسكن ونتناكح، ونتناسل، هذه كلها وسائل، لكن الغاية هي العبادة، فمن لم يعبد الله، أو عبد مع الله غيره، أو لم يعبد أحداً، فإنه أضاع دينه ودنياه، لأنه أضاع ما خلق من أجله.

وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا: شيئـًا، جاء نكرة في سياق النهي فأفاد العموم، فيكون المعنى: لا تشرك بعبادة الله أحدا لا رسولاً ولا ملكـًا ولا وليـًا من أولياء الله ولا صديقـًا ولا شهيداً، لا تعبد إلا الله وحده لا شريك له، أي لا تصرف جزءًا من العبادة، ولو كان صغيراً، لغير الله، فمن أشرك بالله شيئـًا فإن كان شركا أكبر فقد

---

(١) رواه البخاري.

قال الله في حقه: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة:٧٢]

مثاله: أن يذهب إلى قبر ثم يسجد له أو يدعوه، يقول: يا سيدي أغثني، يا سيدي ارزقني ولداً، ارزقني زوجة، ارزقني مالاً، فهذا الشرك الأكبر مخرج من الملة حتى لو صام الإنسان وتصدق وصلى وقرأ القرآن وحج البيت وهو باق على هذا الشرك فإنه لا يدخل الجنة، ومأواه النار وما له من نصير، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾[النساء:١١٦]

وإن كان شركًا أصغر، كيسير الرياء، والحلف بغير الله، فيدخل في كبائر الذنوب التي مردُّها إلى الله إن شاء عفا عن صاحبها، وإن شاء عذبه عليها.

فقد قال ﷺ: **"إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"** قالوا: يارسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال **"الرياء"**(١)، وقال ﷺ: **"أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل"**، فقيل: كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يارسول الله؟ قال: قولوا: **"اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه"**(٢)، وقال ﷺ **"من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"**(٣)

فالواجب المتعين: إخلاص العبادة لمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وله التدبير الكامل الذي لا يشاركه فيه، ولا يعينه عليه أحد.

---

(١) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة.

(٢) رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٣) أخرجه أحمد والترمذي وأبوداود وابن حبان، وحسنه الألباني.

فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ قَالَ فَقَالَ " **يَا مُعَاذُ تَدْرِى مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟ قَالَ: قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"**، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا.(١)

(**وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، قال: هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي**) وهذا كنايةٌ عن خَلْقِ اللهِ للعبادِ، وعطائِه ورِزقِه لهم.

(**فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ**) أي: ليكن نِتاجَ عمَلِك لي، لا لغيري.

(**فَجعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟!**) فالله جلت عظمته، وتعالت قدرته، يُنكِرُ عليهم أن يُشرِكوا مع اللهِ غيرَه، كما يُنكِرُ أحدُكم أن يُنتِجَ مملوكُه ويُعطِيَ نِتاجَه غيرَ سيِّدِه.

❐ **فائدة (٧): متى ننتفع بأمثال الوحي؟**

حتى تنتفع بهذه الأمثال الشرعية، يجب أن تتعقلها، كما قال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣]، فوجب النظر في المثل، ووجب فهم المثل، ووجب العمل بما يقتضيه المثل،

قالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا سَمِعْتُ الْمَثَلَ فِي الْقُرْآنِ فَلَمْ أَفْهَمْهُ بِكَيْتُ عَلَى نَفْسِي؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا

(١) متفق عليه.

ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (١)

فتصور أحد الناس، وقد استأجر أجيراً، وهيأ له سائر أسباب الراحة، من مسكنٍ ومطعمٍ ومشربٍ وملبس، له ولأهله، ثم طلب منه أن يتعهد له ماله وأعماله، فإذا به لم يلتفت إليه، بل وجَّه جهوده وعمله لشخصٍ آخر، لا شك أن هذا الأجير قد خرج عن المألوف، وأنكر الجميل، وسار عكس التيار، وحُق لسيده أن يطرده ولا يتعاهده، وهو مخلوق مثله، كلاهما في نعمة غيرهما، فكيف برب العالمين الذي ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له، وهو وحده المنفرد بخلق عبده، ورحمته، وتدبيره، ورزقه ومعافاته، وقضاء حوائجه، فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره في الحب، والخوف، والرجاء، والحلف، والنذر، والمعاملة، فيحب غيره كما يحبه أو أكثر، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر؟ وشواهد أحوالهم – بل وأقوالهم وأفعالهم – ناطقة بأنهم يحبون الأنداد من الأحياء والأموات، ويخافونهم، ويرجونهم، ويعاملونهم، ويطلبون رضاهم، ويهربون من سخطهم، أعظم مما يحبون الله تعالى ويخافونه ويرجونه ويهربون من سخطه، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله عز وجل، كما قال وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

❑ فائدة (٨): أمثلة مضروبة للشرك في القرآن الكريم:

١) مثل الشرك بالساقط من السماء: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحج:

(١) تفسير ابن كثير.

٣١].

٢) مَثل المشرك بالحيران فى الأرض: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام:٧١]

٣) مَثل المشرك بالعبد المملوك لجماعة كثيرين: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الزمر:٢٩]

(وَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) إن من يسقيك جرعة ماء، أو يطعمك لقمة عيش، تظل حياتك كلها مديناً له، فكيف بالذي خلق ورزق، وسوَّى وعدَل، كيف نُوَجِّه شيئاً من القُرَبِ إلى غيره ؟

الشرك بالله أكبر سلوك مرفوض، وإذا وقع فيه العبد فعمله مردود، والطريق أمامه مسدود، فهو أظلم الظلم، وأقبح الجهل، وأكبر الكبائر على الإطلاق.

ولهذا لم تدع الرسل جميعاً إلى شئ قبل التوحيد، ولم تنه الرسل جميعاً عن شئ قبل الشرك، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦]

❐ فائدة (٩): أمور منتشرة بين الناس وهى من الشرك بالله:

١ـ دعاء غير الله:

فهذا شرك بالله العظيم مع كونه شائعاً بين الناس فإن الدعاء من حق الله

تعالى وحده كما قال ﷺ: **" الدعاء هو العبادة "** (١)

فمن دعا أحداً غير الله أو طلب منه المدد، فقد عبده، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝ ﴾[الأحقاف:٦]

٢ـ الاستغاثة أو الاستعاذة أو الاستعانة بغير الله:

الإستغاثة: طلب الغوث، ولا تكون إلا من مكروب، الإستعاذة: الالتجاء والإعتصام، الإستعانة: طلب العون والمدد، وهذه المعانى الثلاثة عبادات لا تكون إلا لله، ومن صرف شيئاً منها لغير الله فقد أشرك بالله.

فمن الناس من يستغيث بالأموات فإذا وقع فى كربة أو شدة يقول: " يا بدوى أغثنى " عياذاً بالله، فهذا قد أشرك بالله.

فى غزوة بدر: لما رأى الصحابة رضي الله عنهم كثرة عدد المشركين، وقلة عدد المسلمين، واشتد القتال وزاد الكرب لم يستغيثوا برسول الله، وهو سيد الأولياء وإمام الأنبياء، لأنهم يعلمون أنه بشر لا يملك لهم حولاً ولا طولاً، وإنما استغاثوا بالله وحده فاستجاب الله لهم فى الحال وأمدهم بألف مقاتل من الملائكة.

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾ [الأنفال:٩ـ ١٠].

---

(١) صحيح أبي داود.

وكذلك الإستعاذة التى هى اللجأ والاعتصام لا تكون إلا لله ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فصلت:٣٦] وفى الحديث قال ﷺ: " **من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شئ حتى يرحل من منزله** ". (١)

وكذلك الاستعانة وهى طلب العون لا تكون إلا بالله ففى صحيح مسلم، يقول عليه الصلاة والسلام: " احرص على ما ينفعك واستعن بالله.."، وعند الترمذى بسند حسن أن النبى ﷺ قال لعبد الله بن عباس: " **احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشئ لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لن يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك....** "

٣ـ الطواف حول الأضرحة والقبور:

لأن الطواف عبادة لله وحده، والله تعالى لم يأذن أن نطوف إلا حول بيته العتيق، قال تعالى ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحج:٢٩].

فلمن طاف ببيت غير بيت الله من قبر أو ضريح أو مشهد أو مزار أو غير ذلك معظماً لما يطوف به، فقد أجمع العلماء أن هذا شرك بالله عزوجل.

٤ـ النذر لغير الله:

النذر عبادة من العبادات لا يجوز صرفها لغير الله، كما قال الله ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ [البقرة:٢٧٠] فلا يجوز

(١) رواه مسلم.

النذر لولى ولا لنبى فضلاً عن غيرهما

فمن نذر شيئـًا لغير الله، فقد أشرك بالله، ولا يجوز الوفاء بنذره، وعليه التوبة إلى الله عزوجل، فإن النبى ﷺ قال:" من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه " (١)

٥ـ الذبح لغير الله:

قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴾ [الأنعام:١٦٢ ـ ١٦٣] والنسك: هو الذبح – قال تعالى ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾[الكوثر:٢] فقرن تعالى فى الآيتين بين الصلاة والذبح، فكما أن الصلاة لا تكون إلا لله، فكذلك الذبح لا يكون إلا لله.

وقد روى مسلم عن على قال: حدثنى رسول الله ﷺ بأربع كلمات: **" لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدِثـًا، لعن الله من غيَّر منار الأرض "**

واللعن من الله: الطرد والإبعاد، ومن الناس: السب والدعاء.

٦ـ لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم ونحوها لرفع البلاء أو دفعه:

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر:٣٨] فهذه الآية وأمثالها تُبطل تعلق القلب بغير الله فى جلب نفع أو دفع ضر وأنه شرك بالله، ويدخل فى هذا المنع كل ما عُلق

(١) رواه البخاري.

لدفع ضر أو جلب نفع فى عنق طفل أو فى عنق دابة أو فى أذنها أو فى سيارة أو على باب بيت، أو نحوها.

ففى الصحيحين عن أبى بشير الأنصارى أنه كان مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره فأرسل رسولاً **"ألَّا يَبْقينَّ فى رقبة بعير قِلادةٌ من وتراً أو قلادة إلا قطعت"**.

وقال ﷺ: **"من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له"**(١)

قال العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللهُ: ولا تزال هذه الضلالة فاشية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين، ومثلها الخرزات التى يضعها بعض السائقين أمامهم فى السيارة أو فى مؤخرتها وغيرهم يعلقونها على المرآة وبعضهم يعلق نعلاً فى مقدمة السيارة أو فى مؤخرتها، وغيرهم يعلقون نعل فرس فى واجهة الدار أو الدكان، كل ذلك لدفع العين – زعموا – وغير ذلك مما عم وطم بسبب الجهل بالتوحيد وما ينافيه من الشركيات والوثنيات التى ما بعثت الرسل ولا نزلت الكتب إلا من أجل إبطالها والقضاء عليها فإلى الله المشتكى من جهل المسلمين اليوم وبعدهم عن الدين ولم يقف الأمر عند مجرد المخالفة بل تعداه إلى التقرب بها إلى الله تعالى (٢)

٧ـ الاستسقاء بالأنواء:

فى الصحيحين عن أبى مالك الأشعرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:" **أربع من أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب والطعن فى الأنساب**

---

(١) رواه أحمد، وصححه الألباني في الصحيحة.

(٢) السلسلة الصحيحة.

والاستسقاء بالنجوم والنياحة "

قال فى فتح المجيد: فإذا قال قائلهم: مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا فلا يخلو: إما أن يعتقد أن له تأثيراً فى إنزال المطر فهذا شركٌ وكفر، وهو الذى يعتقده أهل الجاهلية كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضراً أو أنه يشفع بدعائهم إياه فهذا هو الشرك الذى بعث الله رسوله بالنهى عنه وقتال من فعله كما قال تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾ [الأنفال:٣] وإما أن يقول: مطرنا بنوء كذا مثلاً، لكن مع اعتقاد أن المؤثر الله وحده ولكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم، والصحيح: أنه يحرم نسبة ذلك النجم ولو على طريق المجاز.

وفى الصحيحين عن زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: "هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذاك مؤمن بى كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب ".

٨ـ الذهاب إلى الكهان والعرافين وتصديقهم بما يقولون:

والكاهن أو العرّاف أو المنجم أو الرمّال: هو الذى يدعى علم الغيب أو يدعى الكشف والمعرفة مع أن الله تعالى قال: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[الجن:٢٦ ـ٢٧] وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾[النمل:٦٥] وعليه، ففى صحيح مسلم أن

رسول الله ﷺ قال: **"من أتى عرافـًا فسأله عن شئ لم تقبل له صلاة أربعين يومـًا"**

وعن أبى هريرة مرفوعـًا: **" من أتى عرافـًا أو كاهنـًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ "** (١)

٩ـ الحلف بغير الله:

فالحلف نوع من التعظيم الذى لا يكون إلا لله

فعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **" من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك "** (٢)

وقال ﷺ: **" ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفـًا فليحلف بالله أو ليصمت "** (٣)

١٠ – ومن الشرك ما يجرى على ألسنة البعض كقولهم:

ما شاء الله وشئت، أتوكل على الله وعليك، ليس لي إلا الله وأنت:

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢٢]، وعن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **" لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان "** (٤)

---

(١) رواه أبوداود والترمذي، وغيرهما، وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد وأبوداود، والترمذي، وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد وأبوداود، وصححه الألباني.

١١ـ شرك المحبة:

المحبة فى أصلها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١) **محبة واجبة**: وهى محبة الله ورسوله ﷺ، ومحبة ما يحبه الله تعالى من العبادات وغيرها.

٢) **محبة طبيعية مباحة**: كمحبة الوالد لولده، والزوج لزوجته، والعكس، ومحبة الإنسان لصديقه ولماله ونحو ذلك.

ويشترط فى هذه المحبة شرطان:

الأول: ألا يصحبها ذل ولا خضوع ولا تعظيم فإن صحبها ذلك فهى من القسم الثالث – المحبة الشركية –.

الثانى: ألا تساوى أو تزيد على محبة الله ورسوله، ومحابهما، فإن ساوت أو زادت فهى محبة شركية كذلك.

٣) **محبة شركية (الشرك فى المحبة)**: وهى أن يُحب مخلوقـًا محبة مقترنة بالذل والخضوع والتعظيم، وهذه هى محبة العبودية التى لا يجوز صرفها لغير الله فمن صرفها لغير الله فقد وقع فى الشرك الأكبر – أو أن يحب مخلوقـًا – من إنسان أو مال أو نظام أو جاه أو غيره – محبة مساوية لمحبته لله أو زائدة عليها فهذا أيضـًا من الشرك فى المحبة.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة:١٦٥] وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ

فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة:٢٤]

١٢ـ شرك الخوف:

والخوف له أنواع كذلك:

١) **الخوف الواجب**: الذى هو أصل من أصول العبادة، وهو الخوف من الله وهو الخوف المقترن بالمحبة والتعظيم والتذلل لله قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك:١٢]

٢) **الخوف الطبيعى أو الجبلى**: وهو الخوف من عدو أو سبُع أو نحوهما، وهذا الخوف لا يُذم إذا وجدت أسبابه، قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ ﴾ [القصص:٢١]

٣) **الخوف الشركى المحرم**: أن يخاف من مخلوق مقترنـًا بتعظيم ومحبة، فيخاف أن يصيبه بمكروه بمشيئته وقدرته، كأن يخاف أن يصيبه بمرض أو بآفة فى ماله، فهذا من الشرك الأكبر، لأنه صرف عبادة الخوف والتعظيم لغير الله، ولما فى ذلك من اعتقاد النفع والضر فى غير الله.

قال الله ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة:١٨]

كذلك: إذا ترك بعض الواجبات أو فعل بعض المحرمات خوفـًا من الناس، فهذا محرّم وهو نوع من الشرك بالله المنافى كمال التوحيد قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ١٧٥].

وفى الحديث أن النبى ﷺ قال: " **لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علِمه** " (١)

١٣. **الشرك فى الرجاء**: وهو أن يرجو من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله، كمن يرجو من مخلوق أن يرزقه ولداً أو يرجو منه أن يشفيه بإرادته وقدرته، فهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

١٤.الشرك فى الحكم والطاعة:

ومن صور الشرك فى هذا النوع:

١) أن يعتقد أن حكم غير الله أفضل من حكم الله أو مثله، هذا شرك أكبر مخرج من الملة لأن فيه تكذيبـاً للقرآن القائل: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة:٥٠]

٢) أن يحكم الإنسان ويعمل بعادات آبائه وأجداده أو عادات قبيلته معتقداً أنه يجوز الحكم بها مع علمه أنها مخالفة لحكم الله فهذا شرك بالله.

٣) أن يطيع من يحكم بغير شرع الله عن رضى معتقداً أن هذا الحكم أفضل من حكم الله أو مثله، قال تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[المائدة:٤٤]

وعن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقرأ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]، فقلت: إنا لسنا نعبدهم ؟ فقال ﷺ: " **أليس يحرمون ما أحل الله، فتحرمونه، ويحلون ما حرّم الله فتحلونه ؟**

(١) أخرجه أحمد، وصححه الألباني في الصحيحة.

قلت: بلى، فقال: تلك عبادتهم " (١)

٤) أن يدعوا إلى عدم تحكيم شرع الله وإلى تحكيم القوانين الوضعية محاربةً للاسلام وبغضـًا له، كالذين يدعون إلى سفور المرأة واختلاطها بالرجال الأجانب فى المدارس والوظائف وإلى التعامل بالربا وإلى منع تعدد الزوجات، وغير ذلك مما فيه دعوة إلى محاربة شرع الله والإعجاب بقوانين الكفار وأحوالهم فهذا ونحوه شركٌ بالله العظيم.

١٥ـ العلمانية شرك (فى الربوبية وفى الألوهية وثورة على السنة النبوية)

ـ العلمانية شرك فى الربوبية: ذلك أن الخلق والأمر من خصائص الربوبية، كما قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤] ولهذا أجاب الله بهما موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فى مقام المحاجة مع فرعون عندما ابتدره سائلاً: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ فكان الجواب من الكليم: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه:٤٩، ٥٠]، إذن الذى له الخلق المطلق والأمر المطلق [الكونى والشرعى] الله جل جلاله.

لكن العلمانيون الذين يفصلون الدين عن الدولة، أو يفصلون الدين عن الحياة يزعمون أن القوانين الوضعية خيرٌ من الشريعة الاسلامية، لأن الأولى تمثل الحضارة والمدينة، والثانية تمثل البداوة والرجعية

ولا يتحقق توحيد الربوبية إلا بإفراد الله بالخلق والأمر بقسميه [الكونى والشرعى] وإفراده تعالى بالأمر الشرعى يقتضى الإقرار له وحده بالسيادة العليا والتشريع المطلق، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما

(١) صحيح سنن الترمذي.

شرعه، ومن سوّغ للناس اتباع شريعة غير شريعته فهو كافر مشرك.

ـ والعلمانية شرك فى الألوهية:

فالله عزوجل هو الذى يُفردُ وحده بأفعال العباد – التى يُقصد بها القربة إليه – كالصلاة والحج والنذر ونحو ذلك، فالله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ١٦٣]، لكن العلمانيون يقولون: الدين فى أماكن العبادة فقط، ولا يتطرق إلى المجتمع والحياة، فهذا شرك بالله العظيم.

مثال: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام:١٢١]

ذكر الحافظ ابن كثير عن سعيد بن جبير قال: خاصمت اليهود النبى ﷺ فقالوا: نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله ؟ ! فأنزل الله هذه الآية.

وروى عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ ﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصِموا محمدا، وقولوا له: فما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله عزوجل فهو حرام ؟ فنزلت هذه الآية: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

ـ والعلمانية ثورة على السنة النبوية:

فالسنة جاءت تبين مجمل الكتاب وتنظم الحياة، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥]، قال ابن كثير: يُقسم تعالى

بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّم الرسول فى جميع الأمور، فما حَكم به فهو الحق الذى يجب الانقياد له باطنـًا وظاهرا، ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ أى إذا حكَّموك يطيعونك فى بواطنهم، ولا يجدون فى أنفسهم حرجـًا بما حكمت به، وينقادون له فى الظاهر والباطن، فيسَّلِمون لذلك تسليمـًا كليـًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة.

فأين هذا من ترك التحاكم إلى شريعته ابتداءً واتهامها بالبداوة والرجعية أو الجمود وعدم الصلاحية للتطبيق ؟

والشرك له صور كثيرة ومظاهر عديدة لكننا ذكرنا أهمها وأكثرها انتشاراً.

❍ الكلمة الثانية: الأمر بالصلاة:

(وَآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ) أي أن تقيموها، كما أراد الله، بتأديتها في أول وقتها، والحرص على جماعاتها، ومراعاة خشوعها وخضوعها.

أما وقتها: فإن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾ **[النساء: ١٠٣]**.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن للصلاة وقتًا كوقت الحج»[١]**، قال مجاهد:** وقّته **الله عليهم**[٢].

وقال تعالى – بعد أن ذكر جملة من الأنبياء والصالحين -: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩].

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين الدمشقي.

قرأ عمر بن عبد العزيز هذه الآية ثم قال: لم تكن إضاعتهم لها تركها ولكن أضاعوا الوقت(١).

وأما جماعاتها: **فقد قال** ﷺ: «**ولقد هممت آمر بالصلاة فتقام ثم آمرَ رجلًا فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حُزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرِّق عليهم بيوتهم بالنار**»(٢).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتموها لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى يُهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»(٣).

وجاء عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه ـ الرجل الأعمى ـ جاء يسأل النبي ﷺ أن يصلي في بيته، جاء يقول: «أنا رجل ضرير البصر شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني، والمدينة كثيرة الهوام والسباع فهل أصلي في بيتي؟ فقال النبي ﷺ وقد تغافل عن هذه الأعذار الفعلية، لكن لها حلول -: «هل تسمع النداء؟» قال: نعم، قال: فأجب لا أجد لك رخصة» (٤)

فيا من سمع النداء وأنت صحيح البدن!! آمن من الخوف!! وقد يكون

(١) تفسير الطبري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

المسجد بجانب بيتك، ثم تُدعى فلا تجيب وتؤمر فلا تمتثل، وتَعصي فلا تتوب ما عذرك بين يدي الله غدًا؟

وعن عبد الله بن جعفر أن عمر بن الخطاب أتى إلى منزل سعيد بن يربوع يعوده في فقده لبصره، فقال له عمر: «لا تدع الجمعة ولا الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، فقال الرجل: ليس لي قائد، فقال عمر: نبعث لك بقائد، فبعث إليه بغلام من السبي»[1].

وكان سن سعيد في ذلك يقارب المائة!! فماذا يقال لمعاشر الشباب الأصحاء الأقوياء المبصرين؟

أما الخشوع في الصلاة: فهو المقصود من الصلاة، هو روح الصلاة، فالصلاة النافعة هي الصلاة الخاشعة، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [**المؤمنون:١، ٢**].

قال ابن عمر: «كانوا إذا قاموا في الصلاة أقبلوا على صلاتهم وخفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم وعلموا أن الله يُقبل عليهم فلم يلتفتوا يمينًا ولا شمالًا»[2]، وهذا هو معنى قوله ﷺ: (**فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا**)

❐ **فائدة (١٠): الالتفات في الصلاة نوعان:**

أحدهما: التفات القلب عن الله عز وجل[3]:

والثاني: التفات البصر[4]:

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك.

(٢) الدر المنثور للامام السيوطي.

(٣) وهو أخطر النوعين.

(٤) يميناً أو يساراً، أو إلى أعلى.

وكلاهما مما نهي الله عنه، فلا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره، أعرض الله تعالى عنه، وقد سُئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال: "اختلاسٌ يختلسه الشيطان من صلاة العبد" (١)

وقال ﷺ: **"ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين يُقبل بقلبه ووجهه عليهما إلا وجبت له الجنة "** (٢)

وفي المقابل:

يقول ﷺ: **"إن الرجل لينصرف من صلاته وما كُتب له إلا عشرها وتُسعها وثمنها وسبعها وسدسها وخمسها وربعها وثلثها ونصفها"** (٣)

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت، فإذا صَرَف وجهه انصرف عنه"** (٤)

ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه، كمثل رجلٍ قد استدعاه السلطان، فأوقفه بين يديه، وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في ذلك الوقت قد التفت عن السلطان يمينًا وشمالاً، وقد انصرف قلبه عنه، فلا يفهم ما يخاطبه به،، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان، أليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتًا مبعدًا قد سقط من عينيه؟

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد، وأبوداود وصححه الألباني.

(٤) صحيح الترغيب والترهيب.

إن الرجلين ليكونان في صلاة واحدة، وما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على ربه، والآخر ساهٍ غافل، وقد جاء في الأثر: أن العبد إذا قام إلى الصلاة، فإنما هو بين يدي الله، فإذا التفت يقول الله: إلى من تلتفت؟ إلى خير مني؟ أقبل يا ابن آدم إليَّ فأنا خيرٌ ممن تلتفت إليه.

فإن العبد إذا قام في الصلاة غار منه الشيطان، فإنه قد قام في أعظم مقام، وأقربه وأغيظه للشيطان، وأشده عليه، فيظل الشيطان حريصاً مجتهداً كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه، بل لا يزال به يعده ويمنِّيه، ويَجلب عليه بخيله ورجِله حتى يهوِّن عليه شأن الصلاة، فيتركها، فإن عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام، أقبل عدوُّ الله تعالى حتى ويحول بينه وبين قلبه، فيذكِّره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة، وأيس منها، فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها، ويأخذه عن الله عز وجل، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته كما ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله، لم تخفف عنه بالصلاة، فإن الصلاة إنما تُغَير حال من أدى حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه.

❐ فائدة (١١): ماذا لو خشع العبد في صلاته؟

١ـ خفَّت عليه، بعد ما كانت ثقيلة، وتلذذ بها بعد ما كانت كبيرة، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥]؛، وقال ﷺ: **"وجُعلت قرة عيني في الصلاة"** (١)، فيغدو المسجد قطعة من الجنة، وتصيرالصلاة قرةَ عين ونعيمًا وسرورًا.

---

(١) رواه أحمد والنسائي والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

٢ـ **ومن ثمار الخشوع**: السعادة القلبية، والنشوة الروحية؛ فقد كان النبي ﷺ إذا حزَبَه أمرٌ فزع إلى الصلاة، وكان ينادي بلالًا: "يا بلال، أقِم الصلاة؛ أَرِحْنا بها" (١)، ولا تأتي هذه السعادة من حركات مصطنعة، أو خشوع مفضوح، وهو خشوع الجسد والقلبُ غير خاشع؛ فقد رأى عمر بن الخطاب شابًّا يطأطئ رقبته في الصلاة، فقال: "يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك؛ ليس الخشوع في الرقاب؛ إنما الخشوع في القلب" (٢)

٣ـ ومن ثمار الخشوع عظم الأجر والثواب، فعلى قدر الخشوع يكون الأجر؛ فقد أخبر ابن عباس رضي الله عنه "ليس لك من صلاتك إلا ما عقلتَ منها" (٣)

٤ـ ومن أعظم ثمار الخشوع هو أن تخرُجَ من صلاتك كيومَ ولَدتْك أُمُّك؛ فقد روى عقبة بن عامر أن رسول الله قال: **"ما من مسلم يتوضأ فيُسبِغ الوضوء، ثم يقوم إلى صلاته، فيعلم ما يقول، إلا انفتَلَ كيومَ ولَدتْه أُمُّه"** (٤)، وكأن الخشوع يمحو كلَّ ما مضى من ذنوب، صلاة واحدة خاشعة تسري فيها هذه الروحُ كافيةٌ لأن تغيِّر حياتك.

❐ فائدة (١٢): من المعينات على الخشوع:

١ـ المسارعة إلى تلبية النداء: تصف عائشة رضي الله عنها حال النبيِّ ﷺ وقت سماع الأذان، فتقول: "كان النّبيّ ﷺ يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصّلاة قام إلى

(١) رواه أحمد وأبوداود.

(٢) مدارج السالكين.

(٣) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى.

(٤) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم واللفظ له.

الصّلاة" [١]

ورُوي: "كان يحدِّثنا ونحدِّثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه"

٢ـ الاستعداد لها باللباس الحسن: قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [الأعراف: ٣١]؛ لأن اللِّباس الحسن والرائحة الطيِّبة يُشعِر بالراحة النفسية والطُّمأنينة، ويساعد على الخشوع.

٣- لا تُصَلِّ في حضرة طعام، ولا مع مدافعة الأخبثين: فقد قال ﷺ: **"لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافع الأخبثن"**[٢]، والأخبثان هما البول والغائط، ولا يستطيع الإنسان الخشوع وهو يدفعهما، وكذلك الطعام؛ إذا حضر بين يدي المصلِّي قام يصلي ونفسُه متعلقة به.

٤- صلِّ صلاة مودع: كما قال النبي ﷺ موصيًا أبا أيوب: **"إذا قمتَ في صلاتك فصلِّ صلاة مودع"**[٣]، فعندما يشعر المصلِّي بأنها آخر صلاة وليس بينه وبين ربِّه غير التسليم، عندئذٍ يأتي بها على أكمل ما تكون، ولأهمية هذه الوصية يكرِّرها النبي ﷺ إلى أنس رضي الله عنه، فيقول له: "اذكُرِ الموت في صلاتك؛ فإن الرجل إذا ذكَرَ الموت في صلاته لَحريٌّ أن يُحسِنَ صلاته" [٤]

٥- رتِّل القرآن وحسِّن به صوتك: لأن هذا الترتيل أوعى إلى التفكر

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، وانظر الصحيحة وصحيح الجامع.

والخشوع، بخلاف الإسراع؛ لذلك أمَرَ الله نبيَّه، فقال: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ [المزمل: ٤]، وتحسين الصوت يكون مع القراءة بحزن، كما قال رسول الله ﷺ: "أحسنُ الناسِ قراءةً الذي إذا قرأ رأيتَ أنه يخشى الله" (١)

٦- احرص على تدبر ما تتلو: من أراد الوصول إلى بَرِّ الخشوع، فعليه أن يتدبر آيات الله، قال عز وجل: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩ ﴾ [ص: ٢٩]، ومن تدبَّرَ بقلبه دمعت عيناه.

٧- استحضر عظمة الله تعالى، واستشعر أن الله قد نصب وجهه لك في صلاتك، وقد كان علي بن الحسين ترتعد فرائصه ويصفرُّ وجهه كلما توضأ استعدادًا للصلاة، فلما سئل عن سبب ذلك، قال: إنكم لا تدرون بين يدي من سأقف؟! (٢)

٨ـ تفهم ما تقول، وما تفعل، بدايةً من التكبير، حتى التسليم، فإن في ذلك شغلاً كبيراً بالله جل جلاله، فعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، فَيَرُدُّ عَلَيْنَا، فَلَمَّا رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ سَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْنَا فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فِي الصَّلَاةِ وَتَرُدُّ عَلَيْنَا، فَقَالَ ﷺ: **"إِنَّ فِي الصَّلَاةِ لَشُغْلًا"** (٣)

٩ـ احذر شيطان الصلاة، فإن للصلاة شيطانـًا، ينتظر دخولك فيها، فيأتيك جالبـًا لك الشواغل، حتى تضيع صلاتك، فعن عُثْمَانَ بْنَ أَبِى الْعَاصِ أنه أَتَى النَّبِىَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِى وَبَيْنَ صَلاَتِى وَقِرَاءَتِى

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه.
(٢) إحياء علوم الدين.
(٣) رواه البخاري.

يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنْزِبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاَثًا** "، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي.(١)

١٠ـ ادفع عنك ما قد يشغلك بالصبر والمجاهدة.

عن عائشة: أن النبي ﷺ صلى في خميصةٍ لها أعلامٌ، (٢) فنظر إلى أعلامها نظرةً، فلما انصرف قال: "اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهمٍ، وأتوني بأَنْبِجَانيَّةِ أبي جهمٍ؛(٣) فإنها ألهتني آنفًا عن صلاتي" (٤)

هذا الحديث دليلٌ على وجوب اجتناب كل ما يَشغَل عن الصلاة، ويُلهي عنها، والحض على الإقبال على الصلاة والخشوع فيها.(٥)

واعلَمْ أن الخشوع في الصلاة بمنزلة الروح من الجسد، فإذا فُقِدت الرُّوحُ، مات الجسد؛ فالخشوعُ رُوح الصلاة.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: "كان الرجل من العلماء إذا أقام الصلاة وقام إليها، يهابُ الرحمنَ أن يمد بصره إلى شيءٍ، وأن يحدِّثَ نفسَه بشيءٍ من الدنيا".(٦)

واعلم كذلك: أن الصلاة صلةٌ بين العبد وبين الله، فقد روى مسلمٌ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: "**قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي**

---

(١) رواه مسلم.
(٢) خطوطٌ بألوانٍ مختلفةٍ.
(٣) كساء لا خطوط فيه، منسوبٌ إلى مكانٍ يقال له: أنبجان.
(٤) متفق عليه.
(٥) طرح التثريب للعراقي.
(٦) تفسير القرطبي.

نصفينِ، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾، قال الله تعالى: حمِدني عبدي، وإذا قال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾، قال الله تعالى: أثنى علَيَّ عبدي، وإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾، قال: مجَّدني عبدي، وقال مرةً: فوَّض إليَّ عبدي، فإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾، قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل"

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال العلماء: قوله: "قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين"، المراد: قسمتُها من جهة المعنى؛ لأن نصفها الأول تحميدٌ لله تعالى، وتمجيدٌ وثناءٌ عليه، وتفويضٌ إليه، والنصف الثاني سؤالٌ وطلبٌ، وتضرعٌ وافتقارٌ"(١)

وقد قال ﷺ قال: **"إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربَّه"** (٢)

❍ الكلمة الثالثة: الأمر بالصيام:

(**وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ**) أي فرضـًا، ونفلاً.

❐ فائدة (١٣): فضائل الصيام:

للصيام فضائلُ كثيرة، وثمراتٌ غزيرة منها:

١-أن الصوم لا مِثل له:

---

(١) شرح النووي على مسلم.

(٢) راه البخاري.

فعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قلت: " **يا رسول الله، مرني بأمر ينفعني الله به، قال: عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له** " (١).

وقوله" **لَا مثل لَهُ**" أي فِي كسر الشَّهْوَة وَدفع النَّفس الأمارة والشيطان، وكذلك لَا مثل لَهُ فِي كَثْرَة الثَّوَاب.

٢-أن الله تبارك وتعالى أضافه إليه:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم؛ فإنه لي وأنا أجزي به..**" (٢).

والمعنى: أن الصوم يختصه الله سبحانه وتعالى من بين سائر الأعمال؛ لأنه أعظم العبادات إطلاقـًا؛ فإنه سر بين الإنسان وربه؛ فالإنسان لا يُعلم هل هو صائم أم مفطر؛ إذ نيته باطنة؛ فلذلك كان أعظم إخلاصـًا؛ فاختصه الله سبحانه من بين سائر الأعمال؛ تعظيمـًا لقدره. (٣).

٣-تجتمع في الصوم أنواع الصبر الثلاثة:

وهي: الصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقداره سبحانه وتعالى.

فهو صبر على طاعة الله؛ لأن الإنسان يصبر على الطاعة ويفعلها.

وصبر عن معصية الله سبحانه؛ لأنه يتجنب ما يحرم على الصائم.

وصبر على أقدار الله تعالى؛ لأن الصائم يُصيبه ألم العطش والجوع وضعف

---

(١) - رواه أحمد، والنسائي، والبيهقي، وصححه الألباني.

(٢) - رواه البخاري ومسلم.

(٣) - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

النفس؛ فلهذا كان الصوم من أعلى أنواع الصبر؛ لأنه جامع بين الأنواع الثلاثة، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] (١).

٤-الصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة:

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **" الصوم والقرآن يشفعان للعبد؛ يقول الصوم: أي رب، إني منعته الطعام والشهوات بالنهار؛ فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل؛ فشفعني فيه، فيشفعان "** (٢)، أي: يُشفِّعهما الله فيه، ويدخله الجنة.

٥-الصوم من الأعمال التي وعد الله تعالى فاعلها بالمغفرة والأجر العظيم:

قال تعال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٦-الصوم كفارة للذنوب والخطايا:

فعن حذيفة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **" فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره، تكفرها: الصلاة، والصوم والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "**(٣).

---

(١) - الشرح الممتع لابن عثيمين.
(٢) - رواه أحمد والطبراني والحاكم.
(٣) - رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال " **الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مُكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر** " (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: " **من صام رمضان إيمانـًا واحتسابـًا، غفر له ما تقدم من ذنبه** " (٢).

٧-الصوم جُنَّة من العذاب، وحصن من النار:

فإذا كانت الصلاة جَنة، فإن الصوم جُنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: " **الصوم جنة** " (٣).

وقد ذكر بعض العلماء أن الصوم إنما كان جُنة من النار؛ لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات؛ فإذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا، كان ذلك ساتراً له من النار في الآخرة.

٨-الصوم من أعظم أسباب لدخول الجنة

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: " **إن في الجنة بابـًا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون ؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد** ". وفي رواية للبخاري: " **في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون** "(٤).

---

(١) - رواه مسلم.
(٢) - رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) - رواه البخاري.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إذا صليت المكتوبات، وصمت رمضان وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئًا، أأدخل الجنة ؟ فقال النبي ﷺ: نعم " (١).

٩-للصائم فرحتان:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: رسول الله ﷺ: " **للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه** " (٢).

١٠ـ خُلوف فمِ الصائم عند الله تعالى أطيب من ريح المسك

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: " **والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك** " (٣).

١١ـ الصوم يُزيل الأحقاد والضغائن:

قال رسول الله ﷺ: " **صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر، يذهبن وحر الصدر** " (٤).

١٢ـ الصوم وسيلة لتحقيق تقوى الله عز وجل:

فالصائم الذي امتنع عن الحلال في نهار رمضان، بإمكانه أن يمتنع عن الحرام.

---

(١) – رواه مسلم.

(٢) – رواه البخاري، ومسلم.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

(٤) – رواه أحمد، وابن شيبة، والبيهقي.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

١٣ـ في الصوم تربية للنفس على الإرادة، وقوة التحمل:

فالصوم يُهذب النفس ويضبطها؛ حيث يحبس النفس عن الشهوات، ويفطمها عن المألوفات؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: " يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء (١).

١٤ـ في الصوم قهر للشيطان:

فإن وسيلته إلى الإضلال والإغواء: الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب، والصوم يُضيق مجاري الدم، فتضيق مجاري الشيطان، فيُقهر بذلك؛ فعن صفية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: " **إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم** " (٢).

١٥ـ الصوم موجب للرحمة والعطف على المساكين:

فإن الصائم إذا ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات، تذكر مَن هذا حالهُ في جميع الأوقات، فتُسرع إليه الرقة والرحمة والإحسان إلى المحتاجين.

١٦ـ الصوم يطهر البدن من الأخلاط الرديئة، ويكسبه الصحة والعافية:

كما شهد بذلك الأطباء المختصون، فعالجوا مرضاهم بالصوم.

---

(١) – رواه البخاري، ومسلم.

(٢) – رواه البخاري، ومسلم.

هذه الفوائد وغيرها الكثير، هي بعض ما يدركه عقل الإنسان المحدود من هذه العبادة العظيمة، وذلك حين تُؤدَّي على وجهها المشروع.

(**وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ**) الصرة: كالكيسِ الَّذي يُحفَظُ فيه النُّقودُ.

(**وَمَعَهُ عِصَابَةٌ**) أي جماعة.

(**كُلُّهُمْ يُعْجِبُهُ أَنْ يَجِدَ رِيحُهَا**) أي كلهم محبٌ لهذا المسك الذي نفذ ريحه من الصرة، متتبعٌ له.

(**وَإِنَّ الصيام أَطْيَبَ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ**) أي: أزكى عندَ اللهِ تعالى وأقرَبُ إليه، وأرفَعُ عِندَه مِن ريحِ المسكِ، كما جاء في صحيح مسلم: " وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ"

❐ فائدة (١٤): ولماذا مثل ﷺ ذلك بصاحب الصرة؟

وإنما مثَّل ﷺ ذلك بصاحب الصرة التي فيها المسك، لأنها مستورة عن العيون، مخبوءة تحت ثيابه، كعادة حامل المسك، وهكذا الصائم صومه مستور عن مشاهدة الخلق، لا تدركه حواسهم، وأيضـًا: كما أن الناس محبون للمسك، وصاحبه، فالله سبحانه محبٌ للصائم وريحه، وأيضـًا لما كان الصائم بعيداً عما يؤذي الناس، ممسكـًا لسانه، غاضـًا بصره، إن سبَّه أحدٌ أو قاتله، قال: إني صائمٌ، فصارت سيرته حسنة، والسيرة الجميلة تفوح كالريحة الجميلة، فكان هذا التشبيه الجميل.

❐ فائدة (١٥): حقيقة الصوم:

والصائم حقيقةً: هو من صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب

والفحش وقوله عن الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث، فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، ولا يصدر منه ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعًا صالحًا، وكذا أعماله، فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك، وكذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته له، وأمن فيها من الزور الكذب والفجور والظلم، هذا هو الصوم المشروع، لا مجرد إمساك عن الطعام والشراب.

ففي صحيح البخاري: **"من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة، في أن يدع طعامه وشرابه"**، وفي الحديث: **"رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش"**(١)

قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك سواء "(٢).

إذا لم يكن في السمع منى تصوُّن وفي بصري غضٌّ وفي منطقي صمتٌ

فحظي إذاً من صومي الجوع والظمأ فإن قلتُ إني صمت يومي فما صمت.

❍ الكلمة الرابعة: الأمر بالصدقة:

(وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ) فرضـًا، ونفلاً.

❒ فائدة (١٦): فضائل الصدقة:

وإنما أمر الله بالصدقة لما لها من فضائلَ كثيرة، وثمراتٍ غزيرةٍ منها:

---

(١) رواه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) - رواه البخاري ومسلم.

١ـ الصدقة من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى:

فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: **"وإن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن، تكشف عنه كربًا، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا"**(١)

بل إن الصدقة لتُباهِي غيرها من الأعمال؛ وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إن الأعمال تتباهى فتقول الصدقة: أنا أفضلكم" (٢)

٢- الصدقة تقي صاحبها من البلايا والكروب والشدائد والخطوب:

صاحب الصدقة لا يقع، وإذا وقع أصاب متكأً (٣)؛ دلت على ذلك نصوصٌ كثيرة، وثبت ذلك بالحس والتجربة.

فقد قال ﷺ: **"صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات"**(٤)، كما أن الصدقة تحفظ البدن وتدفع عن صاحبها البلايا والأمراض، كما قال ﷺ: **"داووا مرضاكم بالصدقة"** (٥)

وقد سأل رجل ابن المبارك عن قرحة في ركبته لها سبع سنين، وقد أعيت الأطباء فأمره بحفر بئر يحتاج الناس إليه إلى الماء فيه، وقال: أرجو أن ينبع فيه عين فيمسك الدم عنك (٦)، وقد تقرح وجه أبي عبد الله الحاكم صاحب

---

(١) صحيح الجامع.

(٢) صحيح ابن خزيمة، والمستدرك للحاكم،وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) الأداب الشرعية لابن مفلح.

(٤) صحيح الجامع.

(٥) صحيح الجامع.

(٦) الزواجر، لابن حجر الهيتمي:

المستدرك قريباً من سنة فسأل أهل الخير الدعاء له فأكثروا من ذلك، ثم تصدق على المسلمين بوضع سقاية بنيت على باب داره وصب فيها الماء فشرب منها الناس، فما مر عليه أسبوع إلا وظهر الشفاء وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن ما كان (١)

والأمر كما قال المناوي: "وقد جُرِّب ذلك أي التداوي بالصدقة فوجدوا الأدوية الروحانية تفعل ما لا تفعله الأدوية الحسية، ولا ينكر ذلك إلا من كثف حجابه" (٢)

٣ـ الصدقة أجرها عظيم، وثوابها مضاعفٌ وجسيم:

فالله تعالى يُرْبي الصدقات، ويضاعف لأصحابها المثوبات، ويعلي لهم الدرجات، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحديد: ١٨]

فلقد أوضحت الآية الكريمة أن المتصدقين والمتصدقات لا يتفضلون على آخذي الصدقات، ولا يتعاملون في هذا مع الناس، إنما هم يقرضون الله ويتعاملون مباشرة معه، فأي حافز للصدقة أوقع وأعمق من شعور المعطي بأنه يقرض الغني الحميد، وأنه يتعامل مع مالك الوجود سبحانه وتعالى ؟

كما قال سبحانه: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٥]

---

(١) الزواجر، لابن حجر الهيتمي:
(٢) فيض القدير.

وإنما سمى الله الصدقة قرضـًا لأن "الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه ولا بد؛ طوعت له نفسه، وسهل عليه إخراجه، فإن علم أن المستقرض مليء وفيّ محسن، كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه، فإن علم أن المستقرض يتجر له بما اقترضه، وينميه له ويثمره حتى يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده بعطائه أجراً آخر من غير جنس القرض... فإنه لا يتخلف عن قرضه إلا لآفة في نفسه من البخل أو الشح أو عدم الثقة بالضمان" (١)

فقد قال ﷺ: **"ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كان تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل؛ كما يربي أحدكم فُلُوَّه أو فصيله"**(٢) (٣)

وقال سبحانه: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وفي حديث أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه "أن رجلاً جاء بناقة مخطومة (٤) فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: **"لك بها يوم القيامة سبع مئة ناقة كلها مخطومة"** (٥)

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم.

(٢) الفلو: ولد الفرس إذا فطم عن أمه، والفصيل ولد الناقة إذا فصل عن الرضاع انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس.

(٣) رواه البخاري.

(٤) أي عليها خطام وهو مثل الزمام، انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض

(٥) رواه مسلم.

٤ـ الصدقة تطفئ الخطايا وتُكفِّر الرزايا:

قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[هود: ١١٤]، وقال ﷺ: **"تصدقوا ولو بتمرة؛ فإنها تسد من الجائع، وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار"**(١)، وقال ﷺ: **"يامعشر التجار: إن الشيطان والإثم يحضران البيع؛ فشوبوا بيعكم بالصدقة"** (٢)، ومعناه أن التاجر"قد يبالغ في وصف سلعته حتى يتكلم بما هو لغو، وقد يجازف في الحلف لترويج سلعته؛ فيندب إلى الصدقة ليمحو أثر ذلك"(٣)

٥ـ الصدقة تبارك المال وتزيد الرزق:

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ: ٣٩]، قال العلاَّمة السعدي:"قوله: [وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ] نفقة واجبة أو مستحبة، على قريب أو جار أو مسكين أو يتيم أو غير ذلك [فَهُوَ] تعالى [يُخْلِفُهُ] فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخلَف للمنفق، الذي يبسط الرزق ويقدر"(٤)، وفي الحديث القدسي: **"يا ابن آدم أَنفقْ أُنفقْ عليك"** (٥)، وقال ﷺ: **"ما فتح رجل باب عطية بصدقة أو صلة إلا زاده الله بها كثرة"** (٦)، وقال ﷺ: **"ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً**

---

(١) صحيح الجامع
(٢) صحيح سنن الترمذي
(٣) المبسوط للسرخسي
(٤) تفسير السعدي
(٥) رواه البخاري
(٦) صحيح الجامع

خلفـًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكـًا تلفـًا". (١)

فلا يظنن أحد أن الصدقة تنقص المال، فقد قال ﷺ:**"ما نقصت صدقة من مال"** (٢)، وقال ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما "حين قالت له: ما لي مال إلا ما أدخل عليَّ الزبير فقال لها: أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك"(٣).

والتجربة المشهودة تثبت أن المعونة تأتي من الله للعبد على قدرالمؤونة، وأن رزق العبد يأتيه بقدر عطيته ونفقته؛ فمن أَكثر أُكثر له، ومن أقل أُقِل له، ومن أمسك أُمسِك عليه، ومن شواهد ذلك قصة عائشة رضي الله عنها أن مسكينـًا سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف فقالت لمولاتها: أعطه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه! فقالت: أعطه إياه! قالت: ففعلت، قالت: فلما أمسينا أهدى لنا إنسانٌ ما كان يهدي لنا، شاة وكفَّنها (٤) فدعتني فقالت: كلي من هذا، هذا خير من قرصك. (٥)

والقضية مرتبطة بالإيمان ومتعلقة باليقين، والأمر كما قال الحسن البصري: "من أيقن بالخلَف جاد بالعطية". (٦)

٦ـ الصدقة وقاية من النيران، وسبيلٌ لدخول الجنان:

---

(١) متفق عليه

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه البخاري

(٤) أي غطاها بأقراص ورغف

(٥) موطأ مالك

(٦) روضة العقلاء لابن حبان

فقد قال ﷺ:**"هلك المكثرون، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا ثلاث مرات: حثا بكفيه عن يمينه وعن يساره وبين يديه، وقليل ما هم"**. (١)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"يا معشر النساء تصدقن؛ فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقلن: وبِمَ يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير"**. (٢)

قال ابن حجر في شرحه: وفيه أن الصدقة تدفع العذاب، وأنها قد تكفِّر الذنوب بين المخلوقين. (٣)

وقال ﷺ: **"يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة؛ فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان"**. (٤)

٧ـ الصدقة دليل صدق الإيمان وقوة اليقين وحسن الظن برب العالمين:

المال ميال بالقلوب عن الله؛ لأن النفوس جبلت على حبه والشح به، فإذا سمحت النفس بالتصدق به وإنفاقه في مرضاة الله عز وجل كان ذلك برهانـًا على صحة إيمان العبد وتصديقه بموعود الله ووعيده، وعظيم محبته له؛ إذ قدم رضاه سبحانه على المال الذي فطر على حبه (٥)، ويدل على هذا الأمر قوله ﷺ: "والصدقة برهان" (٦)، ومعناه: أنها دليل على إيمان فاعلها، ولذلك قال أعظم

---

(١)(١) رواه أحمد وقال محققه: إسناده صحيح

(٢) رواه البخاري

(٣) فتح الباري

(٤) رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

(٥) تفسير القرطبي.

(٦) رواه مسلم

الموقنين وإمام المتوكلين وأجلّ من أحسن الظن برب العالمين، لبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين ادخر شيئًا ولم ينفقه: "أنفق يا بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً"(١)

٨ـ الصدقة تحلي النفس بالفضائل وتخليها من الرذائل:

فالصدقة تهذب الأخلاق وتزكي النفس وتربي الروح على معالي الأخلاق وفضائلها؛ إذ فيها تدريب على الجود والكرم، وتعويد على البذل والتضحية، وفيها سموٌ بالعبد وانتصارٌ له على نفسه الأمارة بالسوء، وإلجامٌ لشيطانه، وإعلاءٌ لهمته؛ إذ تُعلق العبد بربه وتربطه بالدار الآخرة، وتزهده بالدنيا؛ وتضعف تَعلُّق قلبه بها. ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم ﴾ [التوبة: ١٠٣]؛ إذ في قوله: ﴿ تُطَهِّرُهُمْ ﴾ إشارة إلى مقام التخلية من الرذائل والذنوب والأخلاق السيئة، وفي قوله:﴿ وَتُزَكِّيهِم ﴾ إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات والأعمال لصالحة (٢)

وهي كذلك تبعد العبد عن صفة البخل وتخلصه من داء الشح الذي أخبر سبحانه بأن الوقاية منه سبب للفلاح وذلك في قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ [التغابن: ١٦]

٩ـ الصدقة بابٌ لسائر أبواب البر:

لأن المال من أعظم محبوبات النفس؛ فمن قدم محبوب الله على ما يحب، فأعطى ماله المحتاجين ونصر به الدين وفقه الله لأعمال صالحة وأخلاق فاضلة لا تحصل له بدون ذلك، وآتاه أسباب التيسير بحيث يتهيأ له القيام ببقية أعمال

(١) رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى في المسند وحسنه الألباني في صحيح الجامع
(٢) التحرير والتنوير

البر فلا يستعصي شيء منها عليه، يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾ [الليل:٥- ٧]

قال السعدي في تفسيره: [فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى] أي: نيسر له أمره، ونجعله مسهلاً عليه كل خير، ميسراً له ترك كل شر؛ لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له لذلك (١)

وقد أوضح الله هذا الأمر وجلاَّه في قوله عز وجل: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٩٢ ﴾ [آل عمران: ٩٢] أي: لن تنالوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون، ولن تلحقوا بزمرة الأبرار حتى تنفقوا مما تَهْوَوْن من أموالكم ومن أعجبها إلى أنفسكم (٢)

وقد فقه الصحابة هذا التوجيه الرباني فحرصوا على نيل البر وكمال الخير بالنزول عما يحبون وببذل الطيب من المال نصرة للدين وسداً لحاجة المساكين، سخية به نفوسهم طمعاً في ثواب الله وإحسانه، فكان الواحد منهم إذا ازداد حبه لشيء بذله لله رجاء نيل البر.

فهذا أبو طلحة رضي الله عنه كان أكثر الأنصار بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه حديقة يقال لها: بيرحاء، فلما نزلت هذه الآية، قام إلى رسول الله ﷺ فقال: "إن الله يقول في كتابه: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت. (٣)

---

(١) تفسير السعدي

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود

(٣) رواه البخاري

وهاهو زيد بن حارثة لما نزلت هذه الآية، قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس لي مال أحب إلي من فرسي هذه، وجاء إلى النبي ﷺ فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: قد قبلها الله منك (١)،

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : تلوت هذه الآية، فذكرت ما أعطاني الله فما وجدت شيئًا أحب إليَّ من جاريتي رضية فقلت: هي حرة لوجه الله (٢)، وعلى هذا الدرب سار كثير من سلف الأمة وصالحيها.

١٠ـ الصدقة تظل صاحبها في أرض المحشر:

في المحشر حر شديد يفوق الوصف، الشمس دانية من رؤوس العباد ليس بينهم وبينها إلا مقدار ميل، فترتوي الأرض من عرقهم؛ فيكون الناس في العرق على قدر أعمالهم؛ فمنهم من يكون العرق إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حِقوَيْه ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا (٣).

ومن بين هؤلاء قومٌ لا يعانون من شيء من ذلك، ومن هؤلاء المتصدقون الذين يكونون في المحشر في ظل صدقاتهم تحميهم من شدة الحر، وتدفع عنهم وهج الشمس، فقد قال ﷺ: **"كل امرئ في ظل صدقته حتى يُفصل بين الناس"**.(٤)

وتأمل قوله ﷺ: **" سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله – وذكر**

---

(١) تفسير الطبري

(٢) رواه الحاكم في المستدرك

(٣) والحديث رواه مسلم

(٤) رواه أحمد وابن خزيمة في صحيحه وابن حبان والحاكم، وانظر صحيح الجامع

منهم -: ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه" [١]

١١ـ الصدقة تجبر النقص الذي قد يقع في الزكوات الواجبة:

ويشير إلى ذلك حديث تميم الداري رضي الله عنه مرفوعـًا قال: " أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة؛ فإن كان أكملها كتبت له كاملة، وإن كان لم يكملها قال الله تبارك وتعالى لملائكته: هل تجدون لعبدي تطوعـًا تكملوا به ما ضيع من فريضته ؟ ثم الزكاة مثل ذلك، ثم سائر الأعمال على حسب ذلك " [٢]

١٢ـ الصدقة ذخرٌ لصاحبها يوم القيامة:

كما ﷺ: " **يقول ابن آدم: مالي مالي ! ! وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت ؟ !** " [٣]، وفي رواية: "**إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس**".[٤]

وقد حرص النبي ﷺ على غرس هذا الأمر وتقريره في نفوس صحابته؛ فعَن عَائِشَة رضي الله عنها أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**مَا بَقِيَ مِنْهَا؟**" قَالَتْ: مَا بَقِي مِنْهَا إِلَّا كتفها قَالَ: "**بَقِي كلهَا غير كتفها**".[٥]

١٣ـ صاحب الصدقة سعيد النفس منشرح الصدر:

وسبب ذلك شعور المتصدق بطاعة الله تعالى وامتثال أمره، والقيام

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح أبي داود
(٣) رواه مسلم
(٤) رواه مسلم
(٥) صحيح الترمذي

بمساعدة الآخرين، وإدخال السرور عليهم، والتعرض لنفحات الرب ورحمته وإحسانه، وعلى الضد من ذلك يكون حال البخيل؛ فإن هو همَّ يوماً بالصدقة ضاق صدره، وانقبضت يده، خوفاً من نقص المال الذي صَيَّر جمعه غايته، يقول ابن القيم:" فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدراً، وأنكدهم عيشاً، وأعظمهم هماً وغماً" (١)

ويقول ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: "فالإنسان إذا بذل الشيء ولا سيما المال يجد في نفسه انشراحاً، وهذا شيء مجرب، لكن لا يستفيد منه إلا الذي يعطي بسخاء وطيب نفس، ويخرج المال من قلبه قبل أن يخرجه من يده، أما من أخرج المال من يده، لكنه في قرارة قلبه فلن ينتفع بهذا المال " (٢) لأنه قد يخرجه خجلاً من الناس أو مجاراة لهم بدون استحضار نية.

١٤ـ صاحب الصدقة ثوابه موصولٌ حتى بعد موته:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا علَّمه ونشره وَولدا صَالحا تَركه ومصحفا وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أخرجهَا من مَاله فِي صِحَّته وحياته يلْحقهُ من بعد مَوته**»(٣)

(**وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ**) أي: مَثَلَ الَّذي يُخرِجُ الصَّدقةَ.

---

(١) زاد المعاد

(٢) الشرح الممتع

(٣) صحيح سنن ابن ماجه

(كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، وَقَامُوا إِلَيْهِ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْدِي نَفْسِي مِنْكُمْ؟) أي أعطيكم مالي، وتتركوني ؟

(قَالَ: فَجَعَلَ يُعْطِيهِمُ القَلِيلِ وَالكَثِيرِ لِيَفُكَّ نَفْسَهُ مِنْهُمْ) فكما أن ذلك الرجل أعتق نفسه من الأسر بماله، كذلك صاحب الصدقة يُعتِقُ نفْسَه مِن النَّارِ بصدقته، فلو لم يكن للصدقة إلا ذلك الفضل، لكفى به، فكيف بفضائلها التي يصعب عدُّها؟

❐ فائدة (١٧): في أنواع الصدقات:

اعلم أن الصدقة تَصدق أول ما تصدق على على العطاء والبذل والنفقة بسائر صورها، ولكن هناك أنواعٌ أُخَر من الصدقات، فمن أنواع الصدقات: أن تبذل المعروف، وتفعل الإحسان، وتُقدم ما تستطيع من أنواع المعونة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:" **كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ - قَالَ - تَعْدِلُ بَيْنَ الاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِى دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ - قَالَ - وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ** "

وهناك نوعٌ آخر غير النوعين السابقين، وهو: أن تتصدق على الناس بما جنَوا عليك، فتعفوَ عمن أساء إليك، فقد رُوي أن ابْنَ يَامِينَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ كَعْبٍ النَّضري لَقِيَ أَبَا لَيْلَى وَعَبْدَ اللهَ بْنَ مُغَفَّلٍ وَهُمَا يَبْكِيَانِ، فَقَالَ مَا يُبْكِيكُمَا؟ قَالَا: جِئْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيَحْمِلَنَا فَلَمْ نَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُنَا عَلَيْهِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ، فَأَعْطَاهُمَا ناضجا لَهُ فَارْتَحَلَاهُ وزوَّدهما شَيْئًا مِنْ تَمْرٍ، فَخَرَجَا مَعَ النَّبِيّ ﷺ، زَادَ يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: وأما عُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ فَخَرَجَ مِنَ اللَّيل فصلَّى مِنْ لَيْلَتِهِ مَا شَاءَ اللهُ ثمَّ بَكَى وَقَالَ: اللَّهم إنَّك أَمَرْتَ

بِالْجِهَادِ وَرَغَّبْتَ فِيهِ ثمَّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي مَا أَتَقَوَّى بِهِ، ولم تجعل في يد رسولك مَا يَحْمِلُنِي عَلَيْهِ وإِنِّي أَتَصَدَّقُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مَظْلَمَةٍ أَصَابَنِي فِيهَا فِي مَالٍ أَوْ جَسَدٍ أَوْ عِرْضٍ ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ النَّاس، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ " **أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ؟**" فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ " أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ فَلْيَقُمْ " فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ " **أبشر فوالذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ كُتِبَتْ فِي الزَّكاة الْمُتَقَبَّلَةِ** "(١)

قال ابن القيم ـ وهويتحدث عن مراتب الجود ـ: "السَّابِعَةُ: الْجُودُ بِالْعِرْضِ، كَجُودِ أَبِي ضَمْضَمٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا مَالَ لِي أَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى النَّاسِ، وَقَدْ تَصَدَّقْتُ عَلَيْهِمْ بِعِرْضِي، فَمَنْ شَتَمَنِي، أَوْ قَذَفَنِي: فَهُوَ فِي حِلٍّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ يَسْتَطِيعُ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ؟ "

وَفِي هَذَا الْجُودِ مِنْ سَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَرَاحَةِ الْقَلْبِ، وَالتَّخَلُّصِ مِنْ مُعَادَاةِ الْخَلْقِ مَا فِيهِ.(٢)

ومما نُسب إلى الشافعي:

من نـال منّي أو عَلِقتُ بذمّته ... سامحتُه لله، راجيَ مِنّته
كي لا أُعوّق مسلمًا يوم الجزا ... أو لا أسيءَ محمداً في أمته

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وابن حجر في الإصابة، وذكر طرقه، وفيها: " كان علبة بن زيد بن حارثة رجلا من أصحاب النبيّ ﷺ، فلما حضّ على الصدقة جاء كلّ رجل منهم بطاقته وما عنده، فقال علبة بن زيد: اللّهمّ إنه ليس عندي ما أتصدّق به، اللّهمّ إني أتصدّق بعرضي على من ناله من خلقك، فأمر رسول الله ﷺ مناديا، فنادى: أين المتصدق بعرضه البارحة؟
فقام علبة، فقال: قد قبلت صدقتك."
(٢) مدارج السالكين.

الكلمة الخامسة: الأمر بذكر الله:

(**وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهَ كَثِيرًا**) إذا علمت أن الله تعالى ما أمرنا بالإكثار من شيءٍ كما أمرنا بالإكثار من ذكره سبحانه، فقد علمتَ قدرَ الذكر، وفضلَه.

قال الله:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١] وقال سبحانه ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنفال:٤٥]، وقال عز مِن قائل::﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٥]

فائدة (١٨): فإن قيل: وما ضابط الذكر الكثير؟

الجواب: قال ابن الصلاح: إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحاً ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة، في ليل العبد ونهاره، وهي مبينة في كتاب "عمل اليوم والليلة" كان من الذاكرين الله كثيراً (١)

وقال السعدي: وأقل ذلك أن يلازم الإنسان أوراد الصباح والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب (٢)

وقال الجزَري: والمواظب على الأذكار المأثورة صباحاً ومساءً، وفي الأحوال المختلفة، هو من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات (٣)

فائدة (١٩): بعض فضائل الذكر، وفوائده:

١ـ إن أعظم، ما يشوقك لذكر الله أن تعلم أنّ الله يذكرك إذا ذكرته:

---

(١) فتاوى ومسائل ابن الصلاح

(٢) تفسير السعدي

(٣) عدة الحصن الحصين

ولو لم تكن للذكر إلا هذه الفائدة لكفت، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقَالَ - ﷺ -: **"قَالَ الله: يَا ابْنَ آدَمَ إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِكَ؛ ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسِي، وَإِن ذَكَرْتَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلإٍ مِنْ الْمَلائِكَةِ أَوْ فِي مَلإٍ خَيرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي شِبْرًا دنَوْتُ مِنْكَ ذِرَاعًا، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي ذِرَاعًا دَنَوْتُ مِنْكَ بَاعًا، وَإِنْ أَتَيتَنِي تَمْشِي أَتَيتُكَ أُهَرْوِلُ"** (١)

وقال ﷺ: **"قال الله - سبحانه وتعالى -: عَبدِي إِذَا ذَكَرتَنِي خَالِيًا، ذَكَرْتُكَ خَالِيًا، وَإِنْ ذَكَرتَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلأٍ خَيرٍ مِنْهُمْ، وَأَكْبَرَ"** (٢)

إن العبيد حين يذكرون ربهم، يذكرونه في هذه الأرض الصغيرة، وهم أصغر من أرضهم الصغيرة، والله حين يذكرهم، يذكرهم في هذا الكون الكبير، وهو الله العلي الكبير، أيُّ تفضل وأيُّ كرم!!

لقد ذكر المسلمون الله؛ فذكرهم ورفع ذكرهم، ومكنهم من القيادة الراشدة، ثم نسوه، فنسيهم، فإذا هم هملٌ ضائع، وذيلٌ ذليلٌ تافهٌ.

والوسيلة قائمة، والله يدعوهم في قرآنه الكريم: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾.

اذكروني بالطاعة بألسنتكم بالحمد والتسبيح، وقراءة كتابى الذي أنزلته على عبدى، وبقلوبكم بالفكر في الأدلة التي نصبتها في الكون لتكون علامة على عظمتى، وبرهانـًا على قدرتي ووحدانيتي، وبجوارحكم بالقيام بما أمرتكم به،

---

(١) (صحيح، مسند الإمام أحمد).

(٢) (رواه البيهقي، وصححه الألباني في الصحيحة).

واجتنابكم ما نهيتكم عنه، أجازِكم بالثواب والإحسان وإفاضة الخير وفتح أبواب السعادة ودوام النصر والسلطان. (١)

والذِّكر مفهومه شامل، وله معنيان:

أ) **معنًى عام**: ويشمل كل أنواع العبادات من صلاة، وصيام، وحج، وقراءة قرآن، وثناء، ودعاء، وتسبيح، وتحميد، وتمجيد، وغير ذلك من أنواع الطاعات؛ لأنها إنما تقام لذكر الله تعالى، وطاعته، وعبادته.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: "كل ما تكلَّم به اللسان، وتصوّره القلب مما يقرِّب إلى الله من تعلّم علم، وتعليمه، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، فهو من ذكر الله"(٢)

ب) **معنًى خاص**: وهو ذكر الله عزَّ وجل بالألفاظ التي وردت عن الله من تلاوة كتابه، أو الألفاظ التي وردت على لسان رسوله ﷺ، وفيها تمجيد، وتنزيه، وتقديس، وتوحيد لله، والمقصود في هذه السُّنَّة هو: المعنى الخاص، وأعظمه: تلاوة كتاب الله تعالى.

وهو نوعان:

مطلقٌ ومقيد، فالمطلق: ما كان في سائر اليوم، ولم يقيّد بمكانٍ أو حالٍ أو زمانٍ محددٍ، والمقيّد: ما كان مقيّداً بوقتٍ أو حالٍ أو مكانٍ معيّنٍ، ومثاله ما يُقال بعد أداء الصلوات من أذكارٍ، وما يُقال بعد الأذان منها، وكل ذكر قاله الرّسول ﷺ في وقتٍ أو مكانٍ محددٍ.

---

(١) تفسير المراغي

(٢) مجموع الفتاوى

٢ـ ذكر الله يطرد الشيطان ويكسره:

فالشيطان يفر ويخنس عند سماع الذكر، ولا يستطيع أن يقاومه.

فمثلاً إذا ذكر الإنسان ربه عند دخوله لبيته لم يدخل الشيطان البيت، وإذا ذكره عند طعامه لم يستطع أن يأكل معه، كما قال - ﷺ -:"**إِذَا دَخَلَ الرجُلُ بَيتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشيطَانُ: لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكرْ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ؛ قَالَ الشيطَانُ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ؛ قَالَ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**" (١).

ومن ذلك، أنك إذا ذكرت ربك عند نومك؛ فإنّه لا يقربك شيطان تلك الليلة، كما في حيث أبي هريرة - رضي الله عنه -: إذا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِي؛ فإنه لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيطَانٌ حَتى تُصْبِحَ" (٢)

٣ـ ذكر الله يزيل الهم ويقضي على الكرب والغم:

وقد أخبرنا بذلك رسولنا ﷺ حين قال: "**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هم وَلا حَزَن فَقَالَ: اللهُم إِني عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدُكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسَأَلُكَ بكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنزَلْتَهُ في كِتَابِكَ، أَو اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْم الْغَيبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاءَ حُزْنِي، وَذهابَ هَمِّي إِلا أَذْهبَ الله هَمهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**" (٣)

---

(١) (صحيح مسلم)

(٢) (صحيح مسلم).

(٣) (صحيح، مسند الإمام أحمد)

وفي المقابل، من أعرض عن ذكر الله وجد الغم والكرب والضنك، كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤].

٤ـ ذكر الله يقوي القلب والبدن:

كما قال عز وجل: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود: ٥٢]، فالذكر قوة، وقوة إلى قوة، واستمداد للقوة من القوي المتين الكبير سبحانه، حتى إن الذاكر ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابته أمراً عجيبًا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جُمعة وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيمـاً.(١)

وقد علَّم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثًـا وثلاثين ويحمدا ثلاثًـا وثلاثين ويكبرا أربعًـا وثلاثين، لمَّا سألته الخادم وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة، فعلمها ذلك، وقال: إنه خير لكما من خادم. (٢)

٥ـ ذكر الله يجلب الرزق ويوسعه:

قال ﷻ عن رسوله نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ

---

(١) الوابل الصيب

(٢) رواه أبوداود والترمذي وصححه الألباني

غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

٦ـ ذكر الله نجاةٌ من عذاب الله:

فعن معاذ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"مَا عَمِلَ آدميٌّ عَمَلاً قط أَنْجَى لَهُ مِنْ عذاب اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ"** (١)

٧ـ ذكر الله سبب تنزُّل السكينة وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر:

كما أخبر بذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: **"لا يَقْعُدُ قَوْم يَذْكُرُونَ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلا حَفَّتْهُمْ الْمَلاِئكَةُ وَغشِيَتْهُم الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيهِمْ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمْ الله فِيمَنْ عِنْدهُ"** (٢)

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِن لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذكْرِ، فَإِذَا وَجَدووا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُونَهُم بِأجنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُنيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبهُم وَهْوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبحُونَكَ، وَيكبرُونَكَ، وَيَحمُدونَكَ، وَيُمجَّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَالله مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادة، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجيدا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحَا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَال: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَالله يَارَبَّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيفَ لَوْ أنهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أنهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيهَا**

---

(١) حسن، مسند الإمام أحمد.

(٢) صحيح مسلم

حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللهِ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ"(١)

فمجالس الذكر مجالس الملائكة ومجالس الغفلة مجالس الشياطين؛ فالجالس مع الذاكرين يرحمه الله - عز وجل - وإن لم تكن له نية، فمابالك بالذاكرين أنفسهم، اللهم اجعلنا منهم.

٨ـ ذكر الله يفي بكثيرٍ من الطاعات، ويعوض عنها:

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: **"إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَنْبِئْنِي مِنْهَا بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ ، قَالَ: لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ"**.(٢)

٩ـ ذكر الله أمانٌ من الحسرة يوم القيامة:

فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه - عز وجل - يكون عليه حسرة يوم القيامة، فعنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، أَنهُ قَالَ: **"مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فيه كَانَت عَلَيهِ مِنَ الله تِرَةَ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لا يَذْكُرُ الله فِيهِ كَانَتْ عَلَيهِ مِنَ اللهِ تِرَةَ"**.(٣) (٤)

---

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح سنن الترمذي وابن ماجه
(٣) (صحيح، سنن أبي داود:)
(٤) ترة: أي حسرة

وعَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:"**لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهَا**"(١)

١٠ـ ذكر الله سبب لإظلال الله – عز وجل – العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله:

فعن أبي هريرة – ﵁ – أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظلهُ**".. وذكر منهم: "**ورَجُل ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَينَاهُ**"(٢)

١١ـ ذكر الله غِرَاسُ الجنة:

كما قال ﷺ: "**لَقِيتُ لَيلَةَ أُسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيم الخَلِيلَ ﵇ فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، أَقْرِئ أُمّتَكَ السَلامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَن الجنةَ طَيِّبَةُ الترْبَةِ، عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنها قِيعَان، وَأَنَّ غرَاسَهَا: سُبْحَانَ الله، وَالحمْدُ لله، وَلا إِلَهَ إِلا الله، وَالله أَكبَر**" (٣)، وعن جابر ﵁ عن النبي ﷺ قال: "**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ؛ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَة فِي الجنَّة**".(٤)

١٢ـ العطاء والفضل الذي يترتب على الذكر لم يترتب على غيره من الأعمال:

خذ مثلاً قوله ﷺ: "**مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا الله وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُل شَيءٍ قَديرٌ فِي يَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ،**

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وانظر صحيح الجامع

(٢) صحيح البخاري

(٣) (حسن، سنن الترمذي:)

(٤) (صحيح، سنن الترمذي:).

وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزَا مِنْ الشيطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ به إِلا أحد عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذلِكَ"(١)

وقوله ﷺ:"مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبحَمْدهِ في يَوْم مِائَةَ مَرَّةٍ؛ حُطتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ" (٢)

وقوله ﷺ: "لأنْ أَقُولَ: سُبحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لله، وَلا إِلَهَ إِلا الله، وَالله أكبرُ؛ أَحَبُّ إلى مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيهِ الشَّمسُ". (٣)

١٣ـ ذكر الله يجعل الذاكر في معية الله – عز وجل –:

كما قال رسول الله ﷺ:"قال الله – عز وجل –: "أَنا عِنْدَ ظَن عَبدِى بِي، وَأَنا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَني، فَإِنْ ذَكَرَنِي في نَفسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ في نَفسِى، وَإِنْ ذَكَرَنِي في مَلأٍ؛ ذَكَرْتُهُ في مَلأٍ خَيرِ منهمْ" (٤)

١٤ـ ذكر الله يعدل عِتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل الله – عز وجل –، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله – عز وجل – بل وخيرٌ من ذلك كله: ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ ضَنّ بالمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ وَهَابَ اللَّيلَ أن يُكَابِده، وَخَافَ العَدوَّ أَنْ يُجَاهِدهُ؛ فَلْيُكْثِر مِنْ سُبحَانَ الله، وَالْحمدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا الله، واللهُ أَكبَرُ؛ فَإِنَّهُن مُقَدِّمَاتُ مُجَنَّبَاتٌ، وَمُعَقِّبَاتٌ وَهُن

---

(١) (صحيح البخاري:)
(٢) (صحيحَ البخاري:)
(٣) (صحيح مسلم:).
(٤) (صحيح البخاري).

البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ".(١)

وفي الحديث عن أَبِى الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: **"أَلا نبئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي درَجَاتِكُمْ، وَخَير لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَب وَالْوَرِقِ، وَخَيرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عدوكُمْ؛ فَتَضْربُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ "**، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: **"ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى"** (٢)

١٦ـ في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله – عز وجل –:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُولَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٢، ٢٣]

جاء رجل إلى أبى سعيد الحسن البصرى فقال: يا أبا سعيد: أشكوا قسوة في قلبي قال: أذب هذه القسوة بذكر الله.(٣)

قال مكحول رَحِمَهُٱللَّهُ: ذكر الله دواء، وذكر الناس داء.

وكما قيل: إذا مَرِضْنَا. تدَاوَينا بِذِكرِكُم ونتَرُكُ الذكرَ أحيانًا فَنَنتكسُ.

١٧ـ الله سبحانه يباهي ملائكته بالذاكرين:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ في الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ: آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلا ذَاكَ؟ قَالُوا:

---

(١) (رواه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع)

(٢) (صحيح، سنن الترمذي).

(٣) لطائف المعارف

وَالله مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِى لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُم وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِى مِنْ رَسُولِ الله أَقَل عَنْهُ حَدِيثًا مِنى، وَإِنَّ رَسُولَ الله خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ،

فَقَالَ: "مَا أَجْلَسَكُمْ؟ "، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ الله وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلَامِ وَمَن بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: "اللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟ "، قَالُوا: وَالله مَا أَجْلَسَنَا إِلا ذَاكَ، قَالَ "أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الله - عز وجل - يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ" (١)

١٧ـ إدامة ذكر الله تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية أو مالية كحج التطوع وغيره:

فقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قَالَ: جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَموَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيم الْمُقِيمِ، يُصلُّونَ كَمَا نُصلى، وَيصومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُم فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجونَ بِهَا، وَيعْتَمِرُونَ، وُيجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: **"ألا أُحَدثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُم بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أحد بَعْدَكُمْ، وَكنتمْ خَيرَ مَنْ أَنْتُمْ بَينَ ظَهْرَانَيهِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ؟! تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ، وَتكَبِّرُونَ خَلْفَ كُل صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ"**(٢)، فجعل الذكر عِوَضا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر.

١٨ـ الذاكرون هم السابقون:

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) (صحيح البخاري:)

قال رسول الله ﷺ: **"سِيرُوا، سَبَقَ الْمُفَرِّدونَ"** قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **"الذاكِرُونَ الله كَثِيرًا وَالذاكِرَاتُ"**. (١)

١٩ـ مداومة ذكر الله، أمان من النفاق:

فإن المنافقين قليلوا الذكر لله، كما قال الله - سبحانه وتعالى - في المنافقين: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال كعب رضي الله عنه: من أكثر ذكر الله - عز وجل - برئ من النفاق، ولهذا - والله أعلم - ختم الله سورة المنافقين بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون: ٩]، فإن في ذلك تحذيرًا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله، فوقعوا في النفاق.

٢٠ـ للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء:

فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر، والنعيم الذي يحصل لقلبه؛ لكفى به، ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة.

قال مالك بن دينار رحمه الله: وما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله - عز وجل - فليس شيء من الأعمال أخف مؤنة منه، ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجًا للقلب.

٢١ـ الدنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله، وما يتعلق به:

كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: **"الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ، وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا"**(٢)

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) صحيح سنن الترمذي

قال الطيبي: فيه أن ذكر الله أفضل الأعمال، ورأس كل عبادة (١)

وقال ابن الجوزي:كيف لا تكون ملعونة، وهي عن ذكر الله شاغلة؟ ولمن نظر إليها فاتنة؟ ولمن ركن إليها قاتلة؟ ولمن استصحبها غاشَّة؟ ولمن استنصرها خاذلة ؟ (٢)

٢٢ـ ذكر الله حياة القلوب، وحياة البيوت:

قال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد:٢٨]، وقال ﷺ: **"مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَيّ وَالْمَيِّت"**(٣)، فالحياة حياة القلب بذكر الله، والموت موت القلب بالغفلة عن الله.

لأن الإنسان مكوّن من جسد وروح فالجسد مبدؤه من الأرض كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢]

إذن فغذاؤه من الأرض: من طعام، شراب، لباس، سكن، وكذلك منتهاه إلى الأرض فإذا مات الإنسان يتحلل جسده إلى التراب.

أما الروح فمبدؤها من السماء: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم:١٢]

فغذاؤها من السماء: ذكر الله وطاعته، ومنتهاها إلى السماء، لذلك إذا طرأت غفلة على القلب فلا علاج لها إلا بالذكر.

وقال ﷺ: **" مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِى يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِى لاَ يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ مَثَلُ**

---

(١) فيض القدير.

(٢) التذكرة في الوعظ.

(٣) متفق عليه.

الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ "(١)

بذكر الله تطيب النفس، ويطمئن القلب ويهدأ البال، بذكر الله تُدفع الآفات وتُكشف الكربات وتهون المصيبات، لا يوجد عمل أشرح للصدر وأعظم للأجر كالذكر، هو إنقاذ للنفس من أتعابها واضطرابها وهمومها وغمومها، بل هو طريق مختصر لكل فوز وفلاح.

فيا من شكى الأرق وبكى من الألم، يا من أتعبته المشاكل وأعجزته الوسائل، بقدر إكثارك من ذكره يهدأ قلبك وتسعد نفسك ويرتاح ضميرك.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر أحيانـاً فننتكس

٢٣ـ ذكر الله سبب لحسن الخاتمة:

فإن من داوم عليه في الدنيا سَهُلَ عليه نطق الشهادة في السكرات، قال النبي ﷺ: "**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لا إِله إِلا الله**" (٢)

واعلم رعاك الله:

أن حضور القلب في العبادة من ذكرٍ وغيره هو روحها، فكما أنه لا حياة للجسد بلا روح، كذلك كل عبادة لا حضور فيها، فإنها ميِّتة لا روح فيها.

قال ابن الجوزي: "الذكر لله له شرطان: حضور القلب في تحريره وبذل الجهد في تكثيره، فإن أحببت أن تكون في الراسخين الأقدام في هذا المقام، فحرِّر الذكر على الإحسان وكثِّره بقدر الإمكان"(٣)

---

(١) متفق عليه

(٢) صحيح مسلم.

(٣) التذكرة في الوعظ.

وقال: تأملت على أكثر الناس في عباداتهم؛ فإذا هي عادات، فأما أرباب اليقظة، فعاداتهم عبادة حقيقية، فإن الغافل يقول: سبحان الله عادة، والمتيقظ لا يزال فكره في عجائب المخلوقات أو في عظمة الخالق، فيحركه الفكر في ذلك، فيقول: سبحان الله !(١)

وقال ابن القيم: فإذا صار شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة، واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويفني الفاقه فيكون صاحبه غنيـاً بلا مال عزيزاً بلا عشيرة مهيبـاً بلا سلطان(٢)

(**وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ**) أي: مَثَلَ الَّذي يَذكُرُ اللهَ تعالى.

(**كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ**) أي: لاحَقه الأعداءُ وأسرعوا خلفَه.

(**حَتَّى أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ**) أي: حمَى نفسه مختبئـًا في ذلك الحِصْنِ.

(**كَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ**) أي كما احتمى ذلك الرجل من أولئك الأعداء في ذلك الحصن، كذلك يحتمي الإنسان من الشيطان بذكر الرحمن، فالذي يذكر الله، قد أوى إلى ركنٍ شديد، واعتصم بحبلٍ رشيد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقـاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجـاً بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو

---

(١) صيد الخاطر.

(٢) الوابل الصيب.

يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر[١]

ذاكر الله لا يستطيع الشيطان في ذكره مقيلاً، ذاكر الله لا يجد الشيطان إلى إغوائه سبيلاً، ذاكر الله لا يزال شيطانه مدحوراً ذليلاً، ذاكر الله قد تكفل الله بحفظه وكيف يضيع من كان الله بحفظه كفيلا ؟[٢]

ثانيـًا: خماسية محمدٍ ﷺ:

قَال رَسُوْلُ اللهِ ﷺ:

(**وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِي اللهُ بِهِنَّ**) أي: بمِثْلِ ما أَمَر اللهُ عزَّ وجلَّ يَحْيى.

فائدة (٢٠): لماذا هذه الخمس من بين سائر التكاليف الشرعية الكثيرة؟

يحمل تخصيصه ﷺ، لهذه الخمس، ـ مع أن أوامره ﷺ كثيرة جدًّا ـ لأهميتهنَّ وشموليتهنَّ، ولأن خيرهن متعدٍ إلى الغير، وقد يقال: إن عليهن مدارَ الإسلام، وبتحقيقهن يتحقق الأمن والإيمان وصلاح الأحوال في الدنيا والآخرة، والله أعلم.

الأولى: (الجَمَاعَةُ)

أي: مُلازَمتُها والابتعاد عن الفُرْقةِ، ومجانبتها.

فائدة (٢١): المراد بالجماعة:

والمرادُ بالجماعةِ: جماعةُ المسلِمين المتمسكِّين بهَدْيِ النَّبيِّ ﷺ وسُنَّتِه وما

(١) الوابل الصيب.

(٢) التذكرة في الوعظ لعبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي.

جاء في القُرآنِ الكريمِ، وكان عليه الصَّحابةُ والتَّابعون لهم بإحسانٍ رضوانُ اللهِ عليهم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: " **افترقت اليهود علي إحدي وسبعين فرقة، وافترقت النصاري علي اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي علي ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي** " (١) وفي رواية:" **هي الجماعة** " (٢)

❐ **فائدة (٢٢): الجماعة مقصدٌ عظيم من مقاصد الدين:**

واعلم أن من المقاصد العظيمة التي حث عليها العظيم سبحانه: جمع كلمة المسلمين، ووَحدة صفهم، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

هذه الأية أصل أصيل في الإصلاح، ومبدأٌ متين فى فقه الوفاق، وقاعدة من القواعد بين المسلمين فيها دعوة إلى وحدة العمل الإسلامي، ليس دعوة إلى تأليف القلوب على مفهوم مقلوب أو منهج مبتدع، أو اعوجاج ظاهر عن الأصول الثابتة، ولكنها دعوة إلى التآلف على الهدى المحكم، والثوابت المجمع عليها؛ وهذه مساحتها أكبر بكثير من مساحة المسائل المختلف فيها وأكثر ما تعج به الساحة الإسلامية من خلافات واختلافات، إنما هو فى مسائل قد تختلف فيها الأنظار ويسوغ فيها الخلاف.

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لسماك الحنفي: "يا حنفي! الجماعة الجماعة، فإنما

---

(١) رواه الترمذي والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع.
(٢) رواه أبوداود وابن ماجه وأحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

هلكت الأمم الخالية لتفرقها، أما سمعت الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾" (١)

إن إجتماع الكلمة ووحدة الصف بين المسلمين فريضة من الفرائض، وشرعة تتضمن العديد من التشريعات؛ فالأمر بالأخوة الإيمانية هو أمر بالعديد من شعب الإيمان هو أمر بخفض الجناح، وحسن الظن، والعفو والصفح، وصنائع المعروف، وإبداء النصيحة، وقبول النصيحة، والرفق فى النصيحة، والإخلاص فى النصيحة، والستر على العيوب، والرفق فى الأفعال واللين فى الأقوال، والدفع بالتى هى أحسن وغير ذلك من العديد والعديد من شعب الإيمان.

وقد وردت النصوص الكثيرة بالنهي عن التفرق، والأمر بالاجتماع والائتلاف، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، فبرأ الله نبيه ﷺ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، كما نهانا عن التفرق والاختلاف، فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **"إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ رَضِيَ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَكَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: رَضِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَنْصَحُوا لِمَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا، وَلَا تَفَرَّقُوا، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ"** (٢)

---

(١) تفسير القرطبي.

(٢) رواه مسلم، وأحمد، واللفظ له، وغيرهما.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: " فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام" (١)

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ:"بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة، وترك الفرقة والمخالفة" (٢)

وكان السلف الصالح يحثون الناس على لزوم الجماعة ويحذرونهم الفرقة، فقد روى الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطب الناس بالجابية، فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فينا فقال: **"أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ، حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ... "**

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنهما السبيل في الأصل إلى حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة"، وقال: "والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك" (٣)

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة الطحاوية: "ونرى الجماعة حقًّا وصوابًا، والفرقة زيغًا وعذابًا".

---

(١) شرح مسلم.

(٢) معالم التنزيل.

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بعد أن ذكر حديث الافتراق المتقدم ـ: "وهذا التفريق الذي حصل من الأمة – علمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها – هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾ [المائدة: ١٤]، فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به، وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب". (١)

ومن أمثلة السلف الصالح التي تبين حرصهم على جمع الكلمة، ووحدة الصف، وتأليف القلوب، وعدم الفرقة والخلاف، وتقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة، ما حصل من تنازل الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حيث سُمي ذلك عام الجماعة؛ لاجتماع كلمة المسلمين على معاوية، وكان هذا مصداقًا لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ"**. (٢)

ومنها ما حصل بين ابن عمر ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر قال: "دخلت على حفصة، قلت: قد كان من أمر الناس ما تَرين، فلم يُجعل لي من الأمر شيء، فقالت: اِلْحق فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب

---

(١) مجموع الفتاوى.

(٢) رواه البخاري.

معاوية، قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليُطلِع لنا قَرنَه، فلَنحن أحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللتُ حبوتي[1] وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع، وتَسفك الدم، ويحمل عني غيرُ ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان، قال حبيب: حُفِظت وعُصِمت" [2]

ومنها ما حصل بين عبد الله بن مسعود وعثمان رضي الله عنهما، وذلك أن أمير المؤمنين عثمان حج عام ٢٩ هـ وهو خليفة، وأتم الصلاة في منى، ولم يَقصرها، فعاتبه في ذلك عبدالرحمن بن عوف، واعتذر له عثمان بأنه قد تزوج بمكة فكان في حكم المقيم لا المسافر، وبأن أناسًا من أهل اليمن ظنوا أن الصلاة للمقيم ركعتان، فأتم عثمان رضي الله عنه لذلك، وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يصلي معه أربعًا وهو لا يرى ذلك، وكان يقول: ليت حظي من أربعٍ، ركعتين متقبلتين، فقيل له: لماذا تصلي خلفه إتمامًا وأنت ترى القصر؟ قال: الخلاف شر.

والخلاصة: التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولزوم جماعة المسلمين، والابتعاد عن أسباب التفرق والاختلاف، والسير على منهج السلف الصالح في تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة فيما يحقق التعاون على البر والتقوى، واجتناب الإثم والعدوان.

واذكر قول النبي ﷺ: **"ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنْ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِ"** [3]

---

(١) من احتبى الرجل إذ جمع ظهره وساقيه بثوب ونحوه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد في المسند، وصححه الألباني في الصحيحة، وصحيح الجامع.

قال ابن القيم: "أي لا يبقى في القلب غل ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفي عنه غله، وتنقيه منه، وتخرجه منه، فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل. وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلال. فهذه الثلاثة تملؤه غلا ودغلا. ودواء هذا الغل واستخراج أخلاطه، بتجريد الإخلاص والنصح، ومتابعة السنة" (١)

فمن أخلص أعماله كلها لله، ونصح في أموره كلها لعباد الله، ولزم الجماعة بالائتلاف، وعدم الاختلاف، وصار قلبه صافياً نقياً، صار لله ولياً، ومن كان بخلاف ذلك، امتلأ قلبه من كل آفة وشر.

❐ فائدة (٢٣): الفرقة هدفٌ لأعداء الدين:

واعلم أن من أعظم ما يهدف إليه أعداء الدين وأدعياؤه: تجريد هذا الدين من الصبغة الجماعية، ليبقى كل مسلمٍ في إطار فردي، فهم يحاولون جاهدين أن يصوروا الدين على أنه صلة فردية بين الإنسان وخالقه، لأنهم يعلمون أن الجماعة قوة ونصرة، فتفريغ الدين من محتوياته الجماعية جحود وجور وحيد عن الحق، بل وقضاءٌ عليه.

❍ الثانية: السمع:

(وَالسَّمْعُ)

السمع: أول مراتب العلم والعمل، وقد تكررت هذه الكلمة كثيراً في الوحيين الكريمين، لتذهبَ النفسُ في معناها ومرماها كلَّ مذهبٍ يؤدي إلى

---

(١) مدارج السالكين.

العمل بما نسمع، إذا كان صادراً عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ، وعن أولي العلم، من أصحابه الكرام البررة، والتابعين لهم بإحسان.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٤]

وقد نزلت هذه الآية تُبَصر المؤمنين بمكر اليهود وخبثهم، وتحذرهم من تقليدهم في قولهم لرسول الله ﷺ: راعنا، فهي كلمة كانوا يلوون بها ألسنتهم، ويريدون بها الرعونة لا المراعاة، وكان المؤمنون بسلامة نية، يقولون: يا رسول الله، راعنا، أي: انظر إلينا، أو انتظرنا، فلما تكررمن اليهود ذلك وحاكاهم بعض المؤمنين فيه، أمرهم الله أن يقولوا بدلاً من هذه الكلمة كلمة صريحة لا تقبل اللّي والتحريف، وأمرهم أن يسمعوا لما يجري على لسان النبي من كتابٍ وسنة، حتى يتسنى لهم أن يفقهوا ما يقول، ويعملوا به على قدر طاقتهم.

وقال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾ [الأنفال: ٢٠: ٢٤]

يأمرنا ربُّنا سبحانه في هذه الآيات الكريمات بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، والاستجابة لرسوله عند سماع الأوامر والنواهي الصادرة عنه وعن رسوله، وينهانا عن التشبُّه بالكافرين والمنافقين في عدم الطاعة وعدم الاستجابة لله ولرسوله، مع أن الجميع اشتركوا في السماع، لكن الناجون سمعوا سماع وعي

وقبول وإيمان، والآخرون سمعوا سماع تحسس وتجسس وفرار، فاستحقوا التشبيه بالدواب، فقد خالفوا الصواب وأعرضوا عن المحراب.

فهم يُظهِرون أنهم قد سمعوا واستجابوا، وهم ليسوا كذلك، فهم يسمعون بآذانهم ولا يسمعون بقلوبهم، فهؤلاء شر الخَلْق والخليقة ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٢] أي: صمٌّ عن سماع الحق، بكمٌّ عن فهمه والنطق به، ثم وصَفَهم بأنهم لا يعقلون؛ أي ليست لهم عقول صحيحة، يفكِّرون بها في العواقب، وإنما عقولهم لا تعدو التفكيرَ بحاضرهم الدنيوي، وملاذِّهم العاجلة فهم كالبهائم التي لا همَّ لها إلا فيما تأكل في بطونها، ولا تفكِّر في مستقبل، ولا تستعدُّ لحياة أخرى، بل هم شر من البهائم، فالبهائم لها آذانٌ، لكنها لا تسمع إلا كلمات مبهَمة، ولها ألسنة لكنها لا تنطق أصواتًا مفهومةً، وهي مع ذلك مطيعة لله فيما خلَقَها له، وهؤلاء خُلِقُوا للعبادة فكَفَروا ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

ولهذا أخبر الله عن الكافرين في موطنٍ آخر بأنهم أَبَوْا أن يسمعوا كلام الله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦]، وعن اليهود بأنهم ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة: ٩٣]، وهنا أخبرعن المنافقين بأنهم ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الأنفال: ٢١].

وهؤلاء جميعـًا سيهتفون نادمين رافعين شعار الخزي يوم القيامة، كما قال الله: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الملك: ١٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق:٣٧].

فلا ينتفع، ولا يعي، إلا من ألقى سمعه إلى آيات الله، واستمعها، استماعًا يسترشد به، وأما المعرض، الذي لم يُلق سمعه إلى الآيات، فهذا لا تفيده شيئًا، لأنه لا قبول عنده، ولا تقتضي حكمة الله هداية من هذا وصْفُه.

إن الاستجابة التي عليها مدار النجاة في الآخرة، مرهونةٌ بسماع التعقل والإنصاف، وترك التمادي والإجحاف، كما قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:١٧- ١٨].

○ الثالثة: الطاعة:

(وَالطَّاعَةُ)

طاعة الله ورسوله نتيجة حتمية لسماع العقل والقلب، سماع الاستيعاب والفهم.

عن أبي هريرة ﵁ قال: « لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٨٤].

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ »

[أي شق عليهم الأمر وشعروا أنهم هالكون لا محالة لأن حديث النفس لا ساحل له ولا ينجوا منه ناجٍ فمن ذا الذي لا تحدثه نفسه بسوء وشر؟]

فأتوا رسول الله ﷺ وبركوا على الركب فقالوا: يا رسول الله كُلفنا من الأعمال ما نُطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أُنزلت عليك آية لا نطيقها [لم يقولوا ذلك اعتراضًا قطعًا لأنهم إنما جاءوا لابسين لباس الخوف

والقلق، فوَجْه كلامهم: خشيتهم الهلاك بعدم القدرة على الامتثال ومع ذلك لم يسمح لهم النبي ﷺ بهذه الوقفة التي وقفوها وإنما قال:] فقال ﷺ:

«**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**»

[هذا هو موقف المسلم من أوامر الله:

١ـ سمعنا: أي سماع قبول وفهم وتعلم واستيعاب.

٢ـ وأطعنا: استجبنا لمقتضى ما سمعنا.

٣ـ غفرانك ربنا: الاستغفار الدائم على التقصير الواقع في الاستجابة.

٤ـ إليك المصير: استشعار قرب اليوم الآخر المحتوم فإنه مما يسهل الطاعة ويعين على العمل.

حتى ولو أيقن العبد عجزه عن الامتثال ينبغي أن يُعلن الانقياد والإذعان لأمر الله كما حصل هنا]

«**قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**»

[سرعة انقيادهم مع أن إشكالهم لم يُحَلّ وهذا هو تعظيم الأمر والنهي]

«**فلما اقْتَرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها:** ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ **فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى**»

[أي نسخ الحكم بالمحاسبة على الخواطر وحديث النفس وهذه ثمرة

تعظيم الأمر والنهي: القبول والتيسير]

«**فأنزل الله** ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾»(١)

إن معركة الإسلام الفاصلة «بدر الكبرى» قامت على كلمات معدودة، ألقاها سيد الأوس سعد بن معاذ رضي الله عنه، فعندما استشار النبي ﷺ الناسَ في الذهاب إلى ملاقاة المشركين في بدر قام سعد بن معاذ خطيبًا فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل» قال: فقد آمنَّا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا، ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض بنا يا رسول الله لِما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكْره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فَسِرْ بنا على بركة الله، فَسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشَّطه ذلك، ثم قال: "**سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللهِ لَكَأَنِّي الآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ**" (٢)

وعن أنس رضي الله عنه **قال:** إني لقائم أسقي أبا طلحة وفلانًا وفلانًا إذ جاء رجل

---

(١) رواه مسلم، وما بين القوسين من تعليقاتي على رياض الصالحين: المسك والعنبر والرياحين، تنبيهات وفوائد على رياض الصالحين.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام.

فقال: وهل بلغكم الخبر؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: حُرمت الخمر، قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل»(١).

وفي رواية له: «فأمر رسول الله ﷺ مناديًا: «**ألا إن الخمر قد حُرِّمت**» قال: فقال لي أبو طلحة: «**اخرج فاهرقها**» فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة».

قال الحافظ ابن حجر: «وفيه إشارة إلى توارد من كانت عنده من المسلمين على إراقتها حتى جرت في الأزقة من كثرتها»(٢).

وتَم هذا كله من غير قيل وقال، وتردد واستفسار، وكانوا قد تعودوا عليها منذ سنوات بل كانوا قد ورثوها عن آبائهم(٣).

فهل إذا قيل لك اليوم: تخلص من علاقتك المحرمة بفلانة.

أو تخلص من الصحبة السيئة التي جَرّتك إلى الهاوية.

أو الزم كذا فإن الله قد أمر به.

هل ستقول: سمعًا وطاعة تعظيمًا لله تعالى؟

❒ فائدة (٢٤): من معاني السمع في لغة الوحي:

أحيانا يأتي السمع والطاعة في لغة الوحي، ويراد بها السمع والطاعة لولاة الأمور، كما جاء في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال: "**السمع**

---

(١) رواه البخاري.

(٢) فتح الباري.

(٣) صلاح الأمة في علو الهمة: سيد عفاني.

والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" (١)

وعَنْ عُبادةَ بنِ الصَّامتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: "بَايعْنَا رسولَ اللهِ ﷺ علَى السَّمعِ والطَّاعةِ فِي العُسْرِ واليُسْرِ، والمنشَطِ والمكرَهِ، وعلى أثرةٍ علينا، وعلى أن لا نُنازِعَ الأمرَ أهلَهُ إلَّا أنْ تروا كفرًا بواحًا عندكم مِنَ اللهِ تعالَى فيه برهانٌ، وعلَى أنْ نقولَ بالحقِّ أيْنَما كنَّا لا نخافُ في اللهِ لؤمةَ لائمٍ" (٢)

فإن الله تعالى أوجب علينا طاعةَ ولاة الأمر فيما يأمرون به وينهَون عنه، وسواء أكان ذلك مما يحبه المرء المسلم أم مما يكرهه؛ لأنه لا يمكن أن تستقيم البلاد ويأمن العباد من غير طاعة الولاة، ولكن الشرع جعل لهذه الطاعة حدًّا لا يجوز تجاوزُه، وهو: ألا يكون ذلك إلا في المعروف؛ فلا طاعة لهم في معصية الله تعالى، وفي هذا تنبيه لأمرين؛ أولهما: على ولي الأمر أن يجتنب الأمر بمعصية الله تعالى، وثانيهما: على الناس جميعًا أن يقدموا طاعة الله تعالى على طاعة كل أحد؛ فإن الأصل أن طاعة الولاة من طاعة الله تعالى، فلا يتصور أن يكون مأمورًا بطاعتهم فيما يناقض أمر الله تعالى وشريعته.

❍ **الرابعة (وَالهِجْرَةُ)**

❐ **فائدة (٢٥): معنى الهجرة:**

الهجرة شرعـًا، لها إطلاقان:

الأول: ترك دار الكفر إلى دار الإسلام (٣)

---

(١) متفق عليه.

(٢) متَّفقٌ عليه.

(٣) التعريفات للجرجاني.

الثاني: ترك ما نهى الله عنه" (١)

❑ فائدة (٢٦): أنواع الهجرة، وحكم كل نوع:

ومن هذين الإطلاقين، قسَّم العلماء الهجرة إلى نوعين، هجرة حسية، وهجرة معنوية، أفصح سلطان العلماء العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن هذين النوعين بقوله: "الهجرة هجرتان: هجرة الأوطان، وهجرة الإثم والعدوان، وأفضلهما هجرة الإثم والعدوان؛ لما فيها من إرضاء الرحمن، وإرغام النفس والشيطان"، وإنما جعل الأفضليه للهجرة المعنوية، لِما ذَكر، ولأنها هي الدافعة إلى الهجرة الحسية.

النوع الأول: الهجرة الحسية، وصورها كثيرة منها:

١ـ الهجرة إلى النبي ﷺ في المدينة، وهذه الهجرة أشرف الهجرات وأفضلها على الإطلاق، وقد خصَّ الله تعالى بها ساداتِ الأولياء من المهاجرين، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، وتأمل هذا الحديث لتعرف عظيم قدرهم..

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ؛ لِلَّذِي ذَخَرَ اللهُ لِلأَنْصَارِ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوْا(٢) الْمَدِينَةَ، فَمَرِضَ،(٣) فَجَزِعَ،

---

(١) فتح الباري: ابن حجر.

(٢) كَرِهُوا الْمَقَام بِهَا؛ لِضَجَرٍ، وَنَوْع مِنْ سَقَم.

(٣) أي الرجل.

فَأَخَذَ مَشَاقِصَ(١) لَهُ فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، (٢) فَشَخَبَتْ يَدَاهُ(٣) حَتَّى مَاتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي؛ بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟! قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ، فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: **"اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ"** (٤)

٢ـ الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وهذه الهجرة واجبة في حق من يقدر عليها ولا يمكنه إقامة واجبات دينه في ديار الكفر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾[النساء: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء: ٩٧- ٩٩]، وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ، لا تَرَاءَى نَارَاهُمَا"** (٥) (٦)

---

(١) المشقص: نصل سهم طويلٌ عريض.

(٢) مفاصل الأصابع، وواحدتها: بُرْجُمَة.

(٣) اندفع الدم منهما بشدة.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

(٦) وهناك أصناف لا تجب عليهم الهجرة، من دار الكفر ولا تستحب، وهم من يقدرون على إظهار دينهم، ويقدر الواحد منهم على الاعتزال في مكان خاص، والامتناع من =

٣ـ هجرة أرض السوء إلى أرض الصلاح، ودليلها قصة قاتل المائة نفس، وفيها: " **وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ**"(١)

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: "قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والأخدان المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين والورعين ومن يقتدى بهم، وينتفع بصحبتهم، وتتأكد بذلك توبته"(٢)، وهذه الهجرة أقرب إلى الوجوب منها إلى الاستحباب، والعلم عند الله.

وقال الحافظ:" ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها والاشتغال بغيرها" (٣)

=
الكفّار، لأنّ مكان اعتزاله صار دار إسلام بامتناعه، وبعض المسلمين يفر بدينه من بلده لما يقع عليه من الاضطهاد في دينه ودنياه، وربما وجد في تلك البلاد التي فرَّ اليها حياة كريمة وتمتعًا في الحقوق، وحرية في إقامة شعائر دينه قد لا توجد في غالب الدول الإسلامية،فإلى الله المشتكى من غربة الدين، وقلة الناصرين، وتسلط الظالمين.

ومن هؤلاء السفراء، فإن مكثهم فيها متعين؛ للقيام على شؤون رعايا بلادهم من المسلمين.

ومنهم العيون الذي يبعثون بالأخبار إلى الدولة المسلمة.

ومنهم الدعاة، والقائمون على أمر الجاليات المسلمة.

وطالب علمٍ لا يتأتى له أن يتعلمه في بلاد المسلمين. [انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، وفقه النوازل للأقليات المسلمة للدكتور محمد يسري]

(١) صحيح مسلم.

(٢) شرح النووي على مسلم.

(٣) فتح الباري.

٤ـ الهجرة إلى الشام في آخر الزمان عند ظهور الفتن.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ،** (١) **فَخِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ أَلْزَمُهُمْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ،** (٢) **وَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا، تَلْفِظُهُمْ أَرْضُوهُمْ، تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللهِ،** (٣) **وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ**(٤)» (٥)

المقصود: أن الهجرة شريعة ثابتة إلى أن تقوم الساعة فقد جاء في الحديث: "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تخرج الشمس من مغربها"(٦)، فكل من لم يستطع إظهار دينه في بلد فإنه يجب عليه أن ينتقل منها

---

(١) وَالْمَعْنَى سَتَكُونُ هِجْرَةٌ إِلَى الشَّام بَعْدَ هِجْرَةٍ كَانَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَذَلِكَ حِينَ تَكْثُرُ الْفِتَنُ، وَيَقِلُّ الْقَائِمُونَ بِأَمْرِ اللهِ فِي الْبِلَادِ، وَيَسْتَوْلِي الْكَفَرَةُ الطُّغَاةُ عَلَى بِلَادِ الْإِسْلَام، وَيَبْقَى الشَّامُ تَسُومُهَا الْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ مَنْصُورَةً عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يُقَاتِلُوا الدَّجَّالَ، فَالْمُهَاجِرُ إِلَيْهَا حِينَئِذٍ فَازَ بِدِينِهِ مُلْتَجِئٌ إِلَيْهَا لِإِصْلَاحِ آخِرَتِهِ.

(٢) أي إلى موضع هجرته.

(٣) قال الخطابي ـ في معالم السنن ـ: "تأويله أن الله يكره خروجهم إليها ومقامهم بها فلا يوفقهم لذلك"

(٤) أَيْ تَجْمَعُهُمْ وَتَسُوقُهُمُ النَّارُ، فَيَفِرُّونَ هَؤُلَاءِ وَالشِّرَارُ مَخَافَةَ النَّارِ مَعَ الْبَهَائِمِ مِنَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ وَالنَّارُ لَا تُفَارِقُهُمْ بِحَالٍ

وَلَيْسَ هَذَا حَشْرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِلَّا قِيلَ تَحْشُرُ شِرَارُ أَهْلِهَا إِلَى النَّارِ وَلَا يُقَالُ تَحْشُرُهُمُ النَّارُ وَلِقَوْلِهِ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ تَقِيلُ مَعَهُمْ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّارَ لَيْسَتْ حَقِيقَةً بَلْ نَارُ الْفِتْنَةِ وَهَذِهِ الْقَيْلُولَةُ وَالْبَيْتُوتَةُ هِيَ الْمُرَادَةُ فِي قَوْلِهِ سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ إِلَى قَوْلِهِ تَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا انْتَهَى كَلَامُ الطِّيبِيُّ مُلَخَّصًا مُحَرَّرًا وَاللهُ أَعْلَمُ [انظر عون المعبود]

(٥) صحيح أبي داود.

(٦) رواه أحمد وأبوداود، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

إلى بلد يستطيع فيه إظهار دينه.

النوع الثاني: الهجرة المعنوية:

وهي الهجرة من الكفر إلى الإسلام، ومن البدعة إلى السنة، ومن الشرك إلى توحيد الله، ومن المعصية إلى الطاعة، والمقصود: هجرة الشرور والمعاصي، فقد قال الله لنبيه: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر:٥]، وقال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل:١٠] أي اتركهم تركـًا لا عتاب معه.

وجاء في صحيح البخاري، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ"**.

وفي سنن أبي داود، أن النبي ﷺ، سُئِلَ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: " طُولُ الْقِيَام "، قِيلَ فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "جُهْدُ الْمُقِلِّ "، قِيلَ: فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: " مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ "، قِيلَ: فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: " مَنْ جَاهَدَ الْمُشْرِكِينَ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ "، قِيلَ: فَأَيُّ الْقَتْلِ أَشْرَفُ ؟ قَالَ " مَنْ أُهْرِيقَ دَمُهُ وَعُقِرَ جَوَادُهُ" (١)

وأعظم الهجرة: هجرة القلوب إلى الله تعالى، بإخلاص العبادة له في السر والعلانية، حتى لا يقصد المؤمن بقوله وعمله إلا وجه الله، ولا يحب إلا الله ومن يحبه الله، وكذلك الهجرة إلى رسول الله ﷺ باتباعه وتقديم طاعته والعمل

---

(١) صحيح أبي داود.

بما جاء به.

فالهجرة ليست مجرد حدثٍ تاريخي، تُقام لمناسبتها طقوس واحتفالات ثم تنسى ولا يكون لها أثر في النفوس أو تأثير في السلوك، فإن كثيراً ممن يتحدثون عن الهجرة على رأس السنة لا يفقهون معناها ولا يعلمون بمقتضاها بل يخالفونها في سلوكهم وأعمالهم؛ فهم يتحدثون عن هجرة الرسول ﷺ وأصحابه وتركهم أوطان الكفر إلى وطن الإيمان، وهم مقيمون في بلاد الكفر أو يسافرون إليه لقضاء الإجازة أو للنزهة أو لقضاء شهر العسل كما يسمونه بعد الزواج!! يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون عبادة القبور والأضرحة، بل يعبدونها من دون الله كما تعبد الأصنام أو أشد!! يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون المذاهب الباطلة والآراء المضلة بل يجعلونها مكان الشريعة الإسلامية!! يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون المعاصي والأخلاق الرذيلة!! يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون عادات الكفار وتقاليدهم بل يتشبهون بهم!! فأين هي معاني الهجرة وأنواعها من تصرفات هؤلاء؟

□ فائدة (٢٧): مقاصد الهجرة:

كما أن الهجرة في الإسلام لها مقاصد متعددة، أشهرها:

١ـ هجر المكان الذي يُكفر فيه بالله، بل بالغ بعضهم فأوجبها من دار المعصية، كما نقل ابن حجر العسقلاني عن بعض أهل العلم أنّه يجب على كلّ من كان بِبَلد يُعمل فيها بالمعاصي، ولا يمكنُه تغييرُها: الهجرةُ إلى حيث تتهيّأ له العبادة؛ لقوله تعالى:﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨][١]

(١) انظر: فتح الباري.

٢ـ تكثيف سواد المسلمين، فهي من أسباب أسباب الوِلاية المؤمنين، وتركها ينقض هذه الولاية، فقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ ﴾ [الأنفال:٧٢] وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ ﴾ [الأنفال:٧٣]:"أي: إن لم تُجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وقعت الفتنة في النّاس، وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين النّاس فساد منتشر عريض طويل"(١)

٣ـ أنّ البقاء بينهم ذريعة إلى موافقتهم، قال صديق حسن خان: "وقد استُدلّ بهذه الآية على أنّ الهجرة واجبة على كلّ من كان بدار الشّرك، أو بدار يُعمل فيها بمعاصي الله جهاراً إذا كان قادرا على الهجرة، ولم يكن من المستضعفين، لما في هذه الآية من العموم، وإن كان السّبب خاصّا، وظاهرها عدم الفرق بين مكان ومكان، وزمان وزمان"(٢)

□ فائدة (٢٨): فضل الهجرة:

والهجرة لها فضائل عديدة، منها:

١ـ أن الله تعالى شهد لأهل الهجرة بالإيمان الصادق، وبشرهم بالرحمة والمغفرة، ودخول الجنة، حين قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ ﴾

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) العبرة ممّا جاء في الغزو والشّهادة والهجرة.

[الأنفال:٧٤] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة:٢١٨]، وقال عز من قائل: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل:١١٠]، وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران:١٩٥].

ولما أراد عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يشترط على النبي ﷺ عند بيعته، قال له رسول الله ﷺ: **"أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلِهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ"** (١)

وعن سبرة بن أبي الفاكه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ: تَسْلَمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ، فَعَصَاهُ، فَأَسْلَمَ، فَغفَرَ لَهُ، فقعد له لطريق الْهِجْرَةِ فَقَالَ لَهُ: تُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ"**، فَقَالَ لَهُ: تُجَاهِدُ وَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقْسَمُ الْمَالُ فَعَصَاهُ فَجَاهِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَمَاتَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أو وَقَصَتْهُ دَابَّةٌ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ"** (٢)

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه النسائي، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي، وصححه الألباني.

٢ـ ووعدهم الرزق والسعة، حين قال: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء:١٠٠]

"والظاهر - والله أعلم- أن المراغَم: التمنّع الذي يُتَحصَّن به، ويراغمُ به الأعداء، وقوله: ﴿ وَسَعَةً ۚ ﴾ يعني: الرزق، قاله غير واحد، منهم: قتادة، حيث قال في قوله: ﴿ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ ﴾ إي والله، من الضلالة إلى الهدى، ومن القلة إلى الغنى" (١)

ومن ذلك أن الله سبحانه يعوضهم خيراً مما تركوا، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النحل: ٤١]، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لنسكننهم في الدنيا مسكناً يرضونه صالحاً". (٢)

٣ـ وبشرهم النبي ﷺ بالأجر الجزيل، حين قال لأبي فاطمة الضَّمْري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "عليك بالهجرةِ؛ فإنه لا مثلَ لها". (٣)

○ الخامسة: (وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ)

□ فائدة (٢٩): معنى الجهاد، وحكمه:

الجهاد في الإسلام يُطلق على أنواعٍ متعددة:

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) تفسير الطبري.

(٣) صحيح سنن النسائي

١ – جهاد الدفع:

ويكون ضد العدوِّ المهاجم لبعض بلاد المسلمين، كاليهود الآن الذين احتلُّوا فلسطين، فالمسلمون المستطيعون آثمون حتى يُخرِجوا اليهود منها بالمال والنفس، ففي الحديث: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ [وَفِي روايةٍ: دُونَ عِرْضِهِ، وَفِي أخرى: دُونَ نَفْسِهِ] فَهُوَ شَهِيدٌ" (١)، وروى مسلمٌ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟" قَالَ: "**فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ**"، قَالَ: "أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟" قَالَ: "**قَاتِلْهُ**"، قَالَ: "أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟" قَالَ: "**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**"، قَالَ: "أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟" قَالَ: "**هُوَ فِي النَّارِ**".

٢ – جهاد الطلب:

وهو فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، وهو الجهاد في سبيل نقلِ الدعوة الإسلامية إلى سائر البلاد؛ حتى يحكمها الإسلام، فمن استسلَمَ من أهلها تُرك، ومن قَبِل إعطاء الجزية فكذلك، ومن وقف في طريقها ـ الدعوة ـ قوتل حتى تكون كلمةُ الله هي العليا، فهذا الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، فضلًا عن الأول.

فقد قال ﷺ:" **أمرت أن أقاتل الناس حتي يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله** " (٢)

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " كان النبي ﷺ إذا بعث أميراً علي سرية أو جيش أمره بتقوى الله في خاصته وبمن معه من المسلمين وقال: إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم " (١)

وحين ترَكَ المسلمون الجهاد وغرَّتْهم الدنيا وجعلوها أكبر هَمِّهم، أصابَهم الذُّلُّ، وصدق فيهم قوله ﷺ: **"إذا تبايَعتُم بالعِينة، وأخذتم أذنابَ البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلَّط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه عنكم حتى تَرجِعوا إلى دينكم"** (٢)

والجهاد إذا أطلق أُريد به قتال الكفار لإعلاء كلمة الله تعالي(٣)، ولا

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد، وصححه الألباني في الصحيحة، وصحيح الجامع.

(٣) وهذا النوع من الجهاد له شروطه، وضوابطه، التي لابد من تحقيقها:
١ـ القوة والإستطاعة، ٢- أن يكون الجهاد بعلم وفقه الدين، ٣- أن يكون الجهاد موافقا لمقصود الجهاد.
٤- الذكورية، ٥-إذن الوالدين، ٦- الحرية، ٧-التكليف، ٨- وضوح الراية.
٩-إذن ولي الأمر.
١٠-تمايز الصفوف، ١١-أن يكون بعيداً عن العدوان والبغي، ١٢-أن يكون الجهاد مؤدياً إلى مصلحة راجحة.
انظرها في مظانها، أو راجع تفاصيلها في كتابي: فصول في الفكر والمنهج، فقد ضبطها ضبطًا، ولخصتها تلخيصًا.

ينصرف إلي غير ذلك، إلا بقرينة تدل علي المراد.

فقد سأل رجلٌ النبي ﷺ: ما الجهاد ؟ قال: أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم، قال: فأي الجهاد أفضل ؟ قال: **"من عُقِرَ جواده وأهريق دمه "**(١) أي جاهد حتى أفنى فرسه ونفسه.

٣ - جهاد حكام المسلمين:

ويكون بتقديم النصيحة لهم ولأعوانهم؛ لقوله ﷺ: **"الدين النصيحة"**، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: **"لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامَّتِهم"**.(٢)

وتأمل قوله ﷺ: **"أفضلُ الجهاد كلمةُ حقٍّ عند سلطان جائر"** (٣)

وبيان طريق الخلاص من ظُلمِ الحكام الذين هم من جلدتنا، ويتكلَّمون بألسنتنا هو أن يتوب المسلمون إلى ربِّهم، ويُصحِّحوا عقيدتهم، ويُرَبُّوا أنفسهم وأهليهم على الإسلام الصحيح، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١]، وإلى ذلك أشار أحدُ الدعاة المعاصرين بقوله: "أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم، تقُم لكم على أرضكم".

وكذلك فلا بد من إصلاح القاعدة لتأسيس البناء عليها، ألا وهو المجتمع، قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني في الصحيحة.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود والترمذي.

ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥]

٤ – جهاد الكفار والشيوعين والمحاربين من أهل الكتاب، ويكون بالمال والنفس واللسان حسب الاستطاعة؛ لقوله ﷺ: **"جاهِدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"** (١)

٥ – جهاد الفُسَّاق وأهل المعاصي، ويكون باليد واللسان والقلب؛ حسب الاستطاعة البشرية، والمصلحة الشرعية، لقوله ﷺ: **"من رأى منكم منكرًا فلْيُغيِّرْه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"** (٢)

٦ – جهاد الشيطان:

ويكون بمخالفته، وعدم اتِّباع وساوسه، وإعلان عداوته؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦].

٧ – جهاد النفس:

ويكون بمخالفتها، ومجاهدتها، وذلك بحملِها على طاعة الله، واجتناب معاصيه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فعلق سبحانه الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً، وأفرض

---

(١) صحيح أبي داود.

(٢) رواه مسلم.

الجهاد: جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته (١)

قال الإمام الغزالي – في الإحياء: " فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها ".

وقال تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحجر:٧٨].

• قال ابن المبارك في تفسيرها: " الجهاد في الله هو جهاد النفس والهوى "

• وقال صاحب الظلال: " فالمسلم عندما يؤمر بالمجاهدة لا يعنى ذلك أن يبذل فوق طاقته وأن يتحمل أكثر مما يقدر عليه وإنما هو ضبط النفس والتحكم فيها لتسير في طريق صلاحها وسعادتها وتعتصم بحبل ربها.

• وقال تعالى: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾ [العنكبوت: ٦]، والآية مكية على الصحيح، والمراد جهاد النفس، فمن جاهد نفسه في طاعة الله نفع ذلك يعود عليه.

• وقال ﷺ: "**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**".(٢)

• وقال ﷺ: " **أفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله** " (٣)

• سأل رجل عبد الله بن عمر عن الجهاد؟ فقال: ابدأ بنفسك فجاهدها ."(٤)

---

(١) الفوائد: ابن القيم.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة.

(٣) انظر:الصحيحة.

(٤) جامع العلوم والحكم.

• قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعمر حين استخلفه: " أول ما أحذرك نفسك التي بين جنبيك "(١)

• جاء رجل لبعض العارفين فقال: قطعت إليك مسافة. فقال له: ليس هذا الأمر بقطع المسافات، فارق نفسك بخطوة وقد حصل لك مقصودك " (٢)

وقال تعالى على لسان امرأة العزيز التي اعترَفتْ بمراودتها ليوسفَ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣ ﴾ [يوسف: ٥٣].

إن النفس البشرية عموماً خلقها الله تعالى أمارة بالسوء ميالة إلى الشر فَرّارة من الخير إلا من رَحِمَهُ تعالى ووفقه إلى تزكيتها وتطهيرها بالأعمال الصالحة ودوام المحاسبة والمجاهدة حتى تتحول هذه النفس الأمارة بالسوء إلى نفس لوامة تلوم صاحبها على الشر ثم إلى نفس مطمئنة لا تأمر صاحبها إلا بطاعة الله فإن زلت نفسه سرعان ما يعود إلى الله.

وإنما خلق الله تعالى النفس كذلك امتحاناً وابتلاءً وليقوم الإنسان بمهمته فى هذه الحياة وليظهر مدى امتثاله لأمر ربه، هل سيهمل نفسه وينساها ؟

أم سيعمل جاهداً على تزكيتها وتطهيرها، وهنا أقسم الله تعالى بالنفس قائلاً: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس: ٧-١٠] قد أفلح من حاسبها وجاهدها ودفعها

---

(١) جامع العلوم والحكم.

(٢) مجموع رسائل ابن رجب.

إلى الطاعة دفعـًا وقد خاب وخسر من نسيها وأهملها.

فالناس مع أنفسهم على قسمين:

• قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته وصار طوعـًا لها تحت أوامرها.

• وقسم ظفروا بأنفسهم فقهروها فصارت طوعـًا لهم منفذة لأوامرهم فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩].

فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا والرب تعالى يدعوا عبده إلى خوفه ونهى النفس عن الهوى وهذا موضع المحنة والابتلاء.(١)

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " ففي النفس ثلاثة دواعي متجاذبة: داعٍ يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشيطان من الكبر والحسد والعلو والبغي والشر والأذى والفساد والغش، وداع يدعوها إلى أخلاق الحيوان وهو داعي الشهوة، وداع يدعوها إلى أخلاق المَلَك من الإحسان والنصح والبر والعلم والطاعة "(٢) وهنا يأتي دور المجاهدة.

• قال إبراهيم بن علقمة لقوم جاءوا من الغزو: قد جئتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال القلب "(٣)

يـا مــن يجاهــد غازيــًا أعــداء ديــن الله يرجـــو أن يعـــان ويُنصــــرا

---

(١) إغاثة اللهفان: ابن القيم.

(٢) مدارج السالكين: ابن القيم.

(٣) جامع العلوم والحكم.

هلا غشيت النفس غزواً إنها أعدى عدوك كي تفوز وتنصرا
إن أنت نلت جهادها وعنادها فلقد تعاطيت الجهاد الأكبرا

❏ **فائدة (٣٠): فضل الجهاد في سبيل الله:**

وردت نصوصٌ كثيرة من الكتاب والسنة تبين فضل الجهاد، ومكانته العظيمة، فمن ذلك:

١ـ أن الجهاد هو التجارة الرابحة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾ [الصف: ١٠ – ١٣].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: "**تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعْ مَا نَالَ مِنْ أجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! مَا مِنْ كَلْمٍ، يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ، اللهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَم، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ**"

٢ـ **ومنها**: أنه أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟

قال: **"إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ"**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **"الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ"**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **"حَجٌّ مَبْرُورٌ"**

٣ـ **ومنها**: إعانة الله للمجاهد في سبيله، فقد روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **"ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ"**(١)

٤ـ **ومنها**: أنه ذروة سنام الدين، فقد روى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له: **"أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ"**، قلت: بلى يا رسول الله! قال: **"رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ"**(٢)

٥ـ **ومنها**: أن الغدوة والروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، كما في الصحيحين من حديث سهل ابن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **"رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا"**

٦ـ **ومنها**: أن درجات المجاهدين في سبيل الله عالية، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **"إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ قَالَ:**

---

(١) صحيح سنن الترمذي.

(٢) صحيح سنن الترمذي.

وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ".

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: **"مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ"**

٧ـ **ومنها:** أن للشهيد عند الله ست خصال، فقد روى الترمذي في سننه من حديث المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: **"لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ"**(١)

٨ـ **ومنها:** أن أرواح الشهداء تسرح في الجنة، فقد سُئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]؟ قال: أما إنَّا قد سألنا عن ذلك (٢)، فقال: **"أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطلاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي، وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا"**(٣)

---

(١) صحيح سنن الترمذي.
(٢) يعني النبي ﷺ.
(٣) صحيح مسلم.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ** (١) **نَهَرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا"**(٢)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "وكأن الشهداء أقسام، منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح، والله أعلم"(٣)

٩ـ **ومنها**: أن المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ"**

١٠ـ **ومنها**: ما فضَّل الله به المجاهدين على القاعدين، كما قال تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [النساء: ٩٥].

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: "الجهاد أفضل الأعمال؛ لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك، والله

---

(١) أي على جانب نهر. الفتح الرباني للبنا رَحِمَهُ اللَّهُ

(٢) صححه محققو المسند، وقال ابن كثير في تفسيره: إسناده جيد.

(٣) تفسير ابن كثير.

أعلم"(١)

وقال العز بن عبدالسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: "لما بذل الشهداء أنفسهم من أجل الله، أبدلهم الله حياة خيرًا من حياتهم التي بذلوها، وجعلهم جيرانه، يبيتون تحت عرشه، ويسرحون من الجنة حيث شاءوا، لما انقطعت آثارهم من السروح في الدنيا" (٢)

وقال أيضًا: "يشرف البذل بشرف المبذول، وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله، ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها لشرف ما بذله مع محو الكفر ومحق أهله، وإعزاز الدين وصون دماء المسلمين"

وليُعلم أن الفضل الوارد في الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة لا يكون إلا لمن قاتل لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه، كما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: **"مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ"**

وينبغي للمؤمن أن يحدث نفسه بالجهاد، وشرف نصرة الدين، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **"مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ"**

---

(١) فتح الباري.

(٢) أحكام الجهاد وفضائله.

❑ فائدة (٣١): حِكَم الجهاد، ومقاصده:

إن هدف الجهاد الأساسي هو تعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلي العبودية لرب العباد، وإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعـًا.

كما قال ﷺ: " **بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله تبارك وتعالى لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعلت الذلة والصغار علي من خالف أمري** " (١)

وقد قال تعالى:﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣ ﴾ [البقرة:١٩٣]

وقد كان هذا الهدف من الجهاد هو الباعث على الفتوحات التي قام بها الصحابة ومن بعدهم من أهل الإيمان، فعَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ قَالَ: بَعَثَ عُمَرُ النَّاسَ فِي أَفْنَاءِ الأَمْصَارِ يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ... فَنَدَبَنَا عُمَرُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا النُّعْمَانَ بْنَ مُقَرِّنٍ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَرْضِ الْعَدُوِّ وَخَرَجَ عَلَيْنَا عَامِلُ كِسْرَى فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَامَ تَرْجُمَانٌ فَقَالَ: لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ. فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ. قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنْ الْعَرَبِ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ، وَبَلاءٍ شَدِيدٍ، نَمَصُّ الْجِلْدَ وَالنَّوَى مِنْ الْجُوعِ، وَنَلْبَسُ الْوَبَرَ وَالشَّعَرَ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرَضِينَ، تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ، إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا ﷺ أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى

(١) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

تَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ أَوْ تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَطُّ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ.(١)

وتلك حقيقة كان يعلنها الصحابة وقادة المسلمين في غزواتهم.

- **وهناك أهداف أخري تابعة لهذا الهدف الأساسي:**

١-رد اعتداء المعتدين علي المسلمين.

٢-حماية الدولة الإسلامية من شر الكفار.

٣-اتخاذ الشهداء.

٤-إرهاب الكافرين وإخزاؤهم وإذلالهم وإيهان كيدهم وإغاظتهم.

٥-كشف المنافقين.

٦-تمحيص المؤمنين من ذنوبهم.

٧-تربية المؤمنين علي الصبر والثبات والطاعة وبذل النفس.

٨-الحصول علي الغنائم والسبي.

قوله (فَمَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ خَلَعَ الإِسْلَامِ مِنْ رَأْسِهِ) أي نزع ما يشد به المسلم نفسه من عرى الإسلام أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه.(٢)

وقال العظيم آبادي: "معناه: من فارق جماعة المسلمين وخرج عليهم فإنه يكون بذلك قد ضل وتاه، والربقة ما يوضع في رقبة البعير من أجل حفظه وربطه

---

(١) رواه البخاري.

(٢) تحفة الأحوذي.

به أو تربط الدابة به حتى لا تذهب وتضيع، وإذا انفلتت تلك الربقة التي ربطت بها فإنها تضيع وتذهب عن صاحبها، فيكون الذي خرج من الجماعة بمثابة تلك الدابة التي كانت محاطة بسياج الجماعة، ولما خرجت صارت عرضة للضياع وللتلف، وهذا لا يدل على الكفر ولكن يدل على أن من خرج وقاتل فإنه يستحق أن يقاتل. أما من شذ وخرج عن جماعة المسلمين بتكوينه جماعة أو حزباً فإنها تعمل الاحتياطات التي تمنع من شره"(١)

وقال الخطابي: "من خرج عن طاعة إمام الجماعة أو فارقهم في الأمر المجتمع عليه فقد ضل وهلك" (٢)

وبهذا يُعلم أن المراد بالجماعة هنا جماعة المسلمين التي يحكمها أمير تجب طاعته، وأما ما سوى ذلك من الجماعات فليس لها حكم جماعة المسلمين وإمامهم الذي اجتمعوا عليه، وإن كان الاجتماع مطلوباً، وضرورياً.

(إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ) أي إلى الجماعة التي فارقها.

(وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ) وَالْمَعْنَى مَنْ نَادَى فِي الْإِسْلَامِ بِنِدَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَهُوَ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ خَصْمُهُ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ قَوْمَهُ، يَا آلَ فُلَانٍ، فَيَبْتَدِرُونَ إِلَى نَصْرِهِ ظَالِمًا كَانَ، أَوْ مَظْلُومًا، جَهْلًا مِنْهُمْ وَعَصَبِيَّةً.

(فَإِنَّهُ مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ) بِضَمِّ الْجِيمِ مَقْصُورًا؛ أَيْ مِنْ جَمَاعَاتِهِمْ، جَمْعُ جَثْوَةٍ، بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ، وَهِيَ الْحِجَارَةُ الْمَجْمُوعَةُ.(٣)

---

(١) عون المعبود.

(٢) معالم السنن.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.

(**قِيلَ: وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ قَالَ: وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى،**) وفي رواية: "وإن صلى وصام، وزعم أنه مسلم"

❒ فائدة (٣٢): الدين ليس صلاةً وصياماً فحسب:

وفيه إشارة إلى مسألة مهمة، وهي أن الدين ليس صلاةً وصياماً فحسب، إنما الدين مفردات كبيرة، نعم أكبرها الصلاة، لكن بعد إخلاص التوحيد لله، والكفر بما يُعبد من دونه، فكم من أولئك الذين صلَّوا وصاموا، لكن يُعطون ولاءهم لغير الإسلام، ولغير جماعة المسلمين، وتراهم أعضاءً في أندية وأحزاب تقوم في جوهرها على ما يناقض الدين، ويتبنون أفكاراً بعيدة عن مبادئ الدين !!

فماذا تُغني عن أولئك صلاتهم وصيامهم ؟

(**فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللهِ**) أي: فَلْتَكُنْ دَعْواكم للإسلامِ ونُصْرتِه كما أَمَرَكم اللهُ، ولا تَدْعوا بدَعْوى الجاهليَّةِ الَّتي هي خِلافُ ما جاء به الإسلامُ.

❒ فائدة (٣٣): خطر التعصب على الدين والدعوة:

من أكبر العقبات الكئود التي تؤخر العمل الإسلامي، التعصب البغيض الأعمى للجماعات والحزبيات، والدعوة إليها، والدعوة إليها والموالاة والمعاداة عليها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه: "وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ" (١)

---

(١) مجموع الفتاوى.

وقال:" والواجب علي كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله ، يدور علي ذلك ويتبعه أين وجده ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة ، فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عاماً إلا لرسول الله صلي الله عليه وسلم ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، فإن الهدي يدور مع الرسول حيث دار ، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا، فإذا أجمعوا لم يجمعوا علي خطأ قط بخلاف أصحاب عالم من العلماء فإنهم قد يجمعون علي خطأ....." (١)

عندما تحولت المسميات إلى نعرات، لحظات، في عهد النبي ﷺ ـ كما هو الواقع الآن ـ فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار ! قال عليه الصلاة والسلام: فَقَالَ: "مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ"؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَسَعَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ، "دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ" (٢) مع أن المهاجرين والأنصار اسمان قرآنيان، كما قال الله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [التوبة:١٠٠] – فهذان الإسمان: المهاجرون والأنصار، اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب والسنة وسماهما الله بهما ، وانتساب الرجل إلي المهاجرين والأنصار انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله ، ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط كالانتساب إلي القبائل والأمصار ، ثم مع هذا لما دعا كل منهما طائفته منتصرا بها أنكر النبي ﷺ ذلك، وسماها دعوي الجاهلية، مما يدل على أن التسميات ليست مذمومة بذاتها، إن كانت لها سبب

(١) منهاج السنة النبوية.

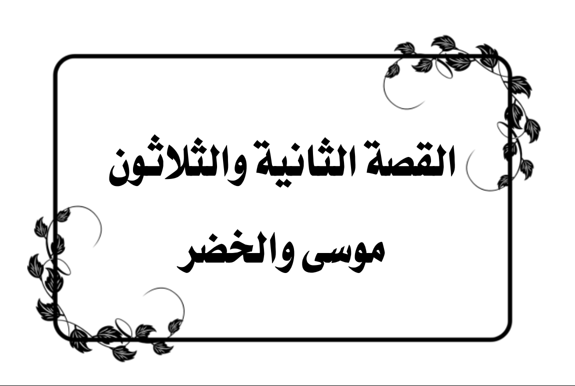
(٢) متفق عليه.

أو مناسبة، دون أن تجر إلى عصبيات أو ويلات.

ختامـًا: قد اشتمل هذا الحديث العظيم على خماسيتين عظيمتين، إحداهما تُصلح الفرد، وتُهذب نفسه، وهي التوحيد والصلاة والصيام والصدقة والذكر، والثانية ترتفع بالجماعة لتكون قوية الشوكة شديدة المنعة مرتفعة البنيان شديدة الأركان، وهي الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد.

فاللهم أصلحنا وأصلح بنا واجعلنا من عبادك الصالحين.





القصة الثانية والثلاثون

موسى والخضر

عَنِ أُبَيٍّ بْنُ كَعْبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَال رَسُوْلُ اللهِ ﷺ:

"قَامَ مُوسَى خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قَالَ: أَنَا. فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، وَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يَا رَبِّ! وَكَيْفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ، فَهُو ثَمَّ. فَانْطَلَقَ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، وَحَمَلاَ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ، فوَضَعَا رُءُوسَهُمَا فنَامَا، وَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا. فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا، فَلَمَّا أَصْبَحَا قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ۝٦٢ ﴾ [الكهف: ٦٢]، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَهُ اللهُ بِهِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: ﴿ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ ﴾ [الكهف: ٦٣] قَالَ مُوسَى: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ۝٦٤ ﴾ [الكهف: ٦٤] فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ مُوسَى. فَقَالَ الْخَضِرُ: أَنَّى بِأَرضِكَ السَّلاَمُ؟! قَالَ: أَنَا مُوسَى. قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾؟ [الكهف: ٦٦] قَالَ: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ۝٦٧ ﴾ [الكهف: ٦٧] يَا مُوسَى: إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ تَعَالَى عَلَّمَنِيهِ، لا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ تَعَالَى عَلَّمَكَهُ اللهُ لاَ أَعْلَمُهُ

قَالَ: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ۝٦٩ ﴾ [الكهف: ٦٦] فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ، فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، وَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ نَقْرَةً أَو نَقْرَتَيْنِ فِي البَحْرِ. فقالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى! مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمَكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إلاّ كَنَقْرةِ هَذَا العُصْفُورِ فِي هَذَا البَحْرِ! فَعَمَدَ الخَضِرُ إِلَى لوْحٍ منْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ. فقالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بغيْر نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سفينتهم فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَها؟ قالَ: ﴿ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ۝٧٢ ﴾؟ [الْكَهْف: ٧٢] قَالَ: ﴿ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ فَكانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانا، فانْطَلَقَا، فإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذ الخَضِرُ بِرَأْسه مِنْ أَعْلاَهُ، فاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بيدِهِ، فقالَ لَهُ مُوسَى: ﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾ [الْكَهْف: ٧٤] قَالَ: ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ۝٧٥ ﴾ [الْكَهْف: ٧٥]، ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ قَامَ الخَضِرُ بِيدِهِ ﴿ فَأَقَامَهُۥۖ ﴾، فقالَ موسَى: ﴿ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ۝٧٧ ﴾. قالَ: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ ﴾ [الْكَهْف: ٧٧، ٧٨]، يَرْحَمُ الله مُوسَى، لَودِدْنَا لَوْ صَبرَ حتَّى يُقَصَّ عَلَيْنا مِنْ أَمْرهِمَا".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَق عَلَيْهِ.

(قام موسى خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم ؟ فال: أنا)

❐ فائدة (١): الحكم بالظن:

وهذه إشكالية وقع فيها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي أنه حكم بالظن، والله تعالى يقول ﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ ﴾ [يونس: ٣٦]، وزكَّى نفسه بغير قصد - إذ

كان نبياً – والله تعالى يقول: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [النجم: ٣٢]

فمهما بلغ المرء من العلم، فينبغي ألا يدّعي أنه أعلمُ الناس، فقد يكون فيهم من هو أعلم منه، وهو لا يدري.

(فَعتَب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه)

فائدة (٢): "لا أدري" نصف العلم:

فالواجب على من سئل عما لا علم له به، أن يقول نافياً العلم عن نفسه: الله أعلم.

ومن مواعظ عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "من سُئل عمَّا لا يدري، فقال: لا أدري، فقد أحرز نصف العلم"(١)

وهذا المعنى الذي أشار إليه عبد الله متواترٌ عن السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهم الذين وعَوا عن الله ورسوله خطورة القول عليهما بغير علمٍ، فكان من تمام علمهم قول: لا أدري.

يقول أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من علم الرجل أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم؛ لأنَّ الله عز وجل قال لرسوله ﷺ: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦ ﴾ [ص: ٨٦] (٢)

وصحَّ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "العلم ثلاثةٌ: كتابٌ ناطقٌ، وسنَّةٌ ماضيةٌ، و "لا أدري".(٣)

---

(١) العقد الفريد.

(٢) الآداب الشرعية: ابن مفلح

(٣) الآداب الشرعية: ابن مفلح.

قال ابن عجلان رَحِمَهُ اللهُ: "إذا أغفل العالم "لا أدري"، أصيبت مقاتله" (١)

وكلام السلف في هذا الباب لا يحصى كثرةً، والموفَّق من سار على هذا الهدي السليم: يتكلَّم بعلمٍ، ويسكت بعلمٍ، ويفرح إذا كفاه غيره شأن الفُتيا.(٢)

جنة العالم (لا أدرى)، ويهتك حجابه الاستنكاف منها وقوله: يقال ....، وعليه، فإن نصف العلم (لا أدرى)، فنصف الجهل (يقال) و (أظن)(٣)

(وأوحى الله إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين (٤)، هو أعلم منك، قال: يارب وكيف لي به ؟)

❐ فائدة (٣): البحث عن العلم والسفر إليه:

فيه ضرورة السؤال عن أهل العلم، والبحث عنهم، والسفر إليهم، فهم النور الذي يضيء للناس، انظر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو النبي الموحى إليه، لم يمنعه ذلك أن يبحث عمن هو أعلم منه ليتعلم منه، فعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِنِّي

---

(١) الآداب الشرعية: ابن مفلح.

(٢) مواعظ الصحابة: د عمر المقبل.

(٣) التعالم: د بكر أبوزيد.

(٤) ومجمع البحرين: أي ملتقاهما، وهما بحر فارس والروم، فبحر فارس نحو المشرق، وبحر الروم نحو المغرب، وفي تسمية البلد الذي يجمعهما قولان: أحدهما أفريقية، قاله أبي بن كعب، والثاني طنجة، قاله محمد بن كعب [كشف المشكل من حديث الصحيحين].

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"(١)

(فقيل له: احمل حوتـًا(٢) في مكتل(٣) فإذا فقدته، فهو ثَمّ(٤) فانطلق وانطلق معه فتاه يوشع بنُ نون، وحملا حوتـًا في مكتل حتى كانا عند الصخرة(٥)، فوضعا رءوسهما فناما)

❐ فائدة (٤): إذا أراد الله شيئـًا هيأ أسبابه:

وتلك من الأسباب التي هيأها الله، والله جَلّت قدرته وتعالت عظمته إذ أراد شيئـًا أو قدّره، هيأ له الأسباب، فهو ربُّ الأرباب ومسبب الأسباب عز وجل.

(فانسلّ الحوت من المكتل فاتخذ سبيله في البحر سربـًا (٦)، وكان لموسى وفتاه عجبـًا (٧))

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه.

(٢) – الحوت: السمكة، وكانت مالحة كما في رواية أخرى.

(٣) – والمكتل: شيء يُحمل فيه الزاد.

(٤) – أي هناك.

(٥) – التي كان عندها الخِضر.

(٦) – أي مسلكـًا سلكه في البحر.

(٧) – أي شيئـًا عجيبـًا خارقـًا للعادة.

☐ فائدة (٥): عجائب الله وآياته لا تنقضي:

حركة الحوت وحياته بعد أن كان ميتـاً آيةٌ من آيات الله، وعلامةٌ على قدرته وحسن تدبيره.

(فانطلقا بقية يومهما وليلتهما فلما أصبحا قال موسى لفتاه: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴾ (١) ولم يجد موسى مسّا من النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به)

☐ فائدة (٦): لا يُنال العلم براحة الجسد:

وهذا أيضـاً من تهيئة الله للأسباب، ليحصل المراد، وفيه أيضـاً أن العلم لا يبلغه طالب حتى يتعب في سبيله.

☐ فائدة (٧): وفيه أن العبد لا يجد النصَب حتى يجاوز الحدود حسيـاً أو معنويـاً.

(فقال له فتاه: ﴿ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ ﴾ قال موسى: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴾ (٢) (٣) فلما انتهينا إلى الصخرة إذا رجلٌ مُسجًّى (٤)، فسلم موسى، فقال الخضر: أنَّى بأرضك سلام ؟)

☐ فائدة (٨): السلام شعار الإسلام:

استغرب الخضر السلام، لأنه لم يسمعه في أرضه، إذ كانوا كفاراً، وفيه

---

(١) – أي تعبـاً.

(٢) – ذلك هو المقصود، فقد الحوت، هناك الخضر.

(٣) – أي متتبعين لآثار أقدامهما.

(٤) – مُغطى

إشارة إلى أن السلام شعار للإسلام، ولا جرم فقد كان أولَ شيء أمر النبي ﷺ الناس به لما نزل المدينة: **" أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام "** (١).

(قال: أن موسى، قال: موسى بني إسرائيل (٢) **؟ قال: نعم، قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً)** أي من العلم الذي يُرشدك إلى الخير.

❐ فائدة (٩): العلم النافع:

فيه أن العلم النافع هو العلم المرشد إلى الخير الدال على البر، المقرِّب إلى الله، المبعد عن الشر، وما سوى ذلك فهو ضار، أو علم دنيوي ليس له ذلك الفضل (٣).

❐ فائدة (١٠): فضل العلم الشرعي:

وفيه فضل العلم الشرعي، ذاك هو الذي حمل موسى أن يرتحل هذه الرحلة، ويُسافر هذه السفرة إلى من هو أدنى منه منزلة، فموسى أفضل من الخضر قطعـًا، لأن الخضر إذا كان نبيـًا – وهذا بعيد – فموسى فُضِّل عليه بالنبوة والرسالة، ومع ذلك سافر إليه، يطلب العلم على يديه، وكما قيل: لو يعلم المرء قدر العلم لم يَنم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلم ميراث الأنبياء، والمال ميراث الملوك والأغنياء.

---

(١) – رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني..

(٢) – أي الذي أرسل في بني إسرائيل.

(٣)(٣) – تدبر سورة الكهف: المؤلف.

العلم يحرس صاحبه، وصاحب المال يحرس ماله.

المال تُذهبه النفقة، والعلم يزكو على النفقة.

صاحب المال إذا مات فارقه ماله، والعلم يدخل معه قبره.

العلم حاكم على المال، والمال لا يحكم على العلم.

المال يحصل للمؤمن والكافر، والبر والفاجر، والعلم النافع لا يحصل إلا للمؤمن.

العالم يحتاج إليه الملوك فمن دونهم، وصاحب المال إنما يحتاج إليه أهل العدم والفاقة " (١).

❐ فائدة (١١): العلم فضل الله:

وانظر قوله " مما عُلمت " أي علمك الله، فيه إشارة صريحة إلى أن العلم النافع المقَرِّبَ من الله إنما هو منةٌ من الله، يمن بها على عباده الصالحين.

❐ فائدة (١٢): العلم نوعان:

وعلم أن العلم نوعان: علم لدُني يخص الله به أنبياءه وأولياءه كذلك العلم الذي كان عند الخضِر، وعلم اكتسابي يكتسبه العبد بتحصيله وجِدِّه.

(قال إنك لن تستطيع معي صبراً)

❐ فائدة (١٣): فإن قيل: أليس ذلك من الغيب؟

الجواب: ليس ذلك رجماً بالغيب، وإنما حَكَمَ بغلبة العادة، لأنه سيرى

(١) – مفتاح دار السعادة.

بعض خوارق العادات التي لا يستوعبها، وتحتاج إلى خبرة شديدة في فهمها.

❐ فائدة (١٤): للعلم خبرة لا تَحصُل من الكُتب:

من أخطاء بعض الشباب – بل بعض طلاب العلم – اقتصارهم على ما في بطون الكتب، وإهمال خبرات من سبقهم علماً وتجربة، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩]

(يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه، لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله تعالى علمكه الله، لا أعلمه)

❐ فائدة (١٥): التخصص:

يُلفت الخضر نظر موسى – عليهما السلام – إلى مسألة التخصص، وأنه لا يحل لأحد أن يتكلم في غير تخصصه إلا سائلاً – فضلاً عن أن يعترض – وبذلك يدعو الخضر موسى إلى الصبر وعدم الاعتراض، وهذه حقيقة عاشها أصحاب النبي ﷺ، فكان منهم العالم بالقراءات كأُبَيّ، والعالم بالقضاء كعلي، والعالم بالسياسة كعمر، والعالم بالفرائض كزيد، والعالم بالحلال والحرام كمعاذ، وهكذا.

(قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً)

❐ فائدة (١٦): الصبر على طلب العلم:

وفيه أن طلب العلم من تحصيله وحضور مجالسه، وسؤال أهله، كل ذلك يحتاج إلى صبر ومصابرة.

لأنه لما كان العلم أشرف النعم، وأعلى المنازل والرتب، ولما كان كذلك

ميراث الأنبياء، وكان الطريق المؤهل إلى الجنة، فلابد أن يكون تحصيله بمجهودٍ عظيم، وتضحيةٍ ثمينة؛ وكيف لا والمكارم منوطة بالمكاره، والسعادة لا يعبر إليها إلا على جسرٍ من التعب؟!

وقد أرشد رسول الله ﷺ إلى أن سلوك طريق الآخرة بصفة عامة صعبٌ، وأن تحصيل الآخرة متعسرٌ لا يحصل إلا بسعي حثيث، فقال - كما روى أبو هريرة رضي الله عنه: **"أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ"** (١)

وعلى هذا السياق روى الإمام مسلم في صحيحه عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله أنه قال: "لاَ يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ"

ويقول الإمام النووي رحمه الله في وصفه لطالب العلم: "ينبغي أن يكون حريصًا على التعلم، مواظبًا عليه في جميع أوقاته، ليلاً ونهارًا، وسفرًا وحضرًا، ولا يُذهب من أوقاته شيئًا في غير العلم إلا بقدر الضرورة، لأكل ونوم قدرًا لابد له منه ونحوهما، كاستراحة يسيرة لإزالة الملل، وشبه ذلك من الضروريات، وليس بعاقل من أمكنه درجة ورثة الأنبياء ثمَّ فوتها!!" (٢)

ويقول ابن القيم رحمه الله: "وأما سعادة العلم فلا يورثك إياها إلا بذل الوسع، وصدق الطلب، وصحة النية" (٣)

ويؤكد على ذلك ابن الجوزي رحمه الله فيقول: "تأملت عجبًا، وهو أن كل شيءٍ نفيسٍ خطيرٍ يطول طريقه، ويكثر التعب في تحصيله، فإنَّ العلم لما كان

---

(١) صحيح سنن الترمذي.
(٢) التبيان في آداب حملة القرآن.
(٣) مفتاح دار السعادة.

أشرف الأشياء لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار، وهجر اللذات والراحة..".

وهو الذي قال أيضًا: "قال بعض الفقهاء: بقيت سنين أشتهي الهريسة ولا أقدر على شرائها؛ لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس!!" (١)

ورُوي عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: "حق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارضٍ دون طلبه، وإخلاص النية لله تعالى في إدراك علمه نصًا واستنباطًا، والرغبة إلى الله تعالى في العون عليه"(٢)

❐ فائدة (١٧): تقديم المشيئة:

وفيه أنه يستحب للعبد أن يُقدِّم المشيئة دائمـًا بين يدي ما يعزِم عليه في المستقبل.

(فانطلقا يمشيان على الساحل فمرت سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول) أي بغير أجر.

❐ فائدة (١٨): إكرام أهل العلم والصلاح:

فيه إكرام أهل العلم والصلاح وإجلالهم، وأن إجلالهم من إجلال الله سبحانه، كما قال ﷺ: **" إن من إجلال الله تعالى إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطان المقسط "** (٣).

---

(١) تلبيس إبليس.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم.

(٣) – صحيح أبي داود.

(وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسى: ما علمي وعلمُك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في هذا البحر)

❐ فائدة (١٩): سعة علم ربنا:

وفي ذلك إشارة إلى سعة علم الله سبحانه، كما قال عز من قائل: ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الأنعام: ٨٠]، وقال: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر: ٧]، وقال سبحانه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢]

فسبحانه! لا يعلم العباد علماً إلا بتعليمه، قالت الملائكة: ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ **[البقرة:٣٢]** وقال تعالى عن آدم عليه السلام: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ **[البقرة:٣١]** وقال عن محمد ﷺ: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ **[النساء:١١٣]** وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ **[يوسف:١٠١]** وقال عن داود: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ﴾ **[الأنبياء:٨٠]** وقال عن الخضر: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ **[الكهف:٦٥]**.

فما من علْمٍ ديني أو دنيوي عَلِمَه عبدٌ؛ إلا وقد علَّمه الله له ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ **[العلق:٥]** فسبحانه! عَلِمَ ما كان، وما هو كائن، وما سيكون إلى يوم القيامة.

وفي ذلك دعوة لأن يتواضع العالم بل سائر الناس لربهم سبحانه، وألا يغتر أحدٌ بعلمه، فقد قال سبحانه: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الاسراء:٨٥].

(فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه، فقال موسى: قومٌ حملونا بغير نُولٍ، عمدت إلى سفينتهم فخرقها لتغرق أهلها ؟ لقد جئت شيئًا إمراً) أي مستنكراً.

(قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً)

❐ **فائدة (٢٠): فإن قيل: كيف لم يصبر موسى، وقد اشترط ذلك على نفسه؟**

الجواب: وإنما لم يستطع موسى أن يصبر على ما فعل الخضر، لأنه مأمور بإنكار المنكر وما فعل الخضر منكرٌ في الظاهر، ولا علم لموسى بالغيب الذي أطلع الله الخضر عليه.

❐ **فائدة (٢١): حرص الأنبياء والمصلحين على الناس:**

وتأمل قوله تعالى ﴿ لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ " ولم يقل: لتغرقنا، فنسي نفسه واشتغل بغيره، في الحالة التي كل أحد فيها يقول:نفسي نفسي، لا يلوي على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق، فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم [١].

(قال لا تؤاخذني بما نسيت، فكانت الأولى من موسى نسيانًا)

❐ **فائدة (٢٢): هل يؤاخذ الناسي؟**

وفيه أن الناسي غيرُ مآخذ بنسيانه لا في حق الله، ولا في حقوق العباد [٢]،

---

(١) – تفسير القاسمي.

(٢) – تفسير السعدي.

فقد قال النبي ﷺ: **"إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"**.(١)

لكن إذا ترتب على الخطأ أو النسيان إتلافُ حق العبد، فوجب التعويض، لأن العمد والخطأ في الإتلاف سواء.

❒ فائدة (٢٣): بشرية الرسل:

وفيه التأكيد على بشرية الأنبياء والرسل، وأنهم ينتابهم ما ينتاب البشر، فينسَون كما ينسى سائر البشر.

(فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده، فقال موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً)

❒ فائدة (٢٤): تسمية الأشياء بأسمائها:

جاء في كتاب الله قوله ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ أي منكراً واضحاً، ففيه تسمية الأشياء بأسمائها، وتنزيل الأحكام منازلها، فالأمر: الشيء المستنكر المستغرب، لكن النُّكر الشيء المنكر المستقبح، فالأولى ليست كالثانية.

❒ فائدة (٢٥): فأحسنوا القتلة:

وفيه أن من قتل أو ذبح فليُحسن ولا يُعذِّب إلا إذا كان مقتصاً، فقد قال ﷺ: **" إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ، فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ، فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ "**(٢)

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه.

(٢) رواه مسلم.

(قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً)

❐ **فائدة (٢٦): زيادة المبنى قد يدل على زيادة المعنى:**

زاد هنا لفظة ﴿ لَكَ ﴾ على سابقتها، ليؤكد له أنه لن يصبر على ما لم يُحط به.

❐ **فائدة (٢٧): واشترط موسى على نفسه!**

فقد جاء في كتاب الله: ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ [الكهف: ٧٦]، وجاء في صحيح البخاري: " كانت الأولى نسيانـًا، والوسطى شرطـًا، والثالثة عهداً "

(فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها) أي طلبا منهم طعامـًا.

(فأبوا أن يُضيفوهما) أي بخلوا أو امتنعوا.

❐ **فائدة (٢٨): حق الضيف:**

جاء في صحيح مسلم: " وكان أهل القرية لئامـًا بخلاء "، كيف لا؟ وقد قال ﷺ: **" مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَضِيَافَتُهُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ "**(١)، وفي رواية مسلم: **" مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ "**، قَالُوا وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **"يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ**

(١) رواه البخاري،

وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ "، ذلك لأن الضيف له حق – خصوصاً إذا كان غريباً – وإكرام الضيف زائد على هذا الحق، كما جاء في الصحيحين قال ﷺ: " إن نزلتم بقومٍ فأَمَروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإلم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم "

(فوجدوا فيها) أي في القرية.

(جداراً يريد أن ينقض) أي يكاد أن يسقط.

(قال الخضر بيده) أي أشار أو فعل.

(فأقامه، فقال موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجراً)

❒ فائدة (٢٩): اعتراض موسى:

وكان هذا اعتراضاً في غير محله من نبي الله موسى، إذا عَتَب على العبد الصالح فعله للخير مجاناً للقوم اللئام، وطلب الأجرة على عمل لم يُتَّفَقْ عليه.

وفيه أن شعار المؤمن: ما عاقبتُ أحداً لم يتق الله فيك، بأعظم من أن تتقي الله فيه.

(قال هذا فراق بيني وبينك)

❒ فائدة (٣٠): المؤمنون عند شروطهم:

بحسب ما اشترط عليه، واتفقا على ذلك، " وفيه أن للثلاث اعتباراً في التكرار ونحوه "(١).

---

(١) – تفسير القاسمي.

(يرحم الله موسى، لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما)

❐ فائدة (٣١): الحرص على العلم:

فيه بيان حرص النبي ﷺ على مزيد من العلوم والمعارف والأخبار النافعة.

وقد جاء في القرآن والسنن تفسير الخضر للوقائع الثلاث:

قال: (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا (٧٨) أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر)

❐ فائدة (٣٢): من وظائف أهل العلم:

وفيه أن على أهل العلم ألا يكتموا العلم، بل يجب عليهم أن يزيلوا الشُّبه، ويرفعوا الإشكالات، والغموض.

❐ فائدة (٣٣): المساكين يملكون سفينة:

وكون هؤلاء يملكون سفينة أو آلة يكتسبون بها حتى لو كانت نفيسة لا يخرجهم ذلك عن كونهم مساكين، فليست العبرة بما تملك، ولكن العبرة بما يدخل لك، وذلك للتمييز بين المساكين وغيرهم فيزول الخلط.

(فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا) (٧٩)

❐ فائدة (٣٤): ارتكاب أخف الضررين:

فيه جواز ارتكاب أخف الضررين لتفويت أشدِّهما، فقد عاب العبد الصالح السفينة، ليسلم أصلها لأصحابها، ولو أبقاها من غير عيب لاستولى عليها الملك الغشوم.

(وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفراً (٨٠)

فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا) (٨١)

❐ فائدة (٣٥): تسلية للمصاب بالفقد:

وفي هذا تسلية للمصابين عامة بفقد الولد خاصة، فليُصبِّروا أنفسهم قائلين: الحمد لله، قضاء الله لنا خير من قضائنا لأنفسنا، فلعل في حياة الولد شراً لنا ولعله كان يرهقنا طغيانا وكفراً.

وفيه أنه قد يكون الأبوان صالحين والولد فاسداً، وقد يحصل العكس، وهذا العارض لا يتعارض مع الأصل: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾.

(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا)

❐ فائدة (٣٦): صلاح الآباء:

فانظر كيف أن صلاح الآباء يعود على الأبناء، إِنَّ إِقْبَالَكَ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَتَزَوُّدَكَ مِنَ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، واجْتِنَابَكَ المُحَرَّمَاتِ، لَمِنْ خَيرِ العَطَايَا التِي تُهْدِيهَا إِلَى أَبْنَائِكَ وَذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ، لِمَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنْ عِنَايَةِ اللهَ وَحِفْظِهِ بِسَبَبِ ذَلِك، كما قال سبحانه: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩]، فإِذَا حَفِظْتَ اللهَ فِي نَفْسِكَ، وَأَقَمْتَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَعَمِلْتَ صَالِحًا، حَفِظَكَ اللهُ فِي نَفْسِكَ وَأَهْلِكَ وَأَوْلَادِكَ، وَأَصْلَحَ شَأْنَهُم، فِي حَيَاتِكَ وَبَعدَ مَمَاتِكَ، جَزَاءً وِفَاقًا، وَمِصْدَاقًا لِكَلِمَاتِ النَّبِي ﷺ التِي كَانَ يُعَلِّمُهَا ابنَ عَبَاسٍ رضي الله عنهما: **"احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ"**.[١]

---

(١) صحيح سنن الترمذي.

(فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك }

❐ فائدة (٣٧): الخير منسوبٌ إلى الله:

تأمل: هنا قال: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾ وفي خرق السفينة قال: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ وفي بناء الجدار قال: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ ﴾ وفي قتل الغلام قال:﴿ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ فانظر كيف أضاف العيب إلى نفسه تأدبـًا مع الله، وأضاف الخير إلى الله لأنه منه وإليه.

وكان ﷺ يثني على ربه قائلاً: **" الخير كله في يديك والشر ليس إليك "** (١).

(وما فعلته عن أمري)

❐ فائدة (٣٨): حقيقة العلم:

فالعالم ينبغي عليه أن يذكر الدليل لمن يتعلم منه، وأن يبين له أن ما يقوله أو يفعله ليس من رأيه وإنما هو علمٌ علّمه الله له وأمرٌ أمره الله به، فعندئذ تُسَلِّم العقول، والقلوب لعلام الغيوب جل جلاله.

❐ فائدة (٣٩): معرفة الحِكَمِ زيادة علم، ومُلَحٌ، لا يتوقف عليها العمل:

ونستفيد من ذلك أنه ليس من الضروري أن نكون على علم بالحِكم حِكم التكاليف الشرعية، بل الضروري أن نُذعن لأوامر الله ونقوم بتلك التكاليف مطمئنين أن الله لا يشرع شرعـًا إلا كان خيراً لنا.

(ذلك تأويل ما لم تستطع صبراً (٨٢)

---

(١) – صحيح أبي داود.

❐ فائدة (٤٠): الفرق بين " تستطع " و " تسطع " ؟

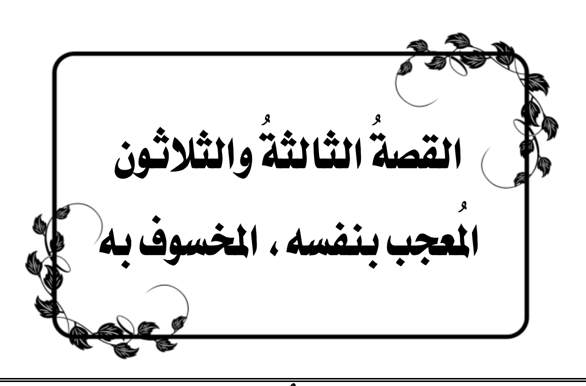
في المرة الأولى قال: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع ﴾ وفي هذه قال: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع ﴾ بحذف التاء، لأن في الأولى كان الإشكال قويـًا، وفي الثانية خفّ الإشكال أو كاد أن يزول.

❐ فائدة (٤١): في قصصهم عبرة:

وفيه أن قصص الأولين عبرةٌ وعظة، والسعيد من وُعظ بغيره.

فاللهم علِّمنا ما ينفعنا وزدنا علمـًا





القصةُ الثالثةُ والثلاثون

المُعجب بنفسه، المخسوف به

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَال رَسُوْلُ اللهِ ﷺ:

"بَيْنَمَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشِي، قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ، وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَقُوْمَ السَّاعَةُ".

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(**بَيْنَمَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشِي، قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ**) الجمّة:هي الشعر المتدلّي من الرأس إلى المنكبين

(**وَبُرْدَاهُ**) أي ثوباه، وقيل: البردان الرداء والإزار وهذا على طريقة تثنية العمرين والقمرين، والأول أحسن.

ومعنى "قد أعجبته جمته وبرداه" أي لاحَظَ نفسه بعين الكمال واستحسنها، مع نسيان منة الله تعالى عليه، فإن رفعها على الغير واحتقره فهو الكبر المذموم، وبهذا يكون قد فُرِّق بين العجب، والكبر.

(**إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ**) أي غار فِي الأرض.

(**فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ**) التجلجل - بجيمين-: التحرك، وقيل: الجلجلة الحركة مع صوت، واضطراب شديد، واندفاعٍ منْ شق إلى شق.

(**حَتَّى تَقُوْمَ السَّاعَةُ**) ومقتضى هَذَا الْحَدِيث أن الأرض لا تأكل جسد هَذَا

الرجل، فيمكن أن يُلغَز به، فيقال: كافر لا يبلى جسده بعد الموت.(١)

فائدة (١): أحاديث شبيهة بهذا الحديث:

ـ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ، يَمْشِى فِى بُرْدَيْهِ، قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْم القِيَامَةِ** " رواه مسلم.

ـ وَعَنْ ابن عمر قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْخُيَلَاءِ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلى يومِ الْقِيَامَة**" رَوَاهُ البُخَارِيّ.

ـ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: "**بينما رجلٌ يمشي في حلة تعجبه نفسُه، مُرجلٌ رأسه، يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**" متفق عليه.

فائدة (٢): خطر العجب:

دل هذا الحديث على ذم العجب، وأنه كبيرة من الكبائر، استحق صاحبها العذاب الأكيد والوعيد الشديد، فقد قال ﷺ: "**ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه** "(٢)

قال مُطرِّف بنُ عبد الله بنِ الشخير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "لأن أبيت نائمـًا وأصبح نادمـًا أحب إلي من أن أبيت قائمـًا وأصبح معجبا".(٣)

(١) فتح الباري: ابن حجر.
(٢) - رواه الطبرانى فى الأوسط وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع.
(٣) إحياء علوم الدين.

فائدة (٣): حقيقة العُجب:

ترى بعض الناس لا يرى فى الدنيا إلا نفسه، فهو الصالح لكل المهام العارف بكل الأمور، كثيراً ما يتحدث عن نفسه وعن إنجازته، وإذا سأله أحد عن أى أمر من الأمور الدينية أو الدنيوية أجاب، فعنده إجابة عن كل شئ !!

يرى أن رأيه صواب لا يحتمل الخطأ، وإذا وقع فى خطأ واضح يتلكأ فى الاعتذار، بل تراه يسوق المبررات والأعذار الواهية للهروب، فكل الناس غيره مقصرون نوّم !! هذا هو العجب.

العجب: "الفرح بالنفس وبما يصدر عنها من أقوال وأفعال وتصرفات "

وهناك علاقة بين العُجب والرياء: قال ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَكَثِيرًا مَا يَقْرِنُ النَّاسُ بَيْنَ الرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ، فَالرِّيَاءُ: مِنْ بَابِ الإِشْرَاكِ بِالْخَلْقِ، وَالْعُجْبُ: مِنْ بَابِ الإِشْرَاكِ بِالنَّفْسِ، وَهَذَا حَالُ الْمُسْتَكْبِرِ، فَالْمُرَائِي: لاَ يُحَقِّقُ قَوْلَهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ وَالْمُعْجَبُ: لاَ يُحَقِّقُ قَوْلَهُ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾. فَمَنْ حَقَّقَ قَوْلَهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ خَرَجَ عَنْ الرِّيَاءِ، وَمَنْ حَقَّقَ قَوْلَهُ ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ خَرَجَ عَنْ الإِعْجَابِ".(١)

ويُعرَف العُجب: بالإكثار من تزكية النفس، والثناء عليها والرفع من قيمتها مع تناسى قول الله تعالى:﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢ ﴾ [النجم:٣٢]، ويُعرف كذلك بالاستعصاء على النصيحة، بل والنفور منها، مع أنه لا خير فى القوم لا يتناصحون ولا يقبلون النصيحة، ويُعرف كذلك بالفرح بسماع عيوب

---

(١) مجموع الفتاوى.

الآخرين لا سيما أقرانه، كما يُعرف العجب بالرضا عن النفس وحسن الظن بها وعدم اتهامها.

❐ فائدة (٤): ما الذى جعل الإنسان يقع فى هذا الداء، العجب ؟

١ـ النشأة الأولى:

قد ينشأ الإنسان بين أبوين يلمس منهما أو من أحدهما: حب المحمدة ودوام تزكية النفس، فيحاكيهما، وبمرور الزمن يصبح الإعجاب بالنفس جزءاً من شخصيته ـ إلا من رحم الله ـ وهنا يتأكد ضرورة القدوة الحسنة فى التربية.

٢ـ المدح فى الوجه دون مراعاة الآداب الشرعية المتعلقة بذلك:

قام رجل يُثنى على أمير من الأمراء فجعل المقداد بن الأسود يَحثى فى وجهه التراب ويقول: "أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثى في وجوه المداحين التراب" (١)

وعن عبد الرحمن بن أبى بكرة قال: مدح رجل رجلاً عند النبى ﷺ فقال: "ويحك قطعت عنق صاحبك – مراراً – إذا كان أحدكم مادحًا صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلانًا والله حسيبه ولا أزكى على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا "(٢)

الآداب الشرعية المتعلقة بالمدح كما استقرأها العلماء من الكتاب والسنة:

ـ ألا يكون فيه إفراط ومجاوزة للحد.

---

(١) – رواه مسلم.

(٢) – رواه البخارى.

ـ أن يكون بالحق لا بالباطل.

ـ ألا يكون مع من يُخشى عليه الفتنة من إعجاب وغيره، فإذا توافرت هذه الآداب جاز المدح بل قد يصير مستحباً إن كانت من ورائه مصلحة كالتنشيط لفعل الخير والاستمرار عليه ونحو ذلك.

٣ـ صحبة ذوى الإعجاب بأنفسهم، فالصاحب ساحب كما هو معلوم.

٤ـ الوقوف عند النعمة ونسيان المنعم:

بعض الناس إذا حباه الله نعمة من مال أو علم أو قوة أو جاه..، وقَفَ عند النعمة ونسى المنعم، ويظن أنه إنما أصابته هذه النعمة بما لديه من مواهب وإمكانات على حد قول قارون: ﴿ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ [القصص:٧٨]، ومن هنا أكد الإسلام تأكيداً شديداً على ضرورة شكر النعمة مع الاعتقاد والاستشعار والنطق بأنها من الله، كما قال الله:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ [النحل ـ٥٣] وقال: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ [النحل ـ ٧٨]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم﴾ [فاطر: ٣]

٥ـ الصدارة للعمل والعطاء قبل النضج وكمال التربية:

بعض الناس إذا تصدر للإرشاد مثلاً أو التعليم أو العطاء قبل أن يستوى عودهم وتكتمل شخصيتهم، فيأتى الشيطان فيلقى فى رُوعهم أنهم ما تصدروا للعمل إلا لما يحملونه من مواهب ومؤهلات وإمكانات، وينطلى هذا عليهم لجهلهم بمكائد الشيطان، ومن هنا قال عمر بن الخطاب: " تفقهوا قبل أن

تسودوا " (١)، أى تعلموا العلم قبل أن تصيروا سادة أو أصحاب مسئولية، لتدركوا ما فى السيادة أو المسئولية من آفات فتتقوها.

٦ـ عراقة النسب:

فربما يحمل ذلك على الفرح بالنفس والعجب ! مع أن ذلك لا يقدم ولا يؤخر بل المعوّل عليه إنما هو العمل الصالح والأخلاق الفاضلة.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ ﴾ [المؤمنون: ١٠١] وقال تعالى ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [الحجرات: ١٣]

وفي الصحيحين قال عليه الصلاة والسلام: " **يا صفية عمة رسول الله ﷺ: لا أغنى عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت رسول الله، سلينى ما شئت، لا أغنى عنك من الله شيئًا** "

❐ فائدة (٥): علاج العجب:

ذكر أبو حامد الغزالي أن علاج العجب يكون بسبعة أمور:

• **الأول**: أن يُعجب ببدنه: في جماله وهيئته وصحته وقوته، وتناسب شكله وحسن صورته وحسن صوته، فيلتفت إلى جمال نفسه، وينسى أنه نعمة من الله تعالى وهو مُعرَّضٌ للزوال في كل حال...

وعلاجه: هو التفكر في أقذار بطنه في أول أمره، وفي آخره، وفي الوجوه الجميلة والأجسام الناعمة كيف أنها تمزقت في التراب وأنتنت القبور، حتى

---

(١) – رواه البخارى.

استقذرتها الطباع.

• **الثاني**: العجب بالبطش والقوة: كما حُكي عن قوم عادٍ أنهم قالوا ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥]

وعلاجه: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ حُمَّى يَوْمٍ تُضْعِفُ قُوَّتَهُ وَأَنَّهُ إِذَا أُعْجِبَ بِهَا رُبَّمَا سَلَبَهَا اللهُ تعالى بأدنى آفة يسلطها عليه.

• **الثالث**: العجب بالنسب الشريف: حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه ونجابة آبائه وأنه مغفور له ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موالٍ وعبيد!!

وعلاجه: أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظنّ أنه ملحق بهم فقد جهل، وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب، بل الخوف والازدراء على النفس ومذمتها، ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب، فليتشرف بما شرفوا به ولقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر، وكانوا عند الله شرًّا من الكلاب وأخسَّ من الخنازير، ولذلك يبين الله تعالى أن الشرف بالتقوى لا بالنسب، فقال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

• **الرابع**: العجب بكثرة العدد: من الأولاد والخدم والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع، كما قال الكفار: ﴿ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا ﴾ [سبأ: ٣٥].

وعلاجه: أن يتفكر في ضعفه وضعفهم، وأن كلهم عبيد عجزة، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعـًا، ثم كيف يعجب بهم وأنهم سيتفرقون عنه إذا مات،

فيدفن في قبره ذليلاً مهيناً وحده لا يرافقه أهلٌ ولا ولد ولا قريبٌ ولا حميمٌ ولا عشيرٌ.

• **الخامس**: العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم، وهذا غاية الجهل.

وعلاجه: أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله، وأنهم الممقوتون عند الله تعالى، ولو نظر إلى صورهم في النار وأنتانهم وأقذارهم لاستنكف منهم، ولتبرأ من الانتساب إليهم.

• **السادس**: العجب بالمال: كما قال تعالى إخباراً عن صاحب الجنتين ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ [الكهف: ٣٤].

وعلاجه: أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله، وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة يوم القيامة، وإلى أن المال غادٍ ورائح ولا أصل له، وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال، وإلى قوله ﷺ: "بينما رجل يتبختر في حلةٍ له، قد أعجبته نفسه إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة" وأشار به إلى عقوبة إعجابه بماله ونفسه.

• **السابع**: العجب بالرأي الخطأ: قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ ﴾ [فاطر: ٨]، وقال تعالى: ﴿ وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ ﴾ [الكهف: ١٠٤]، وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم.

وعلاجه: أن يكون متَّهماً لرأيه أبداً لا يغترُّ به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقلي صحيح جامع لشروط الأدلة، فإن خاض في الأهواء

والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر.(١)

وقال: "أحذرك ثلاثـًا من خبائث القلب هى الغالبة على متفقه العصر وهى مهلكات وأمهات لجملة من الخبائث سواها: الحسد والرياء والعجب فاجتهد فى تطهير قلبك منها فإن عجزت فأنت عن غيره أعجز ولا تظن أنه يسلم لك نية صالحة فى تعلم العلم وفى قلبك شئ من العجب والرياء والحسد "(٢)

❐ فائدة (٦): آفات العُجب:

واعلم ـ وفقني الله وإياك إلى كل خير، وجنَّبنا كل شرٍ وضُر ـ أن للعجب آفات كثيرة، فإنه:

١ـ يدعو إلى الكبر؛ لأنه أحد أسبابه فيتولد من العجب والكبر، كما قال الإمام القرطبي: " الْعُجْبَ كَبِيرَةٌ، وَالْكِبْرُ عُجْبٌ وَزِيَادَةٌ " ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى، وحسبك ما رواه الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قَالَ: **" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة مِن كِبْر"** قال رجل: إن الرجل يحبّ أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة؟ قال: **"إن الله جميل يحب الجمال، الكبرُ بطَرُ الحق وغمْط الناس"**

٢ـ كذلك يدعو العجب إلى نسيان الذنوب وإهمالها، فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه أنه مستغنٍ عن تفقدها، فينساها، وما يتذكره منها فيستصغره، ولا يستعظمه، فلا يجتهد في تداركه وتلافيه، بل يظن أنه يغفر له، وأما العبادات والأعمال فإنه يستعظمها، ويتبجح بها، ويمن على الله بفعلها،

---

(١) بتصرف من إحياء علوم الدين.

(٢) الإحياء.

وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين فيها، ثم إذا عجب بها عمى عن آفاتها.

٣ـ كذلك يدعوه العجب إلى الأمن من مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان، فإن له عند الله منة وحقاً بأعماله ! ونسي قوله سبحانه: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:٩٩].

٤ـ جاء في غذاء الألباب: "وربما منع المعجب عجبه من الازدياد في – الطاعات– ولهذا قيل: عجب المرء بنفسه أحد حسّاد عقله، وما أضر العجب بالمحاسن"(١)

❐ فائدة (٧): هل يقع الخسف في هذه الأمة؟

جواز الخسف فِي هذه الأمة؛ لأنه ﷺ ما ذَكر ذلك إلا لتحذير أمته أن يصيبها ما أصاب الأمم السابقة، وفي الحديث، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: "**سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَسْفٌ، وَمَسْخٌ، وَقَذْفٌ**"(٢)

❐ فائدة (٨): من أدلة عذاب القبر:

وفي هذا الحديث ما يُثبت عذابَ القبر، فهذا المخسوف به كما أخبر النبي ﷺ يضطرب في الأرض إلى يوم القيامة.

❐ فائدة (٩): عقوبات المعاصي منها ما هو عاجل، ومنها ما هو آجل:

ويُبين هذا الحديث أن بعض الذنوب يُعجِّل الله العقوبة لصاحبها في الدنيا قبل الآخرة، كما خسف الله بهذا المختال المتكبر.

---

(١) شرح منظومة الآداب للسفاريني.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه.

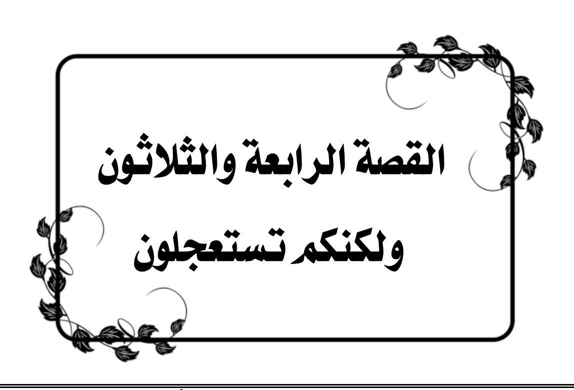
❐ فائدة (١٠): وضع المتكبر وازدراؤه، من سنن الله الكونية:

سنة الله جاريةٌ ألا يدع أحداً من المتكبّرين حتى يحطّم كبرياءه وغروره ويريه ضآلة نفسه، وهي سنة الجزاءِ من جنس العمل، فبينما يمشي هذا متبختراً كعادته إذا بالأرض تُخسف من تحت قدميه حتى تبتلعه، ثم تبدأ حياته البرزخيّة التي يَلقى فيها ألوانـاً من العذاب الأليم جزاء تطاوله وغطرسته، هذا في الدنيا، أما في الآخرة، فالخزي الأكبر، حين يحشره الله جلّ جلاله مع إخوانه من المتكبّرين كفرعون وهامان وأبي جهل، فيكونون صغاراً كأمثال الذرّ يطؤهم الناس بأقدامهم، كما قال ﷺ: "يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذَّر في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار، حتى يدخلوا سجنًا في جهنم، فتعلوهم النار، ويسقون من طينة الخبال – عصارة أهل النار –" (١)

نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله الهداية والإيمان.



(١) صحيح الترمذي.



القصة الرابعة والثلاثون
ولكنكم تستعجلون

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ:

"كَاْنَ الرَّجُلُ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيْهِ، فَيُجَاءُ بالمِنْشَار فَيُوْضَعُ عَلَى رَأسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثنَتَيْنِ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيْدِ مَا دُوْنَ لَحمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرمَوْت، لا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُوْنَ".

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ البُخارِيُّ، وأبو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

(عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كان الرجل قبلكم...)

❑ **فائدة (١): سبب ورود الحديث:**

سبب ورود هذا الحديث بيَّنهُ خبّاب رضي الله عنه، كما في رواية للبخاري، قال: **شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بردةً له في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شِدّة، فقلنا: ألا تستنصر لنا ؟**

ألا تدعو لنا ؟ فقال: قد كان الرجل قبلكم......."

❑ **فائدة (٢): معاناة الصحابة:**

إذا تأملنا قول الخباب رضي الله عنه: **" شكونا "** وقوله: **" وقد لقينا من المشركين**

شدة " أي أذىً شديداً، وعذابـًا عتيداً، علمت ما كان يعانيه أصحاب النبي ﷺ من الأذى والبلاء، حتى وصل إلينا هذا الدين.

عن الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سأل عمر خبابـًا عمَّا لقي من المشركين، فقال خباب: يا أمير المؤمنين، انظر إلى ظهري، فقال عمر: ما رأيت كاليوم، قال خباب: أوقدوا لي ناراً فما أطفأها إلا وَدَكُ ظهري..." (١).

- وكانت أم أنمار – مولاتُه – تَكويه في رأسه بالحديد المحميّ حتى يكفر بمحمد !!

- وكان بلال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُلقى على قفاه في حرِّ الظهيرة، ثم يؤمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ويُقال له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد !!

- وآل ياسر، أسرة الابتلاء، كان بنو مخزوم يَخرجون بهم إذا حَمِيت الظهيرة ويتفننون في تعذيبهم، حتى حملوا عماراً على النطق بكلمة الكفر بلسانه، فنزل فيه وفي أمثاله قول الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦]، حتى مر بهم الرسول ﷺ وهم يُعذَّبون في الله، فقال: **" أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة "** (٢).

وغيرهم كثير.

فالمسلمون الأوائل تعرّضوا لكل أنواع الإرهاب من الايذاء والتعذيب،

---

(١) – حلية الأولياء لأبي نُعيم.

(٢) – صحيح السيرة النبوية: الألباني.

والاضطهاد، والقتل، والحصار، والتهجير وغيرها.

❐ **فائدة (٣): جواز طلب الدعاء:**

وفي قول خباب للنبي صلى الله عيه وسلم: **" ألا تستنصر لنا ؟ " أي ألا تطلب لنا النصر من الله ؟ " ألا تدعو لنا " ليُفَرَّج عنا ما نحن فيه من الأذى والعذاب ؟**

دليلٌ على جواز طلب الدعاء ممن هم مجابوا الدعوة، أو من أهل الخير والصلاح، شريطة ألا يترك الدعاءَ اعتماداً على دعائهم.

وفيه الاستنصار بالقَوِي جل جلاله، فما النصر إلا من عنده، وما الفوز إلا برحمته وفضله.

❐ **فائدة (٤): على أي وجهٍ تُحمل شكوى خبابٍ رضي الله عنه؟**

وفيه أن شكوى خباب رضي الله عنه وأصحابه، لم تكن على سبيل التضجر مما هم فيه، فحاشاهم، وهم الذين تربوا في مدرسة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ولكن رأوا أن في الأمن والسلام التفرغ للعبادة والانشغال بالفضائل، ويؤيد هذا أنه جاء يطلب الدعاء من الرسول صلى الله عليه وسلم.

❐ **فائدة (٥): جواز ذكر البلاء:**

وفيه جواز ذكر ما يتعرض له المسلم من البلاء من باب الإخبار، لا من باب الشكوى.

❐ **فائدة (٦): المؤمن لا يعرف الإحباط:**

وجاء في رواية للبخاري: **" فقعد – أي النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كان متكئـًا واضعـًا**

تحت رأسه وسادة – وهو مُحْمرٌ وجهُه "

وهي علامة غضب، ولعل البعض يعجب !!

ما الذي دعاه ﷺ لأن يغضب، مع أن خباباً لم يطلب سوى الدعاء والنصرة؟

الجواب: أن النبي ﷺ شعُر من كلمات خباب بأنه يمر بحالةٍ من الإحباط، وليس ذلك من شيم المؤمن، فقد قال سبحانه: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر: ٥٦]

وهي رسالة إلى عموم المؤمنين: أن شعوركم باليأس في أي مرحلة من مراحل الدعوة، هو شعورٌ يُغضب اللهَ ورسوله.

(قد كان الرجل قبلكم يؤخذ، فيحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيُشق باثنتين – وفي رواية "فيُجعل نصفين " – **ما يصدُّه ذلك عن دينه، ويُمشط بأمشاط الحديد** – أي يُشَوَّك بما يشبه أسياخ الحديد – **ما دون لحمه من عظم أو عصب** – أي كانوا يبالغون من قبل في تعذيبهم حتى أن هذه الأسياخ كانت تنفذ من اللحم إلى العظم، كل ذلك ليتركوا دينهم ويعودوا إلى جاهليتهم – **ما يصدُّه ذلك عن دينه** – أي أن هذا العذاب الشديد ما كان يصرف أحداً منهم عن دينه الذي تدين لله به –).

❐ فائدة (٧): لا جديد غالباً، والتاريخ يعيد نفسه:

مع ما حكى خباب للنبي ﷺ ما يحدث معه ومع أصحابه من الشدائد والأذى إلا أن النبي ﷺ ذكر له أن من كان قبلهم من أهل الإيمان ابتُلي في دينه ابتلاءً أشدَّ من ذلك، ومع ذلك صبروا وثبتوا.

وفيه ضرورة معرفة التاريخ الصحيح وقراءته، فالمَشَاهد مُعادة، والتاريخ يتكرر.

❐ **فائدة (٨): العداء للإسلام وأهله، فلْيَعِ شبابُنا:**

العداء للإسلام وأهله قديم، فأهل الكفر والفسوق والعصيان قاعدون بالمرصاد لأهل الإيمان، لا يُفوِّتون فرصة إلا تعرضوا فيها للمسلمين بالأذى القولي والفعلي، والمعنوي، أو بها جميعـًا، سنةٌ كونية.

فأيما بلدٍ أو قوم استطاعوا إبادتها بالسلاح ونحوه فعلوا ولم يُقَصِّروا، وإذا وجدوا ذلك عنهم ببعيد، غزَوهم معنويـًا وفكريـًا، وما الغزو الأخلاقي والإباحي عنكم ببعيد !!

❐ **فائدة (٩): من لوازم الإيمان:**

وفيه أن الابتلاء من لوازم الإيمان في كل زمان ومكان، فحيثما وأينما وُجد الإيمان، كان معه الابتلاء ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت: ٣، ٢]

❐ **فائدة (١٠): دينك دينك لحمك ودمك:**

وفيه دلالة على أن حفظ الدين مقدَّم على حفظ النفس والبدن، ذلك أنه ﷺ امتدح أصحاب العزائم الصابرين على البلاء القابضين على الجمر الثابتين على الحق، وإن أدَّى ذلك إلى تلف نفوسهم.

❐ **فائدة (١١): ثبات المؤمن:**

وفيه أن المؤمن ثابت على عقيدته، متمسك بإيمانه واستقامته، ولو نُشر

بالمناشير.

ثم بَشر النبي ﷺ خباباً، ومن معه، ومن تبعهم من المؤمنين إلى يوم الدين، قائلاً:

(والله ليتمن الله هذا الأمر)

❐ فائدة (١٢): المستقبل للإسلام:

يقيناً لا شك فيه سيظهر هذا الدين على غيره، وسيظهر أهله على غيرهم، مهما أرجف المرجفون، وحقد الحاقدون، ومكر الماكرون، وأفسد المفسدون، كما قال تعالى:﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝٩ ﴾ [الصف: ٧، ٨]

وقال صلى الله عيه وسلم: **" ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بِعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يُعز به الإسلام وأهله، وذلاً يُذل به الكفر** (١).

❐ فائدة (١٣): هنيئًا لمن استعمله الله:

ولئن كان كما قال ﷺ: " ليتمن الله هذا الأمر " فهنيئًا لمن استعمله الله في خدمه دينه، فإنه قائمٌ بنا أو بغيرنا، ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ۝٣٨ ﴾ [محمد:٣٨]

---

(١) – رواه أحمد وابن حبان وغيرها وصححه الألباني.

(**حتى يصير الراكب من صنعاء إلى حضر موت**) صنعاء: أي اليمن، حضر موت: موضع بأقصى اليمن.

(**لا يخاف إلا الله والذئبَ على غنمه**)

❐ فائدة (١٤): مع الإسلام السلام:

سيشيع الإسلام وسيشيع معه الأمن والسلام، حتى أن الإنسان ساعتها لا يخاف إلا الله الذي لا يحصل نفع ولا يُدفع ضر إلا بقدره وقدرته ومشيئته، وكذلك لا يخاف هذا الإنسان على غنمه إلا من الذئب، وهو الخوف الطبيعي الذي يقع بقضاء الله وقدره.

❐ فائدة (١٥): الإسلام دين الأمن والسلام:

وفيه أن الإسلام دين الأمن والسلام، حقيقة لا خيالاً، فإذا ما أسلم الناس لله، وطبقوا أحكامه، وأقاموا حدوده، إلا قد وجدوا هذا الأمان، وتنعموا بهذا السلام.

❐ فائدة (١٦): للحق قوة:

وفيه أن المستقبل للإسلام وأن العاقبة للمتقين، فالإسلام أضخم حقيقة، وأصلب عوداً، وأعمق جذوراً من أن يجتثه أعداء الحياة من الأرض.

(**ولكنكم تستعجلون**) وتظنون أن النصر يتم، وأن الفتح يحصل، قبل أن يُغرْبَلَ الصف، ويُمَحَصَّ المؤمن، ويتميز الصادقون، ويسقط أهل الخبث، ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران:١٧٩].

(**ولكنكم تستعجلون**) وتطمعون في نصر قريب سهل، فيسهلُ عليكم

تضييعه.

(ولكنكم تستعجلون) وتنسَون سنن الله الكونية التي لا يمكن تغيرها، وتنسون أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً، وتنسون أنما جيء بكم إلى هذه الأرض لا للتمكين وإنما لعبادة رب العالمين.

❐ فائدة (١٧): التحذير من العجلة:

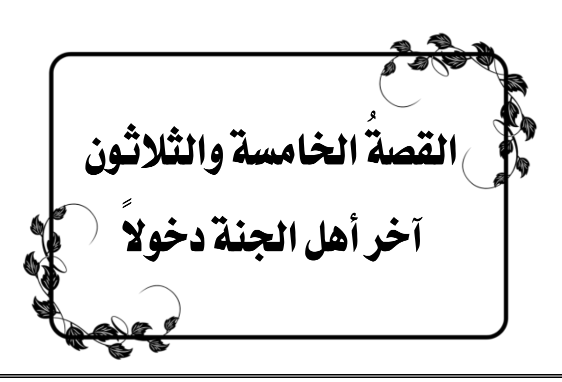
ونستفيد من ذلك: أن العجلة في طبع الإنسان، كما قال تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

وقد عُلم بالتجربة أن في العجلة الندامة، ولهذا أُمر الإنسان أن يتخلص منها، وأن يركن إلى التأني، في كل شيء، في نقل الأخبار، في إطلاق الكلمة، في الحكم على الناس، في الحكم بين الناس، فالتأني من الله، والعجلة من الشيطان، ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ولئن كان الصبر ممدوحاً على العموم، فإن الصبر على الدين والدعوة والبلاء أعظم وأعظم.

فاصبروا، ولا تتعجلوا، وانتظروا الفرج من الله.

فاللهم ألهمنا الرشد في الأمور كلها، وأجِرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة





عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ:

"آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنَ الأَوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُوْلُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فيقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ! لعلي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غيرِهَا، فَيَقُوْلُ: لا يَا رَبِّ! وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لا يَسْأَلُهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذُرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْر لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرفعُ له شَجَرَةً هِيَ أَحْسنُ من الأولى، فيقول: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِلَ بِظِلِّهَا، لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا! فَيَقُوْلُ: يَا ابْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لا تَسْأَلنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُوْلُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنيتُك مِنْهَا تَسْأَلنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غيرهَا، وَرَبُّهُ يَعْذُرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيْهِ مِنهَا، فَيَسْتَظِلُّ بظلها ويشربُ من مائها، ثُمَّ ترفع له شجرةٌ عند باب الجنة هي أحسنُ من الأوليين، فيقولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِّل بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لا أَسْأَلُكَ غيْرَهَا! فيَقوْل: يَا ابْنَ آدَمَ! أَلمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لا تَسْأَلْنِي غيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ! هَذِهِ لا أَسْأَلُكَ غيْرَهَا، وَرَبّهُ يَعْذُرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيْهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا، فَيَسْمعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُوْلُ: أَيْ رَبِّ!

أَدْخِلْنِيهَا!. فَيَقُوْلُ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَا يَصْرِيْنِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيْكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنيا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟! قَالَ: يَا رَبِّ! أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي، وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِيْنَ؟! " فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ، فَقَالَ: أَلاَ تَسْأَلُوْنِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟، قَالَ:

"مِنْ ضَحِكِ رَبِّ العَالَمِيْنَ حِيْنَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ منِّى وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِيْنَ؟ فَيَقُوْلُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ.

(آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ)

❐ فائدة (١): تفاصل أهل الجنة:

فيه أن الناس يتفاضلون في دخول الجنة بحسب أعمالهم، فلا يدخلون مرة واحدة؛ وإنَّما هناك أولٌ وآخِرٌ، فأولُ مَن يدخل الجنة محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام، وآخر من يدخل الجنة: هذا الرجل، وبين الأول والآخر أعمار لا يعلمها إلا الله، ففي حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ " **إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّىَّ الْغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ** "، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ. قَالَ "**بَلَى وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ** "[1]

(فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً) يكبو: أي يسقط على وجهه، وذلك أثناء

(١) متفق عليه.

خروجه من النار، وفي روايةٍ في الصحيح: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **"إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجـًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ. رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً...."**

(**وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً**) تلفح وجهه حتى يسودّ ويؤثر ذلك فيه، قال في "الصحاح": وسفعتْه النارُ والسمومُ: إذا لفحتْه لفحًا يسيرًا، فغيَّرت لونَ البشرة.

(**فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا**) أي النار، والمعنى: تباعد عنها.

(**الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ**) أي كثُر خير الله الذي سلَّمَني منكِ، فالحمد، موصولٌ له على هذه النعمة.

(**لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدَاً مِنَ الأَوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ**) قصد بذلك النجاة من النار.

❐ فائدة (٢): الفوز الحقيقي:

وفيه أن النجاة من النار هي الفوز الحقيقي والسعادة التي لا شقاء بعدها، لأنه ما بعدها إلا الجنة، كما قال سبحانه: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٥]

(**فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ**) أي تظهر له، وهي شجرة ظليلة، لما سيُذكر قريبـًا.

(**فَيَقُوْلُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**) أي قربني منها.

(**فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فيقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ! لعلي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيرِهَا، فَيَقُوْلُ: لَا يَا رَبِّ! وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلُهُ غَيْرَهَا**) أي يُعطي الرجل لله سبحانه العهد على أن لا يسأله غير هذه المسألة.

(وَرَبُّهُ يَعْذُرُهُ) في نقضه للعهد، وسؤاله بعد ذلك، ولا يعاتبه عليه.

(لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ) أي من النعيم واللذائذ.

❏ فائدة (٣): خُلق التماس الأعذار:

وحين يُخبرنا النبي ﷺ بأن الله سبحانه يعذر عبده حين رأى له مسوِّغـًا، فإن هذا خُلقـًا عظيمـًا ينبغي أن يشيع بيننا.

لما افتقد النبي ﷺ كعب بن مالك، يوم تبوك، ولمْ يرَه، قال: ما فعلَ كعبٌ؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله! حبسه بُرداه، ونظرُه في عِطْفه، [يعني: منعَه من الخروجِ إعجابُه بنفسِه ولباسِه] فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: "بئس ما قلتَ، والله يا رسول الله ما علِمنا عليه إلا خيرًا" (١)

وعن أبي قلابة الجرمي رحمه الله قال: "إذا بلغكَ عن أخيك شيءٌ تكرهُه فالتمسْ له العذرَ جهدَك، فإنْ لم تجدْ له عذرًا فقلْ في نفسِك: لعلَّ لأخي عذرٌ لا أعلمُه" (٢)

قال محمد بن عبد الله الخُزاعيّ: سمعتُ عُثمان بن زائدة يقول: العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في التغافل، قال: فحدثت به أحمد بن حنبل فقال: العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل.(٣)

(فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فيَسْتَّظِلُ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرفعُ له شَجَرَةً هِيَ أَحْسَنُ

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء.

(٣) رواه البيهقي في الشعب، وانظر: تهذيب الكمال، والآداب الشرعية،وغذاء الألباب.

من الأولى، فيقول: أيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا! فَيَقُوْلُ: يَا ابْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُوْلُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنيتُك مِنْهَا تَسْأَلنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيرهَا، وَرَبُّهُ يَعْذُرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيْهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بظلها ويشربُ من مائها، ثُمَّ ترفع له شجرةٌ عند باب الجنة هي أحسنُ من الأوليين، فيقولُ: أيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِّل بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لا أَسْأَلُكَ غيْرَهَا! فيَقوْل: يَا ابْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لا تَسْأَلْنِي غيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ! هَذِهِ لا أَسْأَلُكَ غيْرَهَا، وَرَبّهُ يَعْذُرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيْهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا، فَيَسْمعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُوْلُ: أيْ رَبِّ! أَدْخِلْنِيهَا!. فَيَقُوْلُ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَا يَصْرِيْني مِنْكَ؟) أيُّ شيءٍ يرضيك، ويقطع مسألتك؟

❑ فائدة (٤): من طبائع ابن آدم: الطمع، ولكن !

وهنا إشارة إلى ما طُبع عليه ابن آدم من الطمع، كما قال ﷺ: **" لَوْ كَانَ لاِبْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ "**(١) فلا نجاة إلا في القناعة والرضا، كما قال ﷺ: **" قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ "** (٢) والطمع في هذا الحديث طمعٌ محمود، لأنه طمعٌ في رحمة الله وكرمه، والله يحب من سأله، وطمع فيما عنده.

❑ فائدة (٥): من صور إكرام الله لعبده:

وفي الحديث صورة مختلفة من صور كرم الله تعالى لعبده، وهو الكرم

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

المعنوي، المتمثل في مباسطة الله لعبده، ومحاورته له، مع علمه تعالى بمآل عطائه له.

(**أَيُرْضِيْكَ أنْ أُعْطِيَكَ الدُّنيا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟!**) وفي رواية لمسلم: "**فَيُقَالُ لَهُ أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِى الْخَامِسَةِ رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ**" ولا تعارض بين الروايتين، فالأولى ذكرت العطاء الأول قبل التفضل والزيادة، والثانية ذكرت ما انتهى إليه الأمر.

❐ فائدة (٦): فيض عطاء الكريم سبحانه:

وفيه بيان فضل الله تعالى وسعة جوده، وفيض عطائه، فهذا آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة ومع ذا أعطاه الله تعالى عشرة أضعاف الدنيا بما فيها حتى استخفه الفرح وأدهشه سعة العطاء فقال: "أتستهزئ مني وأنت رب العالمين".

فماذا أعطى الكريم سبحانه لأولئك الذين دخلوا جنة رب العالمين مع أول الداخلين؟ وماذا أعطى لمن دخل الجنة بغير حساب؟ وماذا أعطى للسابقين المقربين؟

❐ فائدة (٧): عِظَم الجنة:

وفيه بيان عِظَم الجنة، وعِظم ما يناله أهلها فيها، فإذا كان ما يناله آخر من يدخلها بهذه الكثرة والسعة، فكيف بمن تقدم عليه؟ فكيف بأصحاب الدرجات العلا؟ فكيف بمن غرس الرحمن كرامتهم بيده، وختم عليها !! فلم تر عينٌ، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ

أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة:١٧]

(قَالَ: يَا رَبِّ! أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي، وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِيْنَ؟!) وحمله على هذه المقالة، استبعاده أن يُعطى ما ذَكَره له ربه، لما رأى أنه ليس أهلًا لذلك، فقد كانت أكثر طموحاته أن ينجو من النار.

❐ فائدة (٨): فإن قيل: كيف يقال ذلك لرب العالمين ؟

الجواب: سبق لسانه به دون وعيٍ له من شدة الفرح، كما أخطأ في القول مَن ضلَّت راحلتُه بأرضٍ فلاةٍ وعليها طعامُه وشرابُه، فَأَيسَ منها، ثم بعدَ ما وجدها وأخذ بخطامها قال من شدة الفرح: "اللهم أنتَ عبدي وأنا ربُّك"، ويجوز أن يريد به: إنك سبحانك تجلُّ أن تخاطبني بخطاب المستهزئين، فلِمَ تفعل ذلك وأنتَ أكرم الأكرمين؟

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ:" هذا كلام صدر من هذا الرجل وهو غير ضابط لما قاله، لما ناله من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله فلم يضبط لسانه دهشًا وفرحًا، فقاله وهو لا يعتقد حقيقة معناه، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق"(١)

❐ فائدة (٩): وهل الاستهزاء صفة لله تعالى ؟

الجواب: الاستهزاء بأهل الكفر والإجرام صفةٌ فعليةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ في كتابه العزيز، على وجه المقابَلَة والجزاء؛ فهي صفة كمالٍ له سبحانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: " كما روى عن ابن عباس؛

---

(١) شرح مسلم.

أنه يفتح لهم باب من الجنة وهم في النار، فيسرعون إليه، فيغلق، ثم يفتح لهم باب آخر، فيسرعون إليه، فيغلق، فيضحك منهم المؤمنون، قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المطففين: ٣٤]، وعن الحسن البصري: إذا كان يوم القيامة، خُمدت النار لهم كما تخمد الإهالة من القدر، فيمشون، فيخسف بهم"

(فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ) أي بعد هذه المقالة.

(فَقَالَ: أَلاَ تَسْأَلُوْنِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟، قَالَ:"مِنْ ضَحِكِ رَبِّ العَالَمِيْنَ حِيْنَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّى وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِيْنَ؟)

❐ فائدة (١٠): إثبات صفة الضحك لله تعالى:

وفيه إثبات صفة الضحك لربنا سبحانه، على وجهٍ يليق بكماله وجلاله، ليس كمثله شيء، وهي صفةٌ من صفات الله عَزَّ وجلَّ الفعليَّة الخبريَّة الثابتة بالأحاديث الصحيحة، كحديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: " **يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاَهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَقَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْلِمُ، فَيُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ** " (١)

قال الإمام ابن خزيمة: "ولا يشبَّه ضَحِكُه بضحك المخلوقين، وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك؛ كما أعلم النبي ﷺ، ونسكت عن صفة ضحكه جلَّ وعلا، إذ الله عَزَّ وجلَّ استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك؛ فنحن

---

(١) رواه مسلم.

قائلون بما قال النبي ﷺ، مصَدِّقون بذلك، بقلوبنا منصتون عمَّا لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه" (١)

(**فَيَقُوْلُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ**) لا يُعجزني شيءٌ، ولا يمنعني مانع من أن أُعطي ما أشاء لمن أشاء، في أي وقتٍ أشاء.

❐ **فائدة (١١): خطاب الله لعباده يوم القيامة كفاحـًا:**

ويدل هذا الحديث على أن الله عز وجل يخاطب الناس يوم القيامة كفاحـًا، بلا ترجمان، وفي هذا يقول ﷺ: " **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ اللهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ** " (٢)

❐ **فائدة (١٢): من منازل السير إلى الله:**

وهذا الحديث يُجسد معانٍ عظيمة من معاني الإيمان ومنازل لابد للسائر إلى الله أن ينزلها ويُحلَّها قلبَه حتى يتم له سيره إلى خالقه، الحب، والخوف، والرجاء.

جاءَ رجلٌ من البصرةِ إلى طاووسَ ليسمعَ منه فوافاهُ مريضًا فجلسَ عند رأسِهِ يبْكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: "واللهِ ما أبْكي على قرابة بيني وبينك ولا على دُنيا جئتُ أطلبُها منكَ، ولكنْ على العلم الذي جئتُ أطلبُه منكَ يفوتُني "، قال له طاووسُ: "إنِّي موصيكَ بثلاثِ كلماتٍ إنْ حفظتَهُن علمتَ علمَ الأولينَ،

---

(١) كتاب التوحيد.

(٢) متفق عليه.

وعلمَ الآخرينَ، وعلمَ ما كانَ، وعلمَ ما يكونُ: خَفِ اللهَ حتى لا يكونَ عندكَ شيءٌ أخوفَ منه، وارْجُ اللهَ حتى لا يكونَ عندكَ شيءٌ أرجا منه، وأحبَّ اللهَ حتى لا يكونَ شيءٌ أحبَّ إليك منه "

فإذا فعلتَ ذلك علمتَ علمَ الأولين والآخِرينَ، وعلمَ ما كانَ وعلمَ ما يكون " فقال: "لا جرم لا سألتُ أحدًا بعدك عن شيءٍ بقيتُ " (١)

والجمع بين هذه الثلاثة حتم لازم، وحق واجب، ومتى ذهب واحد منها وقع الخلل في الديانة، وكما قيل: العبادة كالطائر؛ المحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان أو أحدهما صار نهبة لكل صائد وكاسر.

وهذه الثلاثة متمثلة في هذا الحديث، فكون هذا الرجل آخرَ رجل يخرج من النار، فكم قضى فيها من سنين وأعمار، فهذا مما يبعث الخوف في نفس المؤمن، وكون هذا الرجل بعد خروجه من النار تكثر سؤالاته، وتتوالى طلباته، فيُعطاها وزيادة، فهذا مما يبعث الرجاء في نفس المؤمن، وكون الله تعالى شأنه وجلَّت قدرته، يتبسط مع هذا الرجل، يعطيه، وينتظر ردَّ فعله، ويُعطيه وينتظر ردَّ فعله، ثم يعطيه ويسمع له، ذاك مما يبعث المحبة للرب العظيم في نفس المؤمن.

فإذا خاف العبدُ، أسرع إلى مرضاة الله، وإذا رجا، أحسن الظن بالله، وإذا أحبَّ أسرع إلى محابِّ الله فأحبها، وعبد الله بها، فكان من الناجين.

---

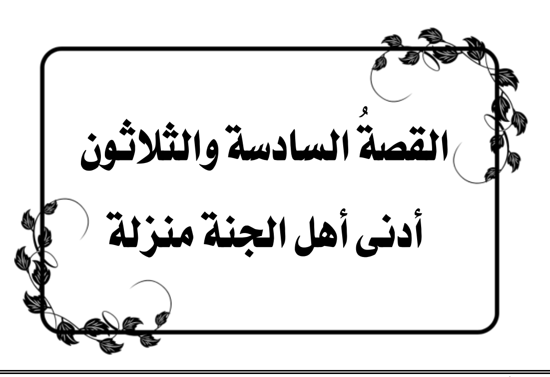
(١) تفسير ابن رجب الحنبلي.

❐ **فائدة (١٣): من أعلام النبوة:**

وفي الحديث علمٌ من أعلام النبوة، وهو إعلام الله تعالى لنبيه ﷺ بآخر أهل النار خروجًا وآخر أهل الجنة دخولاً.

فاللهم إنا نسألك رضالك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار





عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

"سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلْ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَك مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: لَك ذَلِكَ وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: هَذَا لَك وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَك مَا اشْتَهَتْ نَفْسُك وَلَذَّتْ عَيْنُك. فَيَقُولُ: رَضِيت، رَبِّ!. قَالَ: رَبِّ! فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْت، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدَيَّ، وَخَتَمْت عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ".

قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧].

هَذَا حَدِيْث صَحِيحٌ، أخرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَأَحْمَدُ.

هذا الحديث متممٌ لما قبله، وتابعٌ له، والحديث عن الجنة يسوق النفوس إلى رحاب الملك القدوس، الجنة هي دار النعيم والجزاء الجزيل الذي أعده الله لأهل طاعته، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص ولا يعكر صفوه كدر، لا نكد

فيها ولا خصام، لا مرض ولا أسقام، لاهم ولا غم ولا حزن ولا تعب ولا نوم.

أحزان قلبي لا تزول حتى أبشر بالقبول

وأرى كتابي باليمين وتقر عيني بالرسول

لما قيل للإمام أحمد: متى الراحة ؟ قال: عند وضع أول قدم في الجنة.(١)

وقد اشتمل هذا الحديث على فوائد عديدة، منها:

❐ **فائدة (١): الجنة درجات:**

أن الجنة درجات بعضها فوق بعض، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم فيها، ومنازلهم بحسب أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء:٢١]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:" فبيَّن الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا وأن درجاتهم أكبر من درجات الدنيا وقد بين أن تفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين"(٢)

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **"مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَصَلَّى الصَّلَوَاتِ وَحَجَّ الْبَيْتَ لاَ أَدْرِى أَذَكَرَ الزَّكَاةَ أَمْ لاَ، إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ إِنْ هَاجَرَ فِى سَبِيلِ اللهِ أَوْ مَكَثَ بِأَرْضِهِ الَّتِى وُلِدَ بِهَا"**، قَالَ مُعَاذٌ: أَلاَ أُخْبِرُ بِهَذَا

---

(١) ذكره أبونعيم في الحلية.

(٢) مجموع الفتاوى.

النَّاسَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" ذَرِ النَّاسَ يَعْمَلُونَ فَإِنَّ فِى الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَفَوْقَ ذَلِكَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ"** (١)

والجنات بعضها فوق بعض كما دل عليه قوله ﷺ: **"إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم"** (٢)، وقال ﷺ: **" إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة"** (٣)

وفي الحديث الذي معنا أخبر الرب جل جلاله عن أدنى أهل الجنة منزلة، وهو ذاك الرجل الذي يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ أي رأوا أماكنهم، وسكنوا مساكنهم، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَك مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: لَك ذَلِكَ وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: هَذَا لَك وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَك مَا اشْتَهَتْ نَفْسُك وَلَذَّتْ عَيْنُك. فَيَقُولُ: رَضِيت، رَبِّ!. ثم أخبر سبحانه وتعالى عن أعلى أهل الجنة منزلةً، فقَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْت، أي اخترت واصطفيت، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدَيَّ، وَخَتَمْت عَلَيْهَا، فلا يتطرق إلى كرامتهم تغيير.

---

(١) صحيح الترمذي.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

❑ فائدة (٢): فضل الله على عباده:

وفي الحديث بيان فضل الله على عباده، إذ يقول لأدنى أهل الجنة منزلة: لك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، حتى يقول العبد: رضيت ربِّ، بل إن الجنة بأسرها محض فضل الله على عباده، فلئن كانت الأعمال سبباً لدخول الجنة، لكنها ليست ثمناً للجنة، فالجنة سلعة الله الغالية لا يمكن أن ينالها المرء بأعماله التي عملها، وإنما تنال برحمة الله وفضله، كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **"لن يُدخل أحداً منكم عملُه الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة"**

❑ فائدة (٣): الرضا من صفات أهل الجنة:

وفي الحديث: أن من صفات أهل الجنة الرضا، لقول الرجل الذي هو أدنى أهل الجنة منزلة بعدما أنعم الله عليه " رَضِيتُ، رَبِّ " والرضا عام في جميع أهل الجنة، ففي حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال:" إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً"(١)، فرضوان الله أكبر من الجنة، كما قال سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ

(١) متفق عليه.

ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة:٧٢]

❐ فائدة (٤): إثبات عقلي جيد لصفة اليد لله:

وفي قوله سبحانه: "أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْت، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدَيَّ" إثبات صفة اليد لله عز وجل، على وجهٍ يليق بكماله وجلاله، ليس كمثله شيء، ولو كان المراد: القدرة، كما هو مذهب المئولة !، لاشترك في ذلك جميع أهل الجنة على اختلاف منازلهم، إذ جميع ذلك بقدرة الله، فتنبَّه.

قال الله تعالى: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال:" إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها " (١)

قال أبو الحسن الأشعري:" وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين " (٢)

❐ فائدة (٥): نعيم الجنان لا يخطر على قلب إنسان:

وأفاد قوله سبحانه: " فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ": أَنَّ اللهَ تَعَالَى ادَّخَرَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ النَّعِيمِ، وَالْخَيْرَاتِ، وَاللَّذَّاتِ مَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدُ مِنْ الْخَلْقِ بِطَرِيقٍ مِنْ الطُّرُقِ فَذَكَرَ الرُّؤْيَةَ، وَالسَّمْعَ لِأَنَّهُ يُدْرَكُ بِهِمَا أَكْثَرُ الْمَحْسُوسَاتِ، ثُمَّ زَادَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكهَا فِكْرٌ وَلا خَاطِرٌ، فإن وصْف رسولنا ﷺ لنعيمها وخيراتها، إنما هو نذرٌ يسير مما أعدَّه الله الكريم لعباده

---

(١) رواه مسلم.

(٢) انظر رسالته إلى أهل الثغر.

الصالحين، كما قال سبحانه: " **أَعْدَدْت لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ** " (١)، فالمعنى: فلم تر عين من أعين الناظرين مثل ما غرست لهم، ولم تسمع أذن من آذان السامعين مثل ما أعطيتهم، ولم يخطر على قلب أحد من قلوب البشر مثل ما أكرمتهم به وأعددته لهم.

وفي الحديث الذي معنا قال: وَمِصْدَاقُهُ [أي دليله وما يصدقه] فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ [السجدة: ١٧]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:" فلا يعلم أحد عظمة ما أَخفى الله تعالى لهم في الجنان من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لمَّا أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاء وفاقًا، فإن الجزاء من جنس العمل، قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: أخفى القوم عملهم فأخفى الله تعالى لهم مالم تر عين ولم يخطر على قلب بشر" (٢)

❐ فائدة (٦): مما أعد الله للمؤمنين في الجنة، من الكتاب والسنة: (٣)

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨ ﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٨] وقال تَعَالَى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ

---

(١) رواه البخاري.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

(٣) مُستل من رياض الصالحين، للإمام النووي.

عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٦٨ – ٧٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٥٤﴾ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الدخان: ٥١ – ٥٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٢ – ٢٨] والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **"يأكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَبُولُونَ، وَلكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ[1] كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ"** رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: **"أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إضَاءةً، لاَ يَبُولُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفُلُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ. أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ – عُودُ الطِّيبِ – أَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِيْنُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ"** متفق

(١) التجشؤ: هو تنفس المعدة عند الامتلاء.

عَلَيْهِ.

وفي رواية البخاري ومسلم: **"آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ، وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبُ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًا"**.

قوله: **"عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ واحدٍ"** رواه بعضهم بفتح الخاء وإسكان اللام وبعضهم بضمهما وكلاهما صحيح.

وعن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **"إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ. رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيقُولُ اللهُ عز وجل له: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى! فَيَقُولُ اللهُ عز وجل له: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فيأتِيهَا، فَيُخيَّلُ إليهِ أنَّها مَلأى، فيَرْجِعُ. فَيَقولُ: يا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى، فيقُولُ اللهُ - عز وجل - لَهُ: اذهبْ فَادخُلِ الجنَّةَ، فَإنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا؛ أوْ إنَّ لَكَ مِثْلَ عَشرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فيَقُولُ: أتَسْخَرُ بِي، أَوْ تَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ المَلِكُ"**، قال: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَكَانَ يقولُ: "ذلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً" متفق عليه.

وعن أبي موسى ﵁: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"إِنَّ لِلمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُها في السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلًا، لِلمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا"** متفق عليه.

"المِيلُ": سِتة آلافِ ذِراعٍ.

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ عن النبيِّ ﷺ قال: **"إنَّ في الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ**

ظِلِّها مئةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُها" متفق عليه.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **"لَقَابُ (١) قَوْسٍ في الجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أو تَغْرُبُ"** متفق عليه.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"إنَّ فِي الجَنَّةِ سُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ. فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِم وَثِيَابِهِمْ، فَيَزدَادُونَ حُسنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ، وَقَد ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لقدِ ازْدَدْتُمْ حُسْنًا وَجَمَالًا! فَيقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجمالًا!"**. رواه مسلم.

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **"إذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا، فَلاَ تَمُوتُوا أَبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا، فلا تَسْقَمُوا أبدًا، وإنَّ لكمْ أَنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبدًا، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا، فَلاَ تَبْأَسُوا أَبَدًا"**. رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ – ﷺ قال: **"إنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِن الجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيتَ؟ فيقولُ: نَعَمْ، فيقُولُ لَهُ: فَإنَّ لَكَ ما تَمَنَّيتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ"** رواه مسلم.

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَقَالَ: **"إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا كما تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ"** متفق عليه.

---

(١) القاب: بمعنى القدر، يقال: بيني وبينه قاب رمحٍ وقاب قوسٍ: أي مقدارهما.

وعن صُهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ"** رواه مسلم.

❐ فائدة (٧): العمل سبب دخول الجنة:

وفي قوله تعالى: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ ضرورة العناية بالعمل، فهو سبب دخول الجنان، ونيل الرضوان، فكما أن الله تعالى جعل قانون النجاح في الحياة الدنيا معلقـًا بسبب العمل والإنتاج، فإنه سبحانه جعل الفلاح في الآخرة معلقـًا بسبب الإيمان والعمل الصالح، فلا فوز في الآخرة بلا إيمان وعمل، ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤﴾ [النساء:١٢٤].

والقرآن مليء بالآيات الكريمة التي فيها ترتيب الجزاء على الأعمال، وأن عمل العبد سبب لربحه أو خسارته، وأنه إنما يجني يوم القيامة ما كسبت يده ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [يس:٥٤] ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [سبأ:٤] ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥ ﴾ [المائدة:٨٥]، وقال سبحانه: ﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴾ [المدَّثر:٣٨].

فالجنة طريقها العلم النافع، الداعي إلى العمل الصالح، كما قال ﷺ: "من

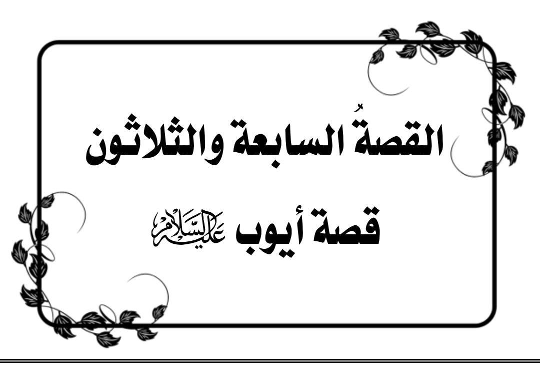
سلك طريقـًا يلتمس به علمـًا سهل الله له طريقـًا إلى الجنة" [١]، وقال ﷺ:**" كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: من يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى"** رواه البخاري.

وقد يغتر المستغنون بأموالهم، المستقوون بأولادهم أن ذلك ينفعهم يوم القيامة فنفى الله تعالى ذلك، وأثبت أنه لا ينفع إلا الإيمان والعمل الصالح، وأن صاحبه يجازى بأضعاف ما كان يعمل؛ فضلا من الله تعالى وكرما ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ:٣٧] ثم زادهم فأعطاهم أكثر مما عملوا ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النَّبأ:٣٦].

فاللهم أدخلنا الجنان بغير حساب ولا سبق عذاب



(١) صحيح سنن الترمذي.



القصةُ السابعة والثلاثون

قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"إِنَّ نَبِيَّ اللهِ أَيُّوبَ كَانَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانِي عَشَرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلاَّ رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ، كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ إِلَيْهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَتَعْلَمُ، وَاللهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبَ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ، قَالَ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرحمه الله فَيَكْشِفُ عَنْهُ؟! فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لا أَدْرِي مَا يَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللهَ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهَةَ أَن يذكرا اللهَ إِلاَّ فِي حَقٍّ! قَالَ: وَكان يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتِهِ أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يبلغ، فلما كان ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، وَأُوحِيَ إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ أَنْ ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص: ٤٢] فَاسْتَبْطَأَتْهُ، فَلَقَيْتهُ يَنْظُرُ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلاءِ، وهُو عَلَى أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللهِ هَذَا الْمُبْتَلَى، وَوَاللهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذَا كَانَ صَحِيحًا!!.

قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ! وَكان لَهُ أَنْدَرَانِ: أَنْدَرٌ لِلْقَمْحِ، وَأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللهُ سَحَابَتَيْنِ، فلما كانت إحداهما عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَغَتِ الأُخْرَى عَلَى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وأَبُو يَعْلَى، وَالبَزَّارُ، وَغيْرُهُمْ، وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

(إِنَّ نَبِيَّ اللهِ أَيُّوبَ كَانَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانِي عَشَرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلاَّ رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ، كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ إِلَيْهِ) يعني يعودانِه أول النهار وآخره.

❒ **فائدة (١):الابتلاء سنة من سنن الله الجارية في الأمم الخالية، وفي الأمة الحالية:**

قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢].

لا بد أن يمتحنَ الله أهل الإيمان ويبتليَهم، حتى يميز الصادق من الكاذب، ولذلك اقتضت حكمة الله تعالى البالغة أن نَصَبَ الابتلاء سبباً مفضياً إلى تمييز الخبيث من الطيب، والشقي من السعيد، ومن يصلح مما لا يصلح، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]

وإذا كان هذا البلاءُ سُنةَ اللهِ تعالى في حياة الناس كافة، فإن أصحاب الرسالات خاصة أشدُّ تعرضاً لنكبات الحياة الدنيا ومِحنها، فإن رسالة الدعوة التي يحملونها ويدعون إليها تحارَب من كل اتجاه، فهم ينادُون بالحق، فيقاومهم أنصار الباطل، ويهْدون إلى الخير، فيعاديهم أنصار الشر، ويأمرون بالمعروف فيخاصمهم أهل المنكر، وبذلك فهم يَحْيون في دوامة الابتلاءات والمحن، فتلك سُنَّة الله تعالى الذي خلق آدم وإبليس، وإبراهيم والنمرود،

وموسى وفرعون، ومحمداً ﷺ وأبا جهل، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان: ٣١]، ناهيك عن ابتلاءاتهم في أنفسهم وخاصة شأنهم، فالعبد يبتلى على قدر دينه، كلما اشتد إيمانه عظم ابتلاؤه، حتى يَخلص من شرور نفسه وسيئات أعماله، كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بكِير النيران، فعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟" قَالَ: "الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ" (١)

فالمؤمن ينظر إلى الابتلاء أنه نعمة ورحمة من الله على عباده، يتعهدهم بالابتلاء المرة بعد المرة؛ لينقيهم، ويطهرهم، ويذهب عنهم رجز الشيطان، ويربط على قلوبهم، ويثبت به الأقدام.

❐ فائدة (٢): ابتلاء أيوب عليه السلام:

ومن هؤلاء المؤمنين الذين أطال الله عليهم البلاء، نبي الله أيوب، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، حتى اقتُرن اسمه بالصبر، فكان يقال: صبر أيوب، لأنه كان أشد الأنبياء بلاءً، فلقد عُرف من مجموع ما ورد القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، في شأن أيوب، أنه كان قبل بلائه منعمـاً، فلقد كان كثير المال من جميع أصنافه، وكان أولاده كُثُر، وأهله كُثُر، فشاء الله أن يبتليه، فذهب ماله وولده، وأصيب في جسده إصابة شديدة، وطال بلاؤه، حتى بلغ ثَمَانِي عَشَرَةَ سَنَةً، حتى جفاه القريب والبعيد، ولم يبق باراً به إلا زوجتُه واثنان من كرام

(١) رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني.

أصحابه، كانا يمران عليه ويأنس بهما.

❐ **فائدة (٣): مما نُسب من افتراءات عن نبي الله أيوب عليه السلام:**

قيلت أقاويلُ كثيرة عن نبي الله أيوب، لم يصح منها شيء، وفي الوقت ذاته، لا تليق بمقام الأنبياء والرسل الذين أُرسلوا يدعون الناس إلى الخير.

فقيل: إن لحمه تساقط، فلم يبق إلا اللحم والعظم، وقيل: أن الدود كان يسير في جسده، وأنه تساقطت دودةٌ يوماً، فأخذها ووضعها في جسده مرةً أخرى، وقيل: أن رائحة قذرة كانت تخرج من جسده، حتى استقذره الناس، حتى أن قومه أخذوه فألقَوا به في مكان القاذروات !!

وكل ذلك من الكذب والتُرَّهات التى لا تُقبل نقلاً ولا عقلاً.

فأما النقل: فإن الله تعالى لم يخبرنا في كتابه عن ما أصاب أيوب إلا في آيتين اثنتين، الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ [الأنبياء:٨٣]، والثانية: قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [ص:٤١]، أما في السنة، فلم يصح عن نبينا ﷺ في ذكر مرض أيوب شيءٌ، إلا ما كان من هذا الحديث الذي بين أيدينا: "إِنَّ نَبِيَّ اللهِ أَيُّوبَ كَانَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانِي عَشَرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إلاَّ رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ، كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ إِلَيْهِ"

وأما العقل: فكيف يَقبل الناس دعوة من يستقذرونه، ويَعافونه ؟

❐ **فائدة (٤): صبر أيوب:**

تخيَّلْ أن أيوب عليه السلام، مكث في البلاء ثمانية عشر عاماً، لم يُؤْثَر عنه أنه شكا أو جزِع أو فزِع، مع كثرة ما أُثِر عنه بحقٍ وباطل، بل الذي أُثِر عنه أنه كان حامداً

ذاكراً شاكراً محتسباً صابراً حتى قال عنه ربه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤]، فتخيل، يشهد الله له بالصبر، ويصفه بأنه نعم العبد،

﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ ﴾ أي: ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه الله تعالى، ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾ الذي كمل مراتب العبودية، في حال السراء والضراء، والشدة والرخاء، ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ أي: كثير الرجوع إلى الله، في مطالبه الدينية والدنيوية، كثير الذكر لربه والدعاء، والمحبة والتألُّه.

ومما أعان أيوب على الصبر: علمه أن الله تعالى قد ابتلاه الله يمتحن صبره، فالأمر كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " الذي ابتلاه أحكم الحاكمين أرحم الراحمين، وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به ولا ليعذبه به ولا ليجتاحه، وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه وليسمع تضرعه وابتهاله وليراه طريحًا ببابه لائذًا بجنابه مكسور القلب بين يديه رافعًا قصص الشكوى إليه" (١)

وأعانه على الصبر كذلك: علمه بمعية الله له إذا صبر، ومحبه الله له إذا صبر، ورضا الله عنه إذا صبر، ومن كان الله معه، وأحبه، ورضي عنه، دفع عنه أنواع الأذى والمضرات مالا يدفعه عنه أحد من خلقه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وأعانه على الصبر كذلك: علمه أن الله تعالى إنما يربي عبده على السراء والضراء والنعمة والبلاء فيستخرج من عبوديته في جميع الأحوال، فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال، وأما عبد السراء

---

(١) زاد المعاد.

والعافية الذي يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته، كما قال ﷺ: **"عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"**.(١)

(**فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ:**) أي قال أحد أصحابه للآخر:

(**:أَتَعْلَمُ، وَاللهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبَ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ، قَالَ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ فَيَكْشِفُ عَنْهُ؟!**)

❏ فائدة (٥): فهمٌ خاطئ:

يظن كثيرٌ من الناس أن ابتلاء الله لعبده، إنما هو لهوانه عنده، وإن إنعام الله عليه إنما هو لمكانته عنده، وهذا فهمٌ خاطئ، قد أبطله الله تعالى في كتابه حين قال: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفجر: ١٥ـ ٢٠]، فأخبر تعالى في هذه الآيات عن طبيعة أكثر الناس، يظن أن إكرام الله للإنسان في الدنيا وإنعامه عليه دليلٌ على كرامته عنده وقربه منه، وأنه إذا ضيَّق عليه رزقه، أو ابتلاه، فذلك دليل إهانة من الله له، فرد الله عليهم هذا الحسبان، وأبطل لديهم هذا الفهم، بقوله ﴿ كَلَّا ﴾ أي: ليس كل من نعَّمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من ضيقت عليه رزقه فهو مهان لدي، وإنما الغنى والفقر، والسعة والضيق، ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به العباد، ليرى من يقوم له

---

(١) رواه مسلم.

بالشكر والصبر، فيثيبه على ذلك الثواب الجزيل، ممن ليس كذلك فيعاقبه العقاب الأليم.

فليس البلاء علامة على هوان العبد على ربه كما ظن صاحب أيوب، فقد يكون الأمر على عكس ذلك، فقد قال ﷺ: " **وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ.**" (١)، وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِنَّ الرَّجُلَ لِتَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللهِ الْمَنْزِلَةُ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ فَلَا يَزَالُ اللهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا**" (٢)، وقال ﷺ: "**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ** " (٣)

وليست العافية علامة على الكرامة، بل قد يكون الأمر على عكس ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى رَسُولِ اللهِ -ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَلْ أَخَذَتْكَ أُمُّ مِلْدَمٍ قَطُّ؟، قَالَ: وَمَا أُمُّ مِلْدَمٍ؟ قَالَ: حَرٌّ يَكُونُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ، (٤) قَالَ: مَا وَجَدْتُ هَذَا قَطُّ، قَالَ: فَهَلْ أَخَذَكَ هَذَا الصُّدَاعُ قَطُّ؟، قَالَ: وَمَا هَذَا الصُّدَاعُ؟، قَالَ: عِرْقٌ يَضْرِبُ عَلَى الإِنْسَانِ فِي رَأْسِهِ، قَالَ: "مَا وَجَدْتُ هَذَا قَطُّ"، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا. (٥)

---

(١) صحيح سنن الترمذي.
(٢) صحيح ابن حبان.
(٣) صحيح أبي داود.
(٤) والمراد: الحمى المعروفة.
(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك، وأحمد في المسند، وقال الألباني: حسن صحيح.

□ فائدة (٦): وقد يكون الابتلاء عقوبة:

وذلك إذا غلب على المبتَلى المعاصي في الخلوات والجلوات، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ ﴾ [النساء:٧٩]، قال المفسرون: أي بذنبك، ويقول سبحانه:﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [الشورى:٣٠]

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:**"إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"** (١)

(فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لا أَدْرِي مَا يَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللهَ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهَةَ أَن يَذكرا اللهَ إِلاَّ فِي حَقٍّ!) أي يخرج عن الرجلين من الصدقة ونحوها، ما يكون تكفيرا لما صدر عنهما من الكلام، الذي فيه خلط ذكر الله بما لا يجوز.

قال الطحاوي: "فكان محالاً أن يكون ما كان منه ﷺ في ذلك كفارة عن يمين كانت منهما، أو من أحدهما؛ لأنه لا يجوز أن يكفر عن حالفٍ بيمين غيره بعد حنثه فيها، ولا قبل حنثه فيها وهو حي، ولكنه عندنا والله أعلم، على كفارة عن الكلام الذي ذكر الله عز وجل فيه، مما لم يكن يصلح أن يذكر.

فلما كان من خطاب ذينك الرجلين ما كان، مما خلطا ذكر الله بما لا يصلح ذكره عز وجل فيه، كان ذلك خطيئة قد ظهرت، وما ظهر من الخطايا، فلم تغير،

---

(١) صحيح سنن الترمذي.

عذب الله تعالى عليه الخاصة والعامة، فلما عاد ما كان من ذينك الرجلين إلى ما يؤخذ به العامة، تلافاه أيوب بما يدفع وقوع عذاب الله من الصدقة التي تكفر الذنوب، وتدفع العقوبات من غير أن يكون ذينك الرجلين قد كانت لهما في ذلك كفارة، فكانت تلك الكفارة تغطي تلك المعصية تغطية فيها فناؤها، وإن كان الرجلان اللذان اكتسباها لم يدخلا في ذلك" (١)

❐ فائدة (٧): هنالك دعا أيوب:

لما سمع أيوب من صاحبيه ما قالا، آلمه ذلك أشد الألم، فلقد صار فتنةً حتى لصاحبيه الباقِيين، فكشف لهما من حاله الذي كان قد أخفاه، من تكفيره عن خطايا الناس، ثم توجَّه إلى ربه بالدعاء طالبـًا منه كشف البلاء، ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ أي ردَّ الله عليه ضعف المال الذي فقده، وضعف ما كان عنده من الأولاد ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، قال ابن كثير: "هذه تذكرة لمن ابتلي في جسده، أو ماله، أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك، فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه" (٢)

وفي سور ص، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ وإنما قال هناك: مسني الضر، وقال هنا: مسني الشيطان، تأدبا مع الله سبحانه، ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ وسيأتي بيانها، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ

---

(١) باختصار من شرح معاني الآثار.

(٢) البداية والنهاية.

﴿أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾ الضغث: حزمة الشماريخ، قال المفسرون: وكان في مرضه وضره، قد غضب على زوجته في بعض الأمور، فحلف: لئن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة، فلما شفاه الله، وكانت امرأته صالحة محسنة إليه،، فأمره ربه أن يضربها بضغث فيه مائة شمراخ ضربة واحدة، فيبر في يمينه، وهذا مخرجٌ جعله الله له، لأنه قد اتقى ربه، ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝٤٤﴾ [ص: ٤١- ٤٤]

❑ **فائدة (٨): من وظائف الصالحين:**

وفيه أنه ينبغي على الصالحين في كل زمانٍ ومكان أن يصلحوا ما أفسد الناس، وهي إحدى صفات الغرباء.

❑ **فائدة (٩): جواز تعمد إظهار بعض الأعمال الصالحة:**

وفيه أنه يجوز أحيانـًا أن يُظهر العبد بعض عمله الصالح الذي كان قد أخفاه، حيث ظهرت من ذلك المصلحة.

❑ **فائدة (١٠): الله عظيم:**

وفيه أنه لا يُذكر الله إلا بحق وفي حق، وينبغي للدعاة أن يعرِّفوا الناس بالله وعظمته.

(**قَالَ:**) أي النبي ﷺ.

(وَكان يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتِهِ أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يبلغ) أي يصل إلى مسكنه.

❑ **فائدة (١١): المرأة الصالحة:**

وفيه خدمة المرأة لزوجها في الرخاء والشدة، في الصحة والمرض، في الغنى

والفقر، في الشباب والهرم.

(**فلما كان ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا**) أي تأخر في قضاء حاجته.

(**وَأُوحِيَ إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ أَنْ ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝٤٢ ﴾** [ص: ٤٢]) والمعنى: اضْرِبْ بِرِجْلِك الأَرْض وَحَرِّكْ، فَرَكَض، فنبَعَتْ عَيْنٌ، فقيل له: ﴿ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝٤٢ ﴾ أي: يُغْتَسلُ بِهِ وَيُشْرَبُ مِنْهُ، فلما اغتسل برأ ظاهره، ولما شرب برأ باطنه.

(**فَاسْتَبْطَأَتْهُ**) أي: لَمَّا تأخَّر ذَهَبَتْ لمكانِهِ.

(**فَلَقَيْتهُ يَنْظُرُ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلاءِ، وهُو عَلَى أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللهِ هَذَا الْمُبْتَلَى، وَوَاللهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذَا كَانَ صَحِيحًا!!. قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ!**) وهذا هو قول الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

❐ **فائدة (١٢): القريب المجيب جل جلاله، يستجيب الدعاء، ويكشف البلاء،**

فينبغي على العبد ألا ييأس من رحمة الله، مهما أصابه من مصائب، ومهما وقع عليه من بلاءات، وإنما عليه أن يدعو الله، ويرجو رحمته، فالدعاء الخالص مستجابٌ بفضل الله ووعده، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾ [غافر:٦٠]، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦ ﴾ [البقرة:١٨٦]

وفيه أن البلاء قد يطول، لكن إذا أراد الله الفرج، جاء يُدهش العقول، ويأخذ بالقلوب.

(وَكان لَهُ أَنْدَرَانِ)أي: مَخْزَنانِ ومَكانانِ لِجَمْعِ الثِّمارِ.

(أَنْدَرٌ لِلْقَمْحِ، وَأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللهُ سَحَابَتَيْنِ، فلما كانت إحداهما عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَغَتِ الأُخْرَى عَلَى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ) أي: اِمْتَلأَ المَكانانِ بالذَّهَبِ والفِضَّةِ تَعْويضًا مِنَ اللهِ لِنَبيِّهِ ورَحْمةً به.

❏ فائدة (١٣): قدرة الله:

فبين غمضة عينٍ وانتباهتها، يغير الله من حالٍ إلى حال، ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ففي لحظةٍ لم تكن متوقَّعة، أعاد الله إلى أيوب عافيته، وصحته، وماله وولده، وبلا سببٍ ظاهرٍ معتاد، فالله تعالى يعطي بسبب، ويعطي بأوهن سبب، ويعطي بلا سبب، سبحانه إذا أراد شيئـًا أن يقول له كن فيكون.

❏ فائدة (١٤): الصبر مفتاح الفرج:

كما قال ﷺ: **"وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مع العسر يسرا"**(١)، فمن صبر ظفر، فالصبر عاقبته دائمـًا إلى خيرٍ في الدنيا وفي الآخرة.

الصبر مثل اسمه، مرٌ مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسلِ

❏ فائدة أخيرة (١٥): الجنديَّان:

وصبر أيوب لم يجعلنا ننسى جُنديين عظيمين، هما من أعمدة هذة القصة.

---

(١) أخرجه أحمد، وغيره، وصححه الألباني في الصحيحة.

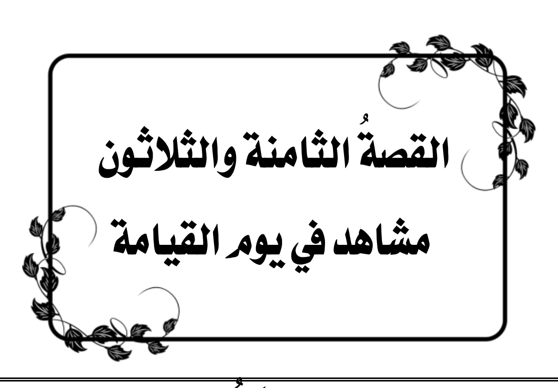
الجندي الأول: الزوجة الوفية التي صبرت مع زوجها، ووقفت إلى جانبه تعينه، وتواسيه، كأنها جزءٌ منه، وفي هذا رسالة للزوجات المؤمنات بأن يصبرن على مرض أزواجهن، أو فقرهم، أو غير ذلك مما يحصل لهم، ولهن في ذلك قدوة امرأة أيوب عليه السلام، وكيف صبرت واحتسبت حتى كشف عن زوجها الغمة، فجزاها الله خير الجزاء، وأسكنها أعالي الجنان، واذكرن يا نساء المؤمنين، أن امرأة قالت: يا رسول الله ما حق الزوج على زوجته؟ فقال النبي ﷺ: **"حق الزوج على زوجته أن لو كانت قرحة فلحستها ما أدت حقه"**. (١)

والجندي الثاني: الصديقان الصدوقان اللذان بقيا من بين من تركوه وتفرقوا عنه، وعلى الرغم من قلة الذين تصفو معادنهم، فإنه لا يخلو منهم عصرٌ ولا مصر، فالصديق عند الضيق، وعند النوائب تُكشف معادن البشر ويُعرف الأحباب المخلصون.

فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك



(١) صحيح ابن حبان.



القصةُ الثامنة والثلاثون
مشاهد في يوم القيامة

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "نَعَمْ". قَالَ: "هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟! " قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ!. قَالَ: "مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟، قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا!، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ: فَمَاذَا

تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا يَا رَبَّنَا! فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ".

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟

قَالَ: "دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا! كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ، فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ، فَأَخْرِجُوهُ،

فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا! ".

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟! ".

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ!

قَالَ: "فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا! أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا! أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟، فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا".

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، مُتَّفَق عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِم.

(إِنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟) وسبب هذا التساؤل: زعمهم أنهم كما لم يرَوا ربهم في هذه الدنيا، فهم

كذلك لا يرونه يوم القيامة ! فلا يعلمون أنهم يُخلقون خلْقًا آخر، لا يشبه الخلق الأول، ألا ترى أنّ الشمس تدنو من رؤوس الناس في يوم القيامة حتى لا يكون بينها وبينهم إلا ميل واحد، ومع ذلك فلا يذوبون ولا ينصهرون! ألا ترى أنّ الناس بعد البعث والنشور غير قابلين للموت! بل يدخل الكفار النّار كلما نضجت جلودهم بدّلهم الله جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، أمّا الموت فلا، فالمقاييس قد اختلفت، ففي يوم القيامة يطيق المؤمنون رؤية ربهم، وأن أعلى أنواع النعيم في الآخرة هو رؤية وجه الله الكريم في جنة النعيم.

❐ فائدة (١): هل الله يُرى في هذه الدار؟

الجواب: في تقييد السؤال بيوم القيامة إشارة إلى أن السؤال لم يقع عن الرؤية في الدنيا، لأنه لاخلاف في عدمها، وقد طمع موسى في رؤية الله، فأخبره ربّه أنّه لن يراه في الدّنيا، ولا يستطيع ذلك، بل الجبل القويّ الصلد لا يطيق ذلك ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وإنما السؤال والبحث في رؤيته جل وعلا في الآخرة.

(قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "نَعَمْ"، قَالَ: "هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟!، وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟!) معنى " تُضارُّون" رُوي بضم التاء وتشديد الراء، من الضر، والمعنى: هل تَضرون غيركم، أو يضركم أحد في حالة الرؤية بمزاحمة أو مخالفة في الرؤية؟ والإستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي لا يحصل ذلك كما لا يحصل عند رؤيتكم القمر ليلة البدر.

ورُوي بضم التاء وتخفيف الراء، من الضير، أي هل يلحقكم في رؤيته ضر؟ وفي الرواية الأخرى "هل تضامون في رؤيته" روي بفتح التاء وتشديد الميم، والمعنى هل ينضم بعضكم إلى بعض عند رؤيته، وروي بضم التاء وتخفيف الميم من الضيم، والمعنى هل يلحقكم ضيم ومشقة وتعب.(١)

❐ فائدة (٢): فائدة التشبيه بالشمس والقمر:

وهذا التشبيه من الرسول ﷺ، لبيان مدى وضوح رؤية المؤمنين لربهم تبارك وتعالى، فإنهم يرونه كما يرون الشمس في اليوم الصافي الذي لا سحاب فيه، عندما تكون الشمس في أجلى حالاتها وأظهرها، وهو وقت الظهيرة، ويرونه كما يرون القمر عندما يكون في أجلى حالاته وأظهرها، وهو ليلة البدر في ليلة صافيةٍ لا سحاب فيها.

❐ فائدة (٣): سبب التوضيح بهذا المثال:

أن بعض الناس يصعب عليه أن يتصور رؤية هذا العدد الكبير من الناس لربهم، وهو واحدٌ سبحانه، فضرب لهم المثل بالشمس والقمر، فلو وقف المليارات الكثيرة يرون الشمس والقمر، لرأوهما من غير أن يصيبهم عناء.

(**قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ!. قَالَ: "مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**) أَيْ: لَوْ كَانَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا مُضَارَّةٌ حاصلةً لأحدكم، لَكَانَ فِي رُؤْيَتِهِ تعالى مُضَارَّةٌ.

❐ فائدة (٤): رؤية الله في الآخرة:

من عقيدة أهل السنة أنَّ المؤمنين يرون ربهم عياناً يوم القيامة، وهذا ثابت

---

(١) شرح النووي على مسلم، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.

بالكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وقوله ﷺ: **"إنكم سترون ربكم [عيانـًا] كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته... "**(١)

وقوله ﷺ: **" إذا دخل أهل الجنة الجنة؛ يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم عَزَّ وجَلَّ، ثم تلا هذه الآية:** ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾.(٢)

قال أبو الحسن الأشعري ـ في رسالةٍ إلى أهل الثغر ـ: "وأجمعوا على أنَّ المؤمنين يرون الله عَزَّ وجَلَّ يوم القيامة بأعين وجوههم، على ما أخبر به تعالى، في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾، وقد بيَّن معنى ذلك النبي ﷺ، ودفع إشكاله فيه؛ بقوله للمؤمنين: "ترون ربكم عيانـاً"، وقوله: "ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر؛ لا تُضامون في رؤيته"، فبيَّن أنَّ رؤيته تعالى بأعين الوجوه".

والأحاديث في رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة كثيرة جدّاً، وقد تواترت عن رسول الله ﷺ، وتلقاها أتباعه بكل قبول لها، وكلهم يرجو ربه ويسأله أن يكون ممن يراه في جنات عدن يوم يلقاه.

(**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ:**) أي نادى منادٍ من الملائكة في عرصات القيامة بأمر الله تعالى برفيع صوته كي يعلم أهل الموقف فيقول في ندائه:

(١) متفق عليه من حديث جرير.

(٢) رواه مسلم من حديث صهيب.

(لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ) والمعنى: أن الله تعالى يصور لعباد الأصنام والأوثان وغيرها، تلك الآلهة الباطلة، فيتبعها عابدوها، حتى تهوى بهم في نار جهنم، فمن كان يعبد الشمس يتبعها، وكذلك القمر والنجوم، والبقر، والنار، وغيرها، حتى من كان يعبد الطواغيت من البشر، يُصورها الله لهم، فيتبعونهم، حتى يسقطون معهم في جهنم، وهذا هو قول الله تعالى عن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود:٩٨]

(حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ) بضم الغين وفتح الباء المشددة جمع غابر أي بقايا أهل الكتاب.

❒ فائدة (٥): فإن قيل: ولماذا أبقاهم الله؟

وإنما أبقاهم الله تعالى لأنهم يعبدون بشراً صالحـاً، فاليهود يعبدون عزيزاً والنصارى المسيح، فلايُذهب بمعبوداتهم إلى النار، بخلاف الأنصاب، فيبقيهم ليوبخهم توبيخـاً خاصـاً.

(فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟، قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ)

❒ فائدة (٦): من هو عزير؟

"عزير" رجل صالح من بني إسرائيل، والمشهور أنه من أنبياء بني إسرائيل، كما قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في "البداية والنهاية" وهذا المشهور غير ثابت، فقد روى أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لَا ؟ وَمَا أَدْرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لَا ؟ "** (١)

---

(١) صحيح أبي داود.

قال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله:" وهذا قاله ﷺ قبل أن يعلم عن حاله - يعني: تبّع - وقد جاء ما يدل على أنه قد أسلم فلا يكون لعينًا، وأما عزير: فلم يأت شيء يدل على أنه نبي " (١)

والمشهور كذلك أن عزير هو المذكور في قوله تعالى:﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٩]، حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَالسُّدِّيِّ وَسُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَة، قال ابن كثير: " وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْمَشْهُورُ " (٢)

جاء في المفهم: رجل من بني إسرائيل، قيل إنه لما حرّق بختنصّر التوراة وقتل القائمين بها والحافظين لها، قذفها الله في قلبه فقرأها عليهم، فقالت جهلة اليهود عنه إنه ابن الله.(٣)

(قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟) الورود إنما يقال لمن قصد إلى الماء ليشرب.

---

(١) شرح سنن أبي داود، المكتبة الشاملة.

(٢) تفسير ابن كثير.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.

(فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا!، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ) السراب: هو الشيء الذي يظنه رائيه ماءً، فيُذهبُ بهم إلى هذا السراب، فإذا ما وردوه وجدوا أنفسهم في نارٍ تلظى.

❏ فائدة (٧): عباد الأصنام لا يمرون على الصراط:

وفيه أن أولئك الذين يعبدون الأصنام والأوثان والطواغيت، لا يمرون على الصراط، إذ أن أمرهم مفروغٌ منه، فإنهم يدخلون جهنم قبل أن يُنصب الصراط على ظهرانَي جهنم، فالذين يُنصب لهم الجسر المؤمنون أخيارهم، وفُجَّارهم، " ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلم" (١)

(حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا) أي ظهر لهم الملك بصفة مخالفة لصفة الله تعالى التي علموه بها في الدنيا من كتابه العزيز من قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾

قال النووي: معنى رأوه فيها علموها له وهي صفته المعلومة للمؤمنين وهي أنه لا يشبهه شيء.

(١) رواه البخاري.

❐ **فائدة (٨): وهنا يَثبت صفتان لله سبحانه وتعالى:**

الصفة الأولى: صفة الإتيان، أهل السنة والجماعة يثبتون الإتيان لله تعالى، وكذلك صفة المجيء وأنه يجيء ويأتي بنفسه سبحانه، من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وهما من الصفات الفعلية الخبرية، والصفات الفعلية هي التي يتصف بها الله تعالى إذا شاء وليس على الدوام، بل يتصف بها سبحانه في وقت دون وقت.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾

الصفة الثانية: صفة الصورة:

وأهل السنة والجماعة يثبتون كذلك صفة الصورة لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تكييف، للحديث الذي معنا، ولحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال:**"رأيت ربي في أحسن صورة"**.(١)

(**قَالَ: فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ**) أَيْ: قُلْنَا لَكُمْ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَبَعْضُكُمُ اتَّبَعَ مَا عَبَدَهُ، فَلِمَ أَنْتُمْ أَيْضًا لَا تَتْبَعُونَهُ؟

(**قَالُوا يَا رَبَّنَا! فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ**) أي ما اتبعناهم، ولا أطعناهم، ولا صاحبناهم، بل قاطعناهم وعاديناهم ونحن أحوج ما نكون إليهم، ابتغاء مرضاتك، أفنتبعهم الآن ؟

---

(١) صحيح سنن الترمذي.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ تَضَرَّعُوا إِلَى اللهِ تَعَالَى وَلَجَأُوا إِلَيْهِ وَتَوَسَّلُوا بِهَذَا الْقَوْلِ الْمُشْعِرِ بِالْإِخْلَاصِ إِلَى الْخَلَاصِ، يَعْنِي: رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا، الَّذِينَ زَاغُوا عَنْ طَاعَتِكَ مِنَ الْأَقْرِبَاءِ، وَمِمَّنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِمْ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَهَكَذَا كَانَ دَأْبُ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُقَاطِعُونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ مَعَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، وَآثَرُوا رِضَا اللهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ.(١)

(فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ) وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ " فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ "

(فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ)

❏ فائدة (٩): الصلاة فرقان:

فيه أن الصلاة تُميز يوم القيامة بين المؤمنين والمنافقين، كما قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القلم: ٤٢-٤٣]

❏ فائدة (١٠): صفة الساق:

وفيه أن الساق صفةٌ من صفات الذات الخبريَّة، ثابتةٌ لله تعالى بالكتاب

---

(١) سرح صحيح.

وصريحِ السنة الصحيحية، للآية التي ذكرنا، والحديث الذي معنا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في نقض أساس التقديس ـ ما ملخصه ـ: والصحابة قد تنازعوا في تفسير الآية؛ هل المراد به الكشف عن الشِّدَّة، أو المراد به أنه يكشف الرب عن ساقه ؟ ولم تتنازع الصحابة والتابعون فيما يُذكر من آياتِ الصفات إلا في هذه الآية؛ بخلاف قوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾، ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ... ونحو ذلك؛ فإنه لم يتنازع فيها الصحابة والتابعون، وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أنَّ ذلك صفة لله تعالى؛ لأنه قال: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾، ولم يقل: عن ساق الله، ولا قال: يكشف الرب عن ساقه، وإنما ذكر ساقاً نكرة غير معرفة ولا مضافة، وهذا اللفظ بمجرده لا يدل على أنها ساق الله، والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن، وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرج في الصحيحين، الذي قال فيه "فيكشف الرب عن ساقه"، وقد يقال: إنَّ ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود، والسجود لا يصلح إلا لله، فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه، وأيضاً فحمل ذلك على الشِّدَّة لا يصح، لأن المستعمل في الشِّدَّة أن يقال: كشف الله الشِّدَّة، أي: أزالها، كما قال: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝٥٠﴾، وقال: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾، وقال: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾، وإذا كان المعروف من ذلك في اللغة أن يقال: كشف الشِّدَّة؛ أي: أزالها؛ فلفظ الآية: ﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، وهذا يراد به الإظهار والإبانة؛ كما قال: ﴿ كَشَفْنَا عَنْهُمُ ﴾ وأيضاً فهناك تحدث الشِّدَّة لا يزيلها، فلا يكشف الشِّدَّة يوم القيامة، لكن هذا الظاهر ليس ظاهراً من مجرد لفظة ﴿ سَاقٍ ﴾، بل بالتركيب والسياق

وتدبر المعنى المقصود"

(**ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**) أى علموه من تنزيهِهِ وتقديسه، واعتقدوه من أنه لا يشبُهُهُ شىء.

وقد فهم بعضهم من قوله: "وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة" أنهم رأوه أول ما حشروا.

وقال آخرون: إنهم عرفوا صورته بناء على ما عرفوه به حين أخرج ذرية آدم من صلبه، ثم أنساهم ذلك في الدنيا، ثم يذكرهم بها في الآخرة.

وقال آخرون: إن العلامة التي عرفوه بها، وهي الساق، يحتمل أن الله عرفهم على ألسنة الرسل من الملائكة أن الله جعل لهم علامة تجليه سبحانه كشف الساق.(١)

(**فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ**) أي الصراط.

(**عَلَى جَهَنَّمَ**) أي على ظهرانَيها.

(**وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ**) أي يأتي محلها، ويؤذن فيها، وسيأتي بيانها في القصة القادمة.

(**وَيَقُولُونَ:**) أي الرسل، كما في صحيح البخاري، وقد مرّ.

(**اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ**)

❐ فائدة (١١): فكيف بغيرهم؟

وإذا كانت هذه هي دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، سؤال النجاة

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم:الدكتور موسى شاهين.

والسلامة، فكيف بغيرهم، فاللهم سلم سلم.

(**قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟**) أي ما الصراط، وما صفته ؟

(**فقَالَ: دَحْضٌ مَزِلَّةٌ**) دَحْضٌ بدال مفتوحة وحاء ساكنة، و"مَزَلَّةٌ " بفتح الميم وفي الزاي الفتح والكسر، والدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر.

(**فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ**) الخطاطيف: جمع خطاف بضم الخاء وهي بمعنى الكلاليب وتقدم بيانه، والحسك: بفتح الحاء والسين، نبات ذو شوك من جميع الجهات يتعلق بأصواف الغنم، ويتخذ مثله في الشكل من الحديد آلة حرب.

❐ **فائدة (١٢): أسماء فقط:**

فيه دلالة على أن الأمور في الآخرة تشبه ما في الدنيا، لكن في الأسماء فقط، كما رُوي ذلك عن ابن عباس، قال: "ليس في الدنيا من الجنة شيء إلا الأسماء"(١) فالنبي ﷺ شَبَّه الكلاليب التي على الصراط بشوك السعدان المعروف في الدنيا من حيث التسمية لكنه في حقيقته يختلف عنه تماماً، حيث قال لأصحابه ﷺ:" **هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟**" قَالُوا: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللّهِ! قَالَ: "**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلاَّ الله**" (٢) وفيه حسن التعليم بالتشبيه والتقريب وهكذا يقال في المسميات التي جاء وصفها في الجنة كالنخل والرمان والفاكهة واللحم والأنهار ونحوها فإنها وإن تشابهت الأسماء إلا أن

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) رواه البخاري.

الحقيقة تختلف.

قولـه (**فَيَمُـرُّ الْمُؤْمِنُـونَ كَطَـرْفِ الْعَـيْنِ، وَكَـالْبَرْقِ، وَكَـالرِّيحِ، وَكَـالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْـلِ**) هِيَ جَمْعُ أَجْوَادٍ، وَهُوَ جَمْعُ جَوَادٍ، وَهُوَ الْفَارِسُ السَّابِقُ الْجَيِّدُ، كَذَا فِي النِّهَايَةِ.

(**وَالرِّكَابِ**) والمراد: الإبل.

(**فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**) نَاج:من النجاة سالم، مَخْدُوشٌ:مَن أصابه خدْش ثم أُرسل، أي خلُص ونجا بعدما خُدش وأصابه ما أصابه، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ: ومنه تكدست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضاً،

❐ فائدة (١٣): أقسام الناس على الصراط:

إذن الناس على الصراط على ثلاثة أقسام: قسم يَسلَم وينجو بلا ضرر، وقسم ينجو بعدما يُخدش، وقسم مكدوس مُلقىً في جهنم.

❐ فائدة (١٤): صفة الصراط:

يصَفَ النبيُّ ﷺ الصراط، وأحوالَ الناس عليه، فيقولَ: "**فيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كالْبَرْقِ، قالَ: قُلْتُ: بأبي أنتَ وأُمِّي أيُّ شيءٍ كَمَرِّ البَرْقِ؟ قالَ: أَلَمْ تَرَوْا إلى البَرْقِ كيفَ يَمُرُّ ويَرْجِعُ في طَرْفَةِ عينٍ؟ ثمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وشَدِّ الرِّجالِ، تَجْرِي بهِمْ أعمالُهُمْ ونبيُّكُمْ قائمٌ علَى الصِّراطِ يقولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حتَّى تَعْجِزَ أعمالُ العِبادِ، حتى يَجِيءَ الرَّجُلُ فلا يَستطيعُ السَّيْرَ إلاَّ زَحْفًا**" (١)

---

(١) رواه مسلم.

وفي روايةٍ للبخاري: "**فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وناجٍ مَخْدُوشٌ، ومكْدُوسٌ في نارِ جَهَنَّمَ، حتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْباً**"

وفي روايةٍ لمسلمٍ: "**ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أوَّلُ زُمْرَةٍ وجُوهُهُمْ كالقَمَرِ ليْلَةَ البَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفاً لا يُحاسَبُونَ، ثمَّ الذينَ يَلُونَهُمْ كأَضْوَأِ نَجْمٍ في السَّمَاءِ، ثمَّ كذلكَ ثمَّ تَحِلُّ الشَّفاعةُ**"

وفي روايةٍ: "**فيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ فيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ على قَدْرِ أعْمَالِهِمْ، فمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الجَبَلِ العظِيمِ يَسْعَى بينَ يدَيْهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يُعْطى نُورَهُ أصْغَرَ مِنْ ذلكَ، ومنهُمْ مَنْ يُعْطَى نُوراً مِثْلَ النَّخْلَةِ بيَمِينِهِ، ومنهُمْ مَنْ يُعْطى نُوراً أصْغَرَ من ذلكَ، حتى يكُونَ رَجُلاً يُعْطَى نُورَهُ على إبْهَامِ قَدَمِهِ يُضيءُ مَرَّةً ويَفِيءُ مَرَّةً، فإذا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ فَمَشَى، وإذا طُفِئَ قامَ، قالَ: والرَّبُّ عزَّ وجَلَّ أمَامَهُمْ، حتَّى يَمُرَّ في النارِ فيَبْقَى أَثَرُهُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضُ مَزِلَّةٍ، قالَ: ويقولُ: مُرُّوا، فيَمُرُّونَ على قَدْرِ نُورِهِمْ، منهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفِ العَيْنِ، ومنهم مَنْ يَمُرُّ كالْبَرْقِ، ومنهم منْ يَمُرُّ كالسَّحَابِ، ومنهُمْ مَنْ يَمُرُّ كانقِضَاضِ الكَوْكَبِ، ومنهم من يَمُرُّ كالرِّيحِ، ومنهم من يَمُرُّ كَشَدِّ الفَرَسِ، ومنهم من يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، حتى يَمُرَّ الذي أُعْطِيَ نُورَهُ على إبهامِ قَدَمَيْهِ يَحْبُو على وَجْهِهِ ويَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ تَخِرُّ رِجْلٌ، وتَعْلَقُ رِجْلٌ، ويُصِيبُ جَوَانِبَهُ النارُ، فلا يَزَالُ كذلكَ حتى يَخْلُصَ، فإذا خَلَصَ وَقَفَ عليها ثمَّ قالَ: الحمدُ للهِ، لقدْ أعطاني اللهُ ما لَمْ يُعْطِ أحَداً أنْ نَجَّاني منها بعدَ إذْ رأَيْتُهَا**" (١)

وقال أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف(٢) "(١)

---

(١) رواه الطبرانيُّ في الكبير وصحَّحه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.

(٢) ومع ذلك من سار على الصراط المستقيم في الدنيا، صار كالبرق على الصراط =

❐ فائدة (١٥): أقسام الناس في ذهابهم إلى النار:

ينقسم الناس في ذهابهم إلى النار على ثلاثة أقسام:

الأول: من لا يُحبسون، وإنما يَذهبون وما يعبدون من الأصنام والأنصاب إلى نار جهنم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ۝٩٨ ﴾ [الأنبياء: ٩٨] وهم سائر الكفار إلا أهل الكتاب.

الثاني: يُحبسون ثم يوبَّخون على ما ادعوه من عبادتهم كاليهود في عبادتهم في الدنيا عزيراً والنصارى في عبادتهم المسيح، وهؤلاء يُحبسون ويَعطشون ويَطلبون ماء فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب وهي نار يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون فيها.

الثالث: المنافقون وهم يكونون مع المؤمنين أول الأمر ويجازون من جنس أعمالهم كما كانوا يخادعون في عباداتهم في الدنيا فإنهم يفضحون بعدم استطاعتهم السجود فيعود ظهرُ أحدهم طبقاً واحداً كلما أراد أن يسجد انكفأ على قفاه، وهم يظنون أن تَسَتَّرهم بالمؤمنين سينفعهم كما نفعهم في الدنيا فيتوجهون إلى الصراط، فيقول المنافقون للذين آمنوا: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ [سورة الحديد:١٣]. فيرجعون إلى المكان الذي فيه قسم النور فلا يجدون شيئاً فيندفعون إلى النار.

= المنصوب على متن جهنم.

(١) رواه مسلم.

فائدة (١٦): المنجيات على الصراط:

من فضل الله علينا أن أرشدنا إلى العديد من الأعمال الصالحة التي يثبت الله صاحبها على الصراط، وكذلك العديد من الأعمال التي تقي صاحبها من النار، والذي يظهر أن من نجا من النار فقد عبر الصراط بسلام، من هذه الأعمال ما يلي:(١)

١ـ الإيمان بالله والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعانة الأخرق والمظلوم وكف الأذى:

عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ: ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: الإيمان بالله، قلت: يا نبي الله مع الإيمان عمل؟ قال: أن ترضخ - أي تعطي- مما خوَّلك الله، وترضخ مما رزقك الله، قلت: يا نبي الله فإن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ؟ قال: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر؟ قال: فليُعن الأخرق - وهو الذي لا صنعة له ـ قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: فليُعن مظلوما، قلت: يا نبي الله أرأيت إن كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مظلوما؟ قال: ما تريد أن تترك لصاحبك من خير؟ ليُمسك أذاه عن الناس، قلت: يا رسول الله أرأيت إن فعل هذا يدخله الجنة؟ قال: ما من عبد مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال، إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة. (٢)

٢- قضاء حوائج الناس وتفريج كربهم:

---

(١) تنبيه: اعلم أن المقصود من العمل الصالح، ليس مجرد تأديته، ولكن المداومة عليه.

(٢) رواه البيهقي، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجةٍ؛ أحبُ إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا ولو شاء أن يُمضيه أمضاه؛ ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزلُ الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسدُ الخلُ العسل.(١)

٣- الأعمال التي يحصل بها العبد على شفاعة النبي ﷺ:

فقد أخبر ﷺ بأنه سيشفع لأناس عند الصراط، وما ذلك إلا لاشتداد كرب الناس عنده، قال أنس بن مالك: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعل، قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: اطلبنى أول ما تطلبني على الصراط، قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبنى عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن.(٢)

ومن هذه الأعمال: سؤال الوسيلة للرسول ﷺ، والإكثار من الصلاة عليه، والإكثار من النوافل، والموت بالمدينة.(٣)

٤ـ الصبر على موت الولد:

فعن عبد الرحمن بن بشير الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: "من مات له

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) صحيح سنن الترمذي.

(٣) وسيأتي بيان ذلك عند الكلام على الشفاعة في القصة القادمة.

ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم يرد النار إلا عابر سبيل، يعني الجواز على الصراط " (١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحِلَّة القسم"** (٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ بابن لها يشتكي فقالت: يا رسول الله أخاف عليه وقد قدمت ثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: **"لقد احتظرت بحظار شديد من النار"**(٣) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"ما منكن امرأة تقدم بين يديها ثلاثة من ولدها إلا كانوا لها حجابا من النار"**، قالت امرأة: واثنين؟ قال: **"واثنين"** (٤)

٥ـ المحافظة على صلاتي الفجر والعصر:

عن عمارة بن رويبة أن رسول الله ﷺ قال: **"لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها"** (٥)

٦ـ المحافظة على ركعتي الضحى:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **"إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاث مائة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرا عن طريق الناس، أو شوكة أو عظما عن طريق**

---

(١) رواه الطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه النسائي،، والبخاري في الأدب المفرد، والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الترغيب.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

الناس، وأمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاث مائة السلامى، فإنه يمشي – وفي رواية يمسي– يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار".(١)

٧ـ المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وبعدها:

عن أم حبيبة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: **"من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حَرُمَ على النار".**(٢)

٨ـ تغبيرُ القدمين فيما يرضي الله عز وجل:

عن يزيد بن أبي مريم قال: لحقني عباية بن رفاعة بن رافع وأنا أمشي إلى الجمعة، فقال: أبشر فإن خطاك هذه في سبيل الله، سمعت أبا عبس يقول: قال رسول الله: من اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار.(٣)

٩ـ رد الغيبة عن المسلم والدفاع عنه وعدم رميه بشيء في عرضه أو نحوه:

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **"من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار"**، وفي رواية:" **من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة".**(٤)

وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ قال: **"من حَمَى مؤمنا من منافق أُرَاهُ قال: بعث الله ملكا يَحْمِي لحمه يوم القيامة من نار جهنم،**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه البخاري، والترمذي واللفظ له، والنسائي.

(٤) رواه الإمام أحمد، والترمذي، والبيهقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

ومن رمى مسلما بشيء يريد شَيْنَهُ به، حبسه الله على جسر جهنم حتى يَخْرُجَ مما قال". (١)

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **"من ذب عن عرض أخيه بالغيبة، كان حقا على الله أن يعتقه من النار".**(٢)

ومن تباطأ سيره على الصراط حتى حبس عليه لفحته النار والعياذ بالله، ولهذا قال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: إذا سمعت الرجل يقول لآخر: بيني وبينك الصراط، فاعلم أنه لا يعرف الصراط ولا يدري ما هو، لو عرف الصراط أحب أن لا يتعلق بأحد ولا يتعلق به أحد.(٣)

١٠ـ الصيام:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"الصيام جنة وحصن حصين من النار"**(٤)، وتزداد هذه الحصانة والوقاية إذا كان الصيام أثناء الجهاد، فعن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: **"من صام يوما في سبيل الله، جعل الله بينه وبين النار خندقا كما بين السماء والأرض"** (٥)

١١ـ البكاء من خشية الله عز وجل والحراسة في سبيل الله وغض البصر عما حرَّم الله:

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ: قال: **"لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى**

---

(١) صحيح أبي داود.

(٢) رواه الإمام أحمد، والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار لابن رجب الحنبلي.

(٤) رواه الإمام أحمد، والبيهقي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدا" (١)، وعن معاوية بن حيدة قال: قال رسول الله ﷺ: **" ثلاثة لا ترى أعينهم النار؛ عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله"**.(٢)

١٢ـ حسن الخلق مع الناس

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **"ألا أخبركم بمن يُحَرَّمُ على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هين سهل"**، وفي رواية للإمام أحمد: **"حُرِّمَ على النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ من الناس"** (٣)

١٣ـ الصبر على البنات وإعالتهن ورعايتهن:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: قال: **"من ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار"**(٤)، وعن عقبة بن عامر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته، كن له حجابا من النار يوم القيامة"**.(٥)

١٤ـ الصبر عند الإصابة بالحمى

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ عاد رجلا من وعك كان به فقال: "أبشر فإن الله

---

(١) رواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه الطبراني، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره.

(٣) رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن حبان، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه الإمام أحمد، والبيهقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المذنب لتكون حظه من النار"(١)

١٥ـ إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام

إن إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام أربعين يوما متواصلة يقي المؤمن من النار، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **"من صلى لله أربعين يوما في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، كتبت له براءتان؛ براءة من النار، وبراءة من النفاق"**(٢) (٣)

(حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ) ما منكم من أحد يناشد الله تعالى في الدنيا في استيفاء حقه، أو استقصائه، وتحصيله من خصمه، والمُعْتَدِي عليه بأشد من مناشدة المؤمنين الله تعالى في الشفاعة لإخوانهم يوم القيامة.

❐ فائدة (١٧): فضل الحب في الله:

وفيه بيان فضل المحبّة في الله تعالى، فإن هؤلاء المؤمنين الذي يجادلون عن إخوانهم ما حملهم على ذلك إلا المحبة التي ربطت بينهم، فقد نفعوهم في يوم لا ينفع فيه مال، ولا بنون.

(يَقُولُونَ: رَبَّنَا! كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ:

---

(١) رواه الإمام أحمد، والترمذي واللفظ له، وابن ماجه، والحاكم والبيهقي، وحسنه ابن كثير في النهاية، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) صحيح سنن الترمذي.

(٣) لم نُرد الاستقصاء، وإنما ذكرنا أشهر المنجيات على الصراط.

أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ) أي من إخوانكم الموصوفين بما ذكرتم.

وهذه الرواية صريحة في كون الإخراج للمؤمنين، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاريّ: "أمر الملائكة أن يُخرِجوهم"، ولا تعارض، فالذين يباشرون الإخراج هم الملائكة.

(فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ) وتعليل ذلك جاء في رواية: "فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ" وفي أخرى: "لَا تَأْكُلُ النَّارُ صُوَرَهُمْ"، والمراد مواضع سجودهم، ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الشيخين: "حرّم الله تعالى على النار أن تأكل أثر السجود"، وآثار السجود تكون في الأعضاء السبعة.

❐ فائدة (١٨): فضل السجود:

فيه دليل على فضل السجود والإكثار منه، فيستكثر العبد من الصلاة، فإن النار تأكل كل شيء في الإنسان إلا مواضع السجود،، قال بعض المتوسلين:

يا رب أعضاء السجود عتقتها من فضلك الوافي وأنت الباقي

والعتق يسري في الغنى يا ذا الغنى فامنن على الفاني بعتق الباقي

(فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ) فإن قيل: هذا نصّ على أن النار قد أخذت بعض أعضاء السجود، وهو يخالف قوله: "لا تأكل النار صُوَرهم"، وقوله: "حرّم الله تعالى على النار أن تأكل أثر السجود"، فكيف الجواب؟.

أجيب بأنا نقول: تأخذ النار، فتغيّرُ، ولا تأكل، فتذهب، ولا يبعد أن يقال: إن تحريم الصور على النار إنما يكون في حق هذه الطائفة المشفوع لهم أوّلًا لعلوّ رتبتهم على من يخرج بعدهم، فتكون النار لم تقرَب صورهم، ولا

وجوههم بالتغيير، ولا الأكل. (١)

(ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ) أي زيادة على التوحيد؛ لما جاء في رواية أخرى: "أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله، وعمل من الخير ما يزن ذرّة"

(فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ) بفتح المعجمة، وتشديد الراء المفتوحة، قيل: معناها: أقلّ الأشياء الموزونة. وقيل: هي الهباء الذي يظهر في شُعاع الشمس، مثل رؤوس الإبر. وقيل: هي النملة الصغيرة. ويُروى عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما، أنه قال: إذا وضعت كفّك في التراب، ثم نفضتها، فالساقط هو الذّرّ. (٢)

(فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا!)

❐ فائدة (١٩): شفاعة المؤمنين في إخوانهم:

هذه الشفاعة المذكورة هنا، هي نوعٌ من الشفاعة الحاصلة يوم القيامة، وهي شفاعة المؤمنين في إخوانهم وذويهم من أهل الإيمان.

---

(١) قاله القرطبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في "المفهم"

(٢) مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه: محمد بن علي بن آدم بن موسى.

❑ فائدة (٢٠): شروط الشفاعة يوم القيامة:

والشفاعة يوم القيامة لها شرطان:

الأول: إذن الله للشافع، وهذا من عظمة الله تعالى وكبريائه، أنه لا يتجاسر أحدٌ على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة، فقد قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ [يونس: ٣]، ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم: ٢٦]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

الثاني: رضاه تعالى عن الشافع والمشفوع له، فالشفاعة لا تكون إلا لمن رَضِيَ اللهُ عَنهُ، والله لا يرضى إلا عن أهل التوحيد والإخلاص، كما جاء في الحديث: " من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله ؟ قال: من قال لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه "[1]، وكذلك لا يأذن الله أن يُشفع إلا لمن ارتضى كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [طه: ١٠٩]، وهو سبحانه لا يرتضي إلا أهل التوحيد والإخلاص، وأما غيرهم، فقال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨] وقال تعالى عنهم: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١].

❑ فائدة (٢١): النار لا تأكل مواضع السجود:

وقد يستنبط من ذلك أن من كان لا يصلي لا يكون له نصيبٌ في هذا النوع

---

(١) رواه البخاري.

من الشهادة، إذ النار تكون قد غيرت صورته، وأكلت مواضع السجود عنده، فلا يعرفه إخوانه المؤمنون، وقد يكون له نصيبٌ في نوعٍ آخر من أنواع الشفاعة، على خلافٍ بين العلماء.

(وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ) أي بهذا الذي ذُكر في هذا الحديث من خروج الموحّدين الذين عندهم شيء من الإيمان من النار بشفاعة إخوانهم المؤمنين الصالحين.

قال القرطبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: هذا ليس على معنى أنهم اتّهموه، وإنما كان منه على معنى التأكيد.(١)

(فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠]).

❑ فائدة (٢٢): سعة رحمة الله:

فيه بيان سعة رحمة الله تعالى، وسعة جوده وكرمه، حيث إنه لا يُضيع أعمال عباده، وإن قلّت، وكانت مثقال ذرّة، بل يضاعفها، ويؤت من عنده أجرًا عظيمًا ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

(فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ) أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ خَيْرٌ زَائِدٌ عَلَى مُجَرَّدِ الْإِيمَانِ.

❑ فائدة (٢٣): أقوال أهل العلم في معنى " لم يعملوا خيرا قط ":

١ـ قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: "والمراد بقوله لم يعملوا خيرا قط من

---

(١) المفهم.

أعمال الجوارح وإن كان أصل التوحيد معهم" (١)

٢ـ قال ابن عبد البر: " وأما قوله لم يعمل حسنة قط وقد روي لم يعمل خيرا قط أنه لم يعذبه إلا ما عدا التوحيد من الحسنات والخير بدليل حديث أبي رافع المذكور وهذا شائع في لسان العرب أن يؤتى بلفظ الكل والمراد البعض وقد يقول العرب لم يفعل كذا قط يريد الأكثر من فعله ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام لا يضع عصاه عن عاتقه يريد أن الضرب للنساء كان منه كثيرا لا أن عصاه كانت ليلا ونهارا على عاتقه وقد فسرنا هذا المعنى في غير موضع من كتابنا هذا "(٢)

٣ـ ونحوه قول أبي عبيد القاسم بن سلام: "فإن قال (قائل): كيف يجوز أن يقال ليس بمؤمن، واسم الإيمان غير زائل عنه ؟ قيل هذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المستنكر في إزالة العمل عن عامله إذا كان عمله على غير حقيقته ألا ترى أنهم يقولون للصانع إذا كان ليس بمحكم لعمله: ما صنعت شيئا ولا عملت عملا، وإنما وقع معناهم هاهنا (على) نفي التجويد، لا على الصنعة نفسها، فهو عندهم عامل بالاسم، وغير عامل في الإتقان، حتى تكلموا به فيما هو أكثر من هذا، وذلك كرجل يعق أباه ويبلغ منه الأذى فيقال: ما هو بولده وهم يعلمون أنه ابن صلبه. ثم يقال مثله في الأخ والزوجة والمملوك. وإنما مذهبهم في هذا المزايلة من الأعمال الواجبة عليهم من الطاعة والبر...." (٣)

---

(١) التخويف من النار.

(٢) الاستذكار.

(٣) الإيمان.

٤ـ ويقول الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: "لم يعملوا خيرا قط " من الجنس الذي يقول العرب، ينفي الاسم عن الشيء لنقصه عن الكمال والتمام، فمعنى هذه اللفظة على هذا الأصل: لم يعملوا خيرا قط على التمام والكمال، لا على ما أوجب عليه وأمر به، وقد بينت هذا المعنى في مواضع من كتبي " (١)

٥ـ قال القاضي عياض: " والصحيح أن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان" (٢)

٦ـ وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: وأما ما جاء في الحديث –حديث أبي سعيد – أن قومـًا يدخلون الجنة لَم يعملوا خيراً قط فليس هو عامًّا لكل من ترك العمل وهو يقدر عليه، إنما هو خاص بأولئك لعذر منعهم من العلم أو لغير ذلك من المعاني التي تلائم النصوص المحكمة وما أجمع عليه السلف الصالح في هذا الباب.(٣)

٧ـ قال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: "معنى قوله: «لم يعملوا خيرا قط» أنهم ما عملوا أعمالا صالحة، لكن الإيمان قد وقر في قلوبهم، فإما أن يكون هؤلاء قد ماتوا قبل التمكن من العمل؛ آمنوا ثم ماتوا قبل أن يتمكنوا من العمل، وحينئذ يصدق عليهم أنهم لم يعملوا خيرا قط.

---

(١) التوحيد.

(٢) شرح مسلم.

(٣) رقم الفتوى (٢١٤٣٦) وتاريخ (٨/ ١/ ١٤٢١هـ)

رئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ وعضويه كل من الشيخ / صالح بن فوزان الفوزان والشيخ / بكر بن عبدالله أبي زيد.

وإما أن يكون هذا الحديث مقيدا بمثل الأحاديث الدالة على أن بعض الأعمال الصالحة تركها كفر، كالصلاة مثلا؛ فإن من لم يصل فهو كافر، ولو زعم أنه مؤمن بالله ورسوله، والكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة، وهو خالد مخلد في النار أبد الآبدين - والعياذ بالله -.

فالمهم أن هذا الحديث إما أن يكون في قوم آمنوا ولم يتمكنوا من العمل، فماتوا فور إيمانهم، فما عملوا خيرا قط.

وإما أن يكون هذا عاما، ولكنه يستثنى منه ما دلت النصوص الشرعية، على أنه لا بد أن يعمل كالصلاة، فمن لم يصل فهو كافر لا تنفعه الشفاعة، ولا يخرج من النار"(١) (٢)

٨ـ قال الشيخ ابن جبرين: "يعني أنهم لم يحملهم الإيمان الصادق على أن يعملوا نوافل ويعملوا حسنات ويعملوا طاعات سوى الأصول التي هي العقيدة وما ينجم عنها، هكذا حمل الحديث على أنهم أقاموا الواجبات ومن جملتها الصلوات، ولكنهم قصروا في تتماتها وتكملاتها" (٣)

٩ـ قال الشيخ عبدالعزيز الراجحي: "لم يعملوا خيرًا قط": أي: زيادة على التوحيد والإيمان. أما الكفار فلا يخرجون من النار، كما أخبر الله -تعالى- وهو أصدق القائلين:﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾.(٤)

---

(١) فتاوى العقيدة.

(٢) وهذا بناءً على القول بكفر تارك الصلاة، والمسألة الخلاف فيها بين أهل السنة سائغ.

(٣) شرح عمدة الأحكام.

(٤) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري.

وسئل حفظه الله: هناك بعض الأحاديث التي يستدل بها البعض على أن من ترك جميع الأعمال بالكلية فهو مؤمن ناقص الإيمان كحديث: لم يعملوا خيرا قط وحديث البطاقة وغيرها من الأحاديث؛ فكيف الجواب على ذلك؟
الجواب: ليس في هذه الأحاديث حجة لهذا القائل، فمن ترك جميع الأعمال بالكلية وزعم أنه يكتفي بما في قلبه من التصديق كما سبق فإنه لا يتحقق إيمانه إلا بالعمل، وأما أحاديث الشفاعة وأن المؤمنين الموحدين العصاة يشفع لهم الأنبياء والأفراط والشهداء والملائكة والمؤمنون وتبقى بقية لا تنالهم الشفاعة فيخرجهم رب العالمين برحمته، يخرج قوما من النار لم يعملوا خيرا قط، قال العلماء: المعنى لم يعملوا خيرا قط أي: زيادة على التوحيد والإيمان ولا بد من هذا؛ لأن النصوص يُضم بعضها إلى بعض وقد دلت النصوص على أن الجنة حرامٌ على المشركين. وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ أمر مناديا ينادي في بعض الغزوات: أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولما أمّر أبا بكر في الحج في السنة التاسعة من الهجرة أرسل معه مؤذنين يؤذنون منهم أبو هريرة وغيره يؤذنون في الناس بأربع كلمات منها: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد فهو إلى عهده، ومن لم يكن له عهد فهو إلى أربعة أشهر وهذا يدل على أنه لا يمكن أن يدخل الجنة كافر، قال تعالى: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ فهذه نصوص محكمة وهذا الحديث يُرد إليها، والقاعدة عند أهل العلم: أن المتشابه يُرد إلى المحكم. ولا يتعلق بالنصوص المتشابهة إلا أهل الزيغ كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ ﴾ [آل عمران: ٧]، وثبت في الحديث الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى

الله فاحذروهم وأما أهل الحق فإنهم يردون المتشابه إلى المحكم ويفسرونه به، وهذا الحديث فيه اشتباه لكنه يرد إلى المحكم من النصوص الواضحة المحكمة في أن المشرك لا يدخل الجنة وأن الجنة حرام عليه. فلا يمكن أن يكون معنى الحديث: لم يعملوا خيرا قط أنهم مشركون وليس عندهم توحيد وإيمان، وأنهم أخرجهم الله إلى الجنة فهذا لا يمكن أن يكون مرادا، وإنما المراد لم يعملوا خيرا قط أي: زيادة على التوحيد والإيمان، وكذلك حديث البطاقة ليس فيه أنه مشرك وإنما فيه أنه موحِّد ففيه أنه: يؤتى برجل ويخرج له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر سيئات، ويؤتى له ببطاقة فيها الشهادتان فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ومعلوم أن كل مسلم له مثل هذه البطاقة وكثير منهم يدخلون النار، لكن هذا الرجل لما قال هاتين الشهادتين قالها عن إخلاص وصدق وتوبة، فأحرقت هذه السيئات فثقلت البطاقة وطاشت السجلات.

١٠ـ قال الشيخ المنجد: لا تعارض بين إخراج أناس من النار جاء في وصفهم أنهم (لم يعملوا خيرا قط)، وبين الآيات الكثيرة التي تقرر خلود الكفار في نار جهنم، وذلك لأن هؤلاء الموصوفين في الحديث ليسوا من الكفار، بل هم من المؤمنين الموحدين، ولكنهم فرطوا في جنب الله، وأسرفوا على أنفسهم حتى تركوا أكثر العبادات والطاعات، ولم يبق لهم ما يدخلهم الجنة إلا الشفاعة.(١) (٢)

---

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب.

(٢) إذا أردت مزيد بحث هذه المسألة، فراجع: القول السديد في من لَمْ يَعْمَل خَيْرًا قَطُّ إِلَّا التَّوْحِيد، لعلي الحلبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(**قَدْ عَادوا حُمَمًا**) أي: صاروا حمماً، والحمم - بضم الحاء وفتح الميم الأولى المخففة - هو الفحم.

(**فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ**) أَيْ: فِي أَوَائِلِهَا، وَهُوَ جَمْعُ فُوَّهَةٍ بِضَمِّ الْفَاءِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ الْمَفْتُوحَةِ، وَهُوَ جَمْعٌ سُمِعَ مِنَ الْعَرَبِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَأَفْوَاهُ الْأَزِقَّةِ وَالْأَنْهَارِ أَوَائِلُهَا.(١)

(**يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ،**) الحبة:بكسر الحاء وتشديد الباء، اسم جامع لحبوب البقول التي تُنتثر إذا هاجت الريح، ثم إذا أمطرت من قابل نبتت، و حميل السيل: هو ما يحمله السيل من غثاء أو طين، فإذا اتفق فيه الحبة واستقرت على شط مجرى السيل نبتت في يوم وليلة، وهي أسرع نابتة نباتـاً.

والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته.

(**أَلَا تَرَوْنَهَا**) أي الحبة التي خرجت في حميل السيل.

(**تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟!**) أي ما يكون منها مُعرَّضـاً للشمس، يكون لونه أصفر، وأخضر، والذي لا يكون معرضـاً للشمس يكون لونه أبيض، فعجب الصحابة ﵃ من دقة وصفه ﷺ، فقالوا:

(**فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ!**) لأن الرعاة لكثرة مكثهم في البادية يلحظون مثل هذا الملحظ.

(**قَالَ: فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ**) في صفائهم وتلألؤ ألوانهم.

(**فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ**) أي بهذه الخواتم.

---

(١) شرح مشكاة المصابيح.

(هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ) إلا مجرد الإيمان.

(ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا! أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا! أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟، فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا)

❐ فائدة (٢٤): إثبات صفة الرضا لله تعالى:

فيه إثبات صفة الرضا لله تعالى، فأهل السنة يثبتون صفة الرضا لله سبحانه وتعالى، من غير تكييف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تحريف، وهي من الصفات الفعلية الخبرية، يتصف الله بها متى شاء، قال تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۞ ﴾ [البينة:٨]، وعن أبي سعيد وعائشة رضي الله عنهما عند مسلم مرفوعـًا:" اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك..."

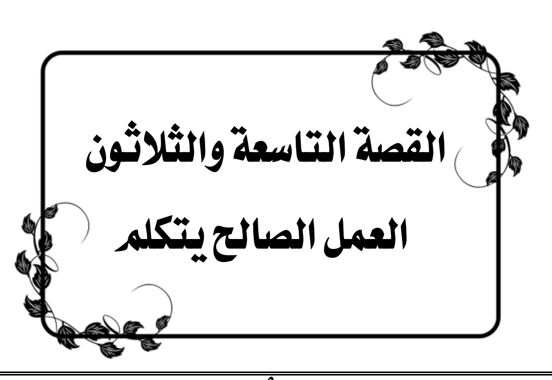
❐ فائدة (٢٥): ضرورة الاستعداد ليوم القيامة:

مجمل هذا الحديث يدفعنا إلى الاستعداد ليوم القيامة، وذلك بإخلاص الدين لله، وعبادته وحده لا شريك له، فذلك غاية وجودنا في هذه الحياة، فعَنِ الْبَرَاءِ بن عازب رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَى، حَتَّى بَلَّ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا.(١)

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا نُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه.



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَال رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّوْنَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَيَقُولُ: فَعَلَ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ آذَنَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، مَا تَقُولُ فِيهِ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟. فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبِرْنِي عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ: مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مُتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا،

ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ لِمَا بَدَأَ مِنْهُ، فَيَجْعَلُ نَسْمَتُهُ فِي النَّسِيمِ الطَّيِّبِ، وَهِيَ طَيْرٌ تَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] إلى آخر الآية قَالَ: وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ ثُمَّ أُتِيَ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يُوجَدْ شَيْءٌ ثَمَّ، أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَلاَ يُوجَدْ شَيْءٌ. فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ، حَتَّى يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مُتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا لَوْ أَطَعْتَهُ، فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ فِي قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، فَتِلْكَ المَعِيشَةُ الضَّنْكَةُ الَّتِي قَالَ اللهِ: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ ﴾ [طه: ١٢٤] ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي "صَحِيْحِهِ" وَاللَّفْظُ لَهُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الأَوْسَطِ" وَزَادَ:

قال أبو عمر - يعني الضرير-: قلت لحماد بن سلمة: كان هذا من أهل القبلة؟ قال: نعم. قال أبو عمر: كان شهد بهذه الشهادة على غير يقين يرجع إلى قلبه، كان يسمعُ الناس يقولون شيئًا، فيقولُهُ.

(إن الميت إذا وضع في قبره، إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه)

الخفق: بفتح الخاء وسكون الفاء: الصوت.

❐ فائدة (١) هل الأموات يسمعون كلام الأحياء؟

وفيه دليل على أن الأموات يسمعون كلام الأحياء وخطابهم، ويؤكد ذلك ما رواه البخاري من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، ياعتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربُّكم حقًا، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا، فقال عمر: يا رسول الله، كيف يسمعوا وأنّى يُجيبوا، وقد جَيَّفوا، فقال: " والذي نفسي بيدي، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا "

ورجح الشيخ الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك ـ بعد ذكر الخلاف الواقع في المسألة ـ وقال: إنه غير مخصوص بوقت ولا إنسان (١)

وقال: إن النصوص الصحيحة عنه ﷺ في سماع الموتى لم يثبت في الكتاب ولا في السنة شيءٌ يخالفها.(٢)

وهو اختيار ابن جرير الطبري، والقرطبي، وابن كثير، وابن القيم، وابن رجب، وغيرهم رحم الله الجميع.

(فإن كان مؤمنًا)

❐ فائدة (٢): حقيقة الإيمان:

الإيمان الحق هو الذي يدعو صاحبه إلى العمل الصالح، رجاءَ ما عند الله

---

(١) – ولا يصح أن يتعلق بذلك عُباد القبور، لأن الأموات إذا سمعوا، لم يقدروا على شيء.

(٢) – انظر أضواء البيان.

وترْكِ القبيح، خوفـاً من الله.

أما الأول: فلأن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [البروج: ١١]

وأما الثاني: فلأن الله تعالى قال: ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

(فإن كان مؤمناً، كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه(١)، فتقول الصلاة: ما قِبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام: ما قِبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قِبلي مدخل، ثم يؤتى من قِبل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قِبلي مدخل)

❑ فائدة (٣): العمل الصالح يتكلم:

في ذلك دليل أن العمل الصالح يتكلم في قبر المؤمن، ويُدافع عنه، ويكون سبباً في نجاته من عذاب القبر، فالصلاة تتكلم، والصيام يتكلم، والزكاة تتكلم، وفعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس، كل ذلك ونحوه يتكلم، ويكون سبباً في سعادة صاحبه وفرحه ونجاته.

❑ فائدة (٤): أسباب النجاة من عذاب القبر:

ومما ينجي من عذاب القبر ما يلي:

---

(١) - يأتيه الملكان أو العذاب أو الفتنة.

١-الشهادة في سبيل الله:

كما قال ﷺ: **"للشهيد عند الله سبع خصال: يُغفر له في أول دَفعة من دمه ويَرى مقعده من الجنة، ويُحلّى حلة الإيمان، ويُزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُجارمن عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنسانـًا من أهل بيته "** (١).

ولما قيل للنبي ﷺ: **"يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ فقال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة "** (٢). ولعل ذلك يشمل كل شهيد كالمطعون، والمبطون، والغرِق والحرِق، وصاحب ذات الجنب، والذي يموت تحت الهدم، والمرأة تموت بجمع – أي بولادة – والذي قتل دون ماله أو أهله أو دمه، كل أولئك سماهم النبي شهداء، وقد قال ﷺ: " من قتله بطنُه لم يعذب في قبره " (٣).

٢-المرابطة في سبيل الله:

قال ﷺ: **" رباط يوم في سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه، ومن مات فيه وُقِي فتنة القبر، ونما له عمله إلى يوم القيامة "** (٤).

٣-قراءة سورة تبارك وتدبرها:

---

(١) – رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.
(٢) – رواه النسائي والترمذي وصححه الألباني.
(٣) – رواه أحمد والترمذي والنسائي وصححه الألباني.
(٤) – صحيح أبي داود.

كما قال ﷺ: **" سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر "** (١).

٤-الموت يوم الجمعة أو ليلتها:

قال ﷺ: **" ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر "** (٢).

٥-الدعاء:

قال ﷺ: **" إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، تعوّذوا بالله من عذاب النار، تعوّذوا بالله من عذاب القبر، تعوّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، تعوذوا بالله من فتنة الدجال "** (٣).

٦-تجنب أسباب عذاب القبر:

وسيأتي بيان طرف منها.

(فيقال له اجلس، فيجلس وقد مُثلت له الشمس وقد آذنت للغروب)

❒ فائدة (٥): نور الطاعات:

وذلك إشارة إلى ارتحاله من الدنيا، وغروبه عنها، وقيل: ذلك إشارة إلى أن قبر المؤمن ليس فيه ظلمة، وإنما هو نور من نور الصلاة والذكر والقرآن والطاعات، فإذا أقاموه للسؤال، مثلت له الشمس حال غروبها، وهذا هو الجو

(١) - أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني

(٢) - أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

(٣) - رواه مسلم.

الجميل الذي تستحسنه الأبصار وترتاح له النفوس.

(فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم، ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟)

❒ فائدة (٦) فإن قيل: هل الإجابة يسيرة؟

ولا يظنّن ظان أن الإجابة على هذا التساؤل يسيرة، وهي الإجابة المعروفة التي يحفظها الناس اليوم !!

فالسؤال ليس نظرياً مقالياً، وإنما هو عملي بالدرجة الولى، لا يجيب عليه إلا من كان يسيرُ في حياته على منهاج النبوة، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾ [القصص: ٦٥]

(فيقول: دعوني أصلي)

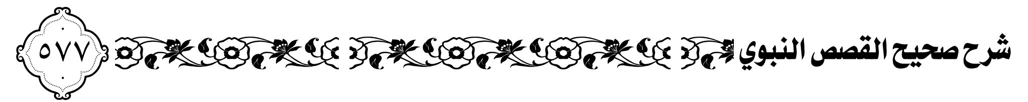
❒ فائدة (٧) يا سعادةَ من كان قلبه معلقاً بالمساجد !

وإنما قال ذلك، ظناً منه أنه لم يمت، إنما هو في حالة إغماء أو سكرات، فلما رأى الشمس التي مُثلت له أنها غاربة أراد أن يُدرك العصر قبل فواته، وفي هذا إشارة إلى أن قلبه معلق بالمساجد، معلق بالله والصلاة، فهو إذن من السبعة السعداء الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

والسؤال الملح: هل إذا حصل اليوم للعبد حالة إعياء أدّت إلى إغماء ثم أفاق سأل عن الصلاة ؟

فاختبر إيمانك، وقف على حقيقة نفسك، وأصلح قبل فوات الأوان.

(فيقال: إنك ستفعل)



❐ فائدة (٨) هل المؤمن يصلي في قبره؟

وفيه أن المؤمن يصلي في قبره، وهذا من جملة نعيم القبر للمؤمن، ويؤكد ذلك ما رواه الإمام مسلم أن النبي ﷺ ليلة أُسري به رأى موسى في قبره في صلاة، وثبت عنه ﷺ – كما عند أبي يعلى – أنه قال: " **الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون** " (١).

"كَانَ ثَابت الْبنانِيّ يستوحش لفقد التَّعَبُّد بعد مَوته، فَيَقُول: يَا رب إِن كنت أَذِنت لأحد أَن يُصَلِّي فِي قَبره فَأْذن لي" (٢)

وعن شيبان بن جسر، عن أبيه قال: أنا والله الذي لا إله إلا هو، أدخلت ثابتًا البناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لحدَه ومعي حميد الطويل – أو رجل غيره – شك محمد، قال: فلما سوينا عليه اللبِن، سقطت لبِنة فإذا أنا به يصلي في قبره، فقلت للذي معي: ألا ترى قال: اسكت! فلما سوينا عليه وفرغنا، أتينا ابنته فقلنا لها: ما كان عمل أبيك ثابت؟ فقالت: وما رأيتم؟ فأخبرناها، فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان السحر، قال في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحدًا من خلقك الصلاة في قبره، فأعطنيها فما كان الله ليرد ذلك الدعاء.(٣)

(أخبرنا عما نسألك عنه: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم: ما تقول فيه وماذا تشهد عليه ؟ فيقول: محمدٌ أشهد أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مُتَّ، وعلى ذلك تُبعث إن شاء الله)

---

(١) – انظر أحكام الجنائز / الألباني.

(٢) المدهش لابن الجوزي.

(٣) حلية الأولياء، وصفة الصفوة، وموسوعة ابن أبي الدنيا.

❐ **فائدة (٩) يبعث كل عبدٍ على ما مات عليه:**

أجرى الله الكريم عادته بكرمه: أن من عاش على الطاعة مخلصاً لله، ومُتبعًا لهدي رسول الله ﷺ، فإنه يموت على ذلك، ويلقى ربه على ذلك، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

فأعظم سبب لحسن الخاتمة، أن يعيش العبد على طاعة الله في هذه الدنيا.

(ثم يفتح له بابٌ من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسروراً، ثم يُفتح له بابٌ من أبواب النار، فيقال: هذا مقعدك منها، وما أعدّ الله لك فيها لو عصيته فيزداد غبطة وسروراً، ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويُنَوّر له فيه)

❐ **فائدة (١٠): نعيم القبر:**

فيه دليل على أن المؤمن منعم في قبره.

وقد قال ﷺ: " **إذا وُضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: ياويلها، أين تذهبون بها، يسمع صوتَها كلُّ شيءٍ إلا الإنسان، ولو سمعها لصُعق** " (١).

(ويُعاد الجسدُ لما بدأ منه) أي إلى التراب.

❐ **فائدة (١١) إلا أجساد الأنبياء:**

ويستثنى من ذلك: جسد الأنبياء كخصيصة، وجسد بعض الأولياء والصالحين ككرامة، فقد قال ﷺ: " **إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد**

---

(١) - رواه البخاري.

الأنبياء " (١)

قال ابن عبد البر في "التمهيد": "رُوي في أجساد الأنبياء والشهداء أن الأرض لا تأكلهم، وحسبك ما جاء في شهداء أحد وغيرهم، وإذا جاز أن لا تأكل الأرض عجب الذنب جاز أن لا تأكل الشهداء، وذلك كله حكم الله وحكمته "

وقال القرطبي في "المفهم شرح مسلم": "وظاهر هذا: أن الأرض لا تاكل أجساد الشهداء، والمؤذنين المحتسبين، وقد شوهد هذا فيمن اطلع عليه من الشهداء، فوجدوا كما دفنوا بعد آماد طويلة، كما ذكر في السير وغيرها "

ولكننا لا نعلم دليلا صحيحا من السنة النبوية يدل على أن الشهيد لا تأكله الأرض، غير أنه وُجد في وقائع كثيرة بقاء بعض الشهداء مدة بعد دفنهم.

فقد روى البخاري عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، في قصة استشهاد والده في غزوة أحد، قال: "فَأَصْبَحْنَا فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ، وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ فِى قَبْرٍ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِى أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الآخَرِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيَّةً، غَيْرَ أُذُنِهِ"، وفي رواية أبي داود: "فَمَا أَنْكَرْتُ مِنْهُ شَيْئًا إِلاَّ شُعَيْرَاتٍ كُنَّ فِى لِحْيَتِهِ مِمَّا يَلِى الأَرْضَ ".

وقد عقد القرطبي في "التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة" بابا ذكر فيه شيئا من ذلك، ولكن لا نستطيع الجزم بأن ذلك يكون لكل شهيد، وأنه يبقى إلى يوم القيامة.

---

(١) - رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وانظر صحيح الجامع.

وقال ابن أبي العز الحنفي في "شرح الطحاوية": "وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء كما روي في السنن، وأما الشهداء: فقد شوهد منهم بَعدَ مُدَدٍ مِن دفنه كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة، والله أعلم، وكأنه - والله أعلم - كلما كانت الشهادة أكمل والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول "

وقال الشيخ ابن عثيمين في "لقاءات الباب المفتوح": " أما الشهداء والصديقون والصالحون فهؤلاء قد لا تأكل الأرض بعضهم كرامة لهم، وإلا فالأصل أنها تأكله ولا يبقى إلا عجب الذنب ".

(وتُجعل نسمتُه – الروح – في النسيم الطيب، وهي طيرٌ تعلق في شجر الجنة)

❐ فائدة (١٢) أرواح المؤمنين:

وفيه أن أرواح المؤمنين الصادقين في الجنة تسرح حيث شاءت، وأن أرواح الكافرين والمجرمين في أسفل سافلين.

(قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ ﴾ [إبراهيم: ٢٧])

❐ فائدة (١٣)

المح المناسبة بين قوله سبحانه: ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ وبين قوله ﴿ وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾ بعد الحديث عن الثبات، تجد إشارة إلى أن من ثبت في الدنيا على الصلاة والقرآن وطاعة الله، ثبت في الآخرة، في أول منازلها، وهو القبر، وإذا ثبت العبد في أول منازل الآخرة، ثبت في سائر منازلها.

فقد كان عثمان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا ؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: **"إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه "** (١).

(وإن الكافر إذا أُتي من قِبل رأسه)

❐ **فائدة (١٤) هل يُقصد بهذا الكافر الأصلي الذي لم يؤمن بالله وكتبه ورسله ورسالاته ؟**

الجواب: ليس بالضرورة أن يكون هو، فقد جاء في رواية عند ابن حبان أيضـًا: " وأما الكافر والمنافق..." وفي سنن الترمذي: " إذا دُفن العبد الفاجر أو الكافر..."

فكلمة الكافر هنا تشمل الكافر والفاجر والمنافق والمعرض وأشباههم وستأتي أدلة مزيدة على ذلك في ثنايا حكاية هذا الكافر كما يحكيها لنا النبي عليه الصلاة والسلام.

(لم يوجد شيء، ثم أُتي عن يمينه فلا يوجد شيء، ثم أتي عن شماله فلا يوجد شيء) أي لا صلاة، ولا صوم، ولا زكاة ولا فعل للخيرات من صدقة أو صلة أو معروف أو إحسان إلى الناس أو نحو ذلك، أعمال الإيمان ليست موجودة للدفاع عنه !!

(فيقال له: اجلس، فيجلس خائفـًا مرعوبـًا)

---

(١) – صحيح الترمذي.

❐ **فائدة (١٥) الخوف لمن لم يخَفْ هنا، والأمن لمن خاف:**

وهذا شأن من لم يخف الله في هذه الحياة، يظل خائفـًا بعد ذلك دائما وأبداً، لكن من آمن بالله وخافه في هذه الحياة، أمّنه الله هنا، وفي القبر ويوم الفزع الأكبر.

ففي الحديث الإلهي: **"وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يوم القيامة"**(١)

قال علقمة بن مرشد: قام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ فقال: كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال الحسن: والله لئن تصحب أقوامًا يخوفونك حتى يدركك الأمن، خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك، حتى يلحقك الخوف.(٢)

(فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم، فلا يهتدي لاسمه)

❐ **فائدة (١٦) فإن قيل: كيف ؟ وقد كان يعرفه في الدنيا، فكم تردد الاسم في الدنيا على مسامعه ؟**

وكم ردده هو ؟ لكن الأمر كما ذكرتُ لك آنفـًا أن الإجابة ساعتئذ ليست نظرية، وإنماهي العمل والاستقامة والصلاح.

(حتى يُقال له محمد، فيقول: ما أدري، سمعت الناس قالوا قولاً فقلت كما قال الناس)

❐ **فائدة (١٧): ربما قد كان مسلمـًا (في البطاقة !!)**

وفي ذلك إشارة إلى أنه ربما قد كان مسلمـًا (في البطاقة !!)

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني في الصحيحة

(٢) الحلية لأبي نعيم.

لكن النبي ﷺ هنا أطلق عليه الكفر، إما لأنه قد كان كذلك فعلاً أو كان مسلماً ثم وقع منه الكفر بترك الصلاة أو بارتكاب ما يناقض الإيمان، أو لأنه تشبه بالكفار في فعلهم وأحوالهم، أو غير ذلك عياذاً بالله.

(فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مُتَّ، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله)

❐ فائدة (١٨) من أسباب سوء الخاتمة:

فمن عاش متبعـاً لهواه، لاهثـاً وراء دنياه، لم يمت إلا على مثل هذه الحال ولم يبعث إلا عليها، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

فمن أسباب سوء الخاتمة أن يعيش العبد في هذه الحياة معرضـاً عن الله، أو حتى متنقلاً بين الطاعات والمعاصي.

(ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها، فيزداد حسرة وثبوراً، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: ذلك مقعدك من الجنة وما أعد الله لك فيها لو أطعته، فيزداد حسرة وثبوراً، ثم يضيق عليه في قبره حتى تختلف فيه أضلاعه)

❐ فائدة (١٩): عذاب القبر:

وفيه دليل على أن غير أهل الإيمان معذبون في قبورهم

والأدلة على عذاب القبر كثيرة من الكتاب والسنة منها:

- قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٣]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وهذا خطاب لهم عند الموت، وقد أخبرت الملائكة - وهم الصادقون – أنهم حينئذ يُجزون عذاب الهُون، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ﴾

- وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: نعم القبر حق، قالت: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى صلاة إلا تعوّذ من عذاب القبر " [1].

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: "**.... وأما الكافر والمنافق، فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يُضرب بمطرقة من حديد ضربةً بين أذنيه، فيصيحُ صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين** " [2].

❐ **فائدة (٢٠): من أسباب عذاب القبر:**

واعلم أن أسباب عذاب القبر كثيرة منها ما يلي:

١-عدم الحفاظ على الطهارة، أو عدم التستر منها.

٢-التفريط في الصلاة.

٣-المشي بين الناس بالنميمة.

٤-الغيبة، وإيذاء الناس باللسان.

٥-نياحة أهل الميت عليه.

---

(١) - رواه البخاري.

(٢) - رواه البخاري.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مرّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة " (١).

وقوله: " **لا يستتر من بوله**"، وفي رواية " **لا يستبرئ** " وأخرى " **لا يستنزه** " وكلها معاني متقاربة، حاصلها أن عدم المحافظة على الطهارة من أسباب عذاب القبر.

ولماذا ؟ لأن الطهارة مفتاح الصلاة، ففيه إشارة واضحة إلى أن التفريط في أداء الصلوات من أسباب عذاب القبر من باب أولى.

وفي الحديث أن نقل الكلام بين الناس على وجه يُفسد بينهم، من أسباب عذاب القبر.

وعند ابن ماجه من حديث أبي بكرة أن النبي ﷺ قال: " وأما الآخر فيعذب في الغيبة " (٢).

وعند ابن حبان من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: " وأما الآخر فكان يؤذي الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة " (٣).

فمن أسباب عذاب القبر: الغيبة، وإيذاء الناس باللسان.

وقال ﷺ: "**الميت يُعذب في قبره بما نيح له** " (٤).

---

(١) – متفق عليه.
(٢) – صحيح ابن ماجه.
(٣) – صحيح ابن حبان.
(٤) – رواه مسلم

وهذا العذاب إنما يكون لمن أوصى أهله بالنياحة عليه بعد موته، أو لم يوص أهله بترك النياحة مع علمه أنهم سيفعلون ذلك.

(فتلك المعيشة الضنكة التي قال الله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾) [طه: ١٢٤]

☐ فائدة (٢١): المعيشة الضنكة:

فإذا أردت أن تعرف المعيشة الضنكة على الحقيقة، فاستشعر هذه اللحظات التي توضع فيها في قبرك، وقد خرجت من هذه الدنيا صفر اليدين، فرّطت في الصلوات، واتبعت الهوى، وجريت وراء الشهوات، وأعرضت عن طاعة رب الأرض والسماوات.

من استشعر هذه اللحظات، قام الآن مستدركـاً لما فات، مصححـاً فيما هو آت قبل حلول السكرات واشتداد الكربات.

يا من بدنياه انشغل وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

(قال أبو عمر – يعني الضرير –: قلت لحمادِ بن سلمة: كان هذا من أهل القبلة ؟ قال: نعم)

☐ فائدة (٢٢): هل المسلم يُعذَّب في قبره؟

وفيه أنه كان مسلمـاً، فالمسلم المُعْرِضُ عن ربه يُعذّب في قبره.

(قال: نعم كان شهد بهذه الشهادة على غير يقينٍ يرجع إلى قلبه)

☐ فائدة (٢٣): "لا إله إلا الله" منهج حياة:

نستفيد من ذلك أن لا إله إلا الله " ليست مجرد كلمةٍ تقال ولا شعارٍ يُرفع،

إنما " لا إله إلا الله " منهج حياة، يقولها العبد موقنـًا بها، موقنـًا بما دلت عليه يقينـًا جازمـًا، فلا إيمان لمن قالها عن غير يقين، ولو قالها بعدد الأنفاس، ولو صرخ بها حتى يُسمع جميع الناس.

- اليقين بصدق القرآن المبين.
- اليقين بما أخبر به الرسول الآمين.
- اليقين بأن المستقبل للإسلام.
- اليقين بالنصر والتمكين، وأن العاقبة للمتقين.
- اليقين بقدرة رب العالمين.
- اليقين بالموت.
- اليقين بالرزق.
- اليقين بالحساب والجزاء.

❐ فائدة (٢٤) فإن قيل: كيف نصل إلى اليقين؟

واليقين إنما يصل إليه العبد من خلال ما يلي:

١-العيش مع كتاب الله:

كما قال ﷺ: " من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة، كأنه رأيُ عين، فليقرأ: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ ﴾، و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ ﴾ و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ ﴾ (١).

٢-الدعاء:

---

(١) – رواه الترمذي وصححه الألباني.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلسٍ حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه:

" اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهوّن به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا.."(١).

وكان ﷺ يقول: **" سلو الله العافية واليقين، فما أُعطي أحدٌ بعد اليقين شيئًا خيراً من العافية، فسلوهما الله تعالى "** (٢).

(كان يَسمع الناس يقولون شيئًا، فيقوله)

❐ فائدة (٢٥): وجوب تعلُّم الإيمان:

نستفيد من ذلك أن الإيمان ينبغي على الإنسان أن يتعلمه ويعيش به، ويصل إلى الله من خلاله، لا أن يعيش كما يعيش الناس، ويقول ما يقوله الناس، و **" لا إله إلا الله "** إنما تقال بصدق ويقين وإخلاص ومحبة وعلم.

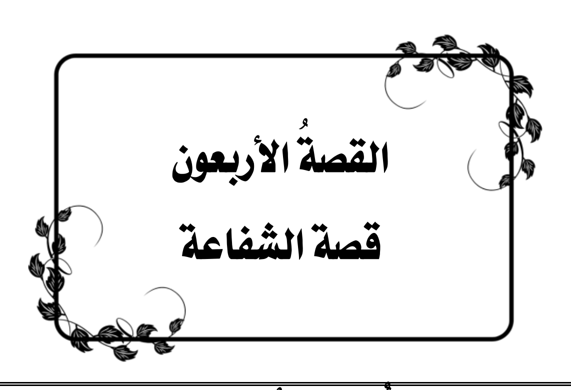
" لا إله إلا الله " ينبغي أن ينقاد الإنسان ويُذعن لِما دلَّت عليه، ويَقبل ما دلت عليه، أما من يقولها يَهذِي بها هَذَيانـًا ككلام النائم، لا يعلم معناها، ولا يعمل بمقتضاها، فكيف ينجو بها بين يدي الله غداً ؟ !

اللهم اجعل قبورنا بعد فراق الدنيا روضه من رياض الجنه ونوِّر لنا فيها

---

(١) صحيح الترمذي.

(٢) – صححه الألباني في تحقيق الإيمان لابن تيمية.



القصةُ الأربعون
قصة الشفاعة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: أُتِيَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: يومًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، فَقَالَ: "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَّ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ، وَمَا لاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسُ لِبَعْضٍ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟. فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟، فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، ﷺ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى

رَبِّكَ. أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟. فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذِبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟. فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟! فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي. ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي. أُمَّتِي. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! أَدْخِلِ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهجر، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى".

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(أُتِيَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: يومًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً) أي أخذ بأطراف أسنانه، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ تعالى: محبته ﷺ للذراع لنضجها وسرعة استمرائها مع زيادة لذَّتها وحلاوة مذاقها وبُعْدها عن مواضع الأذى. (١)

(فَقَالَ: "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ) قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: قيل السيد الذي يفوق قومه، والذي يفزع إليه في الشدائد، والنبي ﷺ سيدهم في الدنيا والآخرة؛ وإنما خصَّ يوم القيامة؛ لارتفاع السؤدد فيها وتسليم جميعهم له، ولكون آدم وجميع أولاده تحت لوائه ﷺ.(٢)

❐ **فائدة (١): فإن قيل: لما قال النبي ﷺ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟**

الجواب: أمره الله سبحانه أن يقول هذا، نصيحة للأمة ليعرفوا حقه ﷺ، فيُحبوه ويُعظموه ويمتثلوا أمره ويجتنبوا نهيه، ويتقربوا إليه بالصلاة عليه والمدح له واتباعه، فيَكثر بذلك ثوابهم وترتفع درجاتهم ويتخلصوا بذلك من أهوال الدنيا والآخرة.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: "إنما قال هذا ﷺ تحدُّثًا بنعمة الله تعالى، وقد أمره الله تعالى بهذا ونصيحة لنا بتعريفنا حقَّه ﷺ" (٣)

(وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَّ ذَاكَ؟) أي هل تدرون بأي سببٍ كانت سيادتي لجميع الناس يوم القيامة؟

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي.

(**يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ،**) الصعيد: الأرض الواسعة المستوية.

(**فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ**) أي إذا وقف بين أيديهم واقفٌ، يرونه جميعـًا، وإذا نادى فيهم يسمعونه.

والمقصود أنهم مجتمِعون مهتمُّون بما هم فيه لا يخفى منهم أحد بحيث إن دعاهم داع سمعوه وإن نظر إليهم ناظر أدركهم، ليس بعضها أخفض من بعض ليس هناك سِرب ولا مدخل ولا شجر يستتر به أحد ويُخفي نفسه حتى لا ينال حر الشمس ولا يُشاهد تلك الأهوال العظام، بل الكل قد بدا أمره، وظهر خبرُه، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحاقة:١٨]

(**وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَمَا لاَ يَحْتَمِلُونَ**) فالأمر لا يُحتمل، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ حَتَّى تَكُونَ قِيدَ مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ" قَالَ سُلَيْمٌ: لَا أَدْرِي أَيُّ الْمِيلَيْنِ يَعْنِي أَمَسَافَةُ الْأَرْضِ أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكَحَّلُ بِهِ الْعَيْنُ؟ قَالَ: "فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى عَقِبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ومنهم من يأخذه إلى حقويه ومنه مَنْ يُلْجِمُهُ إِلْجَامًا" قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُشِيرُ بِيَدِهِ إلى فيه يقول: "يلجمهم إلجاما" (١)

(**فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسُ لِبَعْضٍ:**) على سبيل الشكاية.

---

(١) صحيح ابن حبان.

(**أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟**) من الكربات والشدائد.

(**أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟**) ألا تبحثون عمن يطلب لكم الخير والنجاة من هذه الشدائد ؟ فالشفاعة طلب الخير من الغير للغير.

(**فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ...**) والقائلون من بين الخلائق هم المؤمنون، ألهمهم ربهم أن يأتوا الأنبياء طلباً للشفاعة، ليستريحوا من طول الموقف وشدته.

(**فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ**) كما رُوي عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: "خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وآدم، وجنة عدن، ثم قال لسائر الخلق: كن فكان" (١)

(**وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟، فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**) لأن أيام الدنيا كانت أيام إمهالٍ وإنظارٍ للعباد، لعلهم يرجعون إليه ويتوبون، لكن اليوم زال الإمهال، وحلَّت ساعة الحساب على الأعمال.

❐ فائدة (٢): إثبات صفة الغضب:

أهل السنة والجماعة يثبتون صفة الغضب لله عَزَّ وجلَّ بوجه يليق بجلاله

---

(١) رواه الطبري في "جامع البيان"، والدارمي في "نقضه على المريسي"، وأبو الشيخ الأصفهاني في "العظمة"، والآجري في "الشريعة"، والحاكم في "المستدرك"، والبيهقي في "الأسماء والصفات". قال الحاكم بعد إخراجه للأثر: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وعظمته، لا يكيفون ولا يشبهون ولا يؤولون؛ كمن يقول: الغضب إرادة العقاب، ولا يعطلون، بل يقولون:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

قال الطحاوي في عقيدته المشهورة: "والله يغضب ويرضى لا كأحدٍ من الورى"

قال الشارح ابن أبي العز الحنفي: "ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى والعداوة والولاية والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة".

❐ فائدة (٣): من آثار غضبه عز وجل:

قد يكون من آثار غضب الله ما يظهر من انتقامه ممن عصاه، وما يرونه من أليم عذابه، وما يشاهده أهل المجمع من الأهوال العظام التي لم يروا مثلها قط، كما أن من آثار رضاه سبحانه، ظهور رحمته ولطفه بمن أراد به الخير والكرامة.

(وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي) أي هذا المقام ليس لي بل لغيري.

❐ فائدة (٤): احترام التخصص، وعدم التجاسر على حقوق الغير:

من لم يكن عنده الحل الشافي والجواب الكافي، لا يأنف من أن يدلَّ على غيره، فالناصح أمين، والمستشار مؤتمن.

(اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ) خصَّه بعد التعميم، لأنه أول الأنبياء بعده، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان بين آدم و نوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فلما اختلفوا بعث الله النبيين و المرسلين و أنزل كتابه فكانوا أمة واحدة".(١)

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم =

(فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا) مصداقـًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ۝٣ ﴾ [الإسراء: ٣]، أي كثير الشكر لنعم ربه.

(اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي) بقولي ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ ﴾ [نوح:٢٦] فاستجيب لي ولا أدري ما يفعل بي ربي بسببها اليوم.

(نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟، فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذِبَاتِهِ)

سبق أن ذكرنا أن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، لا يمكن أن يقع في ذلك الخطأ البشع، فإن الله تعالى قال: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١ ﴾ [مريم: ٤١] ولا يمكن لنبيٍ أن يقع في مثل ذلك، لأن الكذب من أقبح ما يكون، فهو أقرب طريقٍ إلى النار، وهو شعبة من شعب النفاق، فالكذب هنا ليس على حقيقته المعروفة، إنما المراد به: التورية، فالكذب أحيانـًا يُطلق، ويُراد به ذلك، كما هو هنا، والتورية معناها: أن يقول القائل كلامـًا يُظهر منه معنىً يفهمُه السامع، ولكن القائل يريد معنى آخر يحتمله الكلام، كأن يقول له ليس معي درهم في جيبي فيُفهم منه أنّه ليس معه أي مال أبداً، ويكون مراده أنه لا يملك

=

يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري.

درهمـًا لكن يملك ديناراً مثلاً، ويسمى هذا الكلام تعريضـًا أو تورية.

وتُعد التورية من الحلول الشرعية لتَجَنُّب حالات الحَرَج التي قد يقع فيها الإنسان عندما يسأله أحدٌ عن أمرٍ وهو لا يريد إخباره بالواقع من جهة، ولا يريد أن يكذب عليه من جهة أخرى.

فعَنْ مُطَرِّف قال: صَحِبْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَقَلَّ مَنْزِلٌ يَنْزِلُهُ إِلاَّ وَهُوَ يُنْشِدُنِي شِعْرًا، وَقَالَ: "إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ(١) لَمَنْدُوحَةٌ(٢) عَنِ الْكَذِبِ(٣) " (٤)

وتصح التورية من القائل إذا دعت الحاجة أو المصلحة الشرعية لها، ولا ينبغي أن يكثر منها بحيث تكون ديدنـًا له، فإن ذلك بابٌ إلى الكذب، ولا أن يستعملها لأخذ باطل أو دفع حق.

والكذبات التي قصدها إبراهيم: قوله لآلهتهم: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾، وقوله ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾، وقوله عن زوجته سارة: هي أختي، وليست بكذبات حقيقية.(٥)

---

(١) المَعارِيضُ: التَّوْرِيةُ بالشيء عن الشيء ، وفي حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَمَا في المَعارِيض ما يُغْني المسلم عن الكذب؟ لسان العرب.

(٢) أَيْ: سَعة وفُسْحة.

(٣) يعني أَن في التعريض بالقول من الاتساع ، ما يُغني الرجلَ عن تَعَمُّدِ الكذب. لسان العرب.

(٤) صحيح الأدب المفرد.

(٥) راجع: (القصة الأربعون) في هذا الكتاب، ففيها فوائد جمة، ومهمة تتعلق بهذا الأمر.

(نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ) وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [الأعراف١٤٤]، إياك من غير واسطة، وهذه فضيلة اختص بها موسى الكليم، وعرف بها من بين إخوانه من المرسلين.

❐ فائدة (٥): الذين كلمهم الله تعالى ثلاثة:

١. آدم عليه السلام: فعن أبي أمامة أن رجلا قال: يا رسول الله أنبيٌّ كان آدم ؟ قال: (نَعَمْ مُكَلَّمٌ) قال: فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال: "عَشْرَةُ قُرُون" (١)

٢. موسى عليه السلام: قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال عز وجل ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

٣. محمَّد ﷺ: وهو ثابت في رحلة المعراج إلى السماء، وفيها قوله ﷺ: **"فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ... فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ"** (٢)

---

(١) صحيح ابن حبان.

(٢) متفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذا من أقوى ما استُدل به على أن الله سبحانه وتعالى كلَّم نبيَّه محمَّداً ﷺ ليلة الإسراء بغير واسطة" (١)

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ يعني: موسى ومحمَّداً ﷺ، وكذلك آدم، كما ورد به الحديث المروي في " صحيح ابن حبان

فإن قيل: وأين خصوصية موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ؟

الجواب: "ولعل العلة – والعلم عند الله سبحانه وتعالى – في تسمية موسى " كليم الله " مع أن الله كلَّم محمَّداً وكلَّم آدم: أن الله كلَّمه على الأرض وهو على طبيعته البشرية ، بخلاف تكليم الله لآدم فإنه كلمه وهو في السماء ، وتكليم الله لمحمَّد فإنه كلمه وقد عرج بروحه وجسده إلى السماء ، أما تكليمه لموسى: فهو على الأرض ، وهذا فيه خصوصية لموسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم " (٢)

(**اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟. فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى** ﷺ: **إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا**) وهو القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي، فلا أدري ما يعاملني ربي فيها، وفي ذلك يقول الله تعالى:﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص:١٥، ١٦].

---

(١) فتح الباري.

(٢) شرح لمعة الاعتقاد: الشيخ عبدالرحمن المحمود.

(نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) لأنه كان بكلمة كن من غير أن يتقلب في أطوار الخلق كما تقلب غيره.(١)

(وَرُوحٌ مِنْهُ،) أي: من الأرواح التي خلقها وكملها بالصفات الفاضلة والأخلاق الكاملة، أرسل الله روحه جبريل عليه السلام فنفخ في فرج مريم عليها السلام، فحملت بإذن الله بعيسى عليه السلام.(٢)

(فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟! فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا)

❐ فائدة (٦): فإن قيل: ولِم امتنع عيسى عليه السلام من الشفاعة، مع أنه لم يذكر ذنبـًا ؟

الجواب: إن الذنوب التي ذكرها الأنبياء ليست ذنوباُ حقيقية، لأنها إما مغفورة، منصوصٌ في كتاب الله على غفرانها، كذنب آدم، وموسى عليهما السلام، وإما أنها ليست ذنوبـًا أصلاً، كالتي ذكرها نوحٌ وإبراهيم عليهما السلام، وكما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، فتأخر المسيح عن المقام المحمود الذي خُص به محمد ﷺ هو من فضائل المسيح ومما يقربهم إلى الله صلوات الله عليهم أجمعين، فعُلم أن تأخرهم عن الشفاعة لم يكن لنقص درجاتهم عما

---

(١) انظر الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، وقيل: أنه تقلب في أطوار الخلق كغيره، لكن حملها فيه كلم بكلمة: كن، والعلم عند الله.

(٢) تفسير السعدي.

كانوا عليه بل لما علموه من عظمة المقام المحمود الذي خُصَّ به نبينا صلوات الله وسلامه عليه.

(نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ)

❒ فائدة (٧): من سئل عن شيء لا يقدر عليه:

فيه أنه ينبغي لمن سئل عن شيء لا يقدر عليه، أن يعتذر بما يُقبل منه، ويستحب أن يُرشد إلى من يظن أنه أقدر على ذلك، لأن الدال على الخير كفاعله.

(فَيَأْتُونِي، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ)

❒ فائدة (٨): المقام المحمود:

هذا هو المقام المحمود، الذي ذكره الله في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء:٧٩]، وهي الشفاعة الخاصة، أو الكبرى أو العظمى، كما جاء في صحيح البخاري من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : "إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا[١]، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه

---

(١) جماعات واحدها جثوة.

الله المقام المحمود".

❐ **فائدة (٩): أفضلية النبي ﷺ على سائر الخلق:**

وفيه بيان أفضلية النبي ﷺ على سائر الخلق، ففي صحيح مسلم عن أَبُي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ "**، والنبي ﷺ لَمْ يَقُلْ ذلك فَخْرًا ، بَلْ صَرَّحَ بِنَفْيِ الْفَخْر فِي الْحَدِيث الْمَشْهُور: **" أَنَا سَيِّد وَلَد آدَم وَلا فَخْرَ "** وَإِنَّمَا قَالَهُ لِوَجْهَيْنِ: أَحَدهمَا اِمْتِثَال قَوْله تَعَالَى:﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ وَالثَّانِي أَنَّهُ مِنْ الْبَيَان الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ تَبْلِيغه إِلَى أُمَّته لِيَعْرِفُوهُ ، وَيُوَقِّرُوهُ ﷺ بِمَا تَقْتَضِي مَرْتَبَتُهُ كَمَا أَمَرَهُمْ الله تَعَالَى.

وَهَذَا الْحَدِيث دَلِيل لِتَفْضِيلِهِ ﷺ عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ ؛ لأَنَّ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة أَنَّ الآدَمِيِّينَ من أهل الطاعة والتقى أفضل مِنْ الْمَلائِكَة ، وَهُوَ ﷺ أَفْضَل الآدَمِيِّينَ وَغَيْرهمْ، وَأَمَّا الْحَدِيث الآخَر: **" لا تُفَضِّلُوا بَيْن الأَنْبِيَاء "** فَجَوَابه مِنْ خَمْسَة أَوْجُه: أَحَدهَا أَنَّهُ ﷺ قَالَهُ قَبْل أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ سَيِّد وَلَد آدَم ، فَلَمَّا عَلِمَ أَخْبَرَ بِهِ، وَالثَّانِي قَالَهُ أَدَبًا وَتَوَاضُعًا، وَالثَّالِث أَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ تَفْضِيل يُؤَدِّي إِلَى تَنْقِيص الْمَفْضُول، وَالرَّابِع إِنَّمَا نَهْيٌ عَنْ تَفْضِيل يُؤَدِّي إِلَى الْخُصُومَة وَالْفِتْنَة كَمَا هُوَ الْمَشْهُور فِي سَبَب ورود الْحَدِيث، وَالْخَامِس أَنَّ النَّهْيَ مُخْتَصٌّ بِالتَّفْضِيلِ فِي نَفْس النُّبُوَّة ، فَلا تَفَاضُلَ فِيهَا ، وَإِنَّمَا التَّفَاضُل بِالْخَصَائِصِ وَفَضَائِل أُخْرَى فوجب اِعْتِقَادُ التَّفْضِيل، والعلم عند الله.

❐ **فائدة (١٠): فإن قيل: لماذا لا يستشفع الناس بمحمد ﷺ مباشرة لموقف الحساب وقد علموا أن الأنبياء لن يشفعوا ؟**

الجواب: أن يوم القيامة يوم عظيم، تقع فيه من الأهوال الكبيرة التي وصفها

الله عز وجل بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾ [الحج:١-٢]

ففي مثل تلك السكرات المهولة، غالبا ما يغفل الناس عما سمعوه من قبل، ولا يكادون يستذكرون علماً سابقاً، فقد شغلهم حالهم عن كل ما مضى من معارف، وأنستهم مصيبتهم كل شيء سوى التخلص مما هم فيه، وإذا كانت الأرحام تتقطع ذلك اليوم، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ ﴾ [عبس:٣٤-٣٧] فكيف سيتذكر الناس حينها حديثاً سمعوه يوماً من أحد العلماء ! لا شك أن ذلك احتمال بعيد، وقد روى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه بسنده عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا - في حادثة وفاة نبينا ﷺ -: " أن أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تَشَهَّدَ فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] قال: وَاللهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَهَا حَتَّى تَلاهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ، فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إِلَّا يَتْلُوهَا".

فانظر كيف أن عِظَم المصاب كان سببا في الذهول عن آية في كتاب الله تعالى، وموقف الحشر موقف عظيم جدير أن يَذهَل بسببه المرء عن كل شيء.

يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في الفتح ـ: " فيه أنهم يغطَّى عنهم بعض ما علموه في الدنيا؛ لأن في السائلين من سمع هذا الحديث، ومع ذلك فلا يستحضر

أحد منهم أن ذلك المقام يختص به نبينا ﷺ، إذ لو استحضروا ذلك لسألوه من أول وهلة، ولما احتاجوا إلى التردد من نبي إلى نبي، ولعل الله تعالى أنساهم ذلك للحكمة التي تترتب عليه من إظهار فضل نبينا ﷺ".

(**فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي**) أي: سؤالي خلاص أمتي أي: خلِّصْ أمتي من موبقات القيامة.

(**فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! أَدْخِلْ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ**) وهم السبعون ألفـًا الذين سأل عكاشة أن يكون منهم، الذين ورد ذكرهم في حديث أبي هريرة، كما في الصحيحين، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِى الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ "، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ "، ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: " سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ ".

(**وَهُمْ**) أي السبعون ألفـًا.

(**شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ**) أَيْ لَيْسُوا مَمْنُوعِينَ مِنْ سَائِرِ الْأَبْوَابِ بَلْ هُمْ مَخْصُوصُونَ لمزيد الاعتناء بهم، بِذَلِكَ الْبَابِ.

❐ **فائدة (١١): فإن قيل: متى يكون العرض والميزان وتطايُر الصُّحُف؟**

قال ابن حجر في الفتح: "وفيه إشعار بأن العرض والميزان وتطايُر الصُّحُف يقع في هذا الموطن، ثم ينادي المنادي: لتتبع كل أمة مَنْ كانت تعبد، فيسقط الكفَّار في النار، ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند كشف الساق، ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه، فيطفأ نور المنافقين فيسقطون في النار أيضًا، ويمرُّ المؤمنون عليه إلى الجنة."

❐ **فائدة (١٢): فإن قيل: هل لنبينا ﷺ شفاعات أخرى غير هذه الشفاعة؟**

الجواب: نعم، وهي:

١ـ الشفاعة في استفتاح باب الجنة، فأول من يَستفتح بابَها نبينا محمدٌ ﷺ، وأول من يدخلها من الأمم أُمَّتُه، كما جاء في صحيح مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"آتِى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ"**.

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال:" **نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.....**" أي نحن آخر الأمم وجوداً، وأولهم إلى الجنة ولوجـًا، وهذا النوع من الشفاعة خاصٌ بنبينا ﷺ.

٢ـ شفاعته ﷺ في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب، لحديث «**أُعْطِيتُ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَاسْتَزَدْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا**» (١)

٣ـ شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، كما في صحيح مسلمٍ وغيره، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَىْءٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: " **نَعَمْ هُوَ فِى ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**".

وهذه الثلاثة، مع الشفاعة العظمى، اختُص بها نبينا ﷺ.

---

(١) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع.

فائدة (١٣): شفاعات أخرى يوم القيامة:

وهناك شفاعات أخرى تحصل يوم القيامة ليست خاصةً بنبينا ﷺ، وإن كان هو المقدَّمَ فيها، ثم يشاركه فيها من شاء الله من الملائكة والنبيين والصالحين، ومنها:

١ـ الشفاعة لأناس قد دخلوا النار في أن يخرجوا منها، والأدلة على هذا القسم كثيرة جدا منها ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا: " فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار فيُخرجون خلقا كثيراً... فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط".

٢ـ الشفاعة لأناس قد استحقوا النار في أن لا يدخلوها، وهذه قد يستدل لـها بقول الرسول ﷺ: **"ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه"** (١)

٣ـ والأطفال الذين يموتون صغاراً، يشفعون في آباءهم، وقد وردت في شفاعتهم أحاديث كثيرة، منها ما جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِى حَسَّانَ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي هُرَيْرَةَ إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِىَ ابْنَانِ فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: نَعَمْ " صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ ـ جمع

---

(١) أخرجه مسلم.

الدعموص وهو دويبة تكون فى الماء أى أنهم صغار الجنة لا يفارقونها ـ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ - فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ بِيَدِهِ - كَمَا آخُذُ أَنَا بِصيغةِ ثَوْبِكَ هَذَا فَلاَ يَتَنَاهَى - أَوْ قَالَ فَلاَ يَنْتَهِى - حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ "

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُمَا اللهُ وَإِيَّاهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ. قَالَ: فَيَقُولُونَ: حَتَّى يَجِيءَ أَبَوَانَا** " قَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ: " **فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَوَاكُمْ** " (١)

❐ فائدة (١٤): شروط الشفاعة:

ذكرنا في القصة الثامنة والثلاثين، شرطَي الشفاعة، وهما: إذن الله للشافع، رضاه تعالى عن الشافع والمشفوع له.

❐ فائدة (١٥): من أسباب نيل الشفاعة في الآخرة:

(١) تلاوة القرآن: فقد روى مسلمٌ عَنْ أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**"

(٢) الصيام: كما روى أحمدُ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو بنِ العَاصِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ فيُشَفعانِ**" (٢)

---

(١) رواه أحمد والنسائي والبيهقي، وصححه الألباني.

(٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) كثرة صلاة النافلة: فعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَقُومُ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ نَهَارِي أَجْمَعَ، حَتَّى يُصَلِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فَأَجْلِسَ بِبَابِهِ، إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ أَقُولُ: لَعَلَّهَا أَنْ تَحْدُثَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَاجَةٌ فَمَا أَزَالُ أَسْمَعُهُ يَقُولُ: **"سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ"**، حَتَّى أَمَلَّ فَأَرْجِعَ، أَوْ تَغْلِبَنِي عَيْنِي فَأَرْقُدَ، قَالَ: فَقَالَ لِي يَوْمًا لِمَا يَرَى مِنْ خِفَّتِي لَهُ، وَخِدْمَتِي إِيَّاهُ: "سَلْنِي يَا رَبِيعَةُ أُعْطِكَ"، قَالَ: فَقُلْتُ: أَنْظُرُ فِي أَمْرِي يَا رَسُولَ اللهِ ثُمَّ أُعْلِمُكَ ذَلِكَ، قَالَ: فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي، فَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ زَائِلَةٌ، وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَكْفِينِي وَيَأْتِينِي، قَالَ: فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِآخِرَتِي فَإِنَّهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُوَ بِهِ، قَالَ: فَجِئْتُ فَقَالَ: "مَا فَعَلْتَ يَا رَبِيعَةُ؟"، قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَى رَبِّكَ فَيُعْتِقَنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَقَالَ: "مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا يَا رَبِيعَةُ؟"، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنَّكَ لَمَّا قُلْتَ سَلْنِي أُعْطِكَ وَكُنْتَ مِنَ اللهِ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ نَظَرْتُ فِي أَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَأْتِينِي فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِآخِرَتِي، قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لِي: "إِنِّي فَاعِلٌ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ" (١)

(٤) صلاة الجنازة على الميت: فقد روى مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ"**

(٥) ترديد الأذان والصلاة على النبي ﷺ وطلب الوسيلة له: كما روى

---

(١) رواه أحمد، وصححه الألباني في الإرواء.

مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **"إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ"**

(٦) الشهادة في سبيل الله: فقد روى أبو داودَ عَنْ أبي الدَّرْدَاءَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ"** (١)

❐ فائدة (١٦): الأسباب المانعة من الشفاعة:

أولاً: التلبُّس بالشرك:

الشرك مانعٌ من حصول الشفاعة لصاحبها؛ ذلك أن مقتضى الشفاعة حصول الصفح والتجاوز عن المشفوع له، والله سبحانه وتعالى قد أخبر عن نفسه أنه لن يتجاوز أبدًا عمَّن تلبَّس بالشرك وخالط الكفر فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨]، وفي الحديث **"وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا "** (٢)

ثانيًا: ظلم الإمام للعباد، والغلو في الدين:

ويدلّ على هاتين المسألتين حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **"صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَنْ تَنَالَهُمَا شَفَاعَتِي: إِمَامٌ ظَلُومٌ، وَكُلُّ غَالٍ مَارِقٍ"**. (٣)

---

(١) صحيح أبي داود.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، وصححه الألباني.

ثالثًا: التكذيب بالشفاعة:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **"مَنْ كَذَّبَ بِالشَّفَاعَةِ فَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ"**. رواه الآجري في "الشريعة"، وصحَّح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح، ومثل هذا لا يُقال بالرأي، فالذين يُبطلون الشفاعة عن رسول الله ﷺ ويُنكرون المقام المحمود الذي يبعثه الله يوم القيامة وينفونها عنه، لن تنالهم شفاعته عليه الصلاة والسلام.

رابعًا: الإحداث في الدين:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: **"أَلَا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨]". (١)

خامسًا: كثرة اللعن:

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **"لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**(٢)

(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ) بكسر الميم وبالمهملتين: جانبا الباب.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(**مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ**) باعتبار تعدد الأبواب.

(**لَكُمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهجر**) هجر: بفتح الهاء والجيم مدينة عظيمة، قال الإمام النووي: هي قاعدة البحرين.

(**أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى**) بضم الموحدة وسكون المهملة مدينة معروفة، بينها وبين دمشق ثلاث مراحل وهي مدينة حوران وبينها وبين مكة شهر.(١)

❐ فائدة (١٧): فكيف بالجنة؟

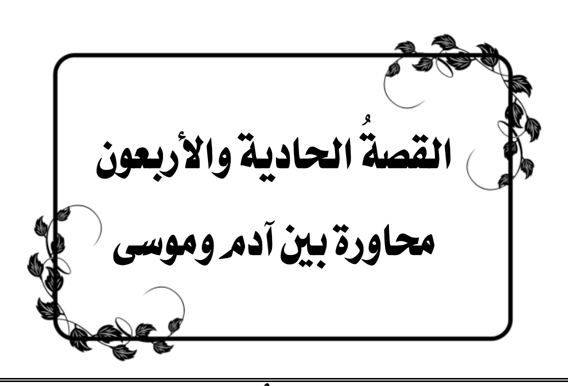
هذا هو مصراع الباب، فكيف بالباب، فكيف بالجنة وما فيها، فكيف بالله باريها ؟

واعمل لدارِ غداً رضوان خازنها — والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهبٌ والمسك طينتها — والزعفران حشيشٌ نابتٌ فيها
أنهارها لبنٌ مصفى ومن عسل — والخمر يجرى رحيقاً فى مجاريها
والطير تجرى على الأغصان عاكفةً — تسبح الله جهراً فى مغانيها
فمن يشترى الدار فى الفردوس — يَعمرُها بركعةٍ فى ظلام الليل يُحيها

فيارب أدخلنا الجنة مع السابقين، واجعلنا في جوار النبيين



(١) دليل الفالحين.



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ!. فَقَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى! الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟! فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى**) أي تحاورا، وتحاجا وتناظرا، وذلك "عند ربهما" كما في رواية مسلم، أَيْ طَلَبَ كُلّ مِنْهُمَا الْحُجَّة مِنْ صَاحِبه عَلَى مَا يَقُول.

❒ فائدة (١): المذاكرة في الشيء المشكِل:

ويستفاد من ذلك: أن المحاورة، أو المناقشة والمذاكرة في الشيء المشكِل، بهدف الوصول إلى الحق، دأب الصالحين، ولعل المحاورة التي حصلت بين آدم وموسى من هذا النوع.

❒ فائدة (٢): فإن قيل: متى وقع هذا الحجاج ؟ وأين وقع ؟

الجواب: قال النووي ـ في شرح مسلم ـ: " قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ الْتَقَتْ أَرْوَاحُهُمَا فِي السَّمَاءِ فَوَقَعَ الْحِجَاجُ بَيْنَهُمَا، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ

عَلَى ظَاهِرِهِ وَأَنَّهُمَا اجْتَمَعَا بِأَشْخَاصِهِمَا، وَقَدْ ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اجْتَمَعَ بِالْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَصَلَّى بِهِمْ، قَالَ: فَلَا يَبْعُدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَحْيَاهُمْ كَمَا جَاءَ فِي الشُّهَدَاءِ، قَالَ:وَيُحْتَمَلُ أَنَّ ذَلِكَ جَرَى فِي حَيَاةِ مُوسَى سَأَلَ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُرِيَهُ آدَمَ فَحَاجَّهُ "

وقال ابن حجر ـ في الفتح ـ: " ولعل ذلك كان في البرزخ أوّل ما مات موسى، فالتقت أرواحهما في السماء، كما جزم بذلك ابن عبد البر والقابسي "

أو أنه في الرؤيا، فإن رؤيا الأنبياء وحي، ومثل هذا يجب فيه التسليم، ولا نستطيع الوقوف على حقيقته، كما قال ابن عبد البر ـ في التمهيد ـ: "مثل هذا يجب فيه التسليم، ولا يوقف فيه على تحقيق؛ لأنا لم نؤت من جنس هذا العلم إلا قليلاً "

❐ فائدة (٣): وجوب الإيمان بالغيب:

فإن الله تعالى لم يُخبرنا بمكان المحاورة، ولا بزمانها، ولا بصفتها، لكن صح الخبر بالمحاورة، وقد أمرنا ربنا في مطلع كتابه بالإيمان بالغيب، ومَدَحنا عليه، حين قال: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة:٢] فوجب تصديق الخبر، ووجب العمل بما يقتضيه.

(فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ!) خيبتنا: أي كنت سبباً في خيبتنا وحرماننا وإغوائنا، بالخطيئة التي ترتب عليه إخراجك، وذريتك من الجنة !، وفي رواية مسلم: " أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أَهْبطْتَّ الناس

بخطيئتك إلى الأرض "، وفي رواية البخاري: " أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة ؟ "

❐ فائدة (٤): ألجنة موجودةٌ الآن:

ويستفاد من ذلك: أن الجنة موجودة من قبل آدم، وهذا مذهب أهل الحق.

❐ فائدة (٥): سبب مقالة موسى:

الحياة الدنيا عناءٌ وتعب، كما قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ [البلد:٤] ويظهر هذا العناء في كل أمرٍ من أمور الحياة، حتى ما أباحه الله من الشهوات تَعْقُبه المنغصات، وموسى عليه السلام عانى في حياته كثيراً، حتى أن نبينا صلى الله عليه وسلم إذا آلمه الأذى من قومه، قال: " **يرحم الله أخي موسى أوذي بأكثر من هذا فصبر** " [(١)]، كثرت معاناة موسى من فرعون وحزبه، ولما قتل القبطيَّ خطأً، خرج من مصر فاراً إلى مدين، ورعى الغنم هناك عشر سنوات، ولما أرسله الله، كثرت معاناته من فرعون وقومه، وتمرَّد عليه بنو إسرائيل، وآذوه كثيراً، فدار في ذهنه يوماً أن سبب هذا العناء الذي رآه، كان بسبب آدم الذي أخرج نفسه وذريته من الجنة، فلما لقِي آدم، قال ما قال.

(فَقَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾ [الأعراف:١٤٥]، وفي رواية مسلم: "أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته، وبكلماته، وأعطاك الألواح فيه تبيان

---

(١) متفق عليه.

كل شيء، وقرَّبك نجياً "

❐ فائدة (٦): ذكر محاسن الآخر:

ويستفاد من ذلك: أنه يستحب للمتحاورَين، أن يذكر كلٌ منهما فضائل الآخر، كما فعل آدم وموسى، فإن ذلك مما يلين به الحوار، ويصلا به المتحاوران سريعاً إلى الحق.

❐ فائدة (٧): إثبات صفتَي الكلام، واليد لله سبحانه:

وفي الحديث إثبات صفة الكلام لله تعالى، وأنه سبحانه كلَّم موسى، وكذلك إثبات اليد لله تعالى، وأنه تعالى كتب التوراة بيده، كل ذلك على وجهٍ يليق بكماله، وجلاله، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١]

(**أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟!**) في رواية مسلم: " فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا. قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَتَلُومُنِى عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلاً كَتَبَهُ اللهُ عَلَىَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِى بِأَرْبَعِينَ سَنَةً "

(**فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**) أي غلبه بالحجة، وانتصر عليه، وهذا إقرارٌ من رسولنا عليه الصلاة والسلام لما قاله آدم.

❐ فائدة (٨): هذا الحديث ضل في فهمه طائفتان:

الطائفة الأولى: أنكروا هذا الحديث، وزعموا أنه كذبٌ على رسول الله ﷺ، وهؤلاء قسمان:

القسم الأول: القدرية - المنكرون للقدر- ذلك لأن هذا الحديث؛ صريحٌ في إثبات القدر السابق، وعلى رأس هؤلاء أبوعلي الجبائي المعتزلي وغيره، (١) وتبعهم على القول بتكذيبه بعض المعاصرين. (٢)

القسم الثاني: قومٌ فهموا أن في الحديث دليلًا على الاحتجاج بالقدر على معصية الله تعالى ورسوله ﷺ، وقالوا أنه يجب تنزيه النبي ﷺ، بل وجميع الأنبياء وأتباع الأنبياء أن يجعلوا القدر حجة لمن عصى الله ورسوله، فردُّوا الحديث لذلك.

والرد على هذه الطائفة بقسميها نقول:

هذا الحديث ثابت عن النبي ﷺ بألفاظ متنوعة، وهو في أعلى درجات الصحة؛ فقد اتفق الإمامان البخاري ومسلم على إخراجه في صحيحيهما، كما أقرّ بصحته واحتج به أهل العلم قاطبة؛ يقول الحافظ ابن عبد البر: "هذا الحديث عند جماعة أهل العلم بالحديث صحيح من جهة الإسناد، وكلهم يرويه ويُقر بصحته، ويحتج به أهل الحديث والفقه - وهم أهل السنة ـ" (٣)

وقد نص بعض أهل العلم على تواتره عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأنه لا يرده ولا يعترض عليه إلا مبتدع معاند؛ يقول الحافظ ابن كثير: "ومن كذّب بهذا الحديث فمعاند؛ لأنه متواتر عن أبى هريرة رضي الله عنه، وناهيك به عدالة وحفظًا وإتقانًا"(٤)

(١) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.

(٢) انظر: تصريح عدنان إبراهيم بذلك على يوتيوب.

(٣) الاستذكار.

(٤) قصص الأنبياء.

والحديث حجة لأهل السنة والجماعة على أن أعمال العباد كلها قد قدرها الله عز وجل، وأنه علمها قبل كونها، بخلاف قول أهل البدع من القدرية، ومن نحا نحوهم الذين يقولون: "أفعال العباد ليست مقدورة لله"، ويقولون: "إن الله خلق الأشياء كلها غير الأعمال"، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

للقدر مراتب القدر أربعة، وكلها مذكورة في كتاب الله، مرتبة العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، فكلُّ شيء في الكون علمه الله، وكتبه في اللوح المحفوظ، وشاء أن يكون، وخلقه بقدرته وتقديره وحكمته.

فقد قال تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٣]، وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ [الواقعة: ٦٠]، وقال تعالى:﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١]، وقال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقوله تعالى: ﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤]

يقول الحافظ ابن عبد البر: "هذا الحديث من أوضح ما روي عن النبي ﷺ في إثبات القدر، ودفع قول القدرية، وبالله التوفيق والعصمة" (١)

(١) التمهيد.

الطائفة الثانية: أثبتوا الحديث، واحتجوا به على أنه لا فعل للعبد، حيث سلبوا العبد قدرته واختياره، وقالوا: إنه مجبر على عمله؛ لأنه مكتوب عليه، فلا يُلام عليه، لأنه سوف يحتج بالقدر على فعله وهؤلاء هم الفرقة الضالة التي تسمى الجبرية، فأيدوا معتقدهم الفاسد بهذا الحديث.والرد على هذه الطائفة من وجوهٍ كثيرة، منها:

١ـ أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أعلم من أن يحتجّ بالقدر على أن المذنب لا ملام عليه.

٢ـ كيف يحتج آدم بالذنب وقد علم أن إبليس – لعنه الله– سبب ذنبه؛ وهو أيضًا كان مقدرًا عليه؟!

٣ـ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد تاب من الذنب واستغفر، وتاب الله عليه، وغفر له، فلو كان الاحتجاج بالقدر نافعًا له عند ربه، لاحتج ولم يتب ويستغفر.

٤ـ أن الله تعالى قد أخبر في كتابه بعقوبات الكفار مثل قوم نوح وهود وصالح وغيرهم، وكل ذلك يدل دلالة قاطعة على أن لا حجة لأحد في القدر.

٥ـ وأيضًا فقد شرع الله من عقوبة المحاربين من الكفار وأهل القبلة وقتل المرتد وعقوبة الزاني والسارق والشارب ما يبين ذلك. (١)

❐ **فائدة (٩): إذن القول الصواب في احتجاج آدم وموسى:**

أن موسى قام بتوجيه اللوم إلى آدم عليهما السلام لأنه كان السبب في إخراج نفسه وذريته من الجنة، من جهة وقوع المصيبة، وهي الخروج من جنة الخلد، وهذه المصيبة وقعت على آدم بسبب أكله من الشجرة التي نُهي عن قربها؛ يقول

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية.

تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦ ﴾ [البقرة: ٣٥، ٣٦].

ولم يكن موسى ليوجه إلى آدم عليهما السلام اللوم بسبب مخالفته لما نهاه الله تعالى عنه من الأكل من الشجرة؛ فإن موسى كان أعلم من أن يلومه لحقِّ الله على ذنب قد علم أنه تاب منه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:"الصواب في قصة آدم وموسى: أن موسى لم يلم آدم إلا من جهة المصيبة التي أصابته وذريته بما فعل، لا لأجل أن تارك الأمر مذنب عاص؛ ولهذا قال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ لم يقل: لماذا خالفت الأمر؟ ولماذا عصيت؟ والناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهود الربوبية؛ كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾ [التغابن: ١١]، قال ابن مسعود: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم". (١)

فصح مما سبق أن آدم احتج على موسى بقدر الله تعالى في وقوع المصيبة، ولم يحتج بالقدر على فعل الذنب والعيب؛ وبهذا حجَّ آدمُ موسى وظهر عليه وغلبه بأن خروجه من الجنة كان بأمر كتبه الله تعالى عليه قبل أن يخلق؛ مشيرًا بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ [البقرة: ٣٠]، أي: مستخلِفٌ في الأرض خليفةً، ومُصَيِّر فيها خَلَفًا، فآدم عليه السلام

(١) مجموع الفتاوى.

خُلق ابتداء ليكون وهو وذريته خلفاء في الأرض.

يقول الإمام النووي: "ومعنى كلام آدم: أنك يا موسى تعلم أن هذا كُتب عليَّ قبل أن أخلق، وقُدِّر عليَّ، فلا بدَّ من وقوعه، ولو حرصت أنا والخلائق أجمعون على رد مثقال ذرة منه لم نقدر، فلِمَ تلومني على ذلك؟!" (١)

وإذا كان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد تاب الله تعالى عليه واجتباه وهداه؛ كما قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، وقال سبحانه: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٣٧]، فلم يجز لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا لغيره أن يقع في ذمِّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا أن يلومه بحال، لا من جهة المعصية -أعني: أكله من الشجرة- فإن الله تعالى قد غفر له، ولا من جهة المصيبة التي وقعت عليه وعلى ذريته بالخروج من جنة الخلد؛ فإن آدم وحواء حين هبطا على الأرض لم يكن معهما أحد من ذريتهما، وكون ذريتهما صاروا في الدنيا دون الجنة فإنه أمر مقدر عليهم لا يستحقون به لوم آدم على فعله، كيف وقد تاب الله تعالى على آدم واجتباه؟! (٢)

ـ وهناك جواب آخر قد يكون حسناً ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ قائلاً: " وقد يتوجه جواب آخر، وهو: أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع، ويضر في موضع، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم، فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته...، وأما الموضع الذي يضرّ الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل؛ بأن يرتكب فعلًا

---

(١) شرح صحيح مسلم.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى.

محرمًا، أو يترك واجبًا، فيلومه عليه لائم، فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره، فيبطل بالاحتجاج به حقًّا، ويرتكب باطلًا، كما احتجّ به المصرّون على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ﴾ [الزخرف: ٢٠]، فاحتجّوا به مصوّبين لما هم عليه، وأنهم لم يندموا على فعله، ولم يعزموا على تركه، ولم يقروا بفساده، فهذا ضدّ احتجاج من تبين له خطأ نفسه، وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود، فإذا لامه لائم بعد ذلك قال: كان ما كان بقدر الله" (١)

سئل الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل في محاجة آدم وموسى إقرار للاحتجاج بالقدر؟

الجواب: هذا ليس احتجاجاً بالقضاء والقدر على فعل العبد ومعصيته، لكنه احتجاج بالقدر على المصيبة الناتجة من فعله، فهو من باب الاحتجاج بالقدر على المصائب لا على المعائب، ولهذا قال: "خيبتنا وأخرجتنا، ونفسك من الجنة"، ولم يقل: عصيت ربك فأخرجت من الجنة، فاحتج آدم بالقدر على الخروج من الجنة الذي يعتبره مصيبة، والاحتجاج بالقدر على المصائب لا بأس به، أرأيت لو أنك سافرت سفراً وحصل لك حادث، وقال لك إنسان: لماذا تسافر لو أنك بقيت في بيتك ما حصل لك شيء؟! فستجيبه: بأن هذا قضاء الله وقدره، أنا ما خرجت لأجل أن أصاب بالحادث، وإنما خرجت لمصلحة، فأصبت بالحادث، كذلك آدم عليه الصلاة والسلام، هل عصى الله لأجل أن يخرجه من الجنة؟ لا، فالمصيبة إذاً التي حصلت له مجرد قضاء وقدر، وحينئذ

---

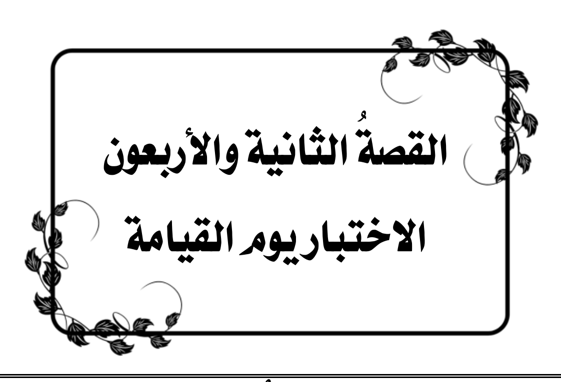
(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.

يكون احتجاجه بالقدر على المصيبة الحاصلة احتجاجاً صحيحاً، ولهذا قال النبي ﷺ: "حج آدم موسى، حج آدم موسى"، وفي رواية للإمام أحمد: "فحجه آدم" يعني غلبه في الحجة، مثال آخر: رجل أصاب ذنباً وندم على هذا الذنب وتاب منه، وجاء رجل من إخوانه يقول: له يا فلان كيف يقع منك هذا الشيء؟ فقال: هذا قضاء الله وقدره. فهل يصح احتجاجه هذا أو لا؟ نعم يصح لأنه تاب، فهو لم يحتج بالقدر ليمضي في معصيته، لكنه نادم ومتأسف، ونظير ذلك أن النبي ﷺ، دخل ليلة على علي بن أبي طالب وفاطمة رضي الله عنهما، فقال: "ألا تصليان؟" فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله، فإن شاء الله أن يبعثنا بعثنا، فانصرف النبي ﷺ يضرب على فخذه، وهو يقول: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾، فالرسول ﷺ لم يقبل حجته، وبيّن أن هذا من الجدل؛ لأن الرسول ﷺ يعلم أن الأنفس بيد الله، لكن يريد أن يكون الإنسان حازماً فيحرص على أن يقوم ويصلي، على كل حال تبين لنا أن الاحتجاج بالقدر على المعصية بعد التوبة منها جائز، وأما الاحتجاج بالقدر على المعصية تبريراً لموقف الإنسان واستمراراً فيها فغير جائز.(١)

ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب



(١) فتاوى العقيدة.



القصةُ الثانية والأربعون
الاختبار يوم القيامة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ:

"أَرْبَعَةٌ يُحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ!، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ، فَيَقُولُ: رَبِّ مَا آتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ: أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا سُحِبَ إِلَيْهَا".

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيْحٌ، أَخْرَجَهُ أَحمَدُ، وَالبَزَّارُ، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي "السُّنَّةِ"، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الاعْتِقَادِ"، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَنِ الأَسْوَدِ ابْنِ سُرَيْعٍ.

قَاْلَ البَيْهَقِيُّ – لَحِدِيْثِ البَابِ –: "هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيْحٌ".

(أَرْبَعَةٌ يُحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:) أي: يعترضون أو يَذكرونَ حُجَّةً لهم في دفْعِ العذابِ عنهم حينما يُوفَدونَ على اللهِ تعالَى للحِسابِ.

(رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا) أي مِنَ الأصواتِ التي كانَتْ في الدُّنيا، ولا يَسمَعُ ما يَدورُ حَولَه.

(**وَرَجُلٌ أَحْمَقُ**) أي لا عَقلَ له ولا يَستَطيعُ الفَهمَ والاستيعاب.

(**وَرَجُلٌ هَرَمٌ**) بفتح الراء، أي: كَبيرٌ في السِّنِّ، وتُقرأ بالكسر، الشيخُ يبلُغُ أَقصى الكِبَر، ففقد بسبب كِبَرِه قُوَّته العقليه، فكان كمن قبله.

(**وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ**) والفَترةُ هي الحِقبةُ التي لم يَبعَثِ اللهُ فيها عَزَّ وجَلَّ نَبيًّا أو رَسولًا، فهذا الرجل لم يأته من رسول، ولم يبلغه الرسول الذي قبله.

قال الألوسي: "الفترةُ عند جميعِ المفَسِّرين: انقِطاعُ ما بين الرَّسولينِ" (١)

(**فَأَمَّا الْأَصَمُّ**) فيُدلي بحُجَّتِه على اللهِ مُعترِضًا على الحِسابِ أو العذابِ.

(**فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا**) أي مِن أوامِرِه والتكاليف الشرعية، فَضلًا عن سَماعِ ضَرورةِ الدُّخولِ فيه.

(**وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ!**) أيْ: جاء الإسلام، وأنا لا أفهَمُ شَيئًا مِمَّا يَدورُ في الدُّنيا، بل كانَ الأمْرُ أنَّ الصِّبيانَ كانوا يَقذِفونَني برَوْثِ الحَيَواناتِ؛ استِهزاءً بي.

(**وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا**) لأنَّ كِبَرَ السِّنِّ كانَ عائِقًا عن فَهمِ ما يَدورُ مِنَ الأحداثِ، وفَهمِ ما كانَ يَطلُبُه النَّبيُّ ﷺ وما يدْعو إليه.

(**وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ، فَيَقُولُ: رَبِّ مَا آتَانِي لَكَ رَسُولٌ**) فلم يُخبِرْني بحَقيقةِ تَوحيدِ اللهِ وعِبادَتِه والدُّخولِ في دِينِه أحَدٌ.

---

(١) روح المعاني.

(**فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ**) في الحالِ فيما يأمُرُهم به، فيَقبَلونَ.

(**فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ**) مَن يأمُرُهمُ؛ اختِبارًا لهم ولِحَقيقةِ طاعَتِهم للهِ، كما طَلَبَ منهم؛ فيَقولُ لهم:

(: **أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، فَمَنْ دَخَلَهَا**) طاعةً وامتِثالًا لِأمْرِ اللهِ.

(**كَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا**) لم تَضُرَّه شيئًا.

(**ومَن لم يَدخُلْها**) عِصيانًا لِأمْرِ اللهِ.

(**سُحِبَ إليها**) فتَجُرُّه المَلائِكةُ إلى النارِ.

❐ فائدة (١): فإن قال قائلٌ: ألسنا قد علمنا بأنَّ الآخِرةَ ليستْ دارَ تَكليفٍ؛ فلا عَمَلَ فيها، ولا ابتِلاءَ؟

الجواب: بلى، ولكن عدَم التكليفِ يكونُ بَعدَ أنْ يَقَعَ الاستِقرارُ في الجَنَّةِ، أوِ النارِ، وأمَّا في عَرَصاتِ القِيامةِ فلا مانِعَ مِنَ الاختِبارِ، وقد قالَ تَعالَى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القلم: ٤٢]، ففي الصَّحيحَيْنِ: "إنَّ الناسَ يُؤمَرونَ بالسُّجودِ، فيَصيرُ ظَهرُ المُنافِقِ طَبَقًا، فلا يَستَطيعُ أنْ يَسجُدَ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والتكليف إنما ينقطع بدخول دار الجزاء وهي الجنة والنار، وأما عَرَصات القيامة فيمتحنون فيها كما يمتحنون في البرزخ" (١)

---

(١) مجموع الفتاوى.

❐ **فائدة (٢): المقارنة بين التكليف الدنيوي، والأخروي:**

وأفادنا هذا الحديث: أن التكاليف الشرعية في هذه الدنيا، على يسرها، وإطاقتنا لها، وضمان السعادة في القيام بها، تساوي دخول النار يوم القيامة.

❐ **فائدة (٣): أهل الفترة ومن في حكمهم:**

وأفاد هذا الحديث أن أهل الفترة ومن في حكمهم، ممن لم تبلغهم الحجة، كالأصم، والأحمق، والهرم، يُمتحنون في عرصات القيامة بنار يأمرهم الله سبحانه وتعالى بدخولها، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن لم يدخلها فقد عصى الله تعالى، فيُدخله الله فيها.

وهذا القول قال به السلف وجمهور الأئمة واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة الإمام ابن القيم، والإمام ابن كثير، والإمام ابن حجر العسقلاني، وحكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة، وقال به الإمام أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واختاره الشيخ محمد أمين الشنقيطي أضواء البيان.

يقول ابن حجر: "فقد صحت مسألة الامتحان في حق من مات في الفترة والمجنون"(١)

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن العذاب يستحق بسببين: أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بموجبها، والثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة العمل بموجبها، فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد، وأما كفر الجهل

---

(١) فتح الباري.

مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله سبحانه وتعالى التعذيب عنه حتى تقوم الحجة بإرسال الرسل" (١)

❒ فائدة (٤): هل الاختبار في الآخرة مخصوصٌ بهؤلاء الأربعة ؟

الجواب: كل من أصابه شيء يَمنع من إقامة الحجة عليه، فإنه يكون معذوراً في الدنيا، ويمتحن يوم القيامة، فقد جاء ذكر غير هؤلاء الأربعة في غير هذا الحديث، قال الحافظ السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: " أخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن أبي هريرة قال: " إذا كان يوم القيامة، جمع الله أهل الفترة، والمعتوه، والأصم، والأبكم، والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام، ثم أرسل إليهم رسولا أن ادخلوا النار، فيقولون: كيف ولم تأتنا رسل ؟ قال: وايم الله، لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما، ثم يرسل إليهم، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه، قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥ ﴾ [الإسراء: ١٥]، إسناده صحيح على شرط الشيخين، ومثله لا يقال من قبل الرأي، فله حكم الرفع " (٢)، وغيرها، وانظر الصحيحة.

فمن حالت عاهته دون قيام الحجة عليه فهو معذور، سواء كان أبكم أو أصم أو غير ذلك، ومن لم تحل عاهته دون قيام الحجة عليه فليس بمعذور، ومن كانت عاهته تؤثر على إدراكه في أشياء دون أشياء فهو معذور فيما لا يدركه، وغير معذور فما يدركه.

---

(١) طريق الهجرتين.

(٢) الحاوي للفتاوي، لجلال الدين السيوطي.

❐ فائدة (٥): حكم من كان واحداً من هؤلاء المذكورين، لكن قامت عليه الحجة في زمنٍ ما ؟

الجواب: سئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأصم الأبكم، هل هو مكلف مثل غيره من المسلمين؟

فأجاب: " الأصم الأبكم من فقد حاستين من حواسه، وهما السمع والنطق، ولكن بقي عليه النظر، فما كان يدركه من دين الإسلام بالنظر؛ فإنه لا يسقط عنه، وما كان لا يدركه؛ فإنه يسقط عنه، أما ما كان طريقه السمع إذا كان لا يدركه بالإشارة فإنه يسقط عنه، وعلى هذا فإذا كان لا يفهم شيئاً من الدين فإننا نقول: إذا كان أبواه مسلمين أو أبوه أو أمه فهو مسلم تبعاً لهما، وإن كان بالغاً عاقلاً مستقلاً بنفسه فأمره إلى الله، لكنه ما دام يعيش بين المسلمين فإننا نحكم له ظاهراً بالإسلام، يعلم بعض الأشياء بالإشارة، وأنا أعرف الذين في معهد الصم والبكم في الرياض يعرفون بالإشارة أسرع من النطق؛ لأن هناك أناساً يترجمون لهم بالإشارة فيفهمون منهم مباشرة " (١)

وقال: "الصَّحيحُ أنَّ أهلَ الفَترةِ قِسمان:

القِسمُ الأوَّلُ: من قامت عليه الحُجَّةُ، وعَرَف الحَقَّ، لكِنَّه اتَّبَع ما وجد عليه آباءَه، وهذا لا عُذرَ له فيكونُ مِن أهلِ النَّارِ.

القِسمُ الثَّاني: من لم تَقُمْ عليه الحُجَّةُ، فإنَّ أمْرَه للهِ عزَّ وجَلَّ، ولا نعلَمُ عن مصيرِه، وهذا ما لم يَنُصَّ الشَّارعُ عليه، أمَّا من ثبت أنَّه في النَّارِ بمُقتضى دليلٍ صحيحٍ فهو في النَّارِ" (٢)

---

(١) انتهى من "لقاء الباب المفتوح" (١١/ ٢٢) بترقيم الشاملة.

(٢) يُنظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين.

فإذا وصلت الدعوة إلى الأبكم أو الأصم أو غيرهما عن طريق الكتابة أو الإشارة، بحيث تكون الحجة قد أقيمت عليه، وفهم ما يقال له، وتبين له طريق الهدى من طريق الضلالة: فإنه لا يكون معذورا.

❐ فائدة (٦): هل أولاد المشركين تابعين لأهل الفترة؟

اختلف أهلُ العِلْمِ في حُكمِ من مات من أطفالِ المُشرِكين على ثلاثةِ أقوالٍ:

القَولُ الأوَّلُ: أنَّ أطفالَ المُشرِكين في الجَنَّةِ، واحتجوا بما يلي:

١- أنَّهم على الفِطرةِ، وفي الحديثِ: "كُلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطرةِ" (١)

٢- أنَّهم لم يفعلوا ما يؤاخَذون به، ولم يَفعَلوا ما يُعَذَّبون به، فاللائِقُ بعَدلِ الله سُبحانَه وتعالى أنَّهم من أصحابِ الجنَّةِ.

٣- حديثُ سَمُرةَ بنِ جُندَبٍ، في رُؤيا النَّبيِّ ﷺ، وفيه أنَّه رأى إبراهيمَ عليه السلام وحَولَه ذراريُّ المُشرِكين مع ذراريِّ المُؤمِنين، ولفظُه: "وأمَّا الرَّجُلُ الطَّويلُ الذي في الرَّوضةِ فإنَّه إبراهيمُ ﷺ، وأمَّا الوِلدانِ الذين حوله فكُلُّ مولودٍ مات على الفِطرةِ"، فقال بعضُ المُسلِمين: يا رَسولَ اللهِ، وأولادُ المشركين؟ فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: **"وأولادُ المُشرِكينَ"**.(٢)

٤ـ وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: **"أطفال المشركين خدم أهل الجنة"**.(٣)

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البزار في مسنده والطبراني في الأوسط، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

٥- عُمومُ قَولِ النَّبيِّ ﷺ: **"النبيُّ في الجنَّةِ، والشَّهيدُ في الجنَّةِ، والمولودُ في الجنَّةِ، والوئيدُ -أي: الموؤودُ- في الجنَّةِ"** (١)، فالمولودُ سواءٌ من أبٍ كافرٍ أو مُسلِمٍ، فهو في الجنَّةِ.

القَولُ الثَّاني: التوَقُّفُ في الحُكمِ على أطفالِ المُشرِكين، فلا نقولُ: إنَّهم من أهلِ الجَنَّةِ، ولا من أهلِ النَّارِ، وهذا القول منسوبٌ لأحمَد بْنِ حَنبَلٍ وبَعضِ السَّلَفِ؛ ورجَّحه ابنُ عُثَيمين؛ وذلك للآتي:

١- تعارُضُ ظواهرالأدِلَّةِ وعَدَمُ وُضوحِ وبيانِ شَيءٍ منها في نَظَرِهم.

٢- وقَولُ النَّبيِّ ﷺ: **"اللهُ أعلَمُ بما كانوا عامِلين"** (٢)

القَولُ الثَّالثُ: أنَّ أطفالَ المُشرِكين يُمتحَنون يومَ القيامةِ؛ كأهل الفترة، ومن هم على شاكلتهم، ورجَّح هذا القول البيهقيُّ، وابنُ تيميَّةَ، وابنُ القَيِّم، وابنُ كثيرٍ، وابنُ باز، وجمعٌ من العُلَماءِ.

وأرجح الأقوال: القول الأول، لوضوح دليله من جهة، كحديث البخاري الذي تقدَّم ذكره، وحديث: "أطفال المشركين خدم أهل الجنة" ومن جهة أخرى، لا تعارض حقيقي بين الأدلة، فمثلا: حديث: " **الله أعلم بما كانوا عاملين** " فلعله قال ذلك قبل أن يعرفه الله حكمهم، أو أن النبي ﷺ قاله نهيـًا عن المسارعة إلى القطع بحكم من غير أن يكون عندها دليل قاطع كما في حديث أُمِّ الْعَلاَءِ – امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ – أنها قالت، حين توفي عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فلماَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ فقُالت: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ،

---

(١) صحيح سسن أبي داود، وحسنه ابن حجر في الفتح.

(٢) متفق عليه.

فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟ فَقُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللهُ؟ فَقَالَ أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي، قَالَتْ: فَوَاللهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا.

قال النووي: " وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون " (١)

❐ فائدة (٧): حكم أولاد المسلمين:

مما سبق من الكلام في أولاد المشركين، عُلم حكم أولاد المسلمين الذين لم يَبلُغوا الحُلُمَ، أنهم في الجنَّةِ إن شاء اللهُ تعالى بفَضْلِه ورَحمتِه.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [الطور: ٢١].

وقد عقد البُخاريُّ في صحيحِه بابًا عَنْون له بقَولِه: "بابُ فَضلِ من مات له وَلَدٌ فاحتَسَبَ"، وأورد فيه حديثَ أنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: **"ما من النَّاسِ مُسلِمٌ يُتوَفَّى له ثلاثٌ لم يَبلُغوا الحِنْثَ إلَّا أدخَلَه اللهُ الجَنَّةَ، بفَضْلِ رحمتِه إيَّاهم"**.

وعن البراءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا تُوفِّيَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال رَسولُ اللهِ ﷺ: **"إنَّ له مُرْضِعًا في الجَنَّةِ"** (٢)

وقال النوويُّ: "أجمع من يُعتَدُّ به من عُلَماء المُسلِمين على أنَّ من مات من

(١) شرح مسلم.
(٢) رواه البخاري.

أطفالِ المُسلِمين فهو من أهلِ الجنَّةِ؛ لأنَّه ليس مُكَلَّفًا" (١)

فائدة (٨): عدل الله:

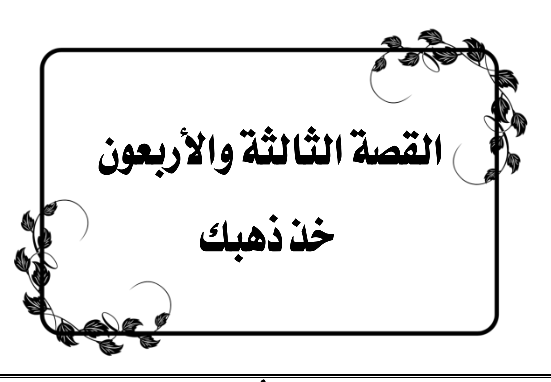
وأفادنا هذا الحديث: بيانُ عدْلِ اللهِ تعالَى وأنَّه لا يَظلِمُ أحدًا، ولا يُعذِّبُ أحدًا إلَّا بعد بُلوغِ الحُجَّةِ وقيامها، فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء:٤٠] ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾ [غافر: ١٧]، بل إن فضله تعالى غلب عدله، كما جاء في الصحيحين من حديث ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسولِ اللهِ ﷺ فيما يَرْويهِ عن رَبِّهِ تَبارَكَ وتعالى قال: "إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلك، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وإنْ هَمَّ بها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ عنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إلى أَضْعافٍ كَثيرَةٍ، وإن هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبها اللهُ عنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وإن هَمَّ بها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ سيِّئَةً واحِدَةً"

إذا أخذ الإنسان هذه الفائدة بقوة، واستشعر هذا المعنى، انحلت عنده إشكالات كثيرة، لا يعلم ما يترتب عليها من ضرر إلا الله، فكم من قضايا ومسائل تعجز العقول أو بعضا عن إدراكها، فيأتي العلم بعدل الله، فيهتدي صاحبها، وصدق الله حيث قال: ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ ﴾ [التغابن:١١].

نسأل الله الهداية والتوفيق

---

(١) شرح مسلم.



القصة الثالثة والأربعون

خذ ذهبك

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ:

"اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا، فَوَجَدَ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَشْتَرِ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلاَمٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحَا الغُلاَمَ الجارية وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(اشترى رجل من رجل عقاراً، فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرةً من ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك، إنما اشتريت منك الأرض ولم أشتر منك الذهب، وقال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها)

❐ فائدة (١): عجبٌ قولُهم:

المعهود بين الناس أن يختصم هذان للحصول على الذهب، لكن اختصم هذان، كلٌ منهما يدفع الذهب عن نفسه ! والتاريخ الإسلامي مليءٌ بالنماذج الراقية الذين لا يحرصون على الدنيا وكأنهم خُلقوا لها، بل يتدافعونها ويبتعدون

عن فتنتها.

وهذا هو عين التقوى، كما قال بعضهم: لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يَدَعَ ما لا بأس به مخافة أن يكون به بأس.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنا نَدَعُ تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام.

وقال أبو الدرداء: إن من تمام التقوى أن يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامـًا، حتى يكون حجابـًا بينه وبين النار "[١]

امرأة صالحة أتاها نعيُ زوجها وهي تعجن العجين، فرفعت يديها من العجين وقالت: " هذا طعام قد صار لنا فيه شريك " [٢]

تعني أن هذا العجين صار إلى الميراث، فصار فيه شركاء، وهذا باب دقيق من أبواب التقوى.

فوالله ما أعظم الفرق بين هؤلاء، وبين قوم يرون الحرام عيانـًا فيتجرءون عليه ويأكلون ولا يبالون، فالحلال ما حل بأيديهم، والطريقة المباحة للكسب ما أملته عليهم أهواؤهم وشهواتهم !!

فاللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عمن سواك.

❑ **فائدة (٢): الطيور على أشكالها تقع:**

ونستفيد من ذلك كذلك، عظم الأمانة وأن الأمين يجد ثمرة أمانته في الدنيا

---

(١) – إحياء علوم الدين.

(٢) – الورع لابن أبي الدنيا.

قبل الآخرة، وانظر كيف أن هذا الرجل الأمين في هذه القصة كوفئ بأمينٍ مثله، ثم كوفئ هذان الأمينان بقاض أمين موفَّق !!

ولقد أخبرنا النبي ﷺ أن الأمانة سترفع حتى يأتي يوم " يصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدٌ يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً " (١).

فالأمانة الأمانة قبل رفعها، فإن النبي ﷺ قال: " **إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة** " (٢).

❐ **فائدة (٣): يا سعادة من أكل الحلال:**

ونستفيد من ذلك أيضا ضرورة أكل الحلال، وخطورة أكل الحرام.

فالأتقياء الصالحون يعلمون أن الحرام يُهلك الحلال، ويجلب غضب الكبير المتعال، وكما قيل: جمَعَ الحرام على الحلال ليُكثره !! فدخل الحرام على الحلال فبعثره.

فقليلٌ من حلالٍ يشكره العبد: خيرٌ من كثيرٍ من حرامٍ أو شبهة، تُنزع بسببه البركة، ويحل به سخطُ الرب.

أكل الحلال ينوِّر القلبَ ويُصلحه فتَزكو بذلك الجوارح وتُدرأ المفاسد وتكثر المصالح، والعكس بالعكس: أكل الحرام والمشتبه يُصْدئ القلبَ ويُظلمه ويُقسِّيه، وهو من موانع قبول الدعاء.

قال وهيب بن الورد: "لو قمت مقام هذه السارية، لم ينفعك شئٌ حتى تنظر

---

(١) – متفق عليه.

(٢) – رواه البخاري.

ما يدخل في بطنك حلال هو أم حرام" (١)

والأمر كما قال أبوعبدالله الباجي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: " خمس خصال بها تمام العمل: الإيمان بمعرفة الله عز وجل، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال، فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل.

وذلك إذا عرفت الله عز وجل، ولم تعرف الحق لم تنتفع.

وإن عرفت الحق ولم تعرف الله لم تنتفع.

وإن عرفت الله وعرفت الحق ولم تخلص العمل لم تنتفع.

وإن عرفت الله وعرفت الحق، وأخلصت العمل، ولم يكن على السنة لم تنتفع.

وإن تمت الأربع، ولم يكن الأكل من حلال، لم تنتفع "(٢)

(فتحاكما إلى رجل)

❐ **فائدة (٤): أين ذهب هذان الرجلان حينما اختلفا ؟**

وأين يذهب أهل الإيمان حينما يختلفون ؟

الواجب إذا اختلف أهل الإيمان ـ وهذا وارد ـ أن يستخرجوا من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ ما يقضون به بينهم ويزيلونه به خلافهم، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

---

(١) جامع العلوم والحكم.

(٢) جامع العلوم والحكم.

أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]

وقال سبحانه: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩]

وإذا لم يستطيعوا فعل ذلك وجب التحاكم إلى من يستطع فعل ذلك، كماهو حال هذين الرجلين، وهذا من تعظيم الله سبحانه وتعالى، فقد قال الله: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ ﴾ [يوسف: ٤٠]

وقال عز من قائل: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣]

(فقال الذي تحاكما إليه ألكما ولد ؟ فقال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، فقال: أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما وتصدقوا)

❐ فائدة (٥): ما أفقه القاضي!

ما أفقه هذا الرجل الذي حكم بينهما، ولم يجد بُداً من امتزاج هذين الرجلين الأمينين، ولم يجد بُداً من انصهار هاتين العائلتين، فالطيبون للطيبين، والطيور على أشكالها تقع.

ومن هنا وجب على المؤمن أن يبحث عن الطيبين، عن الأمناء الصالحين، في مصاحبته ومجالسته، ومصاهرته، وسائر معاملاته، فالأرواح جنودٌ مجندة ما تعارف منها ائتلف.

❐ فائدة (٦): من صور شكر النعم: الإنفاق منها.

وانظر كيف أمرهم بالانفاق والصدقة، العاقل يفقه كيف يتعامل مع الله لأن

الله سبحانه مَنعه بلاء، وعطاؤه بلاء، فإذا أعطاك الله ووسع عليك ينبغي أن تُرى الله منك خيراً، وتفهم حقيقة الاختبار، فتنفق وتجود وتكون معطاءً، فإن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال سبحانه: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ [البقرة: ٢٤٥]

وفي صحيح مسلم: قال ﷺ: " يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شرٌ لك، ولا تلام على كفاف.."

والفضل: ما فَضَل عن حاجتك وحاجة من تعولهم.

وقوله " لا تلام على كفاف": أي لا يلام العبد على إمساك كفايته وإنما يلام على إمساك ما فضل عن حاجته.

❐ فائدة (٧): ماذا يفعل من وجد مالاً مدفونـًا كهذا ؟

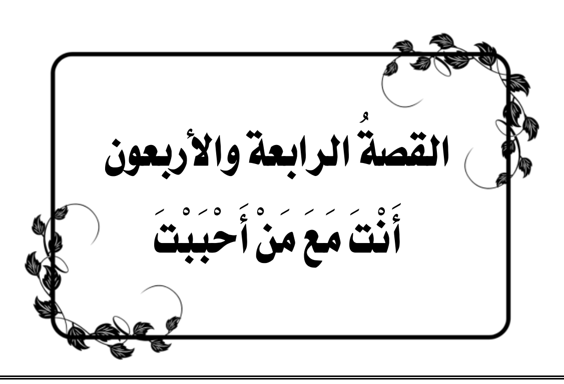
المال المدفون له حالتان:

الأولى: أن يغلب على الظن أنه دُفن حديثـًا، ويمكن معرفة أصحابه، فحكمه حكم اللقطة، يُعرَّف سنة كاملة، فإذا لم يُعرف له صاحب يصير ملكـًا لواجده، وإذا غلب على الظن أنه دُفن من زمن بعيد – الآثار اليوم – فهو ركاز، يُخرج منه الخمس على سبيل الفور، لقوله ﷺ: " **وفي الركاز الخمس**" (١)، والباقي يصير ملكـًا لواجده.

فاللهم ارزقنا الحلال الطيب وبارك لنا فيه

---

(١) متفق عليه.



(قصة الرجل الذي زار أخـًا له في الله)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ:

"إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ.

(**إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ**) أي: أرادَ زِيارته في اللهِ.

(**فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى**) أي في مكانٍ غيرِ مكانِ الزَّائرِ.

❐ **فائدة (١): فضل الزيارة في الله.**

مع سهولة تواصل الناس عبر وسائل التواصل المكتوبة والمسموعة والمرئية في زماننا المعاصر، قلَّت زيارات الناس بعضهم بعضًا، واكتفى البعض برسالة يومية أو أسبوعية للتواصل، وظن أن هذا يكفيه عن تحريك قدمه وطرق باب قريبه أو صديقه أو جاره، متناسين أهمية اللقاء بالبدن، والجلوس وجهًا لوجه، والزيارات في البيوت، والجلوس معًا في مجلس واحد، فلا يخفى على

أحد أن التزاور من أعظم ما يزيد الألفة، ويوطد العلاقة، ويقوي المحبة بين الناس، ويؤلف بين قلوبهم، وهذه من أعظم مقاصد الشرع الحنيف؛ قال سبحانه: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

ـ وحسبُك أنّ النبي ﷺ جعل زيارتك لأخيك في الله من موجبات الجنة، فقد قال عليه الصلاة والسلام:" ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة ؟ النبي في الجنة، والصِّديق في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المِصر لا يزوره إلا لله عز وجل" (١)

وقال ﷺ:" **مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ، نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا**" (٢) طبت: أي طاب عيشك في الدنيا والآخرة، وطاب ممشاك لأن الله يحب هذا السعي منك، وتبوأت: أي تهيأت لدخول الجنة.

ـ وزيارة المريض لها فضلٌ خاص، فعَنْ ثُوَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِي قَالَ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى الْحَسَنِ نَعُودُهُ، فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ أَبَا مُوسَى، فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: أَعَائِدًا جِئْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَمْ زَائِرًا؟ فَقَالَ: لَا بَلْ عَائِدًا، فَقَالَ عَلِيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ.(٣)

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) صحيح سنن الترمذي.

(٣) رواه أحمد والترمذي وحسنه، وصححه الألباني.

والزيارات منها ما هو آكد من غيرها، فزيارة الأرحام آكد من زيارة غيرهم؛ لأن صلتهم واجبة من الواجبات، وعبادة من العبادات، وقطيعتهم إثم عظيم، قال سبحانه: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وقال ﷺ أنه قال: **"من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصِلْ رحمه"** (١)

وزيارة الجيران آكد من زيارة غيرهم؛ لما لهم من الحقوق ما ليس لغيرهم، فالجار حقه عظيم، أكده الله في كتابه العزيز ولو كان كافرًا؛ قال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

فالجيران ثلاثة: جار كافر له حق الجوار، وجار مسلم له حق الإسلام والجوار، وجار قريب مسلم له حق القرابة والإسلام والجوار، ولمكانة حق الجار أكثر جبريل عليه السلام من وصية النبي ﷺ به، حتى ظن أنه سيكون له حقًّا في ميراثه يومًا ما كما قال ﷺ: **"ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه"** (٢)

وعلى الزائر أن يلتزم بآداب الزيارة: كالاستئذان، وعدمِ الإثقال، وغض

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

الأبصار، وأن ينزه مجلسه عن الغيبة والنميمة، فهي زيارة في الله لا ينبغي أن يكون فيها شيء يغضب الله.

قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- **"الاجتماع بالإخوان قسمان:**

أحدهما: اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت، فهذا مضرته أرجح من منفعته، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت.

الثاني: الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها، ولكن فيه ثلاث آفات: أحداها تزين بعضهم لبعض. الثانية: الكلام والخلطة أكثر من الحاجة. الثالثة: أن يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود، وبالجملة فالاجتماع والخلطة لقاح إما للنفس الأمارة، وإما للقلب والنفس المطمئنة، والنتيجة مستفادة من اللقاح فمن طاب لقاحه طابت ثمرته " (١)

فعلى المسلم أن يجتهد في إحياء هذه الشعيرة العظيمة، ولاسيما وقد كثر التفريط فيها في هذا الزمن، حيث أصبح أكثر الناس لا يتزاورون إلا من أجل الدنيا والمصالح العاجلة.

(فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا) أي: أعدَّ وهيَّأَ أو أَقعَدَ الله في طريقِهِ ملِكًا، أي على صورة آدمي.

❐ **فائدة (٢): تشكل الملائكة بالأشكال الحسنة.**

فيه أنّ الملائكة يتشكلون بالأشكال الحسنة، ومرّ معنا في قصة القاتل مائة

(١) الفوائد.

نفس: "فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا بين الأرضين..."، وقد جاء في حديث جبريل الطويل، كما في الصحيحين، أنه جاءهم في صورة بشر، وقال الله عن الملَك في سورة مريم: ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ۝١٧ ﴾ [مريم:١٧]

(**فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟**) فلمَّا أتى الرَّجلُ على الملَكِ؛ سألَه الملَكُ: أينَ تُريدُ أن تذهب؟

(**قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ**) أي أريد زيارته.

(**قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟**) هلْ لكَ عليه، أي: على الْمَزورِ مِن نِعمةٍ تَربُّها؟ أي: تقومُ بِإصلاحِها وإتمامِها، أي: هلْ هو مَملوكُكَ أو ولدُكَ أو غيرُهما مِمَّنْ هو في نَفقتِكَ وشفقتِكَ؛ لِتحسنَ إليه، ومعنى "تَربُّها" مِن رَبَّ فلانٌ الضَّيْعَةَ، أي: أَصلَحَها وأتمَّها.

قوله (**قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**) أي: ليس لي داعٍ إلى زيارتِه إلَّا مَحبَّتِي إيَّاه ابتغاء مَرضات اللهِ.

(**قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**) أي: أنَّ اللهَ تعالى أحبَّكَ بسبب محبَّتِكَ صاحبَكَ في اللهِ.

❐ فائدة (٣): إثبات صفة المحبة لله تعالى.

فالله تعالى يُحب من شاء من عباده، يحب التوابين، ويحب المتطهرين، والمتقين، والمحسنين، والمتزاورين، والمتحابين فيه، فهذه الصفة وغيرها

نثبتها لله سبحانه على وجهٍ يليق بكماله وجلاله، بلا تأويل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تفويض للمعني، نثبتها ونثبت معناها وإنما نفوض كيفيتها، وقد نزل القرآن باللسان العربي المبين.

❒ **فائدة (٤): فضل الحب في الله.**

ـ فإن هذا الرجل، حمله على هذه الزيارة: الحب في الله، وقد نال هذا الرجل بهذا الحب لأخيه، حبَّ الله سبحانه، ، وأعظِم به من حب، وإكرِم بها من بشارة، فعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتًى برَّاق الثَّنَايَا وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هجَّرت فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ لِلَّهِ فقَالَ: آللهُ؟ قُلْتُ: آللهُ فَأَخَذَ بِحَبْوَةِ رِدَائِي فَجَذَبَنِي إِلَيْهِ وَقَالَ: أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: **"قال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ والمتجالسين فِيَّ والمتزاورين فِيَّ"**[١]

وإذا أحبك الله، أعانك على عدم سماع ما يكره، وعدم النظر إلى ما يكره، وعدم مَساس ما يكره، وعدم الخُطا إلى ما يكره، وأستجاب دعاءك، وأعطاك سؤلك، ففي صحيح البخاري، يقول الله تعالى: "....**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**...."

---

(١) رواه مالك في الموطأ، وابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني في تعليقاته على ابن صحيح ابن حبان.

ـ إذا أحببت أخاك في الله، استشعرت حلاوة الإيمان، وتذوقت طعم الطاعة، كما قال ﷺ:" **ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**" (١)

ـ المتحابون في الله، ينادَون يوم القيامة، يناديهم الله: "**أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**" (٢)، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ:.... وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ...**" (٣)

ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ مِنَ الْعِبَادِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَمْوَالٍ وَلاَ أَنْسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ، عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لاَ يَخَافُونَ إِنْ خَافَ النَّاسُ، وَلاَ يَحْزَنُونَ إِنْ حَزِنَ النَّاسُ ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ﴾ (٤)

ـ الصحابة الكرام رضي الله عنهم، سمعوا رسولهم يومـًا يقول لرجل: "أنت مع من أحببت" فكان ذلك اليوم يومَ فرحٍ لهم، فعن أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ. فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: "**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**"، قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ:"**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**"، قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) صحيح البخاري.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى، وأبويعلى في المسند، وصححه الألباني في الصحيحة.

بِشَيْءٍ، فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **"أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"**، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ" (١)

ـ وإن مِن ثمرات المحبة في الله أن يبلغ العبد كمالَ الإيمان:

فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **"مَن أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان"** (٢)

بل إن الحب في الله والبُغْض فيه هو مِن أوثق عرى الإيمان؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **"إن مِن أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبُغْض في الله عز وجل"**(٣)

ـ يقول محمد بن المنكدر لما سئل: ما بقي من لذةٍ في هذه الحياة ؟ قال:"التقاء الإخوان، وإدخال السرور عليهم"، وقال الحسن: "إخواننا أحب إلينا من أهلينا؛ إخواننا يذكروننا بالآخرة، وأهلونا يذكرونا بالدنيا".(٤)

فعلى المسلم الحريص على دِينه أن يجعل علاقاتِه بإخوانه قائمةً على الحب في الله، فلا يصاحب إلا من يقربه من الله والجنة، وليحذر من صحبة من يقربه من الشيطان والنار؛ فقد قال ﷺ: **"لا تصاحِبْ إلا مؤمنًا، ولا يأكُلْ**

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) صحيح أبي داود.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني في الصحيحة، وصحيح الجامع.

(٤) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية.

طعامَك إلا تقيٌّ" (١)، وصحبة رفيق السوء تضعف الإيمان، وتؤدي بالشخص للوقوع في المآثم؛ من شرب المسكِرات، وتعاطي المخدِّرات، والوقوع في السرقة والزنا، بل قد توصله إلى القتل، وقد أمر الله تعالى بصحبة الصادقين؛ فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩]، وأخبر أن الصداقات كلها تنقلب يوم القيامة إلى بُغْض وعداوة، واستثنى من ذلك صداقةَ أهل التقوى، فقال تعالى: ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

❐ **فائدة (٥):أسباب تنميةِ المحبة وتقويتها بين أفراد المجتمع المسلم:**

١ـ إفشاء السلام: على مَن عرَفنا ومَن لم نعرِف من المسلمين، كما قال ﷺ: "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أَوَلَا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشُوا السلام بينكم" (٢)

٢ـ الهديَّة: فهي توثِّق المحبة، وتمتن العلائق، وتزيل من النفوس ما علق فيها من ضغائنَ؛ ولذلك أرشدنا إليها رسول الله ﷺ بقوله: **"تَهادَوا تحابُّوا"**(٣)، وفي رواية: "تهادوا تحابوا، وتذهب الشحناء" (٤)

٣ـ الإخبار بالمحبة: فقد سنَّه لنا نبينا ﷺ؛ لِمَا يُثمِره من زيادة مودَّة، وتوثق أخوَّة، وتعاوُن وتآلُف، فقال ﷺ: **"إذا أحب الرجل أخاه، فليُخبِره أنه يحبه"**(٥)،

---

(١) صحيح أبي داود.

(٢) رواه مسلم.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والحديث حسن؛ كما قال الألباني.

(٤) أخرجه مالك في موطئه.

(٥) رواه أبوداود والترمذي وصححه الألباني.

وعن أنس بن مالك أن رجلًا كان عند النبي ﷺ فمرَّ به رجل، فقال: يا رسول الله، إني لأحبُّ هذا، فقال له النبي ﷺ: **"أعلَمْتَه؟"**، قال: لا، قال: **"أعلِمْه"**، قال: فلحِقه، فقال: إني أحبُّك في الله، فقال: **"أحبَّك الذي أحببتَني له"** (١)

٤ـ القيام بحقوق الأخوَّة والإحسان للأحبة:

وذلك لأن القلوبَ مجبولةٌ على حبِّ مَن أحسَنَ إليها، وبُغْضِ من أساء إليها، فإذا ما ساد الإحسان بين الإخوان، توثَّقت عُرى المحبة وتعمَّقت، ومِن هذه الحقوق:

أ- المجالسة في الله تعالى: وهي أن يُجالِس كلٌّ منهما الآخر لينتفعَ بمجالسته؛ مِن ذكر لله، أو سماع موعظةٍ، أو حكمة، أو قصة، أو فائدة، أو غير ذلك مما يُرضِي الله تعالى، أما إذا كان المجلس لغِيبة أو نميمة أو كذب، أو غير ذلك مما يغضب الله، فالمتحابون في الله أبعد الناس عنه.

وإذا كانت المجالسة لله تعالى، استحق الجلساءُ محبةَ الله، وباهى اللهُ تعالى بمجلسهم الملائكة؛ فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خرج معاويةُ على حلقةٍ في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلَسنا نذكر الله، قال: آللهِ ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أمَا إني لم أستحلِفْكم تهمةً لكم، وما كان أحد بمنزلتي مِن رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقةٍ مِن أصحابه فقال: "ما أجلسكم؟"، قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمَده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا، قال: "آللهِ ما أجلسكم إلا ذاك؟"، قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: "أما إني لم أستحلفكم تهمةً لكم، ولكنه أتاني

---

(١) صحيح أبي داود.

جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة" (١)

ب- التباذل في الله: وذلك بأن يبذل كلٌّ واحدٍ منهما ما يحتاجه الآخر، لا يبتغي مِن وراء ذلك جزاءً ولا شكورًا؛ إنما يبتغي محبةَ الله ورضوانه، ويدفعه إلى ذلك المحبة الخالصة لوجه الله.

ج- التناصح في الله: وهي أن ينصح كلٌّ منهما الآخر، لا يخونه ولا يخدعه، بل يريد له الخير ويدلُّه عليه؛ لأن النصح حقٌّ مِن حقوق أخوةِ الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"حق المسلم على المسلم ستٌّ"**، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: **"إذا لقيتَه فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجِبْه، وإذا استنصَحَك فانصَحْ له، وإذا عطس فحمِد الله فشمِّتْه، وإذا مرِض فعُدْه، وإذا مات فاتبَعه"** (٢)

د- التزاور في الله تعالى: وهو ما قام به هذا الرجل الصالح، الذي نحن بصدد الحديث عنه.

فإن لم يتحقَّق التزاور بين الأحبة لبُعْد مسافة أو غيرها، فلا أقل مِن أن يكون بينهما تواصل واتصال، فقد أوجب الله محبتَه كذلك للمتواصلين فيه ومن أجله؛ فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول عن ربه تعالى: "حقت محبتي للمتواصلين فيَّ..."(٣)

اللهم إنا نسألك حبَّك

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وحبَّ مَن يحبك

وحبَّ كل عملٍ يُقرِّبنا إلى حبك





عَبْدَ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ:

"لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ. عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ، وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ، وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ، وَعَلَيْهَا زَادُهُ، وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي البَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَالنُّعْمَانَ بْنِ بَشيرٍ، وَالبَرَاءَ بْنِ عَازِبٍ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وَفِي بَعْضِ طُرُقِ الحَدِيْثِ عَنْ أَنَسٍ وَغَيْرِهِ:

"... فأتى شجرة، فاضطجع في ظِلِّها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمةً عنده، فأخذ بخطامها ثُمَّ قال من شدة الفرح: اللَّهُمَّ! أنت عبدي وَأَنَا رَبُّكَ!! أخطأ من شدة الفرح".

(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ) وهل أعظم رحمةً وأجلُّ رأفة من أن يفرَح بتوبتك خالِقُك وسيِّدك مع غناه عنك وفقرِك إليه؟

فائدة (١): فرح الله بتوبة عبده.

ولا يظن ظانٌّ أنَّ هذا الفرحَ فرحُ حاجةٍ وافتِقار؛ فالله تعالى له الغِنى المطلق، وهو الصَّمد القيُّوم الذي يقوم غيرُه به وهو القائم بنفسه، سبحانه قد قال: "يا عبادي إنَّكم تُخطئون بالليل والنَّهار وأنا أغفِر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفِرْ لكم، يا عبادي إنَّكم لن تَبلغوا ضَرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغوا نَفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجِنَّكم قاموا في صعيدٍ واحد فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألتَه ما نقص ذلك ممَّا عندي إلَّا كما يَنقُص المِخْيَطُ إذا أُدخِل البَحر" (١)

وإنَّما هذا الفرح فرح بِرٍّ وإحسان ورحمة، قال ابن القيم: "وهذه فَرحة إحسانٍ وبرٍّ ولُطف لا فرحة محتاجٍ إلى توبة عبده منتفعٍ بها، وكذلك موالاته لعبده إحسانًا إليه ومحبَّة له وبِرًّا به؛ لا يتكثَّر به من قلة، ولا يتعزَّز به من ذلَّة، ولا يَنتصر به من غلبة، ولا يعدُّه لنائبة، ولا يستعين به في أمر؛ ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١١]، فنَفى أن يكون له وليٌّ من الذلِّ" (٢)

وإنَّ القلب ليقِف محبًّا معظِّمًا أمام هذا الفرح الإلهي، بل إنَّ العبارة لتعجز

---

(١) رواه مسلم.

(٢) انظر: مدارج السالكين، ومفتاح دار السعادة.

عن وصفٍ أو بيان؛ ولذا يطلِق ابن القيم على هذا الفرح: "السر الأعظم الذي لا تقتحمه العِبارةُ، ولا تجسر عليه الإشارة، ولا ينادي عليه منادي الإيمان على رؤوس الأشهاد؛ بل شهدَتْه قلوبُ خواص العباد، فازدادَتْ به معرفةً لربِّها ومَحبَّة له وطُمأنينة به وشوقًا إليه ولهجًا بذكره، وشهودًا لبِرِّه ولطفه، وكرمِه وإحسانه، ومطالعة لسرِّ العبودية، وإشرافًا على حقيقة الإلهية" (١)

❐ فائدة (٢): ومن أسباب الفرح الإلهي:

ومن أسباب هذا الفرح الإلهي: أن الله تعالى إنما خلق الخلق ليعبدوه ويطيعوه وهذا أحب الأشياء إلى الله، فإذا خرج العبد عن الطاعة فقد خرج عن أحب الأشياء إلى الله، فإذا رجع العبد إلى الطاعة فقد رجع إلى أحب الأشياء إلى الله فتزداد إذن محبة الله له وفرحه به.

وقد ذكر ابن القيم – عليه رحمة الله – حكاية مُعبِّرة عن هذا المعنى العظيم فقال:

"ذكر بعض العارفين أنه رأى في بعض السكك بابًا قد فُتح وخرج منه صبيٌّ يستغيث ويبكي وأمه خلفه تضربه وتطرده حتى خرج، فأغلقت الباب في وجهه ودخلت، فذهب الصبي غير بعيد ثم وقف مفكرًا فلم يجد له مأوى غيرَ البيت الذي أُخرج منه ولا من يئويه غيرَ أمه فرجع مكسور القلب حزينًا فوجد الباب مغلقًا فوضع خده على عتبة الباب ونام.

فخرجت أمه فلما رأته في تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه

---

(١) المدارج.

والتزمته تقبله وتبكي وتقول: يا ولدي أين تذهب عني؟ من يئويك سواي؟ ألم أقل لك لا تخالفني ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلتُ عليه من الرحمة بك والشفقة عليك وإرادتي الخير لك؟ ثم أخذته ودخلت....

فتأمل قول الأم: "لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة والشفقة.. "وتأمل قوله ﷺ: **"لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها"**(١)

❐ **فائدة (٣): من مظاهر فرح الله بتوبة عبده:**

١ـ أنه تعالى يبدل سيِّئاته حسنات، قال تعالى ـ في وصف عباد الرحمن ـ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٦٨ـ ٧٠].

جاء أبو طويل شطَب الممدود إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: أرأيت من عَمِل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئًا وهو في ذلك لم يترك حاجةً ولا داجة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ فقال ﷺ: **"فهل أسلمت"**؟

قال: أما أنا فأشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله.

قال: "تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيرات كُلَّهن".

قال: وغدراتي وفجراتي؟

قال: "نعم، فما زال الرجل يكبِّر حتى توارى" (٢)

(١) المدارج.

(٢) رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع.

٢ـ أنه تعالى فتح لهم باب توبته على مصراعيه، وحذرهم من القنوط من رحمته، "بل قال: متى جئتني قبِلتُك؛ إن أتيتني ليلًا قَبلتُك، وإن أتيتنى نهارًا قبلتُك، وإن تقرَّبتَ منِّي شبرًا تقربتُ منك ذِراعًا، وإن تقرَّبتَ مني ذراعًا تقربتُ منك باعًا، وإن مشيتَ إليَّ هرولتُ إليك، ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثمَّ لقيتني لا تشرك بي شيئًا أتيتُك بقرابها مغفرةً، ولو بلغَت ذنوبك عنانَ السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك، ومَن أعظَمُ مني جودًا وكرمًا؟ عبادي يبارزونني بالعظائم وأنا أَكْلؤهم على فرشهم، إنِّي والجن والإنس في نبأ عظيم؛ أَخلُق ويُعبَد غيري، وأَرزق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد نازِل وشرُّهم إليَّ صاعد، أتحبُّب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغَّضون إليَّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إليَّ، مَن أقبل إليَّ تلقَّيتُه من بعيد، ومن أعرض عنِّي ناديتُه من قريب، ومن ترك لأجلي أعطيتُه فوق المزيد، ومن أراد رضاي أردتُ ما يريد، ومن تصرَّف بحولي وقوَّتي أَلَنتُ له الحديد، أهلُ ذِكري أهل مُجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل مَعصيتي لا أقنِّطهم من رحمتي؛ إن تابوا إليَّ فأنا حبيبهم؛ فإنِّي أُحبُّ التوَّابين وأحب المتطهِّرين، وإن لم يتوبوا إليَّ فأنا طبيبهم؛ أبتليهم بالمصائب لأطهِّرهم من المعايب، مَن آثرني على سواي آثرتُه على سواه، الحسنة عندي بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضِعف إلى أضعاف كثيرة، والسيِّئة عندي بواحدة فإن نَدِم عليها واستغفرني غفرتُها له، أشكر اليسيرَ من العمل وأغفر الكثيرَ من الزَّلَل، رحمتي سبقَت غضبي، وحِلمي سبق مؤاخذتي، وعفوي سبق عقوبتي" (١)

---

(١) المدارج.

عن صفوان بن عسّال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "فما زال النبي ﷺ يحدثنا حتى ذكر بابًا من المغرب مسيرة عرضه أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عامًا، قال سفيان – أحد الرواة – قِبل الشام خلقه الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض مفتوحًا للتوبة لا يُغلق حتى تطلع الشمس منه" (١)

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالت قريش للنبي ﷺ: "ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبًا فإن أصبح ذهبًا اتبعناك، فدعا ربه فأتاه جبريل علي السلام، فقال: "إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: "إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا فمن كفر منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة؟ فقال ﷺ: **"بل باب التوبة والرحمة"** (٢)

فما من عبدٍ عصاه وبلغ عصيانه مداه، ثم رغب في التوبة إلا فتح له أبواب رحمته وفرح بعودته ما لم ينم العبد على فراش الموت، أو تطلع الشمس من مغربها.

فعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **"إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"**(٣)

وقال ﷺ: **"إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"** (٤)

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع.
(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.
(٣) رواه مسلم.
(٤) صحيح سنن الترمذي.

من الذي تاب إليه فما قبله؟

من الذي دعاه فما لباه؟

من الذي استغفره فما غفر له؟

من الذي وقف ببابه فطرده؟

فلو أن إنسانًا اتبع هواه أو استجاب لشيطانه وتمادى في جرمه وعصيانه فقتل مائة نفس وارتكب كل إثم وأراد التوبة تاب عليه، وبدّل له سيئاته حسنات.

٣ـ أنه إذا أراد العبد أن يتوب وفّقه للتوبة قبْلها، وقَبِلَها منه وأثابه عليها بعدها، فتوبة العبد محفوفة بتوبتين من الله.

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١١٨ ﴾ [التوبة ١١٨]

فهو التائب على التائبين أولًا بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه، وهو التائب على التائبين بعد توبتهم قبولًا لها وعفوًا عن خطاياهم [١]

٤ـ يحب أن يتوب عباده ويريد من عباده أن يتوبوا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقال تعالى: ﴿ وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

---

(١) تفسير السعدي.

فإذا أردت أن تعرف الفرق بين ما يريده الله منك، وبين ما تريده منك صحبة السوء والقنوات الفضائية الهدامة والمقاطع الفاضحة والإعلام الماكر، فالجواب في هذه الآية.

❐ فائدة (٤): فإن قيل: كيف يفرح ربنا ؟ (صفة فرحه)

فرح الله صفةٌ فعليَّةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجلَّ بالأحاديث الصحيحة، ومنها هذا الحديث الذي معنا، ثبوتـًا يليق بجلاله وكماله، لا يشبه فرحه تعالى فرح المخلوق، فلا يدخل فرحَه شيءٌ من النقص الذي يلحق فرح المخلوق.

قال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٤٤٩ هـ): "وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة، والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول، والكلام، والرضا، والسخط، والحياة، واليقظة، والفرح، والضحك، وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى، وقاله رسوله ﷺ، من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير".(١)

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: " والفرح من الله جل وعلا، مثل سائر الصفات، كالرضا والغضب والرحمة والمحبة وغير ذلك، كلها صفات تليق بالله يجب إثابتها لله، على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، وليست من جنس صفات المخلوقين؛ فغضب الله، ليس كغضب المخلوقين، وفرحه ليس كفرحهم،

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث.

ورضاه ليس كرضاهم، وهكذا رحمته ومحبته وكراهته، وسمعه وبصره، وغير ذلك:

كلها صفات كاملة تليق بالله، لا يشابه فيها خلقه سبحانه وتعالى؛ لقول الله عز وجل في كتابه العظيم: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ ولقوله سبحانه: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾، وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة قاطبة جميعـًا، وهم أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان" (١)

❐ فائدة (٥): التوبة صفة المؤمن:

ونستفيد من قوله ﷺ: "للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ" أن التوبة صفة المؤمن، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١].

قال ابن القيم – عليه رحمة الله –:

"هذه الآية مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم ثم علق الفلاح بالتوبة، وأتى بكلمة "لعل" إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنت على رجاء الفلاح فلا يرجوا الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم.."(٢)

---

(١) انتهى من موقع الشيخ:
https://www.binbaz.org.sa/noor/3168
(٢) المدارج.

التوبة ليست عبادةً يتعبد بها العبد يومًا أو شهرًا ثم ينساها، بل التوبة موجودة لا تفارقه، لأن التوبة ليست خاصة بالعصاة والمذنبين وإنما هي علامة على طريق الأنبياء والموحدين.

قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [التوبة:١١٧].

وقال ﷺ: **"يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة"** (١)

فإذا كان المعصوم ﷺ يتوب في اليوم مائة مرة!!

فكم نحتاج نحن إلى توبات وتوبات ونحن أصحاب الغفلات والغدرات؟!

❐ **فائدة (٦): المبادرة بالتوبة ضرورة مُلِحّة:**

ولما كانت التوبة صفة المؤمن كانت المبادرة بها ملحة، لأن الموت يأتي بغتة، فهل الموت سيفجؤك وأنت تائب منيب أم سيفجؤك وأنت ظالم مُريب؟

لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

قال ابن القيم- عليه رحمة الله -: "المبادرة إلى التوبة من الذنب واجب على الفور ولا يجوز تأخيرها فمتى أخرّها عصى بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى وهي توبته من تأخير التوبة، وقَلَّ هذه أن تخطر ببال التائب بل عنده أنه إذا تاب من الذنب لم يبق عليه شيءٌ آخر، وقد بقيِ عليه التوبة من تأخير التوبة..." (٢)

---

(١) رواه مسلم.

(٢) المدارج.

فأخطر شيءٍ يواجه العصاة أن يؤخروا التوبة، فيقول أحدهم: سوف أتوب، سوف أرجع، سوف أفعل، ويفجؤه الموت كما فاجأ الكثير دون أن يتوب ويرجع أو يفعل،

ولهذا قيل: "سوف" من جنود إبليس، وقيل: أكثر أهل النار المسوِّفون، فالمبادرة بالتوبة تعين العبد على اقتلاع الذنب قبل أن يستفحل ويرسخ في أرض القلب أصله وتُنشر في الأعمال فروعه ويزداد كل يوم تشبثًا بالجذور وتشعبًا في الفروع.

ومثل المسوّف كمثل رجل أراد قلع شجرة فرآها لا تقلع إلا بمشقة فقال: أؤخرها سنة – وهذا من حماقته – لأمرين:

الأول: أن الشجرة كلما بقيت ازدادت رسوخًا.

الثاني: أنه كلما طال عمره ازداد ضعفه.

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا   واعص الهوى فالهوى ما زال فتانا
أما ترين المنايا كيف تلقطنا لقطًا   وتلحق أخرانا بأولانا
في كل يوم لنا ميتٌ نشيّعه   نرى بمصرعه آثار موتانا
فما بالنا نتعامى عن مصائرنا   ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا (١)

❐ فائدة (٧): حقيقة التوبة وشروطها:

ولما كانت التوبة صفة المؤمن، كان لابد من معرفة حقيقتها، وشروطها، والتوبة حتى يقبلها الله يجب أن تكون توبة صادقة نصوحًا، والرجوع حتى ينفع صاحبه يجب أن يكون رجوعًا صحيحًا، والإقبال حتى يُقبِل الله به عليك يجب

---

(١) جزء من أبيات منسوبة لسفيان الثوري.

أن يكون إقبالًا يليق به سبحانه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٨ ﴾ [التحريم: ٨].

والتوبة النصوح: كما قال الحسن البصري: إنها ندم بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح وإضمار ألا يعود (١)

فالتوبة هي: الرجوع عما يكرهه الله تعالى ظاهرًا وباطنًا إلى ما يحبه الله تعالى ظاهرًا وباطنًا، هي الينبوع الفيّاض لكل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، هي أول طريق الفلاح، هي شعور بالندم على ما وقع وكفٌّ عن الذنب وتوجهٌ إلى الله تعالى.

❍ شروط التوبة النصوح:

واعلم أن التوبة النصوح الصادقة لا بد لها من شروط:

(١) الإخلاص:

فيكون الباعث على توبتك هو حبك لله تعالى وتعظيمك له ورجاؤك في ثوابه وخوفك من عقابه لا تقربًا إلى مخلوق ولا قصدًا في عرض من أعراض الدنيا.

(٢) الإقلاع عن المعصية:

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني.

نتوب:

من تقصيرنا في حق الله، نتوب من غفلتنا عن الله، نتوب من تضييع الأوقات أمام وسائل التواصل الاجتماعي والمباريات ونحوها، نتوب من المعاكسات، نتوب من النظر للمحرمات، نتوب من تعلق قلوبنا بغير الله، نتوب من ترك الخشوع في الصلاة، نتوب من التأخر عن صلاة الجماعة، نتوب من سوء معاملتنا لأزواجنا، نتوب من جفائنا لأبنائنا وأمهاتنا، نتوب من قطيعتنا لأرحامنا، نتوب من صحبة السوء، نتوب من التبرج، نتوب من التفرق والتدابر، نتوب من التقصير في واجب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلا تُتصور صحة التوبة مع الإقامة على المعاصي، فما أكذب عبد يقول: يا رب تب عليّ وهو لا يزال يأكل الربا ويسمع الغنا ويشرب الخمر وما أقبح شاب يهتف: يا رب غفرانك وهو لا يزال مقيمًا على علاقة محرمة مع فتاة، فلا يكون المرء تائبًا إلا بعد أن يتخلص من معصيته ومن كل ما يمت بها بصلة.

ومن الإقلاع عن المعصية: الإقلاع عن أماكن المعصية وأهل المعصية وأسباب المعصية بشكل عام.

إن الذي يريد النجاة لا يسكن أرضًا موبوءة، فإن ميكروب المرض لابد أن يصيبه، فكيف لتائب من الزنا أن تحسن توبته وهو لا يترك الذهاب إلى المراقص والمسارح؟

وكيف لتائب من مصافحة النساء وهو لا يترك أماكن الاختلاط؟

وكيف لتائب من التدخين وهو يجلس وسط المدخنين فلا هو ينهاهم ولا

هو يفارق مجلسهم؟

وهذا ما وصّى به العالم الرباني الرجل التائب: "إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ قال: نعم ومن يحول بينك وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بهم أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع أرضك فإنها أرض سوء..." (١)

فالصاحب ساحب، فاصحب من يسحبك إلى الخير تنل الخير وتصح توبتك،

❍ واحذر أخي:

من مقدمات الذنب فكل ما أدى إلى حرام فهو حرام ولو كان في الأصل حلالًا، فالسهر مثلًا حلال لكن إذا أدى إلى ترك صلاة الفجر فهو حرام، فمن تمام الإقلاع عن المعصية الإقلاع عن مقدمات المعصية.

(٣) الندم:

فـ "الندم توبة" كما جاء ذلك عن النبي ﷺ (٢)

وأي إنسان أحق بالندم ممن عصى الله عز وجل؟ أفلا يندم العبد على تفريطه في حق ربه؟ أفلا يندم العبد على تضييعه لوقته ورأس ماله، لا في المباح بل فيما يحرق شمعة حياته ويعرضه لسوء الخاتمة؟

فلا تتصور توبة بغير ندم، فقم يا صاحبي واهتف في جوف الليل وناد بالأسحار وقل:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه أحمد، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

يا رب إن ذنوبي اليوم قد كثرت ولا أطيق لها حصرًا ولا عددًا
وليس لي بعذاب النار من قِبَل ولا أطيق لها صبرًا ولا جلدًا

(٤) العزم:

اعزم ألا ترجع إلى الذنب ولا تعود إليه، وكن رجلًا، فإذا وعدت فأوف وإذا نويت فاصدق وإذا عزمت فتوكل على الله.

وإذا عُدت إلى الذنب بعد التوبة فسارع إلى توبة جديدة، حتى لو طال ذلك، ففي الحديث: "ما من عبد إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة أو ذنب هو مقيم عليه لا يفارقه حتى يفارق الدنيا إن المؤمن خلق مفتنًا توّابًا نسِيًّا إذا ذُكر ذَكر"(١)

(٥) رد المظالم إلى أهلها:

إذا كانت المعصية تتعلق بحقوق الآدميين وجب عليك أن ترد الحقوق إلى أهلها ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: "من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضٍ أو شيءٍ فليتحلله اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه".(٢)

(٦) أن تكون التوبة في زمن قبولها:

وهو ما قبل حضور الأجل وطلوع الشمس من مغربها، وذلك يدعونا إلى الاستعداد وأخذ الأُهبة، فالموت لا يستأذن على أحد والآجال محدودة والأعمار معدودة والأيام دول.

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع.
(٢) رواه البخاري.

فكـــــل بـــــاك فســــيُبكى وكــــل نـــاع فســــيُنعى
وكــــل مخلـــوق ســــيفنى وكــــل مــــذكور سيُنســــى
لـــــيس غيــــر الله يبقـــــى مــــن عــــلا فـــالله أعلـــى

(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ،) قوله: "دوية" اتفق العلماء على أنها بفتح الدال وتشديد الواو والياء جميعا وذكر مسلم في الرواية التي بعد هذه رواية أبي بكر بن أبي شيبة أرض داوية بزيادة ألف وهي بتشديد الياء أيضا وكلاهما صحيح قال أهل اللغة الدوية الأرض القفر والفلاة الخالية التي لا نبات بها، وقوله: "مهلكة" أي مظنة الهلاك، وهي بفتح الميم، اللام وكسرها، ويقال لها مفازة، قيل إنه من قولهم فَوَز الرجلُ إذا هلك، وقيل هو على سبيل التفاؤل بفوزه ونجاته منها كما يقال للديغ سليم.

(مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ) ليستريح من عناء السفر، ليقوم مواصلاً سيره، ليبلغ مراده.

(فَاسْتَيْقَظَ، وَقَدْ ذَهَبَتْ) أي سارت، فتاهت وسط هذه الصحراء الهائجة !

(فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ،) أي ظل يطلبها، حتى تعب، فعطش، وفي رواية: "حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ".

(ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ،) عَلَى هَيْئَةِ الْمُحْتَضِرِ، وفي الرواية الأخرى: "فأتى شجرة، فاضطجع في ظِلِّها قد أيس من راحلته"

(فَاسْتَيْقَظَ، وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ، وَعَلَيْهَا زَادُهُ، وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ) وفي الرواية أخرى: "فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمةً عنده، فأخذ بخطامها ثُمَّ قال من شدة الفرح:

اللَّهُمَّ! أنت عبدي وَأَنَا رَبُّكَ!! أخطأ من شدة الفرح"

❐ فائدة (٨): حكم الخطأ اللفظي غير المقصود.

"فيه دليل على أن الإنسان إذا أخطا في قول من الأقوال، ولو كان كفراً سَبَقَ لسانُه إليه فإنه لا يؤاخذ به، فهذا الرجل قال كلمة كفر، لأن قول الإنسان لربه: أنت عبدي وأنا ربك هذا كفر لا شك، لكن لما كان هذا صدر عن خطأ، من شدة الفرح أخطأ، ما عرف يتكلم صار غيرَ مؤاخذٍ به، فإذا أخطأ الإنسان في كلمة، كلمة كفر فإنه لا يؤاخذ بها، وكذلك غيرها من الكلمات، لو سبَّ أحدا على وجه الخطأ بدون قصد، أو طلق زوجته على وجه الخطأ بدون قصد، أو أعتق عبده على وجه الخطأ بدون قصد، فكل هذا لا يترتب عليه شيء، لأن الإنسان لم يقصده فهو كاللغو في اليمين، وقد قال الله تعالى: "لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ " بخلاف المستهزئ، فإن المستهزي يكفر إذا قال كلمة الكفر، ولو كان مستهزئـًا، لقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] فالمستهزئ قصد الكلام وقصد معناه، لكن على سبيل السخرية والهزء، فلذلك كان كافرا، بخلاف الإنسان الذي لم يقصد، فإنه لا يعتبر قوله شيئا، وهذا من رحمة الله عز وجل".(١)

(فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ) وهذا التكرار من باب: عودٌ على بدء، لتأكيد الأمر.

---

(١) شرح رياض الصالحين: العثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

❐ **فائدة (٩): وأخيراً: علامات قبول التوبة:**

اعلم أن للتوبة علامات تدل على صحتها وقبولها، ومن هذه العلامات:

١- أن يكون العبد بعد التوبة خيراً مما كان قبلها: وكل إنسان يستشعر ذلك من نفسه، فمن كان بعد التوبة مقبلاً على الله، عالي الهمة قوي العزيمة دلّ ذلك على صدق توبته وصحتها وقبولها.

٢- ألا يزال الخوف من العودة إلى الذنب مصاحباً له: فإن العاقل لا يأمن مكر الله طرفة عين، فخوفه مستمر حتى يسمع الملائكة الموكلين بقبض روحه: ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، فعند ذلك يزول خوفه ويذهب قلقه.

٣- أن يستعظم الجناية التي تصدر منه وإن كان قد تاب منها، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه،

وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال له هكذا"[١]، وقال بِلَالَ بْنَ سَعْدٍ: " لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ ".[٢]

٤- أن تُحدث التوبة للعبد انكساراً في قلبه وذلاً وتواضعاً بين يدي ربه: وليس هناك شئ أحبَّ الى الله من أن يأتيه عبده منكسراً ذليلاً خاضعاً مخبتاً منيباً، رطب القلب بذكر الله، لا غرور، ولا عجب، ولا حب للمدح، ولا معايرة ولا احتقار للآخرين بذنوبهم، فمن لم يجد ذلك فليتهم توبته، وليرجع الى تصحيحها.

---

(١) رواه البخاري.

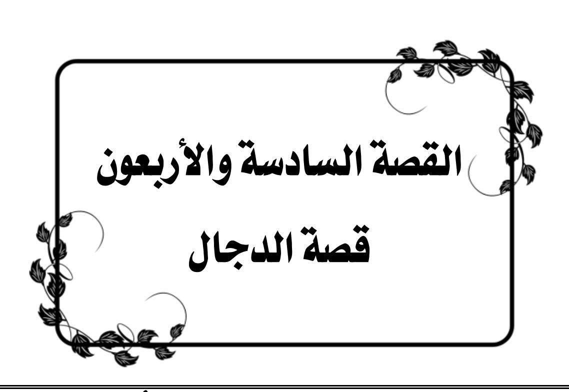
(٢) الجواب الكافي.

٥- أن يحذر من أمر جوارحه: فليحذر من أمر لسانه فيحفظه من الكذب والغيبة والنميمة وفضول الكلام، ويشغله بذكر الله تعالى وتلاوة كتابه، ويحذر من أمر بطنه، فلا يأكل إلا حلالاً، ويحذر من أمر بصره، فلا ينظر الى الحرام، ويحذر من أمر سمعه، فلا يستمع الى غناء أو كذب أو غيبة، ويحذر من أمر يديه، فلا يمدهما في الحرام، ويحذر من أمر رجليه فلا يمشي بهما الى مواطن المعصية، ويحذر من أمر قلبه، فيُطَهرَه من البغض والحسد والكراهية، ويحذر من أمر طاعته، فيجعلها خالصة لوجه الله، ويبتعد عن الرياء والسمعة.

فاللهم ارزقنا توبة صادقة

نلقاك بعدها





القصة السادسة والأربعون

قصة الدجال

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ، وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ، عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: "مَا شَأْنُكُمْ؟ " قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الغَدَاةَ، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: "غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ؛ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ؛ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِيَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ؛ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا".

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟

قَالَ: "أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ".

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ!، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: "لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: "كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ،

فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، ﷺ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ، شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ﷺ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى ﷺ إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، رضي الله عنهم إِلَى اللهُ تَعَالَى، فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ،

وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أَخرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَالتِّرمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ، وَأَحْمَدُ، وَغَيْرُهُمْ.

(**ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ، وَرَفَّعَ**) في معنى ذلك قولان: **أحدهما**: أنَّ "خفَّض": بمعنى حقَّر، "رفَّع"؛ أي: عظَّمه وفخمه؛ فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عورُه، ومن تفخيمه وتعظيم فتنتِه والمحنة به، هذه الأمورُ الخارقة للعادة، وأنه ليس بين يدي الساعة خلقٌ أكبر فتنة منه.

والقول الثاني: أنه خفَّض من صوته في حال الكثرة فيما تكلم فيه، فخفَّض بعد طول الكلام والتعب؛ ليستريح، ثم رفَّع ليبلغ صوته كل أحد.

(**حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ**) أي حتى ظننا أن الدجال مختفٍ في قطعةٍ من النخل قريبةٍ إلينا، وذلك من إكثاره ﷺ الكلامَ عليه، وذكرِ الفتن التي تأتي من ورائه.

❐ فائدة (١): وجوب التحذير من الدجال، وسائر الدجاجلة:

حذر النبي ﷺ، أمته من الدجال في أكثر من ثلاثين موضعاً؛ مبيناً خطره تارة، ومحذراً منه حيناً، وذاكراً طرق السلامة منه تارة أخرى، لأن ظهوره أحد الأشراط الكبرى للساعة، وأعظم الفتن منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى قيام الساعة.

(**فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ**) أي رجعنا إليه ﷺ، في الرواح، أي في آخر النهار.

(**عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا**) أي عرف خوفنا، وانشغالنا بالأمر.

(**فَقَالَ: "مَا شَأْنُكُمْ؟ "**) أي ما حالكم بعد حديثي معكم عن الدجال؟

(**قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الغَدَاةَ**) أي أول النهار.

(**فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: "غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ**) المعنى: إني أخاف عليكم من غير الدجال أكثرَ مما أخاف عليكم من الدجال، فالدجال ليس بالأمر الهيِّن، فوجب أن تحتاطوا، وتحذروا، لكن هناك ما هو أشد عليكم من الدجال، مما سأخبركم به.

❒ **فائدة (٢): ما الذي يَخشى علينا منه رسول الله ﷺ؟**

بالتتبع والاستقراء، عُلم أن ما يَخشى علينا منه رسول الله ﷺ، كثيرٌ، منه ما يلي:

١ـ الدنيا، والمقصود وضعها على قائمة الأولويات، وجعلها الهمّ الأول، والشاغل الأكبر، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " **أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا**"، قَالُوا وَمَا زَهْرَةُ الدُّنْيَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:" **بَرَكَاتُ الأَرْضِ** "...ثم قال: "**إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِى حَقِّهِ فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِى يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ** ".

٢ـ الشرك الأصغر، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**" قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا**

إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً " (١)

٣ـ الأئمة المضلين، فعَنْ ثَوْبَانَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: "...**وَإِنَّ مِنْ أَخْوَفِ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**...." (٢)، وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مِنَ الدَّجَّالِ أَئِمَّةً مُضِلِّينَ**" (٣)

٤ـ جدال المنافق، فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ جِدَالُ الْمُنَافِقِ عليم اللسان**" (٤)، وفي رواية أحمد، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**"

٥ـ عمل قوم لوط، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ**" (٥)

٦ـ وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي ثَلاثٌ: الاسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ وَحَيْفُ السُّلْطَانِ وَالتَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ**"(٦)

❐ فائدة (٣): فإن قيل: ولماذا يخشى علينا النبي ﷺ من ذلك كلِّه؟

والسبب في أن النبي ﷺ، يخشى علينا من ذلك كلِّه، أكثر من الدجال، مع

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) صحيح ابن حبان.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الألباني في ظلال الجنة.

(٤) صحيح ابن حبان.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه.

(٦) رواه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الألباني في ظلال الجنة، بشواهده.

عِظم فتنة الدجال، لأن فتنة الدجال تستغرق حِقبة زمنية معينة، في آخر الزمان، لكن هذه الأمور الأخرى تستغرق سائر الأزمان.

(**إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ**) أي محاجه ومخاصمه وقاطعه بالحجة بإظهار كذبه وإفساد قوله وفعله، دون حاجةٍ إلى أحدكم.

❐ فائدة (٤): الرسول، أمَنة للأمة.

فيه أن النبي ﷺ، حائطُ صدٍّ، وحارسُ حدٍّ لهذه الأمة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ [الأنفال:٣٣] وفي صحيح مسلم، يقول ﷺ: " **النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِى فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِى مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِى أَمَنَةٌ لأُمَّتِى فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِى أَتَى أُمَّتِى مَا يُوعَدُونَ** "

(**وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ**) أي فكل امرئٍ يكفي نفسه، ويحفظها، ويدافع عنها، بما علِم من صفته وكذبه، كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨ ﴾ [المدثر:٣٨]

❐ فائدة (٥): العلم بِسُبُل الشر:

وفيه بيان فضل العلم بالمفاسد لاتقائها، والفتن لاجتنابها، كَمَا قِيلَ: عَرَفْت الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ بَلْ لِتَوَقِّيهِ، ومن لم يعرف الشرَّ من الناس يقع فيه، ولهذا ثبت في الصحيحين عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنَّه قال: "كان الصحابة يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"

❐ فائدة (٦):هل كان النبي صل الله عليه وسلم يعلم و قت خروجه؟

وفيه أن النبي ﷺ لم يتبين له وقتُ خروجه غيرَ أنه كان يتوقعه ويقرِّبه، كما

قرَّب أمرَه حتى ظنوا أنه في النخل القريب منهم.

(وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ) والمعنى: أن الله تعالى وليُّ كل مسلم وحافظه فيعينه عليه ويدفع شره عنه.

❐ فائدة (٧): ضرورة التوكل على الله:

وهذا منه ﷺ تفويضٌ إلى الله في كفاية كل مسلم من تلك الفتن العظيمة، وتوكلٌ عليه في ذلك، وتعليمٌ لأصحابه ذلك، ففي التوكل على الله في كل أمرٍ كفاية، وأي كفاية، فقد قال الله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣]، أي كافيه مشقةَ ما توكل عليه فيه وموصلُه إلى ما يصلحه منه.

ومما يدل على ضرورة توكل العبد على ربه في كل أمر، أنه ﷺ، أعلن توكله على الله هنا في قوله: " وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ " مع أنه أرشد أمته إلى الأسباب التي يقُون أنفسهم بها فتنته، إلا أن الأسباب وحدها غير كافية، وإنما هي من تمام التوكل وكماله.

(إِنَّهُ شَابٌّ) يعني لا كهل ولا شيخ.

❐ فائدة (٨): الفرق بين الشاب والكهل والشيخ، والهرِم:

قال ابن الأَثير الكَهْلُ من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إِلى الأَربعين وقيل هو من ثلاث وثلاثين إِلى تمام الخمسين وقد اكْتَهَلَ الرجلُ وكاهَلَ إِذا بلغ الكُهولة فصار كَهْلاً.(١)

وقال الزبيدي في تاج العروس:قال الأزهري: وقيل له كهل حينئذ لانتهاء

(١) النهاية.

شبابه وكمال قوته.

وقال ابن منظور في مادة شيخ: الشيْخُ الذي استبانتْ فيه السن وظهر عليه الشيبُ وقيل هو شَيْخٌ من خمسين إِلى آخره وقيل هو من إِحدى وخمسين إِلى آخر عمره وقيل هو من الخمسين إِلى الثمانين.(١)

وقال في مادة هرم:الهَرَم أَقْصى الكِبَر هَرِمَ بالكسر يَهْرَمُ هَرَماً.

(قَطَطٌ) بفتحتين وبكسر الطاء الأولى لغتان فيه أي شديد جعودة الشعر الذي لا يمتد إلا باليد.

(عَيْنُهُ طَافِيَةٌ) أي: بارزة، وهو من: طفا الشيء يطفا - من غير همز -: إذا علا على غيره، وفي الرواية الأخرى: "كأنها عنبة طافية".

(كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ) قيل إنه كان يهوديًّا، والظاهر كان مشركًا لأن العزى اسم صنم يؤيده ما جاء في بعض الحواشي هو رجل من خزاعة هلك في الجاهلية.(٢)

❐ فائدة (٩): ومن صفات الدجال:

ـ أنه أعور العين اليمنى، كما في حديث ابن عمر: "إنه أعور العين اليمنى"، وفي رواية عند مسلم أيضًا: "العين اليسرى"، وفي بعض الروايات: "عنبة طافية"، وفي بعضها: "كأنها عنبة طافية"، وفي أخرى: "مطموس العين"، وفي رواية "طافئة"، وفي بعضها: "كأنها كوكب دري".

---

(١) لسان العرب.

(٢) الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة.

قال النووي: وإنه جاء في رواية: "لأعور العين اليمنى"، وفي رواية: "اليسرى"، وكلاهما صحيح، والعور في اللغة: العيب، وعيناه معيبتان عورًا، وإن إحداهما "طافئة" بالهمز لا ضوء فيها، والأخرى طافية بلا همزة ظاهرة ناتئة.

قال القاضي عياض: لكن يجمع بين الأحاديث وتصحح الروايات جميعًا، بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بجحراء ولا ناتئة، هي العوراء الطافئة بالهمز، وهي العين اليمنى، كما جاء هنا، وتكون الجاحظة، والتي كأنها كوكب، وكأنها نخاعة، هي الطافية بغير همز، وهي العين اليسرى، كما جاء في الرواية الأخرى.

وهذا جمع بين الأحاديث والروايات في الطافئة بالهمز وبتركه، وأعور اليمنى واليسرى؛ لأن كل واحدة منها عوراء، فإن الأعور من كل شيء المعيب، لا سيما ما يختص بالعين، وكلا عيني الدجَّال معيبة عوراء؛ إحداهما بذهابها، وأخرى بعيبها.(١)

ـ **ومنها**: أنه قصير أفحج، كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن المسيح الدجال رجل قصير أفحج، جعد، أعور، مطموس العين، ليست بناتئة ولا جحراء"** (٢)

ومنها: أنه رجل جسيم، أحمر اللون، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما : "فإذا

(١) شرح مسلم.

(٢) صحيح أبي داود، والفحج: هو بعيد ما بين الفخذين، قال الخطابي: الأفحج: الذي إذا مشى باعد بين رجليه.

رجل جسيم أحمر" (١)

ومنها: أنه أجلى الجبهة، عريض النحر، وفيه انحناء؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "وأما مسيح الضلالة، فإنه أعور العين، أجلى الجبهة، عريض النحر، فيه دفأ" (٢)

ومنها: أنه مكتوب بين عينيه: (ك ف ر)؛ أي: كافر، كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "وإن بين عينيه مكتوب كافر" (٣)

(**فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ**) زاد أبو داود من طريق صفوان بن صالح: "فإنها جواركم من فتنته" وهو بكسر الجيم بمعنى الأمان، وفي رواية أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: "مَن حَفِظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عُصم من الدجال" (٤)

❐ **فائدة (١٠): ومما يعصم من الدجال كذلك:**

• الاستعاذة بالله من فتنته بعد التشهد الأخير، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إذا فرغ أحدُكم من التشهد الأخير، فليستعذْ بالله من أربعٍ، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار، وعذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**" (٥)

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أحمد وصححه الألباني.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه مسلم.
(٥) متفق عليه.

وفي حديث زيد بن ثابت الطويل أن النبي ﷺ أمر الصحابة أن يستعيذوا بالله من فتنة الدجال، فقال: **"تعوَّذوا بالله من فتنة الدجال"**، قالوا: **"نعوذ بالله من فتنة الدجال"**. (١)

• العلم الشرعي، فإن مَن عَلِم علامات الدجال وصفاته بدراسة الأدلة الشرعية، عَرَف حقيقة أمره، فلا ينخدع به؛ فإن العلم يورث البصيرة، ومما يدل على ذلك أن المؤمن الذي يقتله الدجَّال، ثم يدعوه فيقبل إليه، فيقول له المؤمن: "ما ازددتُ فيك إلا بصيرة"؛ فأهل العلم بفضل الله لا خوفٌ عليهم، وإنما الخوف على أولئك الذين أشغلتْهم دنياهم عن آخرتهم.

• الاعتقاد الصحيح الجازم بأن الله عز وجل ليس بأعورَ، وبأننا لن نرى ربنا في الدنيا، وإنما نراه في الآخرة في الجنة؛ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **"واعلموا أن أحدًا منكم لن يرى ربَّه حتى يموت"**(٢)

• الفرار منه ومن سائر الفتن وعدم التعرُّض له؛ لأن المؤمن لا يَعرِض نفسه على الفتن، ففي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"مَن سَمِع بالدجَّال، فلْيَنْأَ عنه، فواللهِ إن الرجل ليأتِيه وهو يحسب أنه مؤمِن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات" أو "لما يبعث به من الشبهات"** (٣)

• المبادرة بالأعمال الصالحة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدُّخَان، أو الدجَّال،**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح أبي داود.

أو الدابَّة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة" (١)

• سُكنى المدينة أو مكة، فإن الله عز وجل حرَّم على الدجال دخولَهما، ففي حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: "وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه، إلا مكة والمدينة، لا يأتيهما من نقب من أنقابها إلا لقيتْه الملائكة بالسيوف صَلْتَةً، حتى ينزل عند الظُّرَيب الأحمر عند منقطع السَّبَخة، فتَرجُفُ المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبَثَ منها كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد، ويُدعى ذلك اليوم يوم الخلاص" (٢)

• وأخيراً:الاستعانة بالله، والعلمْ بأن الدجال مخلوق من مخلوقات الله، وأن الله هو القوي القدير، ولا مخرج من فتنته إلا باللجوء إلى الله والاعتصام بالله؛ فهو نعم المولى ونعم النصير، أعاذني الله وإياك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

(**إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ**) بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام، قال ابن الأثير: أي: في طريق بينهما. (٣)

(**فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا**) هو بعين مهملة، وثاء مثلثة مفتوحة، والعيث: هو الفساد أو أشد الفساد، والإسراع فيه.

(**يا عباد الله، اثبتوا**)، قال ابن العربي: هذا من كلام النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تثبيتًا للخلق، وقال القرطبي: اثبتوا على الإسلام؛ يحذِّرهم من فتنته.(٤)

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه.

(٣) النهاية.

(٤) انظر: المفهم.

❏ فائدة (١١): الثبات عند الفتن.

يقال: ثبت المؤمن عند الفتنة، أي صبر على دينه، وعلى مواقفه الإيمانية، فلم تغيره الفتنة، فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: ايْمُ الله، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إن السعيد لَمَنْ جُنِّبَ الفتن، إن السعيد لَمَنْ جُنِّبَ الفتن، إن السعيد لَمَنْ جُنِّبَ الفتن، ولَمَنْ ابتُلِيَ فَصبر، فَوَاهًا**" (١)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**يأتي على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**" (٢)، والصبر في الحديثين: الثبات.

قال الطيبي: "المعنى: كما لا يقدر القابض على الجمر أن يصبر لإحراق يده، كذلك المتدين يومئذٍ لا يقدر على ثباته على دينه لغلبة العصاة والمعاصي وانتشار الفسق وضعف الإيمان"(٣)

وقال القاري: "الظاهر أن معنى الحديث: كما لا يمكن القبض على الجمرة إلا بصبر شديد وتحمُّل غلبة المشقة كذلك في ذلك الزمان، لا يتصور حفظ دينه ونور إيمانه إلاَّ بصبر عظيم"(٤)

❏ فائدة (١٢): من مواقف الثبات في الفتن:

عن عامرِ الشعبيِّ قال: لما قاتلَ مروانُ الضحاكَ بنَ قيس أرسلَ إلى أيمن بن خُريم الأسدي، فقال: "إنَّا نحبُ أن تقاتلَ معنا" فقال: "إن أبي وعَمِّي شَهِدا

---

(١) صحيح أبي داود.
(٢) صحيح سنن الترمذي.
(٣) تحفة الأحوذي.
(٤) تحفة الأحوذي.

بدرًا، فعهِدا إليَّ أنْ لا أقاتلَ أحدًا يشهدُ أنْ لا إله إلا الله، فإن جئتني ببراءةٍ من النَّار قاتلتُ مَعَكَ! " فقال: "اذهب"، ووَقَعَ فيه، وسَبَّهُ، فأنشأ أيمن يقول:

ولستُ مقاتلًا رجلًا يصلي عَلَى سلطانِ آخرَ مِنْ قريش
له سلطانه وعليَّ إثمي معاذ الله مِن جهل وطيش
أأقاتل مسلمًا في غير شيء؟ فليس بنافعي ما عشتُ عيشي (١)

- قال حميدُ بن هلال: أتى مُطَرِّفَ بنَ عبدِ الله زمانَ ابنِ الأشعثِ ناسٌ يدعونه إلى قتال الحجاج، فلمَّا أكثروا عليه، قال: "أرأيتم هذا الذي تدعونني إليه: هل يزيد على أن يكون جهادًا في سبيل الله؟ " قالوا: لا، قال: "فإني لا أخاطر بين هلكةٍ أقع فيها، وبين فضلٍ أصيبه"(٢)

وقال حميد بن هلال -أيضًا-: أتى مُطَرفَ بنَ عبدِ الله الحروريةُ يدعونه إلى رأيهم، فقال: "يا هؤلاء، إنه لو كان لي نفسان بايعتكم بإحداهما، وأمسكت الأخرى، فإن كان الذي تقولون هدًى أتبعتُها الأخرى، وأن كان ضلالةً هلكت نفسٌ، وبقيتْ لي نفسٌ، ولكن هي نفسٌ واحدةٌ، فلا أغرر بها"(٣)

- وقال مُطَرِّف بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: "لأن آخذ بالثقة في القعود أحبُّ إليَّ من أن ألتمس -أو قال: أطلب- فضل الجهاد بالتغرير"(٤)

وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إن الفتنة ليست تأتي تهدي الناس، ولكن إنما تأتي تقارع المؤمنَ عن دينه؛ ولأن يقول الله: "لم لا قتلتَ فلانًا؟ " أحبُّ إليَّ من أن يقول:

---

(١) أخرجه أبو يعلى في "مسنده"، والطبراني في "الكبير"،والبيهقي في "السنن"
(٢) "الطبقات الكبرى"، "تاريخ مدينة دمشق"
(٣) "مصنف ابن أبي شيبة"، "حلية الأولياء"، "تاريخ مدينة دمشق"
(٤) "مصنف ابن أبي شيبة"

"لم قتلتَ فلانًا؟ "(١)

(**قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟**) أي ما مدة مكثه في الأرض؟

(**قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**) قال القرطبي: ظاهر هذا الكلام أن الله تعالى يخرق العادة في تلك الأيام فيبطئ بالشمس عن حركتها المعتادة في أول يوم من تلك الأيام حتى يكون أول يوم كمقدار سنة معتادة ويبطئ بالشمس في الثاني حتى يكون كمقدار شهر ويبطئ الشمس في الثالث حتى يكون كمقدار جمعة وهذا ممكن لا سيما وذلك الزمان تنخرق فيه العوائد كثيرًا لا سيما على يدي الدجال.(٢)

(**قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ!، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟**) أي واحد، وهي خمس صلوات فقط ؟

❑ فائدة (١٣): الحرص على العمل.

وفيه حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على العمل، وأدائه كما أمرهم الله به حتى في أحلك الأوقات، فتأملهم وهم يسألون: كيف يُصَلُّون في هذا اليوم الذي طوله كسنة ؟

(**قَالَ: "لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ"**) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: "ومعنى أقدروا له قدره أَنَّهُ إِذَا مَضَى بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ قَدْرَ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الظُّهْرِ كُلَّ يَوْمٍ فَصَلُّوا الظُّهْرَ ثُمَّ إِذَا مَضَى بَعْدَهُ قَدْرُ مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعَصْرِ فَصَلُّوا الْعَصْرَ وَإِذَا مَضَى

---

(١) حلية الأولياء، وراجع: كتاب بصائر في الفتن للدكتور محمد اسماعيل المقدم، فهو مهمٌ في هذا الباب

(٢) المفهم.

بَعْدَ هَذَا قَدْرُ مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ فَصَلُّوا الْمَغْرِبَ وَكَذَا الْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ ثُمَّ الظُّهْرَ ثُمَّ الْعَصْرَ ثُمَّ الْمَغْرِبَ وَهَكَذَا حَتَّى يَنْقَضِي ذَلِكَ الْيَوْمُ وَقَدْ وَقَعَ فِيهِ صَلَوَاتُ سَنَةٍ فَرَائِضُ كُلُّهَا مُؤَدَّاةٌ فِي وَقْتِهَا وَأَمَّا الثَّانِي الَّذِي كَشَهْرٍ وَالثَّالِثُ الَّذِي كَجُمُعَةٍ فَقِيَاسُ الْيَوْمُ الْأَوَّلُ أَنْ يُقَدَّرَ لَهُمَا كَالْيَوْمِ الْأَوَّلِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ وَاللهُ أَعْلَمُ" (١)

❐ فائدة (١٤): الصلاة في البلاد التي يطول ليلها أو نهارها عن العادة:

وقد يُستدل بهذا الحديث على أن الصلاة في البلاد التي يطول فيها الليل إلى أكثر من يوم من أيام الناس، كالمناطق القطبية أو القريبة منها، أن العبادات تُقدَر فيها تقديراً على أقرب بلدٍ ينتظم فيها تعاقب الليل والنهار، وكذلك في الفضاء حيث ينعدم تعاقب الليل والنهار، فالمسلم يقدر للعبادة قدرها، ويمكن ضبط ذلك بالساعات اليومية.

(**قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟**) أي ما صفة سرعته وسيره ؟

(**قَالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ**) والمراد: العاصفة، وهو كناية عن سرعة سيره في الأرض وقطع المسافات البعيدة في أسرع وقت.

(**فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ**) إلى الإيمان به وتصديق ألوهيته.

(**فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ**) أي لهم.

(**فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ**) أي ترجع إليهم ماشيتهم آخر النهار إلى مراحها، وهي أطول سناماً،

---

(١) شرح مسلم.

وأعظم ضروعـًا، وأملأً خواصر، والخواصر جمع خاصرة، وامتدادها كناية عن شدة امتلائها بسبب الشبع، والمراد أن من آمن بالدجال يكون في خصب وغنى.

❐ **فائدة (١٥): فإن قيل: كيف يجوز أن يُجري الله تعالى آياته على أيدي أعدائه؟**

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ تعالى ـ في أعلام الحديث ـ: "وقد يُسأل عن هذا فيقال كيف يجوز أن يُجري الله تعالى آياته على أيدي أعدائه وإحياء الموتى آية عظيمة من آيات أنبيائه فكيف مكن منه للدجال وهو كذاب مفتر على الله يدعي الربوبية لنفسه؟

فالجواب: أن هذا جائز لله على سبيل الامتحان لعباده إذا كان منه ما يدل على أنه مبطل غير محق في دعواه وهو أن الدجال أعور عينه اليمنى مكتوب على جبهته كافر يقرؤه كل مسلم فدعواه داحضة مع رسم الكفر ونقص العور الشاهدين بأنه لو كان ربًا لقدر على رفع العور عن عينه ومحو السمة عن وجهه وآيات الله التي أعطاها لأنبيائه سليمة عما تعار به وعما يناقضها"

ولهذا أخبر النبي ﷺ أن فتنة الدجال من أعظم الفتن، ففي الحديث عن عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال"**، وفي رواية: **"أمر أكبر من الدجال"** (١)

وعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خطبَنا رسول الله ﷺ، فكان أكثر خطبته حديثًا حدَّثنَاه عن الدجال وحذَّرناه، فكان من قوله أن قال: **"إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبيًّا إلا حذر**

---

(١) رواه مسلم.

أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة" (١)

❐ فائدة (١٦): حدوث الأمر الخارق على يد المخلوق:

وفيه أن حدوث الأمر الخارق للعادة على يد المخلوق، لا يدل على صلاحه وكرامته، بل قد يدل على عكس ذلك، كما هو هنا، فالعبرة بالسلوك والعقيدة، والعبادة والعمل، هذا هو الميزان الذي يوزن به الإنسان.

(**ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ**) أي آخرين.

(**فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ**) أي ينكرون، ويكفرون به.

(**فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ**) ممحلين: أي أصابهم القحط والجدب من شدة الفقر.

(**مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ**) أي المكان الخرب الذي ليس فيه بناء ولا زرع.

(**فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ**) واليعاسيب جمع يعسوب واليعسوب أمير النحل وسلطانه الذي إذا طار تبعته جماعته والمعنى أن كنوز الأرض تتبع الدجال كما تتبع النحل أميرها فشبه الدجال باليعسوب والكنوز بالنحل.

(**ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ**) أي قطعتين منفصلتين.

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه.

(**رَمْيَةَ الْغَرَضِ**) أي مثل قطعة منفصلة من الغرض والهدف.

(**ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ**) والمعنى يصير حيًّا أحسن ما كان، بعدما كان ميتًا.

❐ **فائدة (١٧): ومن فتنة الدجال:**

ـ أن معه مثل الجنة والنار، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ألا أحدِّثكم حديثًا عن الدجال ما حدث به نبيٌّ قومه، إنه أعور، وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة، هي النار، وإني أُنذِركم كما أَنذَر به نوحٌ قومَه"** (١)

ومن فتنته: استجابة الشياطين لأمره، فعن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله – ﷺ: **"وإن من فتنتِه أن يقول لأعرابي: أرأيتَ إن بعثتُ لك أباك وأمك، أتشهدُ أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثَّل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بُني، اتَّبِعْه؛ فإنه ربُّك"**.(٢)

ومن فتنته: كثرة أتباعه من اليهود وشدة تسلُّحِهم، فعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **"يتبعُ الدجالَ من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة"**.(٣)

ومن فتنته: أنه يخرج في وقتٍ العربُ فيه قليل، فعن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يقول: أخبرتْني أم شريك أنها سَمِعتِ النبيَّ ﷺ يقول: **"ليفرنَّ الناس من الدجال في الجبال"**، قالت أم شريك: يا رسول الله، فأين العرب يومئذٍ؟ قال: **"هم**

---

(١) متفق عليه

(٢) صحيح سنن ابن ماجه.

(٣) رواه مسلم.

قليل".[١]

(**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، ﷺ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ، شَرْقِيَّ دِمَشْقَ**) اسم مدينة مشهورة بالشام سُميت باسم أول من بناها وهو دمشق بن نمروذ عدو إبراهيم الخليل عليه السلام وولده دمشق آمن بإبراهيم وهاجر معه من العراق إلى دمشق وهو من صلحاء أتباعه كما بيناه في الحدائق وفي أوائل هذا الكتاب[٢]

(**بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ**) أي لابسًا حلتين مصبوغتين بِوَرْس أو زعفران.

(**وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ**) أي صب رأسه قطرات الماء.

(**وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ**) أي نزل من رأسه حبوب من الماء مثل جمان اللؤلؤ والفضة في صفائها ولمعانها، وهذا كناية عن جمال ذات عيسى - عليه السلام - وحسن خلقته مع جمال لباسه المذكور.

(**فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ**) بسكون الراء أي بصره، وقال القرطبي: معناه أن الكفار لا يقربونه وإنما يهلكون عند رؤيته ووصول نفسه إليهم حفظًا من الله تعالى له وإظهارًا لكرامته.

(**فَيَطْلُبُهُ**) أي يطلب عيسى الدجال ويتتبعه.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى:الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج): محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري.

(**حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ**) بضم اللام وتشديد الدال وبصرفه اسم جبل بالشام وقيل اسم قرية من قرى بيت المقدس وقيل بلدة معروفة في فلسطين قريبة من بيت المقدس ولحكومة إسرائيل فيها اليوم مطار.(١)

(**فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ﷺ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ**) أي يزيل عن وجوههم بمسحه عليها ما أصابها من غبار سفر الغزو ووعثائه، مبالغة في إكرامهم وفي اللطف بهم.

(**وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ**)

❐ **فائدة (١٨): ثمرة الثبات:**

فيه بيان أن الجنة سلعة الله الغالية، والدرجات العالية، هي مآل أولئك الكرام الغرباء الذين ثبتوا على دينهم، وكفروا بالدجال الأكبر، فانظر كيف مسح عيسى عليه السلام على وجوههم، وبشرهم بدرجاتهم.

(**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى ﷺ إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي**) أَيْ: أَظْهَرْتُ جَمَاعَةً مُنْقَادَةً لِقَضَائِي وَقَدَرِي، والمراد بهم يأجوج ومأجوج، والمعهود في الكتاب والسنة عمومًا أنه إذا قصد بالعباد الكفار والطغاة أضيفوا إلى الله سبحانه بواسطة اللام كما في قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ وأما إذا أُريد بهم المسلمون والصلحاء أُضيفوا إلى الله تعالى بلا واسطة كقوله: ﴿ يَعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦ ﴾ [الزمر: ١٦] وكقوله: هنا "فحرز

---

(١) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى:الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج).

عبادي" المؤمنين أي فاجمعهم.[١]

(**لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ**) أي لا طاقة لأحد من الناس ولا قدرة على قتالهم.

(**فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ**) أي اجمعهم عند جبل الطور، واجعله حرزًا لهم، والطور الجبل بالسريانية فيعم كل جبل ويحتمل أن يكون ذلك هو طور سيناء.

❐ فائدة (١٩): اعتزال الفتن:

واستنبط العلماء من ذلك: وجوب اعتزال الفتن، واجتنابها، وكَفِّ اليد واللسان عن العمل فيها، وذلك لمصلحة العبد وصيانة دينه، وسلامة يده ولسانه من دماء المسلمين وأعراضهم، ولمصلحة الأمة بإخماد الفتنة، وتقليل الخسائر فيها، وجاء في ذلك أحاديث كثيرة، منها: ما رواه الشيخان من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **"سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فيها خَيْرٌ من الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فيها خَيْرٌ من الْمَاشِي وَالْمَاشِي فيها خَيْرٌ من السَّاعِي وَمَنْ يُشْرِفْ لها تَسْتَشْرِفْهُ وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أو مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ"**

وأوصى النبي ﷺ بالبادية هربا من الفتنة مع ما في البادية من الجفاء، وتعطيل الدعوة والحسبة، والتخلف عن الجمع والجماعات، ولكن ذلك أهون من الانغماس في الفتنة، كما في حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **"يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ من الْفِتَنِ"** رواه البخاري وبوب عليه فقال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: **"باب من الدين الفرار من الفتن"**

---

(١) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)

وقد لا يكون للعبد حال الفتنة غنم ولا إبل يفرَّ بها من الفتنة إلى البادية فأوصاه النبي ﷺ بأن يلزم بيته، ويتخلص من سلاحه؛ لئلا يضطر إلى استخدامه ضد مسلم فيقتله فيبوء بإثمه، كما جاء في حديث أبي مُوسَى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال في الْفِتْنَةِ: **"كَسِّرُوا فيها قِسِيَّكُمْ وَقَطِّعُوا فيها أَوْتَارَكُمْ وَالْزَمُوا فيها أَجْوَافَ بُيُوتِكُمْ وَكُونُوا كَابْنِ آدَمَ"** رواه الترمذي، وفي رواية لأبي داود: قالوا: فما تَأْمُرُنَا؟ قال: **"كُونُوا أَحْلاَسَ بُيُوتِكُمْ"** (١)

وقال ﷺ: **"إِنَّهَا سَتكُونُ فِتْنَةٌ وَفُرْقَةٌ وَاخْتِلَافٌ فإذا كان كَذَلِكَ فَأْتِ بِسَيْفِكَ أُحُدًا فَاضْرِبْهُ حتى يَنْقَطِعَ ثُمَّ اجْلِسْ في بَيْتِكَ حتى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ أو مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ"**(٢)

(**وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ**) أي يرسلهم من مقرِّهم، وهو ما وراء سد ذي القرنين على الناس أي على أهل الأرض مشارقها ومغاربها جنوبها وشمالها، كما قال تعالى في سياقه لقصة ذي القرنين: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف: ٩٢-٩٩].

---

(١) صحيح سنن أبي داود.
(٢) صحيح سنن ابن ماجه.

❑ فائدة(٢٠): يأجوج ومأجوج الآن:

وهم موجودون الآن يحفرون في السد يحاولون الخروج، كما ثبت ذلك في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه، قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غداً، فيعيده الله كأشد ما كان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس، قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا إن شاء الله واستثنى قال: فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه، فيخرقونه فيخرجون على الناس" (١)

(وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) أي من كل مكانٍ مرتفع يُسرعون.

(فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ) بفتح الطاء والباء بحيرة من أعمال الأردن في طرف الغور وفي طرف جبل وجبل الطور مطل عليها وتطل على هذه البحيرة مدينة طبرية وهي التي ينسب إليها الإمام الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة.(٢)

(فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا) أي ما في البحيرة من الماء، فلا يُبقون فيها شيئـًا.

(وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ) يعني أن أوائلهم يشربون ماء البحيرة كله حتى لا يبقى للماء فيها إلا آثار فيمر عليها أواخرهم فيدركون بهذه الآثار أنه كان فيها ماء قبل ذلك.

(وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ) أي يبقون محصورين على جبل الطور بلا طعام ولا شراب.

---

(١) صحيح سنن الترمذي.

(٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى:الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)

(**حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ**) يعني أنهم تشتد بهم الفاقة والمجاعة إلى حد نفاد أغذيتهم وطعامهم وهم محاصَرون بيأجوج ومأجوج، حتى لا يوجد رأس الثور وهو فحل البقر إلا بمائة دينار، وهذا مع كمال رخص البقر في تلك الديار الشامية ومع أن رأس الثور لا يرغب فيه الناس رغبتهم في لحم باقي أعضاء البقر.

(**فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، رضي الله عنهم إِلَى اللهُ تَعَالَى**) أي يدعونه، ليُخرجهم مما هم فيه.

(**فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ**) أي على يأجوج ومأجوج.

(**النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ**) النغف: بفتحتين جمع نغفة وهي دود يكون في أنوف الإبل والغنم، وذلك استجابة لدعاء عيسى وأصحابه.

(**فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى**) أي هلْكَى، وزنـًا ومعنى.

(**كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**) أي يهلكون جميعًا دفعة واحدة.

❐ **فائدة(٢١): قوة الخالق، وضعف المخلوق.**

وفيه أنه مهما اشتد بأس الناس وقوتهم، فإنهم ضعفاء عاجزون بالنسبة لقوة الله تعالى وقدرته، يظهر ذلك لمن تأمل قوله ﷺ: " **إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ** " ثم يقتلهم الله تعالى دفعة واحدة، بهذا النَّغَف.

(**ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم إِلَى اللهِ تَعَالَى**) أي يتضرعون إلى الله ويدعونه تصفية الأرض من نتنهم.

❐ فائدة (٢٢): الرغبة إلى الله والتضرع إليه عمومـًا، وعند حلول الضراء والفتن خصوصـًا.

فإنه مما ينبغي على عباد الله أن يُكثروا الرغبة إلى الله ودعاءه والتضرع إليه عمومـًا، وفي الفتن خصوصـًا، لأنه لا يحميهم إلا الله، ولا يمنعهم أحدٌ سواه، كما فعل عيسى وأصحابه في الحالين، لما حوصروا بيأجوج ومأجوج، ولما امتلأت الأرض برائحتهم حين أهلكهم الله.

لما امتُحن أصحاب الحديقة في أموالهم، قالوا: ﴿ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ٣١ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ٣٢ ﴾ [القلم: ٣٤]، وقال تعالى عن زكريا وأهله: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ [الأنبياء:٩٠]

(فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ) أي كطول أعناق البخت، والبخت بضم الباء وسكون الخاء نوع من الإبل غلاظ الأعناق وطوالها.

(فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَطَرًا لا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ) أي يرسل الله مطرًا شديدًا لا يُستر ولا يُحجز منه أي من ذلك المطر لكثرته بيتٌ مبني من طينٍ متحجر ولا بيتٌ من نسيج شعر إبل والمراد أن هذا المطر يصيب كل شيء سواء كان ذلك الشيء تحت سقف البيت أم لا، لشدته.

(فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ) بفتح الزاي واللام أي كالمرآة في صفائها ونقائها.

فائدة (٢٣): التلوث البيئي، والمطر:

وفي ذلك تنبيهٌ على خطر التلوث الهوائي والبيئي، وأن الإنسان والطبيعة يتأذيان منه، وأن المطر الذي هو رحمةٌ من الله يقضي بفضل الله على ذلك.

(**ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ**) أي خيراتك من الثمار والحبوب والأعشاب والمياه.

(**فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ**) أي يشبعون منها لكبرها وذلك من بركة الأرض.

(**وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا**) أي بقشرها الذي أكلوا منه.

(**وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ**) بكسر الراء وسكون السين: اللبن، أي ينزل الله فيه البركة.

(**حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ**) اللقحة بكسر اللام وفتحها مع سكون القاف فيهما لغتان مشهورتان والكسر أشهر: هي الناقة القريبة العهد بالولادة.

(**وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ**) الفخذ: الجماعة من الأقارب، والفئام أكثر من القبيلة، والقبيلة أكثر من الفخِذ.

فائدة (٢٤): البركة:

وفيه إثبات البركة، وأنها من الله، وأنها حلت بالشيء، جعلت القليل كثيراً، البَرَكَة إن وُجدت، اتسعت الأوقاتُ، وتضاعفت الطاقات، وتحققت الإنجازات، ووقعت المعجزات، وإن فُقدت أو رحلت، فربما خرج الإنسانُ من

هذه الحياة، مهما طال عمره، وكثُر سعيُه، بلا زاد قدَّمه، ولا أثر خلَّفه.(١)

(فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ) أي تأخذهم تلك الريح بألم يظهر تحت آباطهم.

(فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ) قال النووي: هكذا هو في جميع نسخ مسلم (وكل مسلم) بالواو المفيدة للجمع والصواب أن يقال (أو كل مسلم) بأو المفيدة للشك. (٢)

(وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ) أي خبائثهم ورذائلهم ممن لا مروءة ولا حياء له وهم الكفار.

(يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ) أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك من الهرج بسكون الراء وهو الجماع يقال هرج زوجته إذا جامعها يهرجها بتثليث الراء، وفسره بعضهم بأن المراد من التهارج هنا التخاصم فإن الأصل في الهرج القتل وسرعة عدو الفرس وهرج في حديثه أي خلط.(٣)

(فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ) وينفخ في الصور، وهذا هو قول الله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف:٩٩].

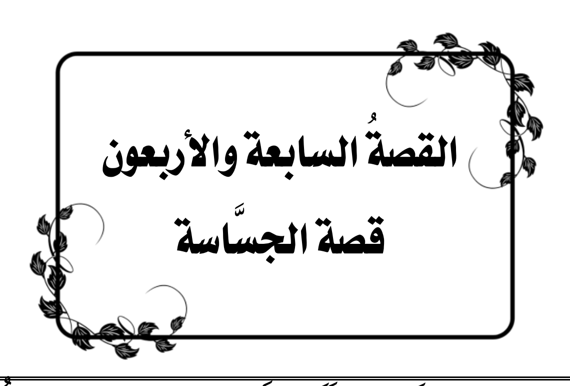
فاللهم يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا حتى نلقاك

---

(١) راجع: أسباب البركة، وطرق تحصيلها، في القصة السادسة والعشرين.

(٢) شرح مسلم.

(٣) مرقاة المفاتيح.



القصةُ السابعة والأربعون

قصة الجسَّاسة

عَنْ عَامِرُ بْنُ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيُّ، أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ، أُخْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ، فَقَالَ: حَدِّثِينِي حَدِيثًا سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا تُسْنِدِيهِ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ، فَقَالَتْ: لَئِنْ شِئْتَ لَأَفْعَلَنَّ، فَقَالَ لَهَا: أَجَلْ، حَدِّثِينِي، فَقَالَتْ: نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ، وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ، فَأُصِيبَ بِأَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطَبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَخَطَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حُدِّثْتُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ"، فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ، فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: "انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ شَرِيكٍ"، وَأُمُّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضِّيفَانُ، فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ، فَقَالَ: "لَا تَفْعَلِي، إِنَّ أُمَّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ، أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ، وَلَكِنِ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ، عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ" وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِهْرٍ، فِهْرِ قُرَيْشٍ، وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ، فَانْتَقَلْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الرِّجَالِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ

اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ، جَلَسَ عَلَى الْمِنبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: "لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ"، ثُمَّ قَالَ: "أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟ " قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: "إِنِّي وَاللهِ! مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ، كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي؛ أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَؤُا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ! مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟

قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ! انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ! مَا أَنْتَ؟. قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ! مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا- اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا".

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: "هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ"، يَعْنِي الْمَدِينَةَ: "أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟ " فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، "فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ". وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، أخرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وابْنُ مَاجَةَ، وَغَيْرُهُمْ.

(عَنْ عَامِرُ بْنُ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيُّ) وُلد لست سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب على المشهور، وعدَّه أصحاب السير في الطبقة الثانية من التابعين،

وصنفه صاحب تهذيب التهذيب فى الطبقة الثالثة، وكان في المدينة وسافر إلى خراسان، وعاش في الكوفة، نال شرف صحبة أصحاب رسول الله ﷺ، وتعلم على أيديهم، ونهل من علمهم.

(أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ، أُخْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ فَقَالَ: حَدِّثِينِي حَدِيثًا سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا تُسْنِدِيهِ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ) تأكيد لقوله: سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

(فَقَالَتْ: لَئِنْ شِئْتَ لَأَفْعَلَنَّ، فَقَالَ لَهَا: أَجَلْ، حَدِّثِينِي، فَقَالَتْ: نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ) وهو:عبد الحميد بن حفص بن المغيرة، ابن عمِّ خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي.

(وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ، فَأُصِيبَ بِأَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ) ظاهر ذلك أنه استشهد في الجهاد مع رسول الله ﷺ، وليس الأمر كذلك، فإنه لم يستشهد في غزوة غزاها مع رسول الله ﷺ، ولهذا أوّل بعض العلماء ذلك بأن المراد من قولها "أُصيب" أنه أُصيب بجراحاتٍ ما، لا أنه مات في الجهاد، وإنما ذكرت فاطمة إصابته في الجهاد لبيان فضائله لا لبيان بينونتها منه، وذكر الحافظ في الفتح:أنه كان رسول الله ﷺ بعثه مع علي إلى اليمن وذكر جماعة من أهل السير أنه مات هناك، فيصدق أنه أُصيب في الجهاد مع رسول الله ﷺ، وذكر جماعة من أهل السير أنه لم يمت في اليمن وأنه بقي إلى خلافة عمر رضي الله عنه !

والجواب الصحيح عن هذا الإشكال أن قولها "فأُصيب في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ" وهم من بعض الرواة فلا يصح لما تقدم من الإشكال وذلك لأنه رَوى هذا الحديث سيار بن وردان أبو الحكم العنزي الواسطي عن الشعبي، فلم يذكر فيه إصابته في الجهاد، وإنما ذكر قول فاطمة: طلقني بعلي

ثلاثًا، فلعلها ذكرت بعض فضائل زوجها ومن جملتها كونه أُصيب بجهاد معه ﷺ، فلعل أحد الرواة زعم أن تأيمها كان بسبب موت زوجها في الجهاد فذكره بالسياق المذكور، وقد ذكر الحافظ في الفتح احتمال كونه وهمًا.(١)

(**فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ**) أي كنت أيمًا أي غير ذات زوج، بطلاق زوجي إياي لا بموته كذا فسره النووي وهو الصواب.

قال القاضى أبو الوليد الكنانى: المشهور فى أمر فاطمة مع زوجها هذا أن تأيمها منه بطلاق باتٍ لا بموت.

❐ فائدة (١): في حسن الخُلق:

تلمس في مطلع هذه الحكاية حسنَ الخُلقِ متجسداً في أسمى معانيه، حينما تتحدث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، عن مُطَلِّقها ثلاثـًا، فلا تذكر إلا فضائلَه، فالحر يرعى وداد لحظة، ولا ينسى من أحسن إليه بلفظَة، والله تعالى يقول:﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ ﴾، وهذه الآية الكريمة جاءت في سياق آيات الطلاق في سورة البقرة، يقول ربنا سبحانه: ﴿ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

والمعنى: أن الله تعالى يأمر من جمعتهم علاقة من أقدس العلاقات الإنسانية ـ وهي علاقة الزواج ـ أن لا ينسوا ـ في غمرة التأثر بهذا الفراق

---

(١) ملخص من: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى:الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)

والانفصال ـ ما بينهم من سابق العشرة، والمودة والرحمة، والمعاملة.

(خَطَبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ) أي مع نفر من الصحابة، وهم: معاوية وأبو جهم رضي الله عنهما،

❐ فائدة (٢): الخطبة في العدة:

ولا يتوهمن أحد أن هذه الخطبة كانت قبل انقضاء عدتها كما هو الظاهر، ففي رواية أبي سلمة، ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، عنها ـ كما عند النسائي - قالت: فلما حللت آذنته، فقال رسول الله ﷺ: "ومن خطبك؟ "، فقلت: معاوية، ورجل آخر من قريش..."، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ ﴾ [البقرة:٢٣٥]

❐ فائدة (٣): الخِطبة على الخِطبة:

خِطبة المسلم على خطبة أخيه ممنوعةٌ شرعـًا، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: "ولا يخطب أحدكم على خطبة أخيه"، لكن ذلك محمول على ما إذا كان هنا ركون وميل، ومقاربة، فأما إذا لم يوجد ذلك، فلا يُمنع، فقد قالت فاطمة: "إن معاوية، وأبا جهم خطباني"، فلم ينكر عليها النبيّ ﷺ ذلك، بل خطبها مع ذلك لأسامة بن زيد، حيث لم يحصل منها ميل إليهما، ولا إلى أحد منهما.

(وَخَطَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حُدِّثْتُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ"، فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ،

قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ، فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ)

❐ **فائدة (٤): الكفاءة في النكاح:**

وفي تزويج النبي ﷺ فاطمة بنت قيس، وهي قرشيّة، من أسامة بن زيد،، وهو مولى دليلٌ على أن الكفاءة، في الدين، لا في النسب، وهو مذهب المالكية، ومن وافقهم، ذلك لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات:١٣]، ولقوله ﷺ: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" (١)، وهو الذي رجحه ابن القيم ـ كما قال في الزاد: "فالذي يقتضيه حكمه ﷺ اعتبار الكفاءة في الدين أصلاً وكمالاً، فلا تزوج مسلمة بكافر، ولا عفيفة بفاجر. ولم يعتبر القرآن والسنة في الكفاءة أمراً وراء ذلك".

(**فَقَالَ: انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ شَرِيكٍ**) أي لقضاء العدة عندها، ففي رواية مالك ـ في الموطأ ـ: "اعْتَدِّي عِنْدَ أُمِّ شَرِيكٍ"، وسبب ذلك أن بيتها كان في مكانٍ خال، فخافت أن تبقى فيه، فرخص لها النبي ﷺ في النقلة إلى موضع آخر.

❐ **فائدة (٥): أين تعتد المطلقة ثلاثـًا ؟**

وفي ذلك دليلٌ على أن المطلقة ثلاثـًا، لا تعتد في بيت مطلِّقِها، لأنها بانت منه بينونةً كبرى، فصارت أجنبيةً عنه، فلا سكنى لها عنده، ولا نفقة، ويدل على ذلك مارواه مسلم عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ: "دَخَلْتُ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ قَضَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: طَلَّقَهَا زَوْجُهَا الْبَتَّةَ، فَقَالَتْ: فَخَاصَمْتُهُ إِلَى

---

(١) رواه الترمذي من حديث أبي حاتم المزني.

رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي السُّكْنَى وَالنَّفَقَةِ، قَالَتْ: فَلَمْ يَجْعَلْ لِي سُكْنَى وَلَا نَفَقَةً، وَأَمَرَنِي أَنْ أَعْتَدَّ فِي بَيْتِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ ".

وفي رواية لمسلم أيضا: قَالَتْ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "لَا نَفَقَةَ لَكِ وَلَا سُكْنَى"، وفي رواية لأبي داود: "لَا نَفَقَةَ لَكِ إِلَّا أَنْ تَكُونِي حَامِلًا ".

(وَأُمُّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضِّيفَانُ، فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلِي، إِنَّ أُمَّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ، أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ، وَلَكِنِ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ، عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِهْرٍ، فِهْرِ قُرَيْشٍ، وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ، فَانْتَقَلْتُ إِلَيْهِ)

❑ **فائدة (٦): خطر الاختلاط:**

استدل طائفةٌ من الناس بهذاالحديث على جواز الاختلاط وذلك من وجهين:

الأول: أن الصحابة يغشون بيت أم شريك.

والثاني: أن فاطمة اعتدت في بيت ابن أم مكتوم.

فالجواب عن ذلك:

أما عن اعتداد فاطمة بنت قيس في بيت ابن أم مكتوم فإنما كان للضرورة، لأن زوجها طلقها ثلاثـًا وتخشى أن يُقتحم عليها، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم عن فاطمة بنت قيس قالت: قلت: يا رسول الله زوجي طلقني ثلاثـًا، وأخاف أن يقتحم علي، قال: فأمرها فتحولت.

فرأى النبي ﷺ أن على فاطمة من الاعتداد عند أم شريك حرجاً من حيث إنه يلزمها التحفظ من نظرهم إليها ونظرها إليهم وانكشاف شيء منها، وفي التحفظ من هذا مع كثرة دخولهم وترددهم مشقة ظاهرة، فأمرها بالاعتداد عند ابن أم مكتوم لأنه لا يبصرها ولا يتردد إلى بيته من يتردد إلى بيت أم شريك... كذا قال النووي في شرح مسلم، وقال أيضاً: وأما حديث فاطمة بنت قيس مع ابن أم مكتوم فليس فيه إذن لها في النظر إليه، بل فيه أنها تأمن عنده من نظر غيرها، وهي مأمورة بغض بصرها فيمكنها الاحتراز عن النظر بلا مشقة؛ بخلاف مكثها في بيت أم شريك.

وبهذا يعلم أن اعتدادها في بيت ابن أم مكتوم هو من باب ارتكاب أخف الضررين، وأن هذه قضية معينة تحكمها الحاجة فلا يقاس عليها غيرها بدون مراعاة لاختلاف الأحوال والظروف.

وأما دخول الصحابة على أم شريك رضي الله عنها فقد قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: "معنى هذا الحديث أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يزورون أم شريك ويكثرون التردد إليها لصلاحها"، وقال أيضاً في عد فوائد الحديث: "السادسة: استحباب زيارة النساء الصالحات للرجال بحيث لا تقع خلوة محرمة؛ لقوله ﷺ في أم شريك: "تلك امرأة يغشاها أصحابي"

وليس في ذلك أي اشكال إذ أن القاعدة عند العلماء أن ما حرم سدا للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة، وهنا لا شك من وجود مصلحة في هذه الزيارة وهي من أناس فضلاء ثقات مشهود لهم بالخيرية والورع والإيمان لامرأة هي كذلك، ومع وجود المصلحة المعتبرة ومع أمن الخلوة والفتنة ينتفي القول بحرمة الاختلاط... وأين ذلك مما يريد دعاة الإباحية والاختلاط المعاصر تقريره

والاحتجاج له؟ وهل يقيس عاقل هذه الحالة على من شأنهن التبرج والسفور وارتكاب الفواحش واستدراج النساء للمنكر وعدم الغيرة على محارم الله وعدم حفظ حدوده؟!

فكيف يقال بعد ذلك بإطلاق القول بجواز الاختلاط؟ فالحاصل أن العبرة إنما هي بخشية الافتتان أو وجود مظنة ذلك لأن تحريم الاختلاط بالنساء ليس محرماً لذاته وإنما سداً لذريعة الفتنة بهن، كما قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ ﴾ [النور:٢١]، ومن خطوات الشيطان التي يستدرج بها العبد: الاختلاط، فالواجب الحذر من ذلك، ففي الصحيحين عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **"إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ"**، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: **"الْحَمْوُ الْمَوْتُ"**، والحمو: أخو الزوج، أو أقاربه، ويدخل فيهم أصدقاؤه.

وفي صحيح مسلم: أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِى هَاشِمٍ دَخَلُوا عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَهِىَ تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ، فَرَآهُمْ، فَكَرِهَ ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ -ﷺ، وَقَالَ لَمْ أَرَ إِلاَّ خَيْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"إِنَّ اللهَ قَدْ بَرَّأَهَا مِنْ ذَلِكَ"**، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: **"لاَ يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ بَعْدَ يَوْمِى هَذَا عَلَى مُغِيبَةٍ إِلاَّ وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوِ اثْنَانِ"**.

وبهذا يمكنك إدراك الفرق بين الاختلاط المذموم والجائز، فالاختلاط المذموم هو ما كان فيه اجتماع بين رجال ونساء أجنبيات عليهم من غير أن تدعو الحاجة إليه، أو أن يكون فيه خضوع بالقول أو انكشاف للعورات أو نحو ذلك مما لا يحل، ومن ذلك ما يقع في الجامعات والنوادي كاختلاط الفتيات

والفتيان في فصل واحد من غير أن يكون ثمة حاجز أمر لا شك أنه محرم شرعـاً، وأما الجائز فنحو ما ورد عن الصحابة، وبهذا يمكن الجمع بين الأدلة الواردة في هذا الموضوع.

❐ فائدة (٧): رجوع المجتهد عن رأيه:

علَّمنا النبي ﷺ في ذلك، أن الإنسان إذا بدا له الصواب رجع إليه وجوبـاً، ذكر الإمام الشاطبي ـ كما في الاعتصام ـ: "أن الأمَّة قد أجمعت على أن الواجب على المجتهد اتباع الحق، فإذا استبان له طريق الحق وجب على المجتهد اتباعه"

قال ابن حزم في رسائله: "ناظرتُ رجلًا من أصحابنا في مسألة، فغلبته، فقد كنتُ أفصحَ منه لسانًا، وأقدرَ بيانًا عما أراه مما تناظرنا فيه، وانفضَّ المجلس على أني الغالب، فلما أتيتُ منزلي حاكَ في نفسي منها شيء، فتطلبتها في بعض الكتب، فوجدتُ برهانًا صحيحًا بيَّنَ بُطلان قولي وصحة قول خصمي، وكان معي أحد أصحابنا ممن حضر نقاشنا، فأخبرته بذلك، ثم إنه لما رآني قد وضعتُ علامة في الكتاب حيث المسألة قال لي: ما تريدُ بهذا؟

قلتُ: أريد حمل هذا الكتاب وعرضه على فلان وإعلامه بأنه المُحق وأني المخطئ، وأني تركتُ قولي وتبعتُ قوله!

قال: أوتفعل مع ما في هذا من بهتان لكَ؟

قلتُ: نعم ولو أمكنني ذلك في وقتي هذا ما أخرته إلى غد !"

❐ فائدة (٨): ضرورة التستر:

وفي رجوع النبي ﷺ عن رأيه، وقوله لفاطمة بنت قيس: " لَا تَفْعَلِي، إِنَّ أُمَّ

شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ، أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ، وَلَكِنِ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ، عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ" دليلٌ على ضرورة التستر، وأن تكون المرأة عفيفةً حريصةً على ألا يُرى منها ما تكره مما لا يحل، أو أن تقع فيما لا يحل.

(**فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً**) الظاهر أن فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، لم ترد خصوص هذه الكلمة، وإنما أرادت بهذا النداء الآذان، لأن القصة بعد ما شرع الآذان وليس ينادى بها للفرائض.

(**فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الرِّجَالِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ، جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ**) أي موضعه الذي صلى فيه.

❒ فائدة (٩): شهود المرأة الجماعة:

فيه أن المرأة تشهد الجماعة في المسجد، وتأخذ أجرها، ولا يمنعها من ذلك مانع، وإن كان لها زوج، أو وليٌّ تستأذنه، أستأذنته وجوبـًا، ولا يحل له أن يمنعها، إلا إذا علم ضرراً محققـًا، أو فتنة من خروجها، لقوله ﷺ: **"لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ"** (١)

(**ثُمَّ قَالَ: "أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟ " قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "إِنِّي وَاللهِ! مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ**) أي ما جمعتكم للأمر والنهي والموعظة.

---

(١) متفق عليه.

(وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ، كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ) تميمٌ الداري كان راهبَ عصره وعابد أهل فلسطين، أسلم سنة تسع هو وأخوه نعيم، ولهما صحبة، قدم المدينة وغزا مع رسول الله ﷺ وهو أول من أسرج السراج في المسجد، رواه الطبراني من حديث أبي هريرة، وأول من قصَّ – من العظة – وذلك في عهد عمر، رواه إسحاق بن راهويه وابن أبي شيبة وكذا رواه عمر بن شبة في تاريخ المدينة أنه كان يعظ الناس قبل صلاة الجمعة، انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان، وسكن فلسطين وكان النبي ﷺ أقطعه بها قرية عينون قبل أن تُفتح فأقره عمر رضي الله عنه، وكان كثير التهجد، مات بالشام سنة أربعين، وقبره ببيت جبرين من بلاد فلسطين. (١)

(وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا)

❑ فائدة (١٠): رواية الفاضل عن المفضول:

قال النووي: "هذا معدود في مناقب تميم، لأن النبي ﷺ رَوى عنه هذه القصة، وفيه رواية الفاضل عن المفضول ورواية المتبوع عن تابعه، وهو جواب لغز من ألغز بقوله: من الذي حدّث عنه رسول الله ﷺ ؟ "(٢)

(وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ) أي في شؤون مسيح الدجال وخروجه في أُمَّتي، وهذا هو سببُ ضحكه ﷺ، حينما جمع أصحابه، فقد فرح ﷺ، لمَّا وافق خبرُ الأرض خبرَ السماء.

(حَدَّثَنِي؛ أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ)

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة.

(٢) شرح مسلم.

قبيلتان من قبائل العرب.

(فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَؤُا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ) أي لجؤوا إليها.

(فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ) والأقرُب بفتح الهمزة وضم الراء جمع قارب، وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبير كالجنيبة في الفرس يتصرف فيها ركاب السفينة لنزولهم وقضاء حوائجهم.

(فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ) أي غليظة الشعر، والهلَب بالتحريك ما غلظ من الشعر.

(كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ! مَا أَنْتِ؟) أي أي جنس أنت من الحيوان، قال القرطبي: اعتقدوا فيها أنها مما لا يعقل فاستفهموا عنها بـ "ما" ثم إنها بعد ذلك كلمتهم كلام من يعقل وعند ذلك رهبوا أن تكون شيطانة أي خافوا ذلك.

(فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ) قيل سمت نفسها بذلك، لتجسسها أخبار الدجال، من التجسس وهو الفحص عن أخبار الشيء والبحث عنه.

(قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ! انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ) بفتح الدال وهو في الأصل صومعة رهبان النصارى والمراد به هنا القصر كما سيأتي.

(فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ) أي إنه لحريصٌ مشتاقٌ إلى أن يسمع منكم بعض الأخبار.

(قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً) فرِقنا: أي خِفنا.

(**قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا**) أي أكبره جثة أو أهيبه هيئة.

(**وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ**) كناية عن كونه مقيدً بالسلاسل تقييدًا شديدًا.

❐ فائدة (١١): وجود الدجال الآن، ووثاقه:

فيه أن الدجال موثقٌ الآن في جزيرة من جزائر البحر، ووثاقه فيه إذلالٌ له وامتهان، لأن يديه مجموعة إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبه بالحديد، ولم تبين لنا السنة مَن الذي أوثقه هذا الوثاق المحكم، وهذا يعني أنه حيٌ الآن، والجزيرة في جهة الشرق من المدينة المنورة، والدجال مودع في دَير هناك موثق بالحديد وأصل الدير للنصارى ولكن المراد به هنا القصر.

وقد يقال، كيف يمكن ذلك، والأرض اليوم مكشوفة الزوايا والخفايا وما تَوصَّل إليه الإنسان من أجهزة الكشف والاستطلاع المتطورة، كالأقمار الصناعية وغيرها لم تترك شبراً من الأرض دون تنقيبٍ وتمحيص !

الجواب: أن الله إذا أ ارد أمراً هيأ له أسبابه، والذي وهب قوة الإبصار للإنسان قادر على أن يحول بينه وبين رؤية أجزاء من الأرض مهما بلغت آلاته من الدقة والشمول، مع أن القول بأنه تم للإنسان مسح الأرض مسحًا كاملاً فيه مبالغة شديدة جداً، وسوء تقدير، فالأرض كبيرة، لم يُدرك كنهُها، ولم تُكشف أسرارها بعد.

وهناك بعض الأماكن مثل مثلث برمودا، وبحر الشيطان، ووسط المحيط الهندي، وشرق استراليا والقطبين الشمالي والجنوبي وشمال نيوزلندا، ووسط

المحيط الهندي، وبين بحر الشيطان ومثلث برمودا وشرق البرازيل، وبارجواي، وشمال غرب أفريقيا، وشرق أفريقيا، وحول أفغانستان وهذه المناطق جرت فيها حوادث غامضة، عجز العلماء عن كشف حقيقة ما يجري فيها.

ثم هل اكتشف علماء الجغرافيا كل بقعة في الأرض؟! فكثيرٌ من أقطار البر والبحر لا تزال بكرًا إلى الآن، لم تطرقها قدم مستكشف، بل في القارات المعروفة أماكن ما زالت مجهولة إلى اليوم،، بل في بعض الجهات المرتادة مغارات وكهوف لا تزال غير معروفة، فإذا كان هذا في البر فما بالك بالبحر؟ وثلاثة أرباع هذه الأرض التي يسكنها النوع الإنساني بحار.

وعلى تسليم أنها كانت في جزيرة من الجزر المعروفة للناس اليوم، فهل يلزم من اطلاع الله سبحانه تميمًا وصحبه على الدابة والدجال اطلاع غيرهم عليها؟! ألا يجوز بعد ما رآها تميم وصحبه أن تكون اختفت عن الأنظار، وذهبت إلى حيث علم الله سبحانه؟!

فوجب على كل مؤمن تصديق ما جاء في هذا الحديث واعتقاده، سواء ظهر للمؤمن وجه الحكمة أو لم يظهر.

(**قُلْنَا: وَيْلَكَ! مَا أَنْتَ؟**) أي أي جنس أنت هل أنت من الإنس أم من الجن أم من الشيطان؟

(**قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي**) أي قد وصلتم أنتم إلى حال تمكنتم فيه من الاطلاع على خبري لأني سأخبركم بذلك.

(**فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ،**

فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ) أي هاج موجه، وارتفع.

(**فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ! مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ**) بيسان: قرية بالشام.

(**قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ**) إشارة إلى أن ذلك علامةٌ على خروجه.

(**قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ**) هي بحر صغير معروف بالشام، وقد تقدم ذكرها في حديث النواس، وأن الفوج الأول من يأجوج ومأجوج، يمرون عليها، ويشربون ماءها، لا يُبقون منه شيئًا.

(**قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ**) بزاي معجمة مضمومة ثم غين معجمة مفتوحة ثم راء بوزن زفر بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.

(**قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟**) يقصد محمداً ﷺ، والأميون هم العرب لأن الغالب منهم لا يكتب ولا يحسب كما قال ﷺ: "**إنا أمة أمية لا نكتب ولا**

نحسب".(١)

(قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ)

❐ **فائدة (١٢): سبب تسميته بالمسيح:**

يقول ابن الأثير: " سمي الدجال مسيحًا، لأن عينه الواحدة ممسوحة، والمسيح: الذي أحد شقي وجهه ممسوح، لا عين له ولا حاجب، فهو فعيل بمعنى مفعول، بخلاف المسيح عيسى ابن مريم، فإنه فعيل بمعنى فاعل، سمي به، لأنه كان يمسح المريض فيبراً بإذن الله، والدجال: الكذاب "(٢) وسمي دجالاً - كما يقول ابن حجر - " لأنه يغطي الحق بباطله، وقال ابن دُريد: سُمي الدجال، لأنه يغطي الحق بالكذب، وقيل: لضربه نواحي الأرض، .. وقيل: بل قيل ذلك، لأنه يغطي الأرض "(٣)

قوله (وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا- اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا)

---

(١) رواه البخاري.

(٢) جامع الأصول.

(٣) فتح الباري.

فائدة (١٣) الدجال يجيد العربية والحوار:

نستفيد من هذا الحوار: أن الدجال يجيد العربية بطلاقة، وقد جرى بينه وبين الذين رأوه حواراً يليق بأدب الحوار العربي الذي يتضمن جملة أسئلة دقيقة وحساسة.

(قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: "هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ"، يَعْنِي الْمَدِينَةَ) قال ذلك رسول الله ﷺ افتخارًا على مدينته، ومسرة على موافقة الخبر بما أخبر به.

("أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟ " فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، "فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ) أراد ببحر الشام ما يلي الجانب الشامي من البحر، وببحر اليمن ما يلي الجانب اليمني من البحر، والبحر واحد، قال القرطبي ـ كما في المفهم ـ: هذا كله كلام ابتُدِئ على الظن ثم عُرض له الشك أو قَصد الإبهام ثم نَفى ذلك كله وأضرب عنه بالتحقيق بقوله: لا بل في المشرق.

(لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ". وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ) فالمراد إثبات أنه في جهة المشرق، ثم أكد ذلك بما الزائدة وبالتكرار اللفظي مرتين، ثم بالإيماء.

"والحاصل من هذا الكلام أنه ﷺ ظن أن الدجال المذكور في بحر الشام لأن تميمًا إنما ركب في بحر الشام، ثم عُرض له أنه في بحر اليمن لأنه يتصل ببحر متصل بالشام، فيجوز ذلك، ثم أطلعه العليم الخبير على تحقيق ذلك

فحقق وأكد والله سبحانه أعلم" (١)

(قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ)

❐ فائدة (١٤): خبر الواحد:

وفي الحديث الاعتماد على خبر الواحد، فقد استدل ﷺ على ما أخبر به هو، بخبر تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فاللهم نجنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن



(١) المفهم.



القصةُ الثامنة والأربعون

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يترك أهله بوادٍ غيرِ ذي زرع

عَنْ ابْنُ عَبَّاسٍ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُمِّ إِسْمَاعِيلَ، وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهَا عِنْدَ البَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ! أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟! فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الدَّعَوَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَشۡكُرُونَ ۝٣٧ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ، عَطِشَتْ، وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى -أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ- فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ، رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا، فَنَظَرَتْ

هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا. فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ". قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا".

فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ، سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهْ! - تُرِيدُ نَفْسَهَا-، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، - أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ، - حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا، وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ. وَفِي رِوَايَةٍ: بقدر ما تَغْرِفُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ، أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا" قَالَ: فَشَرِبَتْ، وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتًا للهِ يَبْنِيهِ هَذَا الغُلاَمُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمٍ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُم مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ. فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا، فَأَخْبَرُوهُمْ، فَأَقْبَلُوا وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لاَ حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَأَلْفَي ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ، فَنَزَلُوا، وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ، وَشَبَّ الغُلاَمُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ، يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ:

خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا - وَفِي روايةٍ: يصيدُ لنا- ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ، اقْرَئِي عليه السلام، وَقُولِي لَهُ: يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ! فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ، كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي: كَيْفَ عَيْشُنَا؟ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ، فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ، فَسَأَلَهَا عَنْهُ، قَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ: اللَّحْمُ، قَالَ: مَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ: المَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ"، قَالَ: فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ.

وفي رواية: فجاء فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد، فقالت امرأته: ألا تنزل فتطعم وتشرب؟ قال: وما طعامكم وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم وشرابنا الماء، قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم، قال: فقال أبو القاسم - ﷺ - وَسَلَّمَ: "بَرَكَةُ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ"، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ، فَاقْرَئِى عليه السلام، وَمُرِيهِ يُثَبِّتْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَما جَاْءَ إِسْمَاعِيْلُ، قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَسأَلَنِي: كَيْفَ عَيْشُنَا؟ فَأَخْبَرْتُهُ انَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بَشْىء؟ قَالَتْ: نَعَم، يَقرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ

أُمْسِكَكِ، ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاْءَ اللهُ، ثُم جَاْءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيْلُ يَبْرِي نَبْلاً لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيْبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَاْمَ إِلَيْهِ فَصَنَعَ كَمَا يَصْنَعُ الَوالِدُ بِالْوَلَدِ، وَالْوَلَدُ بِالْوالِدِ، قَالَ: يَا إِسْمَاعِيْلُ! إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي، قَالَ: وَأُعِيْنُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِي بَيْتًا هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيْلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ، وَإِبْرَاهِيْمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاْءَ بِهَذَا الْحَجرَ، فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَاْمَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْماعِيْلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُوْلَانِ: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧ ﴾ [البقرة: ١٢٧]، .

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ البُخارِيُّ.

(**جَاءَ إِبْرَاهِيمُ** ﷺ) أي من الشام إلى مكة، بسبب ما وقع بين أهله من الخصومة التي تقع عادةً بين الضرائر، بسبب الغيرة، فقد جاء في رواية عند البخاري: " لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ مَا كَانَ، خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ " فأراد إبراهيم عليه السلام أن يباعد بينهما، فأقرَّ سارة بالشام، وأتى بهاجر إلى مكة.

❐ فائدة (١): الغيرة بين النساء.

الغيرة بين النساء تقع حتى بين الصالحات، فسارة مع أنها حُرَّة وهاجر أَمَة؛ إلا أن سارة غارت من هاجر لما أنجبت إسماعيل،، أما سارة فقد تأَخَّر إنجابها حتى أنجبت إسحاق، وغيرة المرأة لا تقدح في صلاحها إذا لم تتعدَّ حدود الله، فلقد وقعت الغيرة في بيوت أزواج النبي ﷺ، ففي صحيح البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَرْسَلَتْ أُخْرَى بِقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ يَدَ الرَّسُولِ، فَسَقَطَتِ الْقَصْعَةُ فَانْكَسَرَتْ، فَأَخَذَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ الْكِسْرَتَيْنِ، فَضَمَّ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى، فَجَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ، وَيَقُولُ:"غَارَتْ أُمُّكُمْ، كُلُوا"، فَأَكَلُوا، حَتَّى جَاءَتْ بِقَصْعَتِهَا، الَّتِي فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الْقَصْعَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الرَّسُولِ، وَتَرَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْهَا"، وفي سنن النسائي: " ثم أخذ رسول الله ﷺ صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة وأعطي صحفة أم سلمة عائشة "

❏ فائدة (٢): حكمة الزوج:

مِن حلول الغيرة: المباعدة بين الزوجتين، على حدِّ قول من قال: فرِّق تَسُد، وهذا من حكمة إبراهيم عليه السلام، ولعلها أسباب يهيئها الله لأمرٍ أراده.

(**بِأُمِّ إِسْمَاعِيلَ**) وهي هاجر التي وهبها لسارة ملكُ مصر الذي أراد سارة فمنعه الله منها، وحديثه في البخاري، قد مضى معنا.

(**وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُا عِنْدَ البَيْتِ**) أي عند مكانه الآن، لأنه لم يكن مبنياً في ذلك الوقت.

(**عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ**) الدَوْحَة: الشجرة العظيمة.

(**وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ! أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟! فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ**) وفي رواية: "قالت: رضيتُ بالله"

❏ فائدة (٣): قوة الثقة بالله، ناشئة عن قوة الإيمان به:

فهاجر عليها السلام، لا تقول: "إذن لا يضيعنا"، إلا عن معرفةٍ بالله وثقةٍ به وتوكلٍ عليه، وإلا فإن الإنسان في مثل هذا الموقف بلا إيمان، ربما ينهار

ويموت من الخوف، كيف وهذه امرأة، لكن الإيمان يصنع الأعاجيب.

(فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ) راجعـًا إلى الشام.

(حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ) الموضع الذي دخل النبي ﷺ مكة منه.

❐ فائدة (٤):من حكمة الرجل كتم القلق عن أهله.

الزوج الحكيم قد تكون عنده أسباب وبواعث للقلق كبيرة، لكن لا تكون الحكمة أن يخبرأهله بها فيزدادوا قلقـًا، في الوقت الذي لا يقدِّمون شيئـًا لو لم يُخفِ عليهم، فإن إبراهيم عليه يالسلام دعا لأهله عند الثنية بحيث لا يرونه، لأنها إذا رأته يدعو وهو يظهر الحاجة ربما ازدادت قلقـًا؛ لكن أخفى عنهم ذلك، وهذا أيضـًا من إخلاصه.

(اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الدَّعوَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]) تتمة الآية: ﴿ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾

❐ فائدة (٥): الأخذ بالأسباب من تمام التوكل على الله:

إبراهيم عليه السلام مع أن الله تعالى أمره أن يضع زوجته وولده في هذا المكان، إلا أنه وضع عندها جرابـًا من تمر، وسقاءً فيه ماء، ولما ولى وابتعد عنهم دعا لهم الله عز وجل، ومسئولية شعور الزوج والأب بمسئوليته نحو زوجته وولده، هذا الذي يجعل الأمور تسير سيراً حسنـًا.

فائدة (٦): استقبال القبلة عند الدعاء:

وفي قوله: "اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا" استحباب استقبال القبلة عند

الدعاء، وأنه من آدابه، وأنه أحرى لقبول الدعاء، إذا صادف قلبـًا حاضراً.

❑ **فائدة (٧): ابتلاء الأنبياء، والصالحين والأولياء:**

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ما صار أبا الأنبياء، ولا خليلَ الله، ولا أفضل نبي بعد نبينا عليه الصلاة والسلام، إلا بصبره، ورضاه، ابتلاه الله بابتلاءاتٍ عظيمة، فكان صابراً، فتأمَّله وهو يترك زوجته وولده في وادٍ غير ذي زرع، لا يوجد فيه أحد، ويغادر ولده، وقلبه متعلق به، وتسير زوجته وراءه وتناديه، فلم يستطع لها جوابـًا، وبماذا يجيبها؟ والله كلما قرأت ذلك أو ذكرته اضطرب قلبي وذرفت عيني، وشعرت بغربةٍ شديدة ووحشة أكيدة، فكيف بمن عاش ذلك وعاينه ؟

وابتلاه الله بذبح هذا الولد، ابتلاه الله بتركه في صحراء ما فيها أحد وهو رضيع، ولما كبر الولد وبلغ معه السعي وشَبَّ، ابتلاه الله بذبحه، فلما أسلم ورضي واستسلم، جاءته البشرى، ونزل الفداء، ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ۝١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١١١ ﴾ [الصافات: ١٠٣-١١١]

(وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ، عَطِشَتْ، وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى -أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ -) أي يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض

(فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ،) أي أشفقت عليه أن تراه وهو يتقلب ظهراً إلى بطن من العطش الذي أصابه.

(فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ) أي مكة.

(تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ، رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا) أي قميصها، وفي رواية عطاء بن السائب: "والوادي يومئذٍ عميق" والآن زالت هذه المعالم، إلا قليلاً، وبقي العَلَمان الأخضران في أول الوادي وآخره، علامة على ذلك، وأنه كان هناك وادٍ عميق.

(ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا، فَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ". قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا".

❐ **فائدة (٨): فإن قيل: لماذا يسعى الناس بين الصفا والمروة سبع مرات؟**

الجواب: مثلما سعت هاجر بين الصفا والمروة سبع مرات، وكذلك عندما كانت في الوادي سعت سعياً شديداً، ونحن نسعى سعياً شديداً بين العَلَمَين الأخضرين مكان الوادي، ولذلك نظائرُ كثيرة في الشريعة.

(فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ، سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهْ! - تُرِيدُ نَفْسَهَا-، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ) أي هذا هو المستغيث، إن كان عندك معونةٌ فأغث، وعند الطبري بسند حسن-: "فناداها جبريل فقال لها: من أنت؟ فقالت: أنا هاجر، أم ولد إبراهيم، قال: إلى من وكلكما؟ قالت: وكلنا إلى الله، قال: وكلكما إلى كاف!" أي: وَكَلَكُما إلى عظيم يكفيكما.

(فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، - أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ، -

حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ) شكٌّ من الراوي، هل ضرب جبريل الأرض بمؤخر قدمه وهو العَقِب، أو ضرب الأرض بجناحه؟

(فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا) أي تجعله مثل الحوض، مخافة أن يذهب.

❐ فائدة (٩):الفرج بعد الشدة.

ونستفيد من ذلك أن الشدة تَعقبها فرج، وأنه إذا بلغ الأمر منتهاه انحلّت العُقَد، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ۝ ﴾ [الشرح:٥-٦] وفي الحديث، يقول ﷺ: **" وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا "** (١)، والمعية هنا المراد بها القرب.

فالإنسان إذا وصل إلى حالة بائسة جاء الفرج من الله، فإن الملَك، لم يأت بعد المرة الأولى أو الثانية، بل بعد السابعة، وهذه سنة الله تعالى أن يأتي بالفرج بعد أن ﴿ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ۝ ﴾ [البقرة:٢١٤].

(وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا، وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ، وَفِي رِوَايَةٍ: بقدر ما تَغْرِفُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ، أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا) أي: لو أن هاجر تركت زمزم كما هي مثلما ضَرَبها جبريل وانبثقت، لصارت زمزم نهراً جاريًا يمتد ويجري على ظاهر الأرض، لكن حرصها الزائد جعلها تحوط

---

(١) رواه أحمد في المسند، والحاكم في المستدرك، وغيرهما، وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.

الماء، فبقي في مكانه.

❏ فائدة (١٠):حرص الإنسان قد يمنعه من زيادة الخير.

وهذا واقعٌ ملموس، وهو معنى قوله ﷺ: "لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا".

(قَالَ: فَشَرِبَتْ، وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ) أي لا تخافي نفاد الماء، فإنها عينٌ يشرب منها ضيوف الله.

(فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتًا للهِ يَبْنِيْهِ هَذَا الغُلاَمُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ)

❏ فائدة (١١): إن الله لا يضيع أهله:

فلا ضياع مع أمر الله أبداً، بل الضياع كلُّ الضياع في تضييع أمر الله، في ترك شرع الله، وفي كل شرع سوي ما شرع الله عز وجل، كلمة قالتها أم إسماعيل الأم المحتسبة الصابرة الواثقة في أمر ربها، وقالها المَلَكُ وهو يفجر الماء من تحت قدمي الرضيع، إن الله لا يضيع أهله إنها شريعة الله، قضاءٌ قضي به الله، وحُكْمٌ حَكَمَ به الله أنه لا يضيع أهله.

إن كنت من أهل الله فلا تخش الضيعة.

إن كنت مؤمنا حقـًا فاعلم أن الله يدافع عن الذين آمنوا.

إن كنت وليـًا لله فاعلم أن من آذاك فقد آذنه مولاك بالحرب.

(وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ)

❏ فائدة (١٢): أول من بنى الكعبة:

لم يرد القرآن الكريم ولا في السنة الصحيحة، من الذي بنى البيت أولاً؟

وإنما ورد ذلك في بعض الأحاديث الضعيفة والآثار عن السلف؛ ولذلك اختلف أهل العلم فيها؛ جاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني: " واختلفوا في أول من بنى الكعبة، فقيل: أول من بناها الملائكة ليطوفوا بها خوفًا من الله حين قالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [البقرة ٣٠] الآية، وقيل: أول من بناها آدم عليه الصلاة والسلام ذكره ابن إسحاق، وقيل: أول من بناها شيث عليه الصلاة والسلام"، وقيل: أن بعض الأنبياء بعد آدم كانوا يحجون إلى المكان ولا يعرفون موضعه، حتى جاء إبراهيم الخليل فبناه.

(فَكَانَتْ كَذَلِكَ) أي تتغذى هي وولدها على على هذا الماء المبارك، بعد نفاد زادها ومائها.

❐ **فائدة (١٣): فضل ماء زمزم.**

وفيه أن ماء زمزم طعام طعمٍ، كما جاء في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال في ماء زمزم: " **إنها مباركة إنها طعام طعم** "(١)، زاد الطيالسي في رواية له: "**وشفاء سقم**"(٢)، أي شرب مائها يغني عن الطعام ويشفي من السّقام.

ودخل ابن المبارك زمزم فقال: اللهم إن ابن المؤمّل حدثني عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: " **ماء زمزم لما شرب له** " فاللهم إني أشربه لعطش يوم القيامة.(٣)

وقد غسَل الملكان قلبَ النبي ﷺ في صغره بعدما استخرجاه ثمّ ردّاه، بماء

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) صحيح الترغيب والترهيب.

زمزم(١)، قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حكمة غسل صدر النبي ﷺ بماء زمزم ليقوى به ﷺ على رؤية ملكوت السموات والأرض والجنة والنار؛ لأنّ من خواص ماء زمزم أنه يقوّي القلب ويسكّن الرّوع.

قال العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: تنافس الناس في زمزم في زمن الجاهلية حتى كان أهل العيال يفِدون بعيالهم فيشربون فيكون صبوحـاً لهم (شرب أول النهار)، وقد كنا نعدّها عونـاً على العيال، قال العباس: وكانت تسمى زمزم في الجاهلية (شباعة).(٢)

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وَقَدْ جَرَّبْتُ أَنَا وَغَيْرِي مِنَ الِاسْتِشْفَاءِ بِمَاءِ زَمْزَمَ أُمُورًا عَجِيبَةً، وَاسْتَشْفَيْتُ بِهِ مِنْ عِدَّةِ أَمْرَاضٍ، فَبَرَأْتُ بِإِذْنِ اللهِ، وَشَاهَدْتُ مَنْ يَتَغَذَّى بِهِ الْأَيَّامَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ الشَّهْرِ، أَوْ أَكْثَرَ، وَلَا يَجِدُ جُوعًا، وَيَطُوفُ مَعَ النَّاسِ كَأَحَدِهِمْ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ رُبَّمَا بَقِيَ عَلَيْهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَكَانَ لَهُ قُوَّةٌ يُجَامِعُ بِهَا أَهْلَهُ، وَيَصُومُ ويطوف مرارا "(٣)

(حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمٍ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمٍ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ) جرهم: حيّ من اليمن، وكانت جرهم يومئذٍ قريبًا من مكة.

(فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا، فَأَخْبَرُوهُمْ) الجري: الرسول، وسُمى الرسول جريًّا لأنه يجري مجرى

---

(١) والحديث في صحيح البخاري.

(٢) شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى».: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي.

(٣) زاد المعاد.

مُرسِله أو يجري مسرعًا في حاجته، والشك من الراوي.

(**فَأَقْبَلُوا وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لاَ حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ**) أي في تملكه، ولكن انتفعوا به كما تشاءوا.

(**قَالُوا: نَعَمْ**) أي وافقوا على شرطها، ربما كان لذلك لعادةٍ عندهم.

(**قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَأَلْفِي ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الأُنْسَ**) أي وجد ذلك الحيُّ الجُرْهُمِي أمَّ إسماعيل محبة للمؤانسة بالناس.

(**فَنَزَلُوا، وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ**) أي صارت لهم مساكن وعائلات.

❐ **فائدة (١٤): من معية الله لهاجر:**

ومن معية الله لهاجر، هذا الإيناس الذي حصل لها من هذه الرفقة الجرهُمية الذين هيأهم الله لها، يزيلون وحشتها، ويُهَوِّن غربتها، وإذا أراد الله شيئـًا هيأ أسبابه.

(**وَشَبَّ الغُلاَمُ**) أي إسماعيل.

(**وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ**) ومعنى ذلك أن إسماعيل بن إبراهيم لم يكن أبوه عربيـًا ولا أمه هاجر عربية،، وإنما تعلم العربية من جُرْهم.

❐ **فائدة (١٥): أول من تكلم بالعربية.**

جاء في حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:"**أول من فتق لسانه بالعربية المُبِيْنَة إسماعيل وهوابن أربع عشرة سنة** "[١]، فما توجيه هذا الحديث؟

---

(١) انظر صحيح الجامع.

قال الحافظ ابن حجر: " وَبِهَذَا الْقَيْد [المبينة] يُجْمَع بَيْن الْخَبَرَيْنِ فَتَكُون أَوَّلِيَّته فِي ذَلِكَ بِحَسَبِ الزِّيَادَة فِي الْبَيَان لَا الْأَوَّلِيَّة الْمُطْلَقَة، فَيَكُون بَعْد تَعَلُّمه أَصْل الْعَرَبِيَّة مِنْ جُرْهُم أَلْهَمَهُ الله الْعَرَبِيَّة الْفَصِيحَة الْمُبِينَة فَنَطَقَ بِهَا، وَيَشْهَد لِهَذَا مَا حَكَاهُ اِبْن هِشَام عَنْ الشَّرْقِيّ بْن قَطَامِيّ " إِنَّ عَرَبِيَّة إِسْمَاعِيل كَانَتْ أَفْصَح مِنْ عَرَبِيَّة يَعْرُب بْن قَحْطَان وَبَقَايَا حِمْيَر وَجُرْهُم "، وَيُحْتَمَل أَنْ تَكُون الْأَوَّلِيَّة فِي الْحَدِيث مُقَيَّدَة بِإِسْمَاعِيل بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَقِيَّة إِخْوَته مِنْ وَلَد إِبْرَاهِيم فَإِسْمَاعِيل أَوَّل مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّة مِنْ وَلَد إِبْرَاهِيم، وَقَالَ اِبْن دُرَيْدٍ فِي " كِتَاب الْوِشَاح " أَوَّل مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّة يَعْرُب بْن قَحْطَان ثُمَّ إِسْمَاعِيل" (١)

جاء في تفسير القرطبي: " وَاخْتُلِفَ فِي أَوَّلِ مَنْ تَكَلَّمَ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، فَرُوِيَ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ: أَنَّ أَوَّلَ مَنْ وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها وتكلم بِالْأَلْسِنَةِ كُلِّهَا آدَمُ عليه السلام، وَقَالَهُ غَيْرُ كَعْبِ الْأَحْبَارِ.

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ رُوِيَ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ مِنْ وَجْهٍ حَسَنٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ الَّذِي أَلْقَاهَا عَلَى لِسَانِ نُوحٍ عليه السلام وَأَلْقَاهَا نُوحٌ عَلَى لِسَانِ ابْنِهِ سَامٍ، وَرَوَاهُ ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ كَعْبٍ. وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: "أَوَّلُ مَنْ فُتِقَ لِسَانُهُ بِالْعَرَبِيَّةِ الْمُبِينَةِ إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ"، وَقَدْ رُوِيَ أَيْضًا: أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ يَعْرُبُ بْنُ قَحْطَانَ، وَقَدْ رُوِيَ غَيْرُ ذَلِكَ.

قُلْنَا: الصَّحِيحُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِاللُّغَاتِ كُلِّهَا مِنَ الْبَشَرِ آدَمُ عليه السلام، وَالْقُرْآنُ يَشْهَدُ لَهُ قَالَ الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] وَاللُّغَاتُ كُلُّهَا

(١) فتح الباري.

أَسْمَاءٌ فَهِيَ دَاخِلَةٌ تَحْتَهُ وَبِهَذَا جَاءَتِ السُّنَّةُ، قَالَ ﷺ: **"وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها حَتَّى الْقَصْعَةَ وَالْقُصَيْعَةَ"** وَمَا ذَكَرُوهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَذَلِكَ إِنْ صَحَّ مَا سِوَاهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ مَحْمُولًا عَلَى أَنَّ الْمَذْكُورَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ قَبِيلَتِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ بِدَلِيلِ مَا ذَكَرْنَا وَاللهُ أَعْلَمُ. وَكَذَلِكَ جِبْرِيلُ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَأَلْقَاهَا عَلَى لِسَانِ نُوحٍ بَعْدَ أَنْ عَلَّمَهَا اللهُ آدَمَ أَوْ جِبْرِيلَ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ، وَاللهُ أَعْلَمُ. "(١)

(**وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ**) مِن النَّفاسَة، أي: رغبوا فيه، وأعجبهم؛ لأنه صار ينطق بلسانٍ عربيٍ أحسن منهم، تفوق عليهم في اللغة- فلما أدرك - - زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل -رحمة الله عليها، هاجر ماتت، بعدما تزوج إسماعيل- فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يُطالِع تَرِكَتَه...) جاء يتفقد مَن تركهم بعد سنوات طويلة.

(**فَلَمَّا أَدْرَكَ**) أي: بلغ.

(**زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ، يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ**) أَيْ يَتَفَقَّدُ حَالَ مَا تَرَكَهُ هُنَاكَ.

❐ فائدة (١٦): وهل هذا أول مجيءٍ لإبراهيم ؟

الجواب: لا، طبعـًا، وشرعـًا، وإن كان ذلك هو ظاهر الحديث، قال الحافظ في الفتح: " وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ مَجِيئِهِ بَيْنَ الزَّمَانَيْنِ فِي خَبَرٍ آخَرَ فَفِي حَدِيثِ أَبِي جَهْمٍ كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَزُورُ هَاجَرَ كُلَّ شَهْرٍ عَلَى الْبُرَاقِ يَغْدُو غَدْوَةً فَيَأْتِي مَكَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن.

فَيَقِيلُ فِي مَنْزِلِهِ بِالشَّامِ، وَرَوَى الْفَاكِهِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ نَحْوَهُ وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَزُورُ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ عَلَى الْبُرَاقِ، فَعَلَى هَذَا فَقَوله فجَاء إِبْرَاهِيم بعد مَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ أَيْ بَعْدَ مَجِيئِهِ قَبْلَ ذَلِكَ مِرَارًا "(١)

❒ **فائدة (١٧): سفر الرجل، وابتعاده عن أهله:**

للزوج أن يسافر ويتغيب عن أهله، لأجل العمل ونحوه من المصالح المشروعة، مدة لا تزيد على ستة أشهر، فإن زاد على ذلك فلا بد من استئذان زوجته، والأصل في ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سأل ابنته حفصة رضي الله عنها: كم تصبر المرأة عن زوجها ؟ فقالت: سبحان الله ! مثلك يَسأل مثلي عن هذا ! فقال: لولا أني أريد النظر للمسلمين ما سألتك، قالت: خمسة أشهر، ستة أشهر، فوقَّتَ للناس في مغازيهم ستة أشهر ؛ يسيرون شهراً ، ويقيمون أربعة ، ويسيرون شهراً راجعين. (٢)

وسئل الإمام أحمد رحمه الله: كم للرجل أن يغيب عن أهله ؟ قال: يروى ستة أشهر.(٣)

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " سفر الرجل عن زوجته إذا كانت في محل آمن: لا بأس به، وإذا سمحت له بالبقاء أكثر من ستة أشهر فلا حرج عليه، أما إذا طالبت بحقوقها، وطلبت منه أن يحضر إليها فإنه لا يغيب عنها أكثر من ستة أشهر، إلا إذا كان هناك عذر كمريض يعالَج وما أشبه ذلك، فإن الضرورة لها

---

(١) فتح الباري.

(٢) رواه البيهقي في الكبرى والصغرى، ومالك في الموطأ.

(٣) انظر المغني.

أحكام خاصة، وعلى كل حال فالحق في ذلك للزوجة، ومتى ما سمحت بذلك وكانت في مأمن فإنه لا إثم عليه، ولو غاب الزوج عنها كثيرا " (١)

(فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، وَفِي روايةٍ: يصيدُ لنا) أَي: يطْلب لنا الرزق، وَفِي رِوَايَة ابْن جريج: وَكَانَ عَيْش إِسْمَاعِيل الصَّيْد، يخرج فيتصيد، وَفِي حَدِيث أبي جهم: وَلَكِن إِسْمَاعِيل يرْعَى مَاشِيَة وَيخرج متنكباً قوسه فَيَرْمِي الصَّيْد.(٢)

❐ فائدة (١٨): فضل السعي على الأهل.

السعي في طلب الرزق واجب على من كان قادراً، ليحصل النفقة الضرورية على نفسه، وعلى من تلزمه نفقته، وفيه فضلٌ كبير، كما في حديث كَعْبِ بْنِ عُجْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَرَأى أَصْحَابُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ فَقَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ! لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ:"إِنْ كَانَ خَرَجَ يِسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَاراً فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوُيْنِ شَيْخَينِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانِ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِياءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ."(٣)

(ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ) وَزَاد فِي رِوَايَة عَطاء بن السَّائِب، وَقَالَ: هَل عنْدك من ضِيَافَة؟

---

(١) فتاوى العلماء في عشرة النساء.

(٢) عمدة القاري.

(٣) قال المنذري: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. انتهى، وصححه الألباني لغيره.

(فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ)

❐ فائدة (١٩): فساد المرأة:

وهذه من العلامات على فساد المرأة: التأفف، وعدم القناعة، وترك الشكر، وشكاية حالها وزوجها، لمن تعرف ومن لا تعرف.

(قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ، اقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقُولِي لَهُ: يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ!) أي يطلق امرأته.

❐ فائدة (٢٠): طلاق المرأة سيئة الخُلق:

وفيه أنه يستحب طلاق المرأة سيئة الخلق، إن لم يكن واجباً، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: " ثلاثة يدعون الله، فلا يستجاب لهم: رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل كان له على رجلٍ مال فلم يُشهد عليه، ورجل أعطى سفيهاً ماله، وقد قال عزّ وجل: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ [النساء: ٥]."(١)

قال المناوي في فيض القدير تعليقا على هذا الحديث: "ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخُلق فلم يطلقها، فإذا دعا عليها لا يستجيب له، لأنه المعذب نفسه بمعاشرتها، وهو في سعة من فراقها"

❐ فائدة (٢١):إذا أمر الأب ابنه بطلاق زوجته، هل يطلقها؟

الجواب: إن كانت الزوجة سيئة الدِّين، سيئة الخُلُق؛ كامرأة لا تُصلي، ونُصحت كثيراً، وهي مُصِرة على ترك الصلاة، أو امرأة سليطة اللسان، وجب

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

عليه أن يطيع أبويه، كإسماعيل، لما رأى إبراهيم سوء خُلُق زوجته، قال: غير عتبة بابك، أما إذا كانت المرأة طيبة حسنة الخُلق، وأمره أبوه أن يُطلِّقها، لحيثيات أخرى معَيَّنة، أو أهواء ونفسيات، فهنا لايُطاع الأب فيما يأمر، ولا يُعَدُّ ذلك عقوقـًا، لأن طاعة الوالدين واجبة على الولد فيما فيه نفعهما ولا ضرر فيه على الولد، أما ما لا منفعة لهما فيه، أو ما فيه مضرة على الولد فإنه لا يجب عليه طاعتهما حينئذ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في الاختيارات ـ: " ويلزم الإنسان طاعة والديه في غير المعصية، وإن كانا فاسقين... وهذا فيما فيه منفعة لهما، ولا ضرر عليه "

سئل الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عن حكم طلاق الرجل لزوجته إذا طلب منه أبوه ذلك فقال:

" إذا طلب الأب من ولده أن يطلق زوجته فلا يخلو من حالين:

الأول: أن يبين الوالد سببا شرعيا يقتضي طلاقها وفراقها مثل أن يقول: " طلِّق زوجتك "؛ لأنها مريبة في أخلاقها كأن تغازل الرجال أو تخرج إلى مجتمعات غير نزيهة وما أشبه ذلك. ففي هذا الحال يجيب والده ويطلقها؛ لأنه لم يقل " طلِّقها " لهوى في نفسه ولكن حماية لفراش ابنه من أن يكون فراشه متدنسـًا هذا الدنس فيطلقها.

الثانية: أن يقول الوالد للولد "طلِّق زوجتك " لأن الابن يحبها فيغار الأب على محبة ولده لها، والأم أكثر غيرة فكثير من الأمهات إذا رأت الولد يحب زوجته غارت جداً حتى تكون زوجة ابنها ضرة لها، نسأل الله العافية، ففي هذه

الحالة لا يلزم الابن أن يطلق زوجته إذا أمره أبوه بطلاقها أو أمه، ولكن يداريهما ويُبقي الزوجة ويتألفهما ويقنعهما بالكلام اللين حتى يقتنعا ببقائها عنده ولا سيما إذا كانت الزوجة مستقيمة في دينها وخلقها.

وقد سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه المسألة بعينها، فجاءه رجل فقال: إن أبي يأمرني أن أطلق زوجتي، قال له الإمام أحمد: لا تطلقها، قال: أليس النبي ﷺ قد أمر ابن عمر أن يطلق زوجته حين أمره عمر بذلك ؟ قال: وهل أبوك مثل عمر ؟

ولو احتج الأب على ابنه فقال: يا بني إن النبي ﷺ أمر عبد الله بن عمر أن يطلق زوجته لما أمره أبوه عمر بطلاقها، فيكون الرد مثل هذا، أي وهل أنت مثل عمر؟ ولكن ينبغي أن يتلطف في القول فيقول: عمر رأى شيئا تقتضي المصلحة أن يأمر ولده بطلاق زوجته من أجله، فهذا هو جواب هذه المسالة التي يقع السؤال عنها كثيرا " (١)

(فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ، كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي: كَيْفَ عَيْشُنَا؟ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا،).

❒ فائدة (٢٢): طلاق الكناية:

طلاق الكناية: أن يقول الرجل لامرأته كلامـًا، يَحتمل الطلاق، كقوله:

---

(١) الفتاوى الجامعة للمرأة المسلمة.

الحقي بأهلك، احتجبي مني، ونحو ذلك، فإن قصد طلاقها وقع الطلاق، وإلا فلا، أما صريح الطلاق، كقوله: أنت طالق، ونحوها، وقع الطلاق، وإن لم يُرِدْه.

(وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ) أي انقطع عنهم فترة مقدَّرة، ثم رجع إليهم.

(ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ، فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ، فَسَأَلَهَا عَنْهُ، قَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ: اللَّحْمُ، قَالَ: مَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ: المَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ"، قَالَ: فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ) والمعنى: لا يدوام عليهما أحدٌ إلا فسد مزاجه، وانحرف مذاقه، إلا في مكة، وهذا من جملة بركاتها وأثر دعاء الخليل عليه السلام، وفي حديث أبي جهم: "ليس أحد يخلو على اللحم والماء بغير مكة إلا اشتكى بطنه".

(وفي رواية: فجاء فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد، فقالت امرأته: ألا تنزل فتَطْعَم وتشرب؟ قال: وما طعامكم وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم وشرابنا الماء، قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم، قال: فقال أبو القاسم ﷺ وَسَلَّمَ: "بَرَكَةُ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ"، قَالَ: فَإِذَا جَاْءَ زَوْجُكِ، فَاقْرَئِى عليه السلام، وَمُرِيْهِ يُثَبِّتْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَما جَاْءَ إِسْمَاعِيْلُ، قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي: كَيْفَ عَيْشُنَا؟ فَأَخْبَرْتُهُ انَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بَشْىء؟ قَالَتْ: نَعَم، يَقرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ

أُمْسِكَكِ).

فائدة (٢٣): بركة الزوجة الصالحة:

الزوجة الصالحة في البيت بركةٌ فيه، ترضى بالقليل وتشكره، تُكرم السائل وتجبره، تحفظ زوجها إذا غاب، وتطيعه إذا حضر، قانتة قانعة، عفيفة شريفة، يدها فى البيت يد عطاء، ومكانتها مكانة المسؤول، قائمة بما تمليه عليها فطرتها، تلك الزوجة بما تحمله من تلك الصفات، هي التي عناها النبي ﷺ حين قال: " الدُّنيا متاعٌ، وخيرُ متاعِ الدُّنيا المرأةُ الصَّالحةُ"(١)، وهي التي أمر النبي ﷺ بالظفَر بها حين قال: " فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ" (٢)

(ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاْءَ اللهُ) أي انقطع عنهم زمنـًا.

(ثُم جَاْءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيْلُ يَبْرِي نَبْلاً لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيْبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَاْمَ إِلَيْهِ فَصَنَعَ كَمَا يَصْنَعُ الَوالِدُ بِالْوَلَدِ، وَالْوَلَدُ بِالْوالِدِ) أي تعانقا، وتسامرا، واطمأن كلاهما على الآخر، وقبَّل الولد يدَ الوالد، ونحو ذلك.

(قَاْلَ: يَا إِسْمَاعِيْلُ! إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَاْلَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَاْلَ: وَتُعِينُنِي، قَاْلَ: وَأُعِيْنُكَ)

فائدة (٢٤): الولد الصالح نتاج المرأة الصالحة::

انظر إلى إسماعيل، وهو يقول لوالده: "فاصنع ما أمرك ربك"، "وأعينك"، وأبوه ما كان يراه إلا قليلاً، نتاج من هذا؟ إنه نتاج الأم المربية، المرأة طاقة

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.

عظيمة، وقوة كبيرة في الخير أو في الشر، إن استغلت في الخير أصبحت محضناً يربي الأجيال ويخرّج الأبطال، فهي مدرسة إيمانية إن أُعدت لمهمتها، كما قال حافظ:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

شريعتنا العظيمة حثت على تربية الأولاد على آداب الإسلام، وتنشئتهم على معاني الإيمان، وجعلت هذه المسؤولية مشتركة بين الأب والأم معًا، وليست مقتصرة على أحدهما دون الآخر، ولكن الشريعة خصت الأم بالعبء الأكبر في ذلك؛ لِمَا لها من الأهمية البالغة في تربية الأبناء؛ وعظم تأثرهم بها، واطلاعها على أحوالهم لطول فترة ملازمتهم لها؛ كما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: "والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها" (١) فهي الحضن الدافئ للأولاد ينهلون من روحها، ويتطبعون بطبعها؛ فهي التي ترضعهم من خُلُقها قبل ثديها، وتغمرهم بالعطف والحب، وتبذل الغالي والرخيص في سبيل تربيتهم وتقويمهم وإصلاحهم، فالأم ينعكس خلقها على أبنائها سلبـًا أو إيجابـًا.

فقد قدمت الشريعة الأم على الأب في صناعة الأولاد منذ الصغر؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ "قضى أن المرأة أحق بولدها ما لم تَزوَّج"(٢) فالأم بجدارة هي مربية الأجيال، وصانعة الرجال، والأمينة على أخلاق العيال.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

فهي المعنية بقول بعضهم: "أعطني السبع السنوات الأولى من عمر طفل، أُعطك رجلاً" فهي من يَنقش في لب الأولاد المعاني والمفاهيم، ويُرسخ فيهم الآداب والقيم، وهي المعنية أيضاً بالمثل السائر: "وراء كل رجل عظيم امرأة"

(قَالَ: فَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِي بَيْتًا هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا) مكان مرتفع، كالهضبة.

(فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيْلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ، وَإِبْرَاهِيْمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ) زاد أبو جهم: "وجعل طوله في السماء تسعة أذرع وعرضه في الأرض يعني دوره ثلاثين ذراعًا، كان ذلك بذراعهم"

(جَاْءَ بِهَذَا الْحَجرَ) يعني حَجر المقام.

(فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَاْمَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْماعِيْلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُوْلَانِ: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧ ﴾ [البقرة: ١٢٧]،

❏ فائدة (٢٥): التعاون على البر والتقوى.

وفيه فضل التعاون على البر والتقوى، وما أجمل هذا التعاون إذا بين أفراد البيت الواحد، كأن يتواصوا بالصلاة، أو يجتمعوا ولو يومـًا في الأسبوع على كتاب الله، أو يتواصوا فيما بينهم بجدول إيماني، يتابع بعضهم بعضـًا فيه، ينفضُّ الشيطان من بينهم، وتعم البركة بيتهم، فانظر كيف تعاون الولد مع الوالد على بناء بيت الله، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: **"رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ"**[١]

---

(١) صحيح ابن حبان.

❐ فائدة (٢٦): وَجَلُ الصالحين:

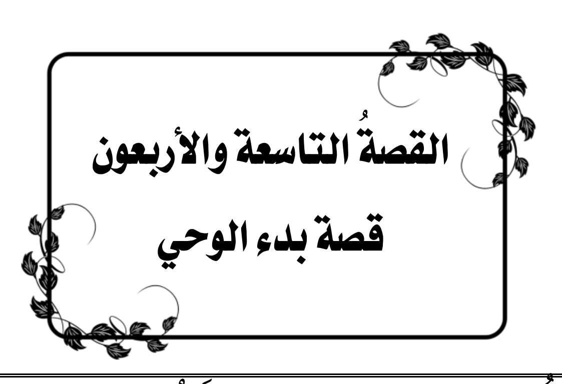
تخيل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهما يقومان بأعظم عمل وأشرفه، بناء بيت الله، ثم يسألان الله القبول، " رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "، هذا هو دأب الصالحين، عن وهيب بن الورد: "أنه قرأ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ثم يبكي ويقول: يا خليل الرحمن، ترفع قواعد بيت الرحمن وأنت مشفق ألا يتقبل منك" (١)

فالمؤمن يتقرب إلى الله بصالح العمل، وهو يخشى ألا يتقبل منه، وهنا تظهر أهميَّة القَبول، وأنَّ المدار في الحقيقة عليه؛ وليس على مجرَّد العَمل.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم



(١) تفسير لبن كثير.



عَنْ عَائِشَةَ، أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي، ثُمَّ غَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق: ١ - ٣] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ! مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى - ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ - وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَكَانَ يَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ،

وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ! اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي! مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ، إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ.

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ)، والمعنى: أن الوحي كان يأتي النبي ﷺ، في صورٌ متنوعة، أول هذه الصور التي جاءه فيها الرؤيا الصالحة، وفي رواية مسلم: "الصادقة"، أي التي ليس فيها أضغاث.

❐ فائدة (١): صور نزول الوحي:

ومن صور نزول الوحي غير الرؤيا الصالحة:

١ـ الإلقاء في رُوع النبي، بحيث لا يمتري النبي في أنّ هذا الذي أُلقي في قلبه من الله تعالى، كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنّه قال: **" إنّ روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب "**

٢ـ تكليم الله لرسله من وراء حجاب، وذلك كما كلَّم الله تعالى موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وممن كلّمه الله آدم عليه السلام ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾ [البقرة: ٣٣]،

وكلّم الله عبده ورسوله محمداً ﷺ عندما عرج به إلى السماء.

٣ـ الوحي إلى الرسول بواسطة الملك، كما قال تعالى: ﴿ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ ﴾ [الشورى: ٥١] وهذا الرسول هو جبريل، وأحيانـًا يراه الرسول ﷺ على صورته التي خلقه الله عليها، ولم يحدث هذا لرسولنا ﷺ إلا مرتين، وأحيانـًا يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، فيذهب عنه وقد وعى عنه الرسول ﷺ ما قال، وأحيانـًا يتمثل له الملك رجلاً فيكلّمه ويخاطبه ويعي عنه قوله، وهذه أخف الأحوال على الرسول ﷺ، وقد حدث هذا من جبريل في اللقاء الأول عندما فجأه في غار حراء.

(فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ) كناية عن الوضوح والظهور، إما أن تتحقق كما رآها، أو تقع كما أُوِّلت، أي يصدُق تأويلها، فرؤيا الأنبياء لازمة الوقوع، لأنها حق، لا أضغاث فيها ولا تخيُّل ولا مدخل للشيطان فيها، بخلاف رؤيا غيرهم، فإنها قد لا تخرج كما عُبِّرت، ولهذا قيل: جعلها النبي ﷺ جزءًا من خمسة وأربعين جزءًا أو من ستة وأربعين جزءًا (١) أو من

---

(١) وقد اختلف أهل العلم في معنى ذلك اختلافا واضحا:

"فقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْر بْن الْعَرَبِيّ: أَجْزَاء النُّبُوَّة لَا يَعْلَم حَقِيقَتهَا إِلَّا مَلَك أَوْ نَبِيّ ، وَإِنَّمَا الْقَدْر الَّذِي أَرَادَهُ النَّبِيّ ﷺ أَنْ يُبَيِّن أَنَّ الرُّؤْيَا جُزْء مِنْ أَجْزَاء النُّبُوَّة فِي الْجُمْلَة، لِأَنَّ فِيهَا اِطِّلَاعًا عَلَى الْغَيْب مِنْ وَجْه مَا ، وَأَمَّا تَفْصِيل النِّسْبَة فَيَخْتَصّ بِمَعْرِفَتِهِ دَرَجَة النُّبُوَّة.

وَقَالَ الْمَازِرِيّ: لَا يَلْزَم الْعَالِم أَنْ يَعْرِف كُلّ شَيْء جُمْلَة وَتَفْصِيلًا ، فَقَدْ جَعَلَ الله لِلْعَالِمِ حَدًّا يَقِف عِنْده ، فَمِنْهُ مَا يَعْلَم الْمُرَادَ بِهِ جُمْلَة وَتَفْصِيلًا ، وَمِنْهُ مَا يَعْلَمهُ جُمْلَة لَا تَفْصِيلًا ، وَهَذَا مِنْ هَذَا الْقَبِيل.

وذهب بَعْض أَهْل الْعِلْم إلى أن وجه المناسبة في ذكر هذا العدد في الحديث أَنَّ الله أَوْحَى إِلَى نَبِيّه فِي الْمَنَام سِتَّة أَشْهُر ، ثُمَّ أَوْحَى إِلَيْهِ بَعْد ذَلِكَ فِي الْيَقَظَة بَقِيَّة مُدَّة حَيَاته ،

=

سبعين جزءًا من النبوة، أي في الإخبار عن الغيب، إذ لو خرجت كلها كما عبرت لكانت نبوة.

❑ فائدة (٢): لماذا بدأ الوحي بالرؤيا الصالحة ؟

وإنما بدأ الوحي بالرؤيا الصالحة، من باب التدرج والتخفيف، لأن الوحي إذا فجأه ﷺ بالصور الأخرى، وأتته النبوة الصريحة بغتة، كان في ذلك مشقٌ شديدةٌ، لا تحتملها قوى البشرية، فكانت هذه التوطئة.

❑ فائدة (٣): فضل الرؤيا الصالحة:

وفيه فضل الرؤيا الصالحة التي يراها المؤمن أو تُرى له، فقد كانت الرؤيا الصالحة بداية إشراق شمس النبوة، فالرؤيا الصالحة ينشرح بها الصدر وتزكو بها الروح، والرؤيا الصالحة للمؤمن من البشرى في الحياة الدنيا، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو تُرَى له" (١) وفي رواية مسلم: " لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة"، وفي صحيح مسلم: "الرؤيا ثلاثة: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يُحَدِّث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس"

(ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ) أي الخلوة والانعزال والابتعاد من الناس، أي ألهمه

=

وَنِسْبَتهَا مِنْ الْوَحْي فِي الْمَنَام جُزْء مِنْ سِتَّة وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا، لِأَنَّهُ عَاشَ بَعْد النُّبُوَّة ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَة عَلَى الصَّحِيح. وقد أنكر هذا التأويل ابن بطال والخطابي وغيرهما.
وقَالَ النَّوَوِيّ: لَمْ يَثْبُت أَنَّ زَمَن الرُّؤْيَا لِلنَّبِيِّ ﷺ كَانَ سِتَّة أَشْهُر " والعلم عند الله.

(١) صحيح سنن ابن ماجه.

الله لينقطع عن العلائق الشاغلة ويتفرغ للقاء رسل ربه تعالي وسماع وحيه.

❐ **فائدة (٤): فضل العزلة:**

وفي هذا تنبيه على فضل العزلة لأنها تريح القلب من الشغل بالدنيا وتُفرِّغُه لذكر الله تعالي، فيتفجر منه ينابيع الحكمة والمعرفة، والخلوة المرادة: ليست الخلوة الكاملة والانعزال التام، وإلا فمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويشهد الجُمع والجماعات، ولكن أن يخلو الإنسان عن غيره بل وعن نفسه بربه وقتـًا من الزمن لاستعادة القُوى، ومحاسبة النفس، ومناجاة الله، ثم يختلط بالناس في الخيرات، ويتجنبهم في الشرور والملهيات.

وقد أخذ بعض أهل السلوك إلى الله من ذلك، فكرة الخلوة مع الذكر والعبادة في مرحلة من مراحل السلوك، لتنوير قلبه وإزالة ظلمته وإخراجه من غفلته وشهوته، ومن سنن النبي ﷺ سنة الاعتكاف في رمضان، ليتحقق هذا المعنى، وهي مهمة لكل مسلم سواء كان حاكمًا أو عالمًا، أو قائدًا، أو تاجرًا، لتنقية الشوائب التي تعلق بالنفوس والقلوب، ونصحح واقعنا على ضوء الكتاب والسنة، ويستفيد من ذلك أهل الدعوة فيُعطوا لأنفسهم فترة من الوقت للمراجعة الشاملة والتوبة، والتأمل في واقع الدعوة وما هي عليه من قوة أو ضعف واكتشاف عوامل الخلل، ومعرفة الواقع بتفاصيله، خيره وشره.

وحسبك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في وصفه لهذا المنهج المتوازن ـ: "فهذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها – إما نزاعًا كليًا، وإما حاليًا – فحقيقة الأمر: أن "الخلطة" تارة تكون واجبة أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأمورًا بالمخالطة تارة، وبالانفراد تارة.

وجماع ذلك: أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات؛ كالصلوات الخمس، والجمعة، والعيدين، وصلاة الكسوف، والاستسقاء، ونحو ذلك هو مما أمر الله به ورسوله.

وكذلك الاختلاط بهم في الحج، وفي غزو الكفار والخوارج المارقين، وإن كان أئمة ذلك فجارًا، وإن كان في تلك الجماعات فجار، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيمانًا؛ إما لانتفاعه به، وإما لنفعه له، ونحو ذلك.

ولا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره، ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره؛ فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه، إما في بيته؛ كما قال طاووس: نعم صومعة الرجل بيته؛ يكف فيها بصره ولسانه. وإما في غير بيته.

فاختيار المخالطة مطلقًا خطأ، واختيار الانفراد مطلقًا خطأ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا، وما هو الأصلح له في كل حال؛ فهذا يحتاج إلى نظر خاص كما تقدم" (١)

❐ فائدة (٥): حِكمة العزلة للرسول ﷺ:

قال المباركفوري: "وكان اختياره ﷺ لهذه العزلة طرفًا من تدبير الله تعالى، وليُعدَّه لما ينتظره من الأمر العظيم، ولا بد لأي روح يُراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى، لا بد لهذه الروح من خلوة وعزلة

---

(١) مجموع الفتاوى.

بعض الوقت، وانقطاع عن شواغل الأرض وضجة الحياة، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة" (١)

(**وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّد -**)

❐ **فائدة (٦): فإن قيل: بماذا كان يتعبد، وهو لم يُبعث بعد ؟**

الجواب: قال ابن حجر في الفتح: "فيتحنث هي بمعنى: يتحنف، أي يتبع الحنفية، وهي دين إبراهيم عليه السلام"

وهذا يدل على أنه كان يتعبد لله تعالى بما وصل إليه من دين إبراهيم الخليل ﷺ.

(**فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ**) أي قبل أن يرجع إليهم، أو يحِنَّ لهم.

(**وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ**) أي يأخذ زاده لهذه الليالي التي يخلوها.

(**ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ**) أي الوحي، وسُمي الوحي حقـًا، لأنه حقٌّ كله، أما غيره فقد اشتمل على هذا وذاك.

(**وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ**) قيل: كان هذا الأمر لمجرد التنبيه والتيقظ لما سيلقى إليه.

(**قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ**) أي لست عارفًا بالقراءة، وفي رواية "ما أحسن أن أقرأ" وفي أخرى: "كيف أقرأ؟"، وفي أخرى: "ماذا أقرأ؟"

---

(١) الرحيق المختوم.

(**قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي**) أي أمسكني إمساكًا شديدًا، فضمني وضغطني، وفي هذه الضمة رسالة بأن الأمر شديد، فتحَمَّل، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المزمل:٥]

(**حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ**) أي أحسست بغاية المشقة ومنتهاها.

❐ فائدة (٧): نيل المعالي لا يأتي مجانـًا:

في غط جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، إشارة إلى أن نيل معالي الأمور لا يكون إلا بالصبر على ما يكره الإنسان وتحمل المشاق العظيمة بحسب تلك المعالي، سنة الله تعالى في عباده، قال تعالى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ﴾ ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾.

وكما قيل:

تريـــدين إدراك المعـــالي رخيصـــة   ولا بـد دون الشـهد مـن إبَـر النحـل

(**ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي، ثُمَّ غَطَّنِي الثَّالِثَةَ**)

❐ فائدة (٨): التكرار ثلاثاً:

فيه تنبيهٌ على استحباب تكرار التنبيه ثلاثًا، والتعليم ثلاثـًا، والتأديب ثلاثـًا، والإعذار ثلاثـًا، وغيرها، فعدد الثلاثة معتبر.

(ثُمَّ أَرْسَلَنِي) أي أطلقني.

(فَقَالَ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ [العلق: ١ – ٣])

❑ **فائدة (٩): أول ما نزل من القرآن:**

الذي ذهب إليه جماهير أهل العلم أن أول ما نزل من القرآن الآياتُ الأُولُ من سورة العلق، وهي قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ١–٥]، .

قال النووي: "هذا دليل صريح في أن أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ ﴾ وهذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف"(١) وأصرح من هذا الحديث، ما رواه الحاكم في "المستدرك" عن عائشة أيضـًا: أن أول ما نزل من القرآن ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾.

❑ **فائدة (١٠):أمة اقرأ متى تقرأ ؟**

تخيل أن أن أول كلمة أنزلها الله في دستورنا الكريم هي كلمة "اقرأ" لأن القراءة هي وسيلة العلم والإيمان والثقافة، ولولا القراءة لم يتعلم الإنسان ولم يحقق الحكمة من وجوده على هذه الأرض وهي عبادة الله وطاعته وعمارة هذه الأرض.

كما أنها من أقوى الأسباب لمعرفة الله سبحانه وتعالى وعبادته وطاعته

---

(١) شرح مسلم.

وطاعة رسوله ، وسبب لاكتساب الأخلاق الحميدة والصفات العالية والسلوك المستقيم وسبب لمعرفة الإنسان لما ينفعه ولما يضره في هذه الحياة، وسبب لرفعة الإنسان في هذه الدنيا وفي الآخرة قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة:١١]

والقراءة هي التي تنقلنا من عالم ضيق محدود الأفق إلى عالم آخر أوسع أفقًا وأبعد غاية، وأمة لا تقرأ أمة لا تعرف حاضرها من مستقبلها ، أمة لا تأخذ عبرة من ماضيها ، ولا تمتد جذورها إلى أصولها ، أمة لا تقرأ أمة قد ماتت وكبر الناس عليها أربعـًا، ومع ذلك أمة اقرأ لا نقرأ، وإذا قرأت لا تقرأ المفيد من الكتب إلا من رحم الله، تكتب إحدى الجامعات في عالمنا العربي تقريراً مؤكدةً أن ٧٢٪ من خريجي الجامعات يتخرجون دون أن يقوموا باستعارة كتاب واحد من مكتبة الجامعة! ومن يقرأ من شبابنا وبناتنا لا يهتم – إلا من وفقه الله – إلا بكتب القصص والمغامرات والروايات الغرامية وفن الطهي ، ونحو ذلك.

فمتى نقرأ لنرتقي؟ متى نقرأ كتاب ربنا بتدبر؟ متى نقرأ ما نتعلم به دينَنا؟ متى نقرأ ما يقربنا من ربنا؟ (١)

❒ فائدة (١١): الوحي حقيقة ،وإعجاز:

الوحي معجزة خارقة للسنن الطبيعية، حيث أُوحي إلى النبي ﷺ القرآن الذي هو كلام الله، وقد ترتب عليه جميع حقائق الدين بعقائده وتشريعاته وأخلاقه، ولذلك اهتم المستشرقون والمشركون من قبلهم بالطعن والتشكيك

(١) اقرأ: القراءة المثمرة: د عبدالكريم بكار، والقراءة النافعة: محمد موسى الشريف، كيف تقرأ كتابـًا: المنجد.

في حقيقة الوحي، وحاولوا أن يُحرِّفوا ظاهرة الوحي عن حقيقتها وعما جاءنا في صحاح السنة الشريفة، وحدثنا به المؤرخون الثقات، فقائل يقول: حديث نفس، وآخر يقول: إشراق روحي وإلهام، **ولا زال** مثل ذلك يتردد على ألسنتهم، والحقيقة تتكلم قائلةً: إن رسول الله ﷺ، وهو في غار حراء فوجئ بجبريل أمامه يراه بعينيه، وهو يقول له اقرأ، حتى يتبين أن ظاهرة الوحي ليست أمراً ذاتياً داخلياً مرده إلى حديث النفس، وإنما هو استقبال وتلقٍ لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس والإلهام، ثم إن ضم جبريل إياه وإرساله ثلاث مرات قائلاً في كل مرة: اقرأ، يعتبر تأكيداً لهذا التلقي الخارجي، ومبالغة في نفي ما قد يُتصور من أن الأمر لا يعدو كونه خيالاً أو حديث نفس، مما يدعيه محترفو التشكيك في الإسلام والتلبيس على المسلمين، من أعداء الإسلام ومن سار وراءهم.

(**فَرَجَعَ بِهَا**) أي بهذه الآيات.

قوله (**رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ**) وفي رواية مسلم: "تَرجُف بوادرُه" جمع بادرة وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تضطرب عند فزع الإنسان لما فاجأه من الأمر المخالف للعادة والمألوف.

(**فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**) من التزميل وهو التلفيف أي لفوني بالثياب وغطوني بها، وقال ذلك لشدة ما لحِقه من هول الأمر وشدة الضغط، والعادة جارية بسكون الرِّعدة بالتلفُّف.

(**فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**) أي الموت من شدة الرعب أو المرض أو غيرهما.

❐ **فائدة (١٢): في سبب خشيته ﷺ:**

قال القرطبي رحمه الله: "لقد خشيت على نفسي" اختلف في سبب هذه الخشية

وفي زمانها فقيل كانت عند رؤية التباشير وسمع الصوت قبل لقاء الملك وعند هذا يجوز أن يكون شك في حاله ولم يتحقق مآله وأما بعد مشافهة الملك وسماعه منه ما أخبره به وما قرأ عليه فلا يتصور في حقه شك في رسالته بوجه من الوجوه وإن كانت الخشية حصلت منه في هذا الحال فيحتمل أن كانت من ضعفه عن القيام بأعباء النبوة والرسالة وأنه لا يقدر عليها ويحتمل أن يكون خوفه من مباعدة قومه له ونفارهم عنه فيكذبونه ويؤذونه ويقتلونه وهذا في أول أمره قبل أن يعلم بمآل حاله وأن الله يعصمه من الناس وقول خديجة يشعر بهذا والله سبحانه وتعالي أعلم" (١)

(**فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ! مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا**) أي لا يفضحك الله أبداً ولا يهينك، بل لَيُثبتنَّك الله حتى لا ينسب إليك الكذب أو السوء فيما قلته، وفي رواية "ما يُحزنُك" أي ما يوقع بك ما تخافه من ذلك، وقولها " أبداً" أي في حال من الأحوال أو زمن من الأزمان المستقبلة، وهذا من خديجة تثبيتٌ وتأنيس له ﷺ، ثم انظر تعليلَ خديجة رضي الله عنها لتبشيرها وتثبيتها لزوجها.

(**إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ**) بما توصلُ به، من زيارة وصدقة ومواساةٍ، ونحوها.

(**وَتَحْمِلُ الكَلَّ**) بفتح الكاف وتشديد اللام وهو الذي لا يستقل بأمره أو الثِّقْل بكسر الثاء وإسكان القاف، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾، ويدخل فيه اليتيم والضعيف والمسافر الذي أصابه الإعياء في الطريق ونحوهم، وحَمْلُ هؤلاء بالإنفاق عليهم وقضاء حاجاتهم.

---

(١) المفهم.

(**وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ**) أي تصير الفقير غنيًّا بعطاياك الوافرة.(١)

(**وَتَقْرِي الضَّيْفَ**) أي تكرمه بما عندك.

(**وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ**) أي حوادثه جمع نائبة وهي الحادثة فيدخل فيه النوائب التي تتعرض للأغنياء من أداء دين أو دية أو قيام بوليمة، والمقصود أن جودَه ﷺ وصل للفقير والغني وعم كل الناس، وقُيدت النوائب بالحق لأنها قد تكون في الحق والباطل كأداء دَينٍ من استدان لشرب الخمر ونحو ذلك، ولذلك أضافتها إلى الحق.

وفي رواية مسلم: "وتَصدُق الحديث".

❐ فائدة (١٣): فضل الزوجة الصالحة:

الزوجة الصالحة خير متاع هذه الحياة، كما قال ﷺ: "الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا الزوجة الصالحة"(٢)، فالزوجة لها دورٌ عظيم في نجاح زوجها في مهمته في هذه الحياة، وعونٌ له في الشدائد، وكم ثبت من رجال في أعسر المواقف بسبب زوجات لهم صالحات، وأمُّنا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت مثالا للزوجة الصالحة التي تعين زوجها، وتقف إلى جانبه، وتفرج همَّه بكلمة طيبة وموقف حسن، وتُعدد محاسنه، وقد اتضح ذلك في وقوفها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بجانب النبي ﷺ وهو يواجه الوحي أول مرة، وما قامت به مع رسول الله ﷺ في حياتها كلها، وورد في فضل خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال للنبي ﷺ: "هذه خديجة أقْرئها

---

(١) الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة.

(٢) رواه مسلم.

السلام من ربها، وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب [لؤلؤ أو ذهب]، لا صخب فيه ولا نَصَب" (١)، وفيه بيان فضل خديجة رضي الله عنها، وكمال عقلها، وجزالة رأيها، وقوة نفسها، وثبات قلبها وعظم فقهها، فهي أم المؤمنين، سيدة أهل الجنة، أحبها النبي صلى الله عليه وسلم حبا كبيرا ولم يتزوج عليها وكان يذكرها بعد موتها ويتعاهد أحبائها، وحسبك قول النبي صلى الله عليه وسلم: **" أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون"**.(٢)

❐ فائدة (١٤): هذه أخلاق الحبيب يا محب:

صلة الرحم، وصدق الحديث، وحمل الكَلّ، وإكساب المعدوم، وقَريُ الضيف، والإعانة على نوائب الحق، تخيل هذه أخلاق حبيبنا صلى الله عليه وسلم، قبل البعثة، قبل أن تستضيء حياته بنور الوحي، فكيف بعد ذلك؟ ألا فليقتدِ المؤمنون، وليهتدِ المحبون.

❐ فائدة (١٥): صنائع المعروف تقي مصارع السوء:

سنة من سنن الله جارية في الكون، فهمتها خديجة رضي الله عنها قبل أن يأتي بها الوحي، وهذا هو الذي حملها على القسم قائلة: **" والله لايخزيك الله أبداً"** ثم نطق بها النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك قائلاً: **" صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات...."**(٣)

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أحمد، وصححه الألباني في الصحيحة، وصحيح الجامع.

(٣) أخرجه الحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

❑ فائدة (١٦): مدح الإنسان في وجهه:

ونستفيد من ذلك جواز مدح الإنسان في وجهه ـ بما فيه ـ وذلك للمصلحة من تشجيع أو تبشير، أو تأنيس، أو نحوها.

(فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى – ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ – وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ) أي دخل دِين عيسى ـ قبل أن يُبدَّل ـ، بعد البحث عن الحق، لمَّا كرِه ما عليه أهل الجاهلية.

(وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَكَانَ يَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ) وفي رواية مسلم: " وَكَانَ يَكْتُب الْكِتَاب الْعَرَبِيّ وَيَكْتُب مِنْ الْإِنْجِيل بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ الله تَعَالَى أَنْ يَكْتُب" قال الإمام النووي: " وَكِلَاهُمَا صَحِيح. وَحَاصِلهمَا أَنَّهُ تَمَكَّنَ مِنْ مَعْرِفَة دِين النَّصَارَى بِحَيْثُ إِنَّهُ صَارَ يَتَصَرَّف فِي الْإِنْجِيل فَيَكْتُب أَيّ مَوْضِع شَاءَ مِنْهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ إِنْ شَاءَ وَبِالْعَرَبِيَّةِ إِنْ شَاءَ، وَاَللَّه أَعْلَم "(١)

(وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ) أي فقد بصره لكبر سنه وهذه جملة أكدت تحقق علمه وزيادة عقله بطول التجارب وكثرة ممارسة العلم وأهله.

(فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ! اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ)

❑ فائدة (١٧): أصول الأخلاق، أو الأصول والأخلاق:

لم تحكِ خديجةُ أمر النبي ﷺ مع معرفتها به، وصعوبة موقفه، وأحالت عليه الكلام، قائلةً لابن عمها: اسمع من ابن أخيك، في هذا من حسن الأدب ما

---

(١) شرح مسلم.

فيه، فالمرأة لا تتجاسر بالحديث في وجود رَجُلِهَا، بل في وجود الرجال، إلا لحاجة تستدعي ذلك، فكيف إذا كان صاحب القضية والحاضر فيها هو أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء ومن أوتي جوامع الكلم وتستحيي الألسنة أن تتفوه بكلمة عند حضوره المعظم ﷺ.

(فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي! مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى) وَهُوَ جِبْرِيل ﷺ قَالَ أَهْل اللُّغَة وَغَرِيبِ الْحَدِيث: النَّامُوس فِي اللُّغَة صَاحِب سِرّ الْخَيْر، وَالْجَاسُوس صَاحِب سِرّ الشَّرّ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام يُسَمَّى النَّامُوس، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ الْمُرَاد هُنَا، قَالَ الْهَرَوِيُّ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الله تَعَالَى خَصَّهُ بِالْغَيْبِ وَالْوَحْي.(١)

❐ فائدة (١٨): فإن قيل: لماذا ذكر ورقةُ "موسى"، ولم يذكر "عيسى" مع أن ورقة كان نصرانيـًا؟

وقال: "الذي أُنزل على موسى" ولم يقل على عيسى مع كونه نصرانيـًا لأن كتاب موسى عَلَيْهِ السَّلَام مشتملٌ على أكثر الأحكام بخلاف عيسى، ولأن التوراة بالنسبة إلى الإنجيل أصل، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الجن:٣٠] ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾

---

(١) باختصار من شرح النووي على مسلم.

[آل عمران: ٥٠] أو قاله تحقيقـاً للرسالة، لأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتاب، بخلاف عيسى فإن كثيرا من اليهود ينكرون نبوته.

(**يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا**) يُعْنَى يا ليتني شَابًّا قَوِيًّا حَتَّى أُبَالِغ فِي نُصْرَتك.

(**لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ، إِلَّا عُودِيَ،**)

❐ **فائدة (١٩): الإخراج والتكذيب والإيذاء سنة جارية مع الأنبياء وورثتهم.**

ونستفيد من ذلك أن التكذيب والإخراج والإيذاء سنة من سنن الأمم مع من يدعوهم إلى الله عز وجل، وقد ظهر هذا المعنى بصورة جلية من قوله ﷺ: "أوَ مخرجي هم ؟ "، وقول ورقة بن نوفل: "لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي"، ولقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى في آيات كثيرة، كما قال تعالى عن قوم لوط: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦ ﴾ [النمل:٥٦]، وعن قوم شعيب:﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ۝٨٨ ﴾ [الأعراف:٨٨]، وقال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٣ ﴾ [إبراهيم:١٣]

(**وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا**) أى قويـاً بالغـاً.

❐ **فائدة (٢٠): فضل ورقة بن نوفل:**

وفيه بيان فضل ورقة بن نوفل، وقد قال ﷺ: **" لا تسبوا ورقة بن نوفل فإني**

قد رأيت له جنة أو جنتين ".[١]

وروى الحافظ أبو يعلى عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل ؟ فقال: قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس، وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل ؟ فقال: يبعث يوم القيامة أمة وحده، وسئل عن أبي طالب ؟ فقال:أخرجتُه من غمرة من جهنم إلى ضحضاح منها، وسئل عن خديجة لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن ؟ فقال: أبصرتها على نهر في الجنة في بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب" إسناده حسن ولبعضه شواهد في الصحيح، والله أعلم.[٢]

❐ فائدة (٢١): نُصرة المظلوم، والوقوف بجانب الحق، واجب شرعي وإنساني:

ونعني بالنصرة تلك الغيرة الإيمانية التي تدفع المسلم لرفع الظلم عن أخيه المسلم المستضعف، أو لمدّ يد العون إليه.

فليس من شأن المسلم أن يرتضي لنفسه إيقاع الظلم بأخيه، أو أن يدع أخاه فريسة بيد ظالم يذله، ورسول الله ﷺ يقول: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربةً فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة".[٣]

---

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) صحيح السيرة النبوية: الألباني.

(٣) رواه البخاري.

إن الأمة التي لا تنتصر للضعفاء ولا يؤخذ فيها على أيدي الظالمين أمة غير جديرة بنصرة الله ومعيته وتطهيره لها من الآثام، عن جابر بن عبد الله ﵁ قال: لما رَجَعَت إلى رسول الله ﷺ مُهَاجِرةُ البحر، قال: "ألا تُحَدِّثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟"، قال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحن جلوس مرَّت بنا عجوز من عجائز رهابينهم، تحمل على رأسها قُلَّةً من ماء، فمرَّت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثمَّ دفعها، فخرَّت على ركبتيها، فانكسرت قلَّتها، فلمَّا ارتفعت، التفتت إليه، فقالت: سوف تعلم - يا غُدر- إذا وضع الله الكرسيَّ، وجمع الأولين والآخرين، وتكلَّمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا، فقال رسول الله ﷺ: **"صَدَقَت صَدَقَت، كيف يقدِّس الله أمَّة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟"**.(١)

والقائم بحق النصرة أو المتخاذل عنها؛ كل منهما يلقى ثمرة ذلك في الدنيا والآخرة، جزاء وفاقًا كما قال ﷺ: "ما من امرئٍ يخذل امرءًا مسلمًا عند موطن تُنتهَك فيه حُرمتُه، ويُنتَقَص فيه من عِرضه، إلا خذله الله عز وجل في موطن يحب فيه نُصرته، وما من امرئٍ ينصر امرءًا مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه، ويُنتهك فيه من حرمته إلاَّ نصره الله في موطن يحب فيه نصرته". (٢)

(ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ)

❐ فائدة (٢٢): النية الصادقة أبلغ من العمل:

تُوفي ورقةُ دون أن ينال شرف نصرة محمدٍ ﷺ عمليًا، لكنه نالها بنيته

---

(١) رواه ابن ماجه، وابن حبان، وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد وحسنه الألباني في الصحيحة، وصحيح الجامع.

الصادقة، فالموت قد حبسه، والنبي ﷺ لما رجعَ من غزوة تبوك فدنا من المدينة، قال: " "إن بالمدينة أقوامًا، ما سِرتُم مسيرًا، ولا قطعتُم واديًا إلا كانوا معكم". قالوا: يا رسول الله! وهم بالمدينةِ؟ قال: "وهم بالمدينة، حبسَهم العذر"[١] وفي صحيح مسلم عن سهل بن حُنَيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: **"من سأَلَ الله الشهادةَ بصدقٍ، بلَّغَه الله منازلَ الشهداءِ، وإن ماتَ على فراشِه"**، وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيّ ﷺ قال: **"من أتى فراشَه وهو ينوي أن يقومَ يُصلِّي من الليلِ فغلبته عيناه حتى أصبح كُتِب له ما نوى وكان نومُه صدقةً عليه من ربِّه عز وجل "** [٢]

فكم فاتنا من الخير بسبب عدم استحضار مثل هذه النوايا الصالحة، فعلينا أن نتفقد قلوبنا، ونجتهد في إصلاح نياتنا.

(وَفَتَرَ الوَحْيُ) أي انقطع مدةً من الزمان.

❐ **فائدة (٢٣): فإن قيل: ولماذا فتر الوحي؟**

الجواب: ليذهب ما كان ﷺ قد وجده من الرَّوع، وليحصل له التشوف إلى العود.

"أما مدة فترة الوحي فاختلفوا فيها على عدة أقوال، والصحيح أنها كانت أيامًا، وقد روى ابن سعد عن ابن عباس ما يفيد ذلك، وأما ما اشتهر من أنها دامت ثلاث سنين أو سنتين ونصف فليس بصحيح"[٣]، وأما ما جاء بلاغًا أنه

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه النسائي، وابن ماجه، وابن حبان، وصححه الألباني.

(٣) الرحيق المختوم.

ﷺ حزن حزنًا جعله يغدو ليتردى من شواهق الجبال، وأن جبريل عليه السلام كان يظهر له في كل مرة ويبشره بأنه رسول الله، فمرسل ضعيف، كما أنه يتنافى مع عصمة النبي ﷺ، ومجرد ذِكر هذه الرواية "المرسلة" في الصحيح لا يعني أنَّها صحيحة؛ وذلك لأنَّ البخاريَّ اكتفى بكون الراوي صرَّح أنَّها بلاغ، ولو لم يصرِّح لبيَّن البخاريُّ ضعفَها كما فعل ذلك في مواضع من صحيحه.

❐ فائدة (٢٤): إنه حدثٌ عظيم.

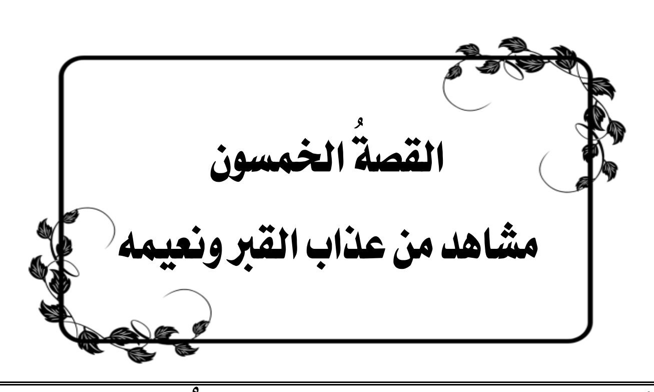
يصوره صاحب الظلال قائلاً: "إنه حادث ضخم، ضخم جدًا، ضخم إلى غير حد، ومهما حاولنا اليوم أن نحيط بضخامته، فإن جوانب كثيرة منه ستظل خارج تصورنا!

إنه حادث ضخم بحقيقته، وضخم بدلالته، وضخم بآثاره في حياة البشرية جميعًا، وهذه اللحظة التي تم فيها هذا الحادث تعد - بغير مبالغة- هي أعظم لحظة مرت بهذه الأرض في تاريخها الطويل.

ما حقيقة هذا الحادث الذي تم في هذه اللحظة؟

حقيقته أن الله جل جلاله، العظيم الجبار القهار المتكبر، مالك الملك كله، قد تكرم -في عليائه- فأراد أن يرحم هذه الخليقة المسماة بالإنسان، القابعة في ركن من أركان الكون، لا يكاد يُرى اسمه الأرض، وكرَّم هذه الخليقة باختيار واحد منها ليكون ملتقى نوره الإلهي، ومستودع حكمته، ومهبط كلماته، وممثل قدره الذي يريده - سبحانه - بهذه الخليقة.. "

فاللهم يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث أصلح لنا شؤوننا كلها ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين



القصةُ الخمسون

مشاهد من عذاب القبر ونعيمه

عَنْ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يُكثرُ أَنْ يَقُولَ لأَصْحَابِهِ: "هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ " فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: "إِنِّي أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الْحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبُ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ قَالَ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ، وَأَصْوَاتٌ، فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا، قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ، حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَحْمَرُ مِثْلُ الدَّمِ، وَإِذَا فِي

النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ الْحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ، فَغَرَ لَهُ فَاهُ، فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا، قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمِرْآةِ، أَوْ كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْأًى، فَإِذَا هُوَ عِنْدَ نَارٍ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتِمَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نُورِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ وَمَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا إِلَى دَوْحَةٍ عَظِيمَةٍ، لَمْ أَرَ دَوْحَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَا أَحْسَنَ! قَالَا لِي: ارْقَ فِيهَا، فَارْتَقَيْنَا فِيهَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ، وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ!. وَشَطْرٌ مِنْهُمْ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ! قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، وَإِذَا هُوَ نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا، وَقَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ، فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ، قَالَا لِي: مَنْزِلُكَ، قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا، فَذَرَانِي فَأَدْخُلُهُ، قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ، قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةَ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ هُمْ

فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ، وَيُلْقَمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ الْمِرْآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا، وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَفِي رِوَايَةَ الْبُرْقَانِي: وُلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ" وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أَخرَجَهُ البخارِيُّ، وَأَحْمَدُ.

(كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ لأَصْحَابِهِ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟)

❐ فائدة (١): فإن قيل: لماذا يكثر رسول الله أن يسأل أصحابه في ذلك؟

الجواب: وذلك لأنها [أي الرؤيا] آثار نبوةٍ في الجملة، فكان يحب أن يشهدها في أمته، والناس في غاية من الجهل بهذه المرتبة التي كان المصطفى ﷺ يعتني بها ويسأل عنها كل يوم، وأكثرهم يهزأ بالرائي إذا رآه يعتمد الرؤيا.(١)

❐ فائدة (٢): من أحكام الرؤيا:

لما كثرت عناية النبي ﷺ بالرؤى، كان لابد للمسلم من معرفة أحكامها، حتى لا يقع فيما لا يَحمد عقباه:

١ـ حقيقة الرؤيا:

---

(١): فيض القدير شرح الجامع الصغير: للمناوي.

قال القرافي في الفروق: هي "مَا يَنْقُلُهُ مَلَكُ الرُّؤْيَا مِنْ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فَإِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ، وَكَّلَ مَلَكًا بِاللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ يَنْقُلُ لِكُلِّ أَحَدٍ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ لَا يَتْرُكُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ ذَكَرَهُ مَنْ ذَكَرَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ"

وقال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: " فالرؤيا أصله حق جاء من عند الحق يخبر عن أنباء الغيب و هو من الله تعالى تأييد لعبده بشرى و نذارة و معاتبة ليكون له فيما ندب له و دعي إليه عونا وقد وكل بالرؤيا ملك يضرب من الحكمة الأمثال و قد اطلع على قصص ولد آدم من اللوح فهو ينسخ منها و يضرب لكل على قصة مثله فإذا نام و خرجت نفسه تمثل له تلك الأشياء على طريق الحكمة لتكون له بشرى أو نذارة أو معاتبة ليكونوا على بصيرة من أمورهم"

٢ـ اعلم أن مما يُبشر بخير أو يُنذر بشر: الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن أو تُرى له؛ قال الله عز وجل: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤]، سأل أبوالدرداء رسولَ الله ﷺ عن قوله تعالى:﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ فقال: "ما سألني عنها أحدٌ غيرك منذ أُنزلت، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو تُرى له"(١)، وقد قال النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة عند البخاري: "لم يبقَ بعدي من النبوة إلا المبشراتُ" قالوا: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال:

(١) صحيح سنن الترمذي.

"الرؤيا الصالحة".

٣ـ الرؤيا ثلاثة أنواع، كما روى مسلمٌ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: "إذا اقترب الزمان لم تكدْ رؤيا المسلم تكذِب، وأصدقُكم رؤيا أصدقُكم حديثًا، ورؤيا المسلم جزءٌ من خمس وأربعين جزءًا من النبوَّة، والرؤيا ثلاثةٌ: فالرؤيا الصالحة بُشرى مِن الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا ممَّا يُحدِّث المرءُ نفسَه، فإن رأى أحدُكم ما يكره فليقُم فليُصَلِّ، ولا يُحدِّث بها الناس"

٤ـ الفرق بين الرؤيا والحلم:

• قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الرؤيا والحلم بمعنًى واحدٍ، غير أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصَّ الخير باسم الرؤيا، والشرَّ باسم الحلم" (١)

• قال الإمام ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "الرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشرِّ والقبيح" (٢)، واعلم أن الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، وسيأتي دليل ذلك.

٥ـ ماذا يصنع من رأى ما يكره؟

روى البخاري ومسلمٌ عن أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: "الرؤيا من الله، والحلم مِن الشيطان، فإذا حلم أحدُكم الحُلْم يكرهه فلْيَبْصُقْ عن يساره، وليَسْتعِذْ بالله منه، فلن يضُرَّه"

---

(١) عمدة القاري؛ بدر الدين العيني.

(٢) النهاية في غريب الحديث؛ لابن الأثير.

و"أضاف النبي ﷺ الرؤيا المحبوبة إلى الله تعالى إضافةَ تشريفٍ، بخلاف الرؤيا المكروهة، وإن كانتا جميعًا من خلْق الله تعالى وتدبيره وبإرادته، ولا فعل للشيطان فيهما، لكن الشيطان يحضر المكروهة ويرتضيها ويسرّ بها"(١)

٦ـ احذر أن تُخبر الناس بما رأيت من مكروه، ولا بما رأيت من خير إلا لمُحب:

فقد روى البخاري عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: "إذا رأى أحدُكم رؤيا يحبُّها، فإنما هي مِن الله، فليحمد الله عليها، وليُحدِّث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكرَه فإنما هي من الشيطان، فليستعِذ من شرِّها، ولا يذكُرها لأحد، فإنها لا تضُرُّه"

وروى البخاري عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يُحبُّ فلا يُحدِّث به إلَّا مَنْ يُحبُّ، وإذا رأى ما يكره فليتعوَّذ بالله من شرِّها، ومن شرِّ الشيطان، وليتفُل ثلاثًا، ولا يُحدِّث بها أحدًا، فإنها لن تضُرَّه"

• "قوله: "لا تضره": معناه أن الله تعالى جعل هذا سببًا لسلامته من مكروه يترتَّب عليها، كما جعل الصدقة وقايةً للمال وسببًا لدفع البلاء" (٢)

وفي صحيح مسلمٌ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، قال: " **إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليبصق عن يساره ثلاثًا، وليستعِذْ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحوَّل عن جنبه الذي كان عليه"**.

---

(١) شرح مسلم للنووي.

(٢) شرح النووي على مسلم.

وفي صحيح مسلمٌ عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، رأيت في المنام كأن رأسي قُطِع، قال: فضحك النبي ﷺ، وقال: "**إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه، فلا يُحدث به الناس**".

وفي صحيح الترمذي، قال ﷺ: " "**لا تقصَّ الرؤيا إلا على عالمٍ أو ناصح**"، لأن الأمر كما قال ﷺ: "**الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ، مَا لَمْ تُعْبَرْ، فَإِذَا عُبِرَتْ وَقَعَتْ**"(١)، ومعنى أنها "على رجل طائر" أي كأنها معلقة بطائر، وهذا مجرد مثل، والمراد أنها لا تستقر قرارها.

٧ـ الوقاية من الأحلام المكروهة والمخيفة:

من أحب أن يتوقى الأحلام المكروهة والمخيفة، فليتأدب بآداب النوم، من الوضوء قبله، والنوم على الجانب الأيمن، وقراءة آية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، وجمع الكفين وقراءة "قل هو الله أحد"، و"قل أعوذ برب الفلق"، و"قل أعوذ برب الناس"، ثم ننفث في الكفين، ثم نمسح بهما الرأس والوجه وباقي الجسم، مع أدعية النوم المعرفة في مظانها.

٨ـ الرُّؤيا الصالحة لا يستنبط منها أحكام شرعية، ولا أحكام على الخلق، ولا يَسَوغُ العَمَلُ بها، إلاَّ إذا وافَقَت نصَّـًا شرعيَّـًا، فالعبرةُ بالنصِّ لا بالرُّؤيا.

٩ـ المؤمن قد يَرَى رَبَّه تباركَ وتعالى في الْمَنَام بحَسَبِ إيمانهِ، وليسَ في ذلكَ نقْصٌ ولا عَيْبٌ؛ لأنَّ اللهَ ليسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ، كَمَا بَسَطَ هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، ورُؤيةُ النبيِّ ﷺ في المنامِ تكونُ حَقَّـًا وصِدْقَـًا إذا كانت على صُورتِهِ المعروفةِ، والقولُ بإمكانِ رُؤيتهِ ﷺ بعدَ مَوْتهِ يَقَظَةً في الحياةِ الدُّنيا باطلٌ

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وأحمد، وغيرهم، وصححه الألباني.

شَرْعًا وعَقْلاً.

١٠ـ الحذر مِن الكَذِبِ في الرُّؤيا، فذلك كبيرةٌ مِن كبائر الذنوب، لأنهُ كَذِبٌ على اللهِ أنه أَرَاهُ ولَمْ يُرِه، وقد جاءَ الوعيدُ الْمُغلَّظُ في ذلكَ، كقوله ﷺ: "إنَّ مِنْ أَفْرَى الفِرَى أنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ ما لَمْ تَرَ"، وقال: "مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لمْ يَرَهُ كُلِّفَ أنْ يَعْقِدَ بينَ شَعِيرَتَيْنِ" (١)

(**فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ**) أي يحكون له، ويُأَوِّل لهم.

(**وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: "إِنِّي أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ**) أي في النوم.

(**وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ**) وفي رواية: أنه كان جالسًا، ولا تنافي لكونه في العذاب، فهو مضطرب فتارة يجلس وأخرى يضطجع.

(**وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ**) قال ابن الأثير: الثلغ أن تضرب بالشيء اليابس على الرطب فيشدخه، (٢) والشدخ: ضرب الشيء وكسره إلى جوفه، وفي رواية قال: "فمررت على ملك وأمامه آدمي وبيد الملك صخرة يضرب به هامة الآدمي" (٣)

(**فَيَتَدَهْدَهُ الْحَجَرُ هَا هُنَا**) يتدحرج من جهة الضرب.

(**فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ**) أي يأخذ الضارب الحجرَ مرة أخرى.

---

(١) متفق عليهما.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر.

(٣) فتح الباري.

(**فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ**) وفي رواية: يلتئم، وفي رواية: "فيقع دماغه جانبًا وتقع الصخرة جانبًا"(١)

(**ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانَ؟**) أي من هذا الضارب، ومن هذا المعذَّب المضروب؟

(**قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ**) كالنائم على ظهره.

(**وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ**) الكلوب: حديدة مُعْوجَّةُ الرأس.

(**وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ**) أي: يقطعه ويشقه، وفي رواية: "فيشق" بدل يشرشر، والشدق بكسر الشين: أحد جانبي الفم.

(**إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبُ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ، فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ**) اللغط: الأصوات المختلطة.

(**وَأَصْوَاتٌ، فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا**) أي صاحوا.

(**قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ، حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَحْمَرُ مِثْلُ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَاطِئِ**

---

(١) فتح الباري.

النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ الْحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ) أي يفتحه له.

(فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا) أي يرجمه بالحجر داخل فمه.

(فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ، فَغَرَ لَهُ فَاهُ، فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا، قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقِ انطَلِقْ، فَانطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمِرْآةِ) أي المنظر.

(أَوْ كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْأًى، فَإِذَا هُوَ عِنْدَ نَارٍ يَحُشُّهَا) أيْ: يوقِدُها.

(وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتِمَةٍ) أي طويلة النبات، فصار لونها مقارباً للسواد، من طوله وكثرته.

(فِيهَا مِنْ كُلِّ نَورِ الرَّبِيعِ) النَّوَر بفتح النون: الزهر.

(وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ) أي بينها، أو في وسطها.

(رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ،) أي ما رأيت ولداناً قط أكثر منهم.

(قُلْتُ: مَا هَذَا؟ وَمَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا إِلَى دَوْحَةٍ عَظِيمَةٍ) أي شجرة كبيرة.

(لَمْ أَرَ دَوْحَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَا أَحْسَنَ! قَالَا لِي: ارْقَ فِيهَا، فَارْتَقَيْنَا فِيهَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ، وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ!. وَشَطْرٌ مِنْهُمْ

كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ! قَالَا لَهُمُ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، وَإِذَا هُوَ نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي) أي يجري عرْضـاً.

(كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ) أي بياضه بياضـاً خالصـاً تامـاً.

(فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا، وَقَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ، فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا) أي ارتفع بصري جداً.

(فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ) الربابة: السحابة.

(قَالَا لِي: مَنْزِلُكَ، قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا، فَذَرَانِي فَأَدْخُلُهُ، قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ) إشارة إلى أن هذه رؤيا، لم يحِنْ تحقيقها بعد.

(قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةَ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ) أي يتركه ويهمله، ويهمل العمل به.

(وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ) أي يُهملها، ويُخرجها عن وقتها.

❐ فائدة (٣): عقوبة من هجر القرآن، وأهمل الصلاة، في قبره:

فهذه عقوبةُ مَن ترَكَ العملَ بكتاب الله، وقصَّر في الصلاة، أن يوكَّل به ملَك يضربه بحجر في رأسه، ويبلغ ضربُه جوفَ الرأس، بصورة متكررة، كلما الْتَأَم جُرْحُ الرأس، عاد عليه العذاب، وفي هذا تحذير من هذين الذنبين الكبيرين، فإن الوقوع فيهما شقاءٌ في الدنيا، وعذابٌ أليمٌ بعد الموت.

❐ فائدة (٤): فإن قيل: ما مناسبة هذه العقوبة لهذه الذنوب؟

الجواب: قال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: جُعِلت العقوبة في رأس هذا: لنومه عن

الصلاة؛ والنوم موضع الرأس، [١]، وكذلك القرآن ينظر الرجل إليه بعينيه، ويتعقله برأسه، وهذا هو مفتاح العمل به، فكانت العقوبة في محل الإثم، والجزاء من جنس العمل.

❐ **فائدة (٥): خطر هجر القرآن:**

حسبك أن النبي ﷺ شكا ربه أولئك الذين هجروا القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠]، فواخجلتاه يا رسول الله! فما أشدَّ كربَنا! وأعمقَ حزنَنا! وأقسى حسرتَنا وأسانا! أن نكون يومًا شكواك، وأي يوم؟! إنه يوم القيامة، وما أدراك ما يوم القيامة!

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هَجْرُ القرآنِ أنواع: **أحدها**: هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه، **والثَّاني**: هجر العمل به، والوقوف عند حلاله وحرامه، وإنْ قرأه وآمن به، **والثَّالث**: هجر تحكيمه والتَّحاكم إليه في أصول الدِّين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأنَّ أدلَّته لا تفيد اليقين، وأنَّ أدلَّته لفظيةٌ لا تحصِّل العلم، **والرَّابع**: هجر تدبُّره وتفهُّمه ومعرفة ما أراد المتكلِّم به منه، **والخامس**: هجر الاستشفاء والتَّداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها؛ فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التَّداوي به، وكلُّ هذا داخلٌ في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ ﴾ [الفرقان: ٣٠]، وإنْ كان بعض الهَجْر أهون من بعض" [٢]

---

(١) ينظر: فتح الباري.

(٢) الفوائد.

وجاء في فتاوى اللَّجنة الدَّائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ما نصُّه: "والإنسان قد يهجر القرآن فلا يؤمن به ولا يسمعه ولا يُصغي إليه، وقد يؤمن به ولكن لا يتعلَّمه، وقد يتعلَّمه ولكن لا يتلوه، وقد يتلوه ولكن لا يتدبَّره، وقد يحصل التدبُّر ولكن لا يعمل به، فلا يُحِلَّ حلالَه ولا يُحرِّم حرامه، ولا يُحكِّمه ولا يتحاكم إليه، ولا يَستشفي به ممَّا فيه من أمراضٍ في قلبه وبدنه، فيحصل الهجر للقرآن من الشَّخص بقدر ما يحصل منه من الإعراض"(١)

وقد قال ﷺ: " **كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الْهُدَى وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ** " (٢)

❑ فائدة (٦): خطر ترك الصلاة أو التفريط فيها:

تارك الصلاة على خطر عظيم، وهو مرتكب لذنب أعظم من الزنى والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس بإجماع العلماء، ثم إن من أهل العلم من يرى مع ذلك أنه كافرٌ خارج من الملة، ومنهم من يرى أنه شر الفساق وأنه يخشى عليه إن لم يتب أن تسوء خاتمته ويموت على غير الملة والعياذ بالله، فقد قال ﷺ لأبي الدرداء: ".... **وَلَا تَتْرُكَنَّ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ مُتعَمِّدًا، وَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ**...." (٣)، وعن جَابِرِ بن عبد اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول " **بين الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ** " (٤)

وحسبك أنها أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة، كما جاء في حديث أبي

(١) فتاوى اللَّجنة الدَّائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السُّعودية.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، وحسنه الألباني.

(٤) رواه مسلم.

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: " **إن أَوَّلَ ما يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يوم الْقِيَامَةِ من عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ** " (١)

تنبيه: بعض الناس يتعمد ضبط الساعة إلى ما بعد طلوع الشمس حتى لا يصلي فريضة الفجر في وقتها، أو يتعمد ضبط الساعة على موعد عمله، ولا يراعي موعد صلاته، فهذا قد تعمد ترك الصلاة في وقتها، فهذا منكرٌ عظيم أكبر من النوم عن الصلاة المكتوبة.

أما من غلبه النوم حتى فاته الوقت، فهذا لا يضره ذلك، وعليه أن يصلي إذا استيقظ، ولا حرج عليه إذا كان قد غلبه النوم، أو تركها نسيانًا، مع فعل الأسباب التي تعينه على الصلاة في الوقت، وعلى أدائها في الجماعة، والله المستعان.

(**وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ**) وفي رواية: " قَالاَ الَّذِى رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ بِالْكَذْبَةِ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "

❐ **فائدة (٧): عقوبة الكذاب في قبره:**

فهذه عقوبة الكذابين في قبورهم، انْظُر إِلَى عذابهم، كَيْفَ تَنَاوَلَ مِنَ الْكَذَّابِ آلَةَ كَذِبِه وَمَوْضِعَ إِفْكِهِ؟!! وَكَيْفَ يُشَقُّ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، ثُمَّ يُثَنَّى بِالْآخَرِ، فَيَلْتَئِمُ الْأَوَّلُ، فَيُعَادُ عَلَيْهِ بِالشَّقِّ كَمَا صُنِعَ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَهَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ!!

---

(١) رواه سنن النسائي والترمذي وصححه الألباني.

قال ابن العربي: "شرشرة شدق الكاذب إنزال العقوبة بمحل المعصية"[1]، فالجزاء من جنس العمل، فَمَنْ لَا يَقْدُرُ الْكَلِمَةَ بَعْدَ ذَلِكَ قَدْرَهَا؟ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ لِلْكَلِمَةِ بَعْدَ ذَلِكَ شَأْنَهَا؟ فالمؤمن العاقل يحذر الكذب، ويحذر تصديقه، ويحذر نشره، والفاجر لا يحذر ذلك، ولا يبالي بما خرج من فمه مما يَحِلُّ به سخطُ الله.

وكانوا في القديم يصعب عليهم أن يتصوروا الإنسان يكذب الكذبة تبلغ الآفاق، لكن لما رؤيت هذه الشبكة العنكبوتية، وما يحصل فيها وما يقع على أرضها، وهذه المواقع التي جعلت الدنيا كالبيت الواحد، تُصُوِّر ذلك، فوجب على المؤمن الأبيّ أن يغتنم مثل هذه التقنية الحديثة في الدعوة إلى الله وبث الخير، ونشر المعروف.

❑ **فائدة (٨): من أخطر صور الكذب التي تبلغ الآفاق اليوم:**

ـ الكذب على الله جل جلاله، وقد يستغرب البعض قائلاً: هل يحصل ذلك؟ والجواب: نعم، فإن من يستخدم تلك الوسائل في تحليل الحرام أو تحريم الحلال، فهو أحد الكذابين الكبار، الذين تبلغ كذباتهم الآفاق، ألم تسمعوا إلى قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل:١١٧] فالكثير ـ هداهم الله ـ يتساهلون في هذا الأمر ويجعلون من أنفسهم مفتين دون علم، والفتوى لها أهلها، أهل الذكر والعلم، كما قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنبياء]

---

(١) انظر فتح الباري.

فاليوتيوب اليوم، وسائر المواقع صارت غاصة بهذا النوع من الكذب، فيأتي أحدهم ـ وهم كُثُر لا كثَّرهم الله ـ بالضعيف والموضوع والشاذ، ويكذب على الرسول ﷺ، وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: "من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار"، وقد تعددت الحكايات والأقوال المكذوبة على النبي ﷺ في هذه الوسائل، بل بعضهم يصيغها بعبارات مشوقة ويختمها بالعبارة المشهورة (انشر تؤجر) وكيف يؤجر من ينشر الكذب ويأتي بالأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ ويصورها للناس على أنها من الدين وما هي إلا تُرَّهَات وخزعبلات موضوعة ومكذوبة، ولهذا حري بغير المختص بالعلم الشرعي أن لا ينشر حديثاً إلا بعد التثبت من صحته من أهل العلم، وقد تعددت ولله الحمد الوسائل التي يعرف فيها الحديث الصحيح من غيره، وفي الأحاديث الصحيحة غُنية للمسلم في دينه وعلمه وعمله.

(وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ هُمْ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي) وفي رواية: "فإذا اقترب" أي ألسنة اللهب "ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا، فإذا خمدت" أي ألسنة اللهب "رجعوا" (١)

❐ فائدة (٩): عقوبة الزناة والزواني في القبر:

هذا عقوبة الزناة والزواني، في قبورهم، يجمعهم الله تعالى في مثل التنور، أعلاه ضيق، وأسفله واسع، ويأتي اللهب من الأسفل ثم يعلو بهم، وهم يصيحون ويصرخون، وهكذا إلى قيام الساعة، وهذا العذاب مناسبٍ لصنيعهم القبيح، فكون الزناة عراة لكشفهم العورة في الدنيا في الفاحشة، وانظر كيف انقلب ضحكهم وسهرهم صياحـًا وصراخـًا، وكما تنعمَّت أجسادهم في الدنيا

---

(١) رواه البخاري.

بتلك اللذة الرخيصة الزائفة، تعذبت تلك الأجساد جميعها كذلك، فالجزاء من جنس العمل، وإذا كان هذا في البرزخ المؤقت الذي سرعان ما ينتهي فكيف يكون عذابهم في نار جهنم؟ لا شك أنه سيكون أشد؛ لأن عذاب البرزخ أهون من عذاب النار، ففي البرزخ يعرضون على النار عرضًا أو تمسهم مسًا، لكن بعد القيامة يدخلونها دخولا، نسأل الله العفو والعافية.

فالواجب على من ابتلي بذلك أن يبادر بالتوبة والندم، وأن يقطع علاقته بأهل السوء، وأن يبتعد عن كل أسباب المعصية والإثم من الاختلاط، والنظر إلى النساء، وغير ذلك، فإن من تاب، تاب الله عليه، وبدل سيئاته حسنات، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠ ﴾ [الفرقان:٦٨- ٧٠]

(وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ، وَيُلْقَمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا) وفي رواية للبخاري: " فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ فَقُلْتُ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا"

❐ فائدة (١٠): عقوبة المرابين في قبورهم:

هذه عقوبة المرابين في قبورهم، يسبحون في نهرٍ من دم، حتى إذا بلغوا شاطِئه يُلقمون الحجارة في أفواههم، كما كانوا يأكلون الحرام فيه، فجزاؤهم من جنس أعمالهم، ثم يعودون يسبحون في ذلك النهر، حتى إذا بلغوا شاطئه، يُفعل بهم كما فُعل أول مرة، وهكذا إلى قيام الساعة.

وفيه التحذير من أكل الربا، وضرورة التوبة منه لمن سبق له أكله، فإن الله تعالى يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٦]، وقال بعدها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة:٢٨١]، وفي صحيح مسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: "لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ"

(**وَأَمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ الْمِرْآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا، وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ**) يعذِّب الناس بمنظره، والملائكة الغلاظ الشداد الذين هم أعوانه، وذلك لأهل النار نوعٌ من العذاب.

(**وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَفِي رِوَايَةِ الْبُرْقَانِي: وُلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ**) وفي هذا الحديث تصريح بأن أولاد المشركين مع أولاد المسلمين في الجنة، وقد سبق بحث هذه المسألة في القصة الثانية والأربعين.

❐ **فائدة (١١): فإن قيل: وما العلاقة بين الأولاد وإبراهيم عليه السلام؟**

الجواب: لأنه ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، وهي التوحيد، وأشهر

مَيزة في إبراهيم الخليل أنه كان حنيفًا، وأن الله تعالى ابتلاه بسنن الفطرة، كما قال تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الحج: ٧٨] وقال تعالى:﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ [آلعمران: ٦٨].

(وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ)

❐ فائدة (١٢): الجزاء من جنس العمل:

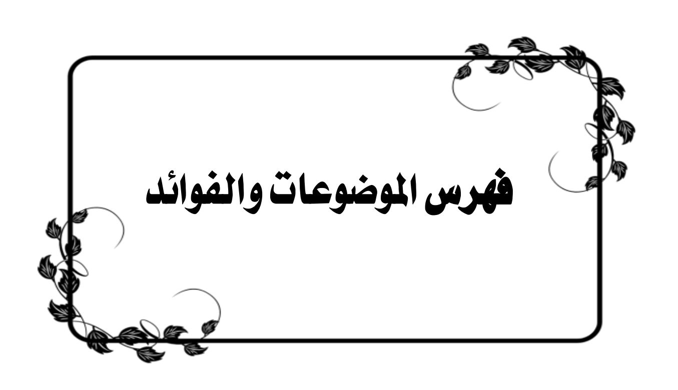
تأمل تجد جزاء هؤلاء كذلك من جنس أعمالهم، لما كانوا قد خلطوا في الدنيا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، صار نصفهم قبيحًا ونصفهم حسنًا، لكن لما سبقت رحمةُ الله غضبَه، قيل لهم: "اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، وَإِذَا هُوَ نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا، وَقَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ" وذلك هو تجاوز الله عنهم، ولا يَبْعُد أن يكون هؤلاء هم أصحاب الأعراف، الذين عنهم العلامة حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " قومٌ تساوت حسناتهم وسيئاتهم فقصَّرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله تعالى أنهم يوقَفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة"(١)

نسأل الله أن يتجاوز عنا بمنه وكرمه

والحمد لله رب العالمين

---

(١) انظر: أعلام السنة المنشورة، وانظر كتابي: التوضيحات السديدة على ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة.


فهرس الموضوعات والفوائد

تم بحمد الله


اللؤلؤة
لخدمات الطباعة
بإشراف مكـتـب اللؤلؤة لخـدمات الطباعة
01007868983 - 01033336232

أعمال المؤلف

كتب مطبوعة:

١- ٣٠ خطوة في طريق السعادة.

٢- تدبر سورة يوسف.

٣- تدبر سورة البقرة، دار اللؤلؤة .

٤- الدليل المختصر الرصين على منهج السالكين.

٥- تدبر سورة الكهف.

٦- إنه الله معرفة ملزِمة، وعبودية محتَّمة (دراسة تربوية لأسماء الله الحسنى) ٢ مجلد ، دار اللؤلؤة.

٧- التربية بالمجاهدة.

٨ـ إتحاف المستمتع بتهذيب الشرح الممتع ٢ مجلد ، دار اللؤلؤة.

٩ـ التوضيحات السديدة على ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة ، دار اللؤلؤة.

١٠-المشوق إلى أذكار الصباح والمساء . دار اللؤلؤة.

١١- شرح صحيح القصص النبوي، للعلامة أبي إسحاق الحويني . دار اللؤلؤة.

كتب تحت الطبع

١ – سلوكيات مرفوضة (١٠٠ سلوك مرفوض) ٢ مجلد.

٢- عبودية القلب

الخمسون النبوية في الأعمال القلبية .

٣- زبدة الكلام على عمدة الأحكام ٢ مجلد.

٤ – التوضيحات السنية على الروضة الندية لصديق حسن خان .

٥-تدبر سورة آل عمران

٦ – فقه السنة الميسر (المسائل الفقهية مقرونة بأدلتها الشرعية).

٧- فصول في الفكر والمنهج.

٨- إسعاف الجريح والجريحة بمعاني الأذكار الثابتة في السنة الصحيحة.

٩- الصيام حياة.

٠١- فقه الإسلام شرح التمام في أحاديث الأحكام، كتاب يجمع أحاديث (بلوغ المرام، وعمدة الأحكام، والمحرر).

١١- إصلاح النفوس بذكر ما في سورة النور من المفاهيم والدروس.

١٢- تدبر جزء عم.

١٣- تدبر جزء تبارك.

١٤- تدبر جزء قد سمع.

١٥- المئوية في العملية التربوية (الأحاديث المائة في الأخلاق والتربية).

١٦- أدلة وإضاءات على متن الورقات (منشور على شبكة الألوكة).

١٧- شرح أسماء الله الحسنى للطلائع.

١٨- الله ينادي.

١٩- المستفاد من زاد المعاد.

٢٠ـ أسماء الله الحسنى المفردة والمقترنة في القرآن الكريم، حصر الآيات، وأسرار خواتيمها، وبيان معانيها .

٢١- المشوِّق إلى العمل الصالح.